

ما يقوله القرآن  
في سورة الحمد (الفاتحة)



ما يقوله القرآن في سورة  
الحمد (الفاتحة)  
من مفردات ولطائف وتعاليم  
الجزء الثالث

الشيخ فاضل الصفار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾



اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

الحمد/٦



## ملازمة الهداية للاستعانة

تلت هذه الآية المباركة الآية التي سبقتها، وهي نتيجة ملازمة لها لسبب عقلي وآخر لطفي وثالث خطابي. أما العقلي فلأن الذي يقر بالعبودية لله سبحانه ويقر بحاجته إلى ربه واستعانتة به في كل أموره لا بد وأن يطلب ذلك من ربه في الحدوث والبقاء، فلا معنى للاستعانة به لولا إلحاقه بالدعاء والسؤال، وأهم ما يسأله العبد هو الهداية؛ لأن بها تتحقق سائر الغايات، والعبودية والاستعانة منها، فلولا الهداية والإعانة الإلهية واللفظ بعبده لم يوفق العبد للإقرار بالعبودية والفقر والحاجة إلى ربه حدوثاً، ولولا ذلك لم يوفق للاستمداد منه بقاءً، فالهداية والاستعانة حدوثاً وبقاءً من الله سبحانه، وأحدهما يتوقف على الآخر، فإن سؤال الهداية يتوقف على طلب الإعانة، وطلب الإعانة يتوقف على الهداية، ولا يقال هذا دور وهو محال.

أولاً: لأنه على فرض كونه دوراً فهو دور معي، وهو من رجوع العلتين إلى علة ثالثة؛ لذلك لا استحالة فيه، كما يقال البيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة، ولا استحالة في ذلك؛ لأن الاثنين يرجعان إلى الخالق.

وثانياً: أنه ليس بدور؛ لأن الهداية الأولى تكوينية وتشريعية، وبها يوفق العبد للعبادة والاستعانة، وبها يطلب الهداية اللطيفة، وبها يطلب مزيد الهداية والثبات عليها، فالهداية الأولى غير الثانية، فلا يتوقف الشيء على نفسه.

وأما اللطفي فلأن الباري عزَّ وجلَّ كتب على نفسه أن يكافئ العبد الشاكر لأنعمه بالمزيد، وأن يجازي المحسن بالإحسان، وأن يجيب دعوة كل داعٍ إذا دعاه، وأن يوفي بعهد كل من وفى بعهده معه، فهذه عهود إلهية أربعة لعبده تستدعي أن يهدي الباري عزَّ وجلَّ عبده صراطه المستقيم، وقد وفى

العبد بعهدده لربه، فلا بد أن يفني الرب بعهدده له.

وأما الخطابي فلأن مقتضى نداء العبد لربه بضمير المخاطب (إياك)، وحمده والثناء عليه برحمته، والإقرار له بالمالكية والعبودية، والاستعانة به أن تتوجه إليه عناية الرب تبارك وتعالى، وبلسان الحال والعلم يخاطبه بماذا أعينكم؟ فيصرح العبد أعني بالهداية للصرراط المستقيم.

### هدايتان حدوثية وبقائية

وهما هدايتان: حدوثية بمعرفة أوليائه محمد وآل محمد ﷺ لا معرفة الله سبحانه؛ لأن المفترض أن العبد قد عرف ربه فدعاه كما تفيده الأخبار.

منها: ما في شواهد التنزيل للحسكاني عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله جعل علياً وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمتي. من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم﴾<sup>(١)</sup>.

وروى بسنده عن الإمام الباقر عن آبائه عن رسول الله ﷺ: ﴿من سره أن يلج النار فليترك ولاية علي بن أبي طالب، فوعزة ربي وجلاله إنه لباب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وإنه الصراط المستقيم، وإنه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) شواهد التنزيل: ج ١، ص ٧٦، ح ٨٩.

(٢) انظر البحار: ج ٣٨، ص ٩٨، ح ١٦؛ الأمالي (للصدوق): ص ٣٦٣، ح ٤٤٧؛

شواهد التنزيل: ج ١، ص ٧٦، ح ٩٠.

وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: ﴿لما نزلت هذه الآية: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾<sup>(١)</sup> جمعهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله ثم قال: يا معشر الأنصار والمهاجرين! إن الله تعالى يقول: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ والمنسك هو الإمام لكل أمة بعد نبيها حتى يدركه نبي، إلا وإن لزوم الإمام وطاعته هو الدين، وهو المنسك، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي، فإني أدعوكم إلى هداه، فإنه على هدى مستقيم، فقام القوم يتعجبون من ذلك ويقولون: والله إذاً لنتنازعنَّ في الأمر، ولا نرضى طاعته أبداً وإن كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله المفتون به - أي معجب به ومستهوى به - فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> .<sup>(٣)</sup>

وهداية بقائية، أي الدوام والاستمرار على نهجهم وصراتهم عليهم السلام، ولا يقال: إذا اهتدى المؤمن بهم فلماذا يسأل الهداية مرة أخرى؟

والجواب: إن السؤال ليس لأصل الهداية بل دوامها؛ لأنها لا تأتي إلا بالسؤال والتوسل، وهو مفاد جملة من الأحاديث الشريفة التي نصت على أن العبد إذا ألح في الدعاء يخاطبه الباري عزَّ وجلَّ سل تعطَّ، ومعلوم أن الباري عزَّ وجلَّ يسأله سؤال العارف لكي يصرح العبد بحاجته، فإن لله

(١) سورة الحج: الآية ٦٧.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٧.

(٣) تأويل الآيات الطاهرة: ج ١، ص ٣٤٩، ح ٣٧؛ وانظر تفسير كنز الدقائق:

ج ٩، ص ١٤٠.

سبحانه أظافاً لا ينالها العبد إلا بالسؤال؛ لما لذلك من أثر بالغ في قرب العبد وتهذيبه واستقامته على المنهج.

وفي الكافي عن ميسر بن عبد العزيز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: ﴿يا ميسر! ادع ولا تقل إن الأمر قد فرغ منه إن عند الله عز وجل منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يُعط شيئاً، فسل تُعط. يا ميسر! إنه ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبه﴾<sup>(١)</sup>.

وفي تعقيب هذا الدعاء للآية السابقة تعليان مهان:

### مورد إجابة الدعاء

الأول: أن الدعاء إذا تعقب إقرار العبد بالعبودية والحاجة والفقر إلى ربه كان مجاباً، فلا ينبغي للعبد أن يسأل الحاجة مباشرة ويقول (ارزقني) مثلاً، وإنما يقر بضعفه وفقره وحاجته وغنى ربه ثم يسأل، وهذا من آداب الدعاء، وهكذا فعل موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ \* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد كان موسى عليه السلام جائعاً لم يأكل ثلاثة أيام، وكان فقيراً غير متزوج، فلما رأى ابنتي شعيب صافورا وليا تمنعان أغنامهما من التقدم إلى البئر

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٦، ح ٣.

(٢) سورة القصص: الآيتان ٢٣ و ٢٤.

وتمنعان أنفسهما من الاختلاط بالرجال سألهما موسى ما خطبكما؟ أي لماذا لا تسقيان؟ فأجابته بما ذكرته الآية، وذكرنا له علة سقيهما، وهو دليل فطانتها؛ لأنها أجابتا عن سؤال يدور في خلد كل من يرى المشهد أين رجال هاتين البنتين؟ فأجابتا بجواب بيتنا من خلاله أن شعيباً عليه السلام ليس له ولد، وأنه شيخ كبير في السن، أو كبير في القدر والمنزلة كما ذكره بعض المفسرين <sup>(١)</sup>، والأول أقوى لأنه كان ضريراً من الكبر كما ذكر، وكبر المنزلة لا يكون داعياً لإرسال البنات للإسقاء مع وجود الرجال عند أهل الغيرة والحمية.

فلما بادر وسقى لهما انصرف إلى الظل من شدة الحر وضعف الجوع:  
﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

فموسى عليه السلام وبعد إنجاز الواجب أي قضاء حاجة المؤمنين والتصدي لتحمل المسؤولية أقر الله سبحانه بالربوبية، وأنه المتفضل الذي أنزل عليه الخير، وأنه فقير إلى ذلك، فماذا أعطاه الله سبحانه مقابل ذلك؟ أدخله بيت شعيب عليه السلام وأطعمه وزوجه وأوصله مقام النبوة، والقضية فيها تفاصيل تحدث عنها القرآن.

والملفت أن موسى عليه السلام لما دخل على شعيب عليه السلام فسلم عليه فرد عليه السلام، وعانقه ثم أجلسه بين يديه وقدم إليه الطعام، فامتنع منه، وقال: أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيته، وإننا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنينا. فقال شعيب عليه السلام: ﴿لا والله يا شاب، ولكن هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا﴾ <sup>(٢)</sup>.

(١) نفحات الرحمن: ج ٥، ص ١٧.

(٢) نفحات الرحمن: ج ٥، ص ١٩.

## كيف يباع الدين بالدنيا؟

وبيع الدين بالدنيا يتم بنحوين:

أحدهما: تقاضي الأجر على عمل ديني يقدمه العبد لله سبحانه كالصلاة والصيام والصدقة وإصلاح ذات البين وتعليم الناس الأحكام والمعارف.  
ثانيهما: أن يقبل بالعوض مقابل ما يقدمه المؤمن لله سبحانه، وموسى عليه السلام خاف من الثاني لأنه لا يطلب أجراً، ولكن خاف أن شعبياً عليه السلام يريد مجازاته بالإطعام، وهو لم يقيم بالسقي لأجل نفسه أو لأحد من البشر، بل تحمل مسؤوليته الإنسانية، وأدى رسم العبودية أن يرى من يحتاج عوناً أو مساعدة وهو قادر على إعانته إلا ويعينه، فكيف يستعين بالله سبحانه ولا يعين عباده، وكيف يكون عبداً لله سبحانه ويرى عباده في مضيقته وهو قادر على رفعها ولا يرفعها؟

والشاهد من كل ذلك أن الدعاء يجب أن يكون بعد الإقرار بالعبودية والحاجة والفقير إلى الله سبحانه.

## أفضل دعاء

الثاني: أن أفضل ما ينبغي للعبد أن يسأله من ربه هو الهداية للصراف المستقيم؛ لأن بها يصير الإنسان إنساناً كاملاً بعد الإقرار بالعبودية لله سبحانه وانحصار الاستعانة، فإن الهداية إلى طريق الطهر والخير هي أفضل حالات العبد ومقاماته بعد العبودية، وبمقتضى مفهوم المقابلة يعرف أن أسوأ مصير يقع فيه الإنسان هو الضلالة والشطوط عن الصراط المستقيم، وأما غير ذلك فلا يصل إلى هذا المصير، بل قابل للحل والمعالجة، ولذا قال

تعالى في آيات عديدة إن الذي يضلّه الله سبحانه لا هادي له <sup>(١)</sup> ، وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> والضلالة تقود إلى الشرك، وقد تعهد الباري عزّ وجلّ بأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء <sup>(٣)</sup> ، فالدعاء وسلوك الأسباب الطبيعية كفيلاّن بمعالجة مشاكل الإنسان إلّا الضلالة فإنها لا علاج لها إلّا التوبة والرجوع عنها.

### شروط الهداية

والسبب في ذلك أن الهداية إلى الحق مشروطة بشروط:

الأول: الإقرار بالفقر والحاجة إلى الهداية.

الثاني: الاستماع إلى الهداة والمرشدين كالأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء الربانيين.

الثالث: الإصغاء لصوت العقل والفطرة، فإذا تجرّب العبد وطغى وتوهم أنه الأفهم والأعلم وابتعد عن الهداة والمرشدين، ولم يستمع لعقله وفطرته اللذين يدعوانه إلى الاستماع للعلم والعلماء، فإن الثقة الزائدة بالنفس تقوده إلى الهلاك، ولا يهتدي بنفسه؛ لانحجاب عقله وفطرته عن الحقيقة، ولا يجد من يهديه ويرشده؛ لأنه أغلق باب الاهتداء على نفسه؛ لذا نفت الآية الشريفة أن يكون له هادٍ، والله سبحانه يحجب عنه لطفه ورحمته، فيذرّه

---

(١) انظر سورة الرعد: الآية ٣٣؛ سورة الزمر: الآية ٣٦؛ سورة غافر: الآية ٣٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٦.

(٣) انظر سورة النساء: الآية ٤٨.

يعيش طغيانه وعمهه لأنه اختاره.

## بين العمه والعمى

والعمه يقابل العمى، فإن العمى افتقاد البصر، أما العمه فهو افتقاد البصيرة بسبب عمى العقل والقلب، وقد عرّف بالتحير والشروء في الطريق لم يدر أين يذهب<sup>(١)</sup>.

وربما يطلق العمى على فقدان نورانية العقل والقلب، فيقال أعمى القلب وكناية عن الضلالة وعدم الاهتداء<sup>(٢)</sup>.

فالعمه أخص من العمى، وهذا ما يجب أن يحذر منه المؤمن، فإن العناد والمكابرة يقودان إلى العمه، وهو الآخر يجرمه من نعمة الهداية في شتى أموره الدينية والدنيوية، ولا يجد من الله سبحانه إجابة؛ لأن الإجابة تكون بحسب القابلية، ولا قابلية مع التكبر والغرور.

## ثلاث حقائق معرفية

وفي سياق الآية المباركة مع آية العبادة والاستعانة إلفات إلى ثلاث حقائق هامة:

الأولى: أن في آية العبادة والاستعانة وبناتها من الغيبة إلى الحضور إلفات انتباه ويقظة، وفي هذه الآية إلفات فهم ووعي وفقاهة ودرك العبد لأهمية

---

(١) المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٦٢٩، (عمه).

(٢) مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٣٣، (عما).

الدعاء بعد العبودية، وفهم لأهم ما يجب أن يدعو به، فإن نوع السؤال كاشف عن مستوى السائل وفهمه، ورب عبد يكون في موضع الإجابة ولا يسأل ما يغنيه عن غيره من الأسئلة، وأهم ما يجب أن يسأله العبد الهداية، وسيوضح في بيان معناها مدى عمق هذا السؤال وأثره في حياة الإنسان، ولعظمتها وعلو مقامها جاءت متسلسلة بعد طي أربع مراحل معنوية:

أولها: معرفة الخالق ومعرفة فضله وربوبيته الشاملة على العالمين.

ثانيها: الإقرار بملكيته ومالكيته للعوالم.

ثالثها: الإقرار له بالعبودية.

رابعها: الاستعانة به في كل الأمور.

وبعد طي هذه المراحل يقول العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

### قلب سورة الحمد

ومن هنا يقال إن هذه الآية قلب سورة الحمد، وسورة الحمد قلب الصلاة، والصلاة قلب العبادات، فهي قلب العبادات أجمع<sup>(١)</sup>، كما أنها المصداق الجلي للرحمة الإلهية في رحيميتها ورحانيتها، ومن رحمته وربوبيته أن علّمنا أهم ما نطلب منه وهي الولاية، وهذه وحدها كافية لبيان سر ابتداء السورة بالحمد؛ لأن أعظم الحمد يأتي على أعظم النعم، وأعظم النعم هي الولاية لأمر المؤمنين ﷺ.

---

(١) انظر تفسير الفرقان: ج ١، ص ١٢٣.

## لب الهداية

الثانية: أن الهداية تقوم على الاهتداء؛ لأنها عبارة عن فعلين من العبد وفعلين من الرب:

أحدها: إرادة من العبد وتوجه وانقطاع إلى الرب.

وثانيها: عطاء وإعانة وتوفيق من الرب.

وثالثها: إزالة الموانع، وهذا الآخر من العبد أيضاً؛ لأن الهداية لا تتحقق بمجرد الإرادة والرغبة، بل بإزالة موانعها، ومن موانعها الذنوب والجهل والسذاجة واتباع غير الهداة.

فإذا أراد العبد وأزال الموانع فإن الله سبحانه سيهديه صراطه المستقيم، وأما الظالمون فلا هداية لهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولذا ورد في تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن الإمام الصادق في بيان معنى طلب الهداية. قال: ﴿يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك﴾<sup>(٢)</sup>.

ورابعها: الدوام والثبات على الهداية، وهو لطف إلهي خاص، وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في هذه الآية: ﴿أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك فيما مضى من أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا﴾<sup>(٣)</sup>.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٦.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠؛ التفسير الصافي: ج ١، ص ٨٥؛  
نفحات الرحمن: ج ١، ص ١٨٩.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣٣، ح ٤؛ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠؛  
←

فالهداية الحدوثية لطفية ناشئة من توفيق الله تعالى لعبده للطاعة، والهداية البقائية بها يدوم العبد على الطاعة وهي من الله سبحانه.

### هداية الدرجات وهداية الاستقامة

الثالثة: أن الهداية أعم مطلوب يرغب إليه العباد حتى محمد وآل محمد عليهم السلام الذين هم هداة البشر ومعلموهم فإنهم يقرؤون الآية الشريفة في عباداتهم ويقولون: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن الهداية مراتب، وهداية المعصوم عليه السلام لزيادة الدرجات والمقامات، وهداية غيرهم الاهتداء بهم والاستقامة على نهجهم، فهداية المعصوم عليه السلام رتبتان: الأولى: الثبات على الصراط الإلهي.

والثانية: على الدرجات. قال تعالى في وصف رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وهي هداية اصطفاوية خاصة، وبقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يطلب الثبات والقرب.

وهداية غيره لها مراتب كثيرة أهمها الاهتداء للصراط المستقيم، وهو صراط النبي وآله عليهم السلام والثبات عليه، والتخلص من هوى النفس واتباع الشيطان، فإن الذي يهدي إلى صراط مستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> والصراط المستقيم هو أمير المؤمنين والأئمة

→

التفسير الصافي: ج ١، ص ٨٥؛ مجد البيان: ص ٣١٦.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦١.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

من ولده عليهن السلام كما سنين وتضافر في الأخبار<sup>(١)</sup>، فإنهم الهداة الكاملون للبشر، ومنهم تتفرع كل الهدايات، ولذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي أن الذي اهتدى باتباع النبي والعترة عليهم السلام زاده الله سبحانه هداية بإيصاله إلى مقاصده، وآتاه ما ينجيه من المهالك، وهي مرتبة من مراتب العصمة اللطيفة الخاصة.

### أهم مطلوب

وتعلمنا الآية المباركة أن العبد لا ينبغي أن يجعل الدنيا ومطالبها أهم ما يشغله، وإذا دعا فعليه أن يدعو بالأهم من ذلك وهي الهداية لسببين:

الأول: لأن الهداية النعمة الفضلى التي تكون سبباً لباقي النعم المادية والمعنوية، فإن أعظم نعمة معنوية هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والبراءة من أعدائه، وسببها الهداية، فلولاها لم يهتد إليه الخلق، والنعم المادية بأنواعها وأصنافها ينالها العبد من ربه إذا كان مهتدياً صالحاً.

والثاني: لأن الهداية هي النعمة التي تلازم الإنسان في الدنيا والآخرة، وتنجيه من عذاب النار، وأما نعم الدنيا فهي زائلة، وربما ساقته إلى النار، وهذه نعمة أخرى تستحق الحمد والشكر ومزيد الحب والعبودية لله سبحانه.

هذا ما يتعلق بدلالة سياق الآية، وأما البحث فيها فيقع في مباحث:

---

(١) معاني الأخبار: ص ٣٢، ٣٤، ٣٥، الأحاديث ٢ - ٥.

(٢) سورة محمد: الآية ١٧.

## المبحث الأول: في مفردات الآية المباركة



وهي ثلاث:

### المفردة الأولى: ﴿أَهْدِنَا﴾

(اهد) فعل أمر يتضمن الطلب، ولكونه من الداني إلى العلي فهو دعاء، والضمير (نا) يعود إلى العابدين المستعِينين الطالبين، والفاعل هو الله سبحانه الذي عبر عنه بضمير المخاطب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

### معاني الهداية

وللهداية معانٍ عديدة:

منها: التقدم للإرشاد. يقال هديته الطريق أي تقدمته لأرشده<sup>(١)</sup>، ومعنى الآية هو أن العبد يسأل أن يتقدم نور الباري عزَّ وجلَّ ليرشده إلى مصالحه.

ومنها: الدلالة.

ومنها: البيان.

ومنها: إراءة الطريق.

ومنها: الإيصال إلى المطلوب<sup>(٢)</sup>.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٦، ص ٤٢، (هدي).

(٢) المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٧٨، (هدى).

والحق أن الهداية هي دلالة بلطف على الحقيقة، ولا تطلق بهذا المعنى إلا على هذا، وبه يختلف الهادي عن الدليل، والهداية عن الدلالة، وإذا ورد الاستعمال في بعض الآيات على غير ذلك كما في قوله تعالى في أهل النار: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٢)</sup> فهو إما من باب التهكم نظير قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> وإما من باب النتيجة والمآل؛ لأن عاقبة العذاب بالنار هو التطهير من الذنوب وتصفية المذنبين، والكثير منهم ينالون الجنة في عاقبة الأمر، والإرشاد إلى العاقبة الحسنة هداية مثله مثل الطيب الذي يهدي المريض إلى عملية جراحية كبرى مقدماتها صعبة وعسيرة وعاقبتها إلى خير وسلامة، والهدية يقال لها ذلك؛ لأنها تتضمن الدلالة على المحبة واللطف، والهدي يقال للذبايح تهدي إلى الحرم؛ لأنها تدل على الإذعان والإجابة لنداء الرب عز وجل، والهادي من أسمائه سبحانه؛ لأنه الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده<sup>(٤)</sup>.

### هداية الإرشاد وهداية اللطف

ومن هنا تنقسم الهداية على قسمين: هداية دلالة وإرشاد، وهو سبحانه الهادي بواسطة أنبيائه ورسله وكتبه، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى

(١) سورة الصافات: الآية ٢٣.

(٢) سورة الحج: الآية ٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢١.

(٤) مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٧٥، (هدا).

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(٢)</sup> وتسمى هداية الحق.

وهداية لطف وتوفيق في بلوغ المقاصد، وهو لطف الله تعالى بعبده يغمره به عبر الإلهامات والإشراقات وتسخير الأشياء وإيجاد المقتضيات وإزالة الموانع من طريقه، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبناء على أن فاعل الإشاءة هو العبد تفيد أن الهداية اللطفية تتوقف على إرادة العبد؛ لأنها تفضلية، بخلاف هداية الدلالة فإنها استحاقية؛ لأنها من مقومات الوجود المعنوي للعبد، فتكون نظير الرزق المقوم لوجوده المادي والباري عز وجل بمتقضى ربوبيته كفل لعبده ما يقوم وجوده المادي والمعنوي.

### الهداية اللطفية

أما الهداية اللطفية فهي إرفاقية تفضلية تنال بالاستعداد والقابلية؛ لذا ينالها من يطلبها ويجاهد نفسه لأجلها. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾<sup>(٤)</sup> وقد وردت السبل بصيغة الجمع؛ لأن المقصود ليس أصل الإيمان لأنه مفروغ منه، فإن الذي يجاهد في الله سبحانه قد اهتدى للإيمان، وإنما المراد سبل الحاجات، ومعالجة الأزمات والمشاكل التي

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة الرعد: الآية ٧.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٦.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

تعرض طريق أهل الإيمان، فإنها لا تنحصر بسبيل واحد، ولكل غاية أو معضلة أكثر من سبيل عند الله سبحانه للحل لا يصل إليه إلا من طلبه وأراده وجاهد لأجله، واللام والنون المثقلة تفيدان حتمية البلوغ إلى النتائج، ولذا يمنعها عن الظالمين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> لأن الظلم مانع.

### فرق الهدايتين

فالهداية الأولى تعود إلى الحق لأنها مقتضى الربوبية، والثانية تعود إلى الفضل لأنها مقتضى العبودية والربوبية، والغفلة عن ذلك أوجدت الاختلاف في تعريف الهداية؛ لأن الهداية باللحاظ الأول غيرها باللحاظ الثاني، والفرق بينهما أن الحقية تقوم على اقتضاء شأن الربوبية أن ترشد الجاهلين من العباد لمصالحهم، ولكنها ليست بالضرورة توصل إلى المطلوب؛ لتوقف الوصول على إرادة العبد، بينما الثانية تقوم على اقتضاء العبودية وفعلية إرادة العبد للوصول فيوصله الرب لمطلوبه؛ لأنه مقتضى لطفه وفضله، وهذا ما يستفاد من قول الإمام الرضا عليه السلام في معنى قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: «استرشاد لدينه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة لربه عزَّ وجلَّ ولعظمته وكبريائه»<sup>(٢)</sup> وبهذا اللحاظ عرّف بعض أهل اللغة الهداية بالإيصال إلى المطلوب، بينما لاحظ بعضهم

(١) سورة المائدة: الآية ٥١.

(٢) الفقيه: ج ١، ص ٣١٠، ح ٩٢٦؛ تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٠، ح ٨٥.

الهداية الحقيقية فعرّفها بإراءة الطريق، وبعضهم الآخر عرّفها بالدلالة<sup>(١)</sup>، وبهذا نجمع بين الأقوال المختلفة.

كما يتضح وجه الترابط بين الهداية والرحمة في السورة، فإن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يفيد الرحمة الذاتية أي الرحمن، والرحمة الفعلية أي الرحيم، والأولى أعم من الثانية، والرحمة الواصلة إلى العبد هي الرحيمية، فصفة الرحمن تطابق صفة الهادي بالهداية الحقيقية، والرحيم تطابق صفة الهادي بالهداية اللطيفة، ونلفت الأنظار إلى حقائق:

### الهداية الجبلية

الحقيقة الأولى: أن الله سبحانه هو الهادي، وهدايته للخلق بواسطتين: الأولى داخلية جبلية والثانية خارجية، والهداية الأولى جبلية مودعة في تكوين الإنسان، وهي إرائية تقوم على أركان ثلاثة هي: الفطرة: وتدلّه على الله سبحانه بمقتضى ذاتها، وتشمل قوى النفس الأخرى كالحواس الباطنة والمشاعر والعقل: ويوصله إلى الحقائق. والقلب: ويهديه إلى الكمال والنقص، فيحب الأول ويبغض الثاني. وإليها أشار قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(٢)</sup> أي بعد نعمة الوجود جاءت نعمة الهداية منه بأدواتها الثلاث.

(١) تفسير تسنيم: ج ١، ص ٥١٨.

(٢) سورة طه: الآية ٥٠.

## ركائز الهداية الإيصالية

وأما الخارجية فهي إيصالية وتقوم على أربع ركائز وهي:

الأنبياء والأئمة عليهن السلام، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(١)</sup>.

والقرآن فإنه هدى للمتقين، ويهدي للتي هي أقوم.

والدعاء والتوسل كما أشارت إليه الآية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

وقد كثر دعاء الأنبياء والأولياء بطلب الهداية منه سبحانه؛ لما له من أثر بالغ في بلوغ المقاصد كقولهم: ﴿اللهم اهديني من عندك﴾<sup>(٢)</sup> وقول أصحاب

الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup> فإن الحمد هنا إنشاء يتضمن الدعاء والإخبار

عن الحق، والتهذيب وإصلاح النفس؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا﴾<sup>(٤)</sup> وإذا صار القلب نيراً اهتدى بنفسه، وإليه يشير

الحديث: ﴿إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عيني قلبه، فلا يسمع بمعروف إلا عرفه، ولا بمنكر إلا أنكره﴾<sup>(٥)</sup>.

أما الإلهامات والمنامات الصادقة والإلفاتات والمعجزات والكرامات

(١) سورة السجدة: الآية ٢٤.

(٢) الخصال: ص ٢٢٠، ح ٤٥؛ مصباح المتهجد: ص ٥٠؛ الوافي: ج ٨، ص ٧٩٧، ح ١٣.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٥) مقتنيات الدرر: ج ١، ص ١٨٦.

وأمثالها فتندرج في الثانية.

## النبي والإمام خلاصة الهدايات

الحقيقة الثانية: أن جميع الهدايات تعود إلى النبي والإمام عليهما السلام؛ لأنهما إما يزيلان الموانع عن الإرائية لكي ترى الحقائق وتبصرها، أو يوجدان المقتضي في الهداية الإيصالية، فلولاهما لم يحصل هدى ولا رشاد.

## خصائص الهادي

الحقيقة الثالثة: ويستفاد من معنى الهادي لغة وعرفاً أن الهادي يستدعي اتصافه بثلاث صفات لا توجد في غيره.

أولها: أنه متقدم رتبة وعلماً وعملاً.

ثانيها: أنه مستغن عن سائر الناس مادياً ومعنوياً، وإلا لم يكن اتباعه أولى من غيره.

ثالثها: أنه معصوم عن الجهل والخطأ والسهو والنسيان وإلا انتقض الغرض، ولزم الخلف، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ أي يتعين اتباعه لعدم وجود من يستحق الاتباع غيره، ففعل التفضيل هنا منسلخ عن التفاضل لانتفاء الطرف المعادل.

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

## أنحاء الأولوية

وقد ثبت عند المفسرين، وهو ما تقتضيه قواعد البلاغة أن الأولوية على قسمين: أولوية تفضيلية أو ترجيحية، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَزْهَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> لوجود رحمة عند الناس كرحمة الأب والأم بأبنائهما، ورحمة الناس ببعضهم، لكن رحمة الله سبحانه أوسع وأشمل.

وأولوية تعيينية لا يراد بها المفاضلة وإنما إثبات تمام الحق لصاحبه كما في قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup> أي كل رحم قريب يتعين حقه في الميراث ولا يزاحمه غيره فيه.

وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ من هذا القبيل، فالهادي يجب أن يكون مهتدياً بنفسه، ولو كان مفتقراً إلى هداية انتقض الغرض، ولذا ذم من يتبع المفتقر إلى هداية بترك الهادي نفسه، وقال: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لأن الحكم باطل. نعم الاهتداء به متوقف على الاتباع، وبذلك يتضح وجه الجمع بين توصيف النبي والأئمة عليهم السلام بأنهم هداة إلى الحق، وتضافر الأدلة على وقوع الضلالة في الأمة؛ لأن وجود الهادي ليس علة تامة للهداية، بل مقتضياً والمقتضي يؤثر بشرط وهو الاتباع، فإذا لا يتبع لا تحصل الهداية، وهذا مراد المتكلمين بأن هداية الإمام عليه السلام إيصالية، فإنها تكون موصلة بشرط الاتباع، ومثله يقال في هداية الخالق عز وجل لعباده

(١) سورة يوسف: الآية ٦٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

بالهداية الاختيارية مثله مثل الطبيب، فإن وجوده ليس علة لمعالجة المرض، بل العلة هو صحة تشخيص الطبيب، وتقديم الإرشاد الصحيح للمريض، وعمل المريض بإرشاده.

### أول قضية بعد رسول الله ﷺ

ومن هذا ما ورد في الكافي بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: ﴿لقد قضى أمير المؤمنين ﷺ بقضية ما قضى بها أحد كان قبله، وكانت أول قضية قضى بها بعد رسول الله ﷺ، وذلك أنه لما قبض رسول الله ﷺ وأفضى الأمر إلى أبي بكر أتى برجل قد شرب الخمر، فقال له أبو بكر: أشربت الخمر؟ فقال الرجل: نعم. فقال: ولم شربتها وهي محرمة؟ فقال: إنني أسلمت ومنزلي بين ظهراي قوم يشربون الخمر ويستحلونها، ولو أعلم أنها حرام اجتنبتها. قال: فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال: معضلة، وأبو الحسن لها، فقال أبو بكر: يا غلام ادع لنا علياً، فقال عمر: بل يؤتى الحكم في منزله، فأتوه ومعهم سلمان الفارسي رضوان الله عليه فأخبروه بقضية الرجل، فاقتص عليه قصته، فقال علي ﷺ لأبي بكر: ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار، فمن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه... ففعل أبو بكر ما قال علي ﷺ: فلم يشهد عليه أحد، فخلّ سبيله، فقال سلمان لعلي ﷺ: لقد أرشدتهم، فقال علي ﷺ: إنما أردت أن أجدد تأكيد هذه الآية فيّ وفيهم: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ووجه التأكيد هو ما تواتر عن النبي ﷺ في مواضع عديدة، أن علياً مع الحق والحق مع علي<sup>(٣)</sup>، وأن طاعته طاعة الله ورسوله<sup>(٤)</sup>، ولا يخفى ما في سؤال سلمان من إشارة، إلى اعتزال أمير المؤمنين ﷺ لهم، ولعل قول عمر (يؤتى الحكم في منزله) نوع مرونة يبديها أو تدبير منه؛ لأنه يعلم أنهم لو دعوه للحضور عندهم فإنه ﷺ لا يحضر.

وفي كشف المحجة للسيد ابن طاووس قدس عن أمير المؤمنين ﷺ حديث طويل وفيه:

يقول ﷺ: ﴿اسمعوا قولي يهدكم الله إذا قلتُ، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لمن أطعتموني لا تغووا، وإن عصيتموني لا تُرشدوا. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿٦﴾ والغواية الضلالة مع الخيبة، فهي أخص من الضلالة.

### خلافة علي ﷺ وبطلان خلافتها

والآية المباركة حجة على جميع المسلمين لأسباب:

الأول: ما اتفق عليه أهل القبلة أن أمير المؤمنين ﷺ هو الصراط

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٢) الكافي: ج ٧، ص ٢٤٩، ح ٤.

(٣) البحار: ج ١٠، ص ٤٣٢، ح ١٢.

(٤) الوسائل: ج ٩، الباب ٤ من أبواب الأنفال، ص ٥٥٣، ح ١٢٦٩٥.

(٥) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٦) كشف المحجة: ص ١٨٧.

المستقيم، وهو الوحيد الذي كان مهتدياً منذ تكوينه ولم يشرك بالله سبحانه طرفة عين قط، بينما غيره منهم من عبدوا الأصنام سنوات، وشربوا الخمر، وفعلوا المنكرات، والمشرك والعاصي مغضوب عليه فلا يصلح أن يكون هادياً مرشداً.

الثاني: ما اتفق عليه أهل القبلة على أن الصحابة بما فيهم الأول والثاني كانوا يحتاجون إلى علي عليه السلام، ويهتدون بنور علمه، واتفقوا أيضاً على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحتج إلى أحد، ولم يرجع إلى أحد منهم، فهو أحق بالاتباع والاهتداء، وهو ما أشارت إليه الآية المباركة.

الثالث: ما اتفق عليه أهل القبلة من أن غاية ما ذكره العامة لمن أخذوا الخلافة من علي من مناقب هو صحبة النبي صلى الله عليه وآله وقربهم منه، ولا توجد فضيلة لأحد منهم تذكر تفوق هذه الميزة، وقالوا إنهم يهدون وهو باطل منطقياً لأنه استدلال بالأعم؛ إذ يمكن القول بأن الكثير من الصحابة هكذا فما ميزتهم؟ فالمنطق والآية الكريمة والواقع الخارجي يبطل هذا النظر؛ لأن من أخذ الخلافة أسلم بعد عمر مديد في الكفر والشرك، أحدهما أسلم في سن ست وأربعين، والآخر في سن خمس وثلاثين، أما أمير المؤمنين عليه السلام فمنذ ولادته صحب وألقمه النبي رضاعه وغذاه، وتربى النبي صلى الله عليه وآله في بيت علي عليه السلام؛ إذ كفله أبو طالب عليه السلام وهو في عمر ثمان سنين بعد وفاة عبد المطلب، وبقي عنده حتى بعث وهو في سن الأربعين<sup>(١)</sup>، فهو أقدم صاحب للنبي صلى الله عليه وآله، وأقرب الناس إليه روحاً ونسباً، فهو أحق أن يتبع، وقد أشار

(١) تحفة الأبرار: ص ١٢٤ المتن والهامش (١).

٣٤..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله: ﴿واعجابه ! أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة﴾<sup>(١)</sup>.

والشواهد على ذلك كثيرة جداً بما تدعو المسلمين الذين يتلون قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كل صباح ومساء إلى الرجوع إلى المنطق والعقل والإنصاف.

### أقسام الهداية الإلهية

الحقيقة الرابعة: أن الهداية الإلهية للخلق تنقسم إلى أقسام ستة متسلسلة طولياً ومترابطة ارتباطاً منهجياً لا يبلغ العبد اللاحقة إلا بعد عبور السابقة، وبعض هذه الأقسام مشتركة بين جميع المخلوقات، وبعضها مختص بالإنسان والجن.

الأول: الهداية التكوينية، وهي إيصالية، ويراد بها إعطاء كل مخلوق ما يقوم وجوده ويديم بقاءه، ويوصله إلى منفعه، وهو مقتضى العدل واللطف الإلهي، فإذا لا يعطيه ما يمدده ويقوم وجوده كان خلاف الحكمة والرحمة واللطف.

مثلاً حينما خلق الإنسان وصف خلقه بأنه في أحسن تقويم<sup>(٢)</sup>، ويتكون بدن الإنسان من مليارات الخلايا وأعضاء كثيرة، وهو عجيب في تكوينه، ومن الكائنات المعقدة لا البسيطة، كما أن في تكوينه النفسي هناك معادلات

---

(١) غرر الحكم: ص ٧٣٠، ح ٦٤؛ تصنيف غرر الحكم: ص ١٢٠، ح ٢٠٩٩؛ شرح

نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ١٨، ص ٤١٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، سورة

التين: الآية ٤.

معقدة، وله روح ولها معادلات معقدة، وله عقل له خصائص وآثار منفصلة عن خصائص وآثار النفس، وعنده قلب وله خصائص وآثار تغاير خصائص العقل، وكل إنسان بوجوده يدرك هذه الحقيقة، فمن الذي أودع فيه هذا التكوين؟ وبهذا التكوين يقوم وجود الإنسان، ويحفظ بقاءه، ويوصله إلى مصالحه ومقاصده.

فبالعقل يدرك الحقائق، وبالبدن يدرك المحسوسات، وبالقلب يدرك الغيبات، فكل ما يتعلق بالإنسان في وجوده وبقائه وسعادته أعطاه الباري عزَّ وجلَّ الأدوات الموصلة إليه، وهي هداية ربانية للإنسان إلى مصالحه مودعة في أصل الخلق والتكوين.

ولما يولد طفل الإنسان يولد وهو جائع، فإذا وضعت أمه على صدرها التقم الصدر وأخذ يمتص رزقه، والملفت أن الصدر قبل الولادة خالٍ من اللبن، فإذا ولد الطفل در اللبن، ولكن حتى يدر يجب أن يلتقمه الطفل ويلمسه ويمتص حتى يشرب، فمن الذي هداه إلى ذلك؟

الثاني: الهداية الفطرية، وفي عالم الحيوانات بأنواعها وأصنافها وفي نظام عيشها وأسلوب عملها وكيفية تكاثرها ما يبهر العقول، مثلاً الدجاجة تبيض في مدة، ثم إذا نامت على بيضها لمدة واحد وعشرين يوماً تفقس البيضة، والذي يفقسها الفرخ نفسه ليجد لنفسه مخرجاً منها، ثم إذا خرج يتبع أمه، وأمّه لا تفارقه، فلا يختلط بفراخ دجاجة أخرى ويضيع، والدجاجة المعروفة بنهمها للأكل إذا صار لها فرخ لا تأكل إلا أن تطعمه وتناديه إلى الأكل إذا وجدت طعاماً.

وإذا فقسست بيضة البطة نرى فرخها يذهب إلى الماء ليعوم فيه، فمن الذي هدى الدجاجة إلى الحقل والبط إلى النهر؟ .. إنه الله سبحانه الذي هدى كل مخلوق إلى مصالحه، وبذلك يتضح أن هداية الله سبحانه خلقه كرحمته وسعت كل شيء، فلا يستغني مخلوق منها، وهو مقتضى الربوبية الشاملة في الوجود، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مَخْلُقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾<sup>(٢)</sup>.

والتقدير وضع التقديرات المناسبة لبلوغ كل مخلوق غايته في تكوينه البدني والنفسي والاجتماعي، فأولاً سوى الخلق فأوجده على نظام محكم متقن معتدل لا خلل فيه ولا عبث ولا تفاوت بأن يكون بعض الخلق متقناً وبعضه غير متقن، أو المخلوق الواحد مختل الأعضاء، فاليد مكان الرجل أو العين مكان الأذن وهكذا، ثم قدر له قوته وأجله ونظامه الذي يكتمل فيه، وهداه إليه، فأرشد كل حيوان إلى ما فيه منفعته ومضرته وأسلوب حياته فضلاً عن الإنسان، فهدايته التكوينية مساوقة لرحمته ولربوبيته، وقد تحيّر علماء الأحياء والبيئة والطبيعة في توصيف دقة الهداية في خلق الكائنات بما يرشد كل عاقل إلى أن الله سبحانه هو الخالق وهو المدير والمدبر والمنظم للوجود، وهو الهادي المربي لخلقه.

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

(٢) سورة الأعلى: الآيات ١ - ٣.

وبهذا يتضح وجه الترابط المنطقي بين قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإن الهداية إلى الصراط المستقيم هي مقتضى الرحمة الواسعة والربوبية الشاملة؛ لذا يكون دعاء العبد في صلاته بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مضمون الإجابة، وهو نوع هداية؛ إذ جعل الباري عزَّ وجلَّ المعصوم ﷺ هادياً لعباده، وجعل نظامه معصوماً.

الثالث: الهداية التشريعية، وتتعلق بنظامه العبادي وتشريعاته وأحكامه، فإن الخالق عزَّ وجلَّ جعل لخلقه ديناً ونظاماً وأحكاماً، وجعل له إماماً وحقاً ليكون في طريق العبودية الصحيحة، وينال كماله المعنوي، فأنزل الكتاب، وبعث النبي ﷺ، ونصب الإمام ﷺ من بعده، وأرشدهم وبين لهم الطاعات والمعاصي وما ينفعهم ويضرهم، وأمرهم بفعل الأولى ونهاهم عن الثانية، وهي هداية إرائية فإن الباري عزَّ وجلَّ لما خلق البشر لم يتركه، بل جعل له النظام الكامل الذي يغذي عقله في المعارف، ويغذي قلبه في المعتقدات، ويغذي بدنه في الطاعات، فإذا سار الإنسان على هذا النظام وصل إلى أفضل مصالحة، وهذا النظام يتميز بجملته خصائص:

### خصائص النظام الإلهي

الأولى: أنه يتبع المصالح والمفاسد الواقعية، فما من شيء أوجب الباري عزَّ وجلَّ إلا وفيه مصلحة للإنسان، وما من شيء حرمه إلا وفيه مفسدة، فأحكام الله سبحانه هكذا لا يوجد أمر ونهي جزافاً وعبثاً، فحينما يأمر الناس بالصيام في شهر رمضان لأن فيه مصلحة لهم، وحينما ينهاهم عن

المنكرات لأن فيها مفسدة لهم، فالله سبحانه يأمرهم بالصالحات، وينهاهم عن المفسدات والسيئات، وهذه خصوصية خاصة بالتشريع الإلهي؛ إذ يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث<sup>(١)</sup>.

الثانية: أنه يحرم الإنسان من ذل العبودية للشهوة والسيطان، ويجعله عبداً لله سبحانه، فتشريعات الله تعالى فيها حدود وضوابط غايتها تحرير الإنسان لا استعباده، والإنسان من دون هذه الحدود والأحكام مستعبد إما لشهوته أو لسيطانه ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> وهذه خصوصية أخرى للتشريع الإلهي غير موجودة في التشريع العلماني الوضعي.

الثالثة: أنه تشريع كامل وعادل يحمي حقوق الجميع، ولا يميز بين قوي وضعيف، وقريب وبعيد، وغني وفقير.

الرابعة: أنه جعل للتشريع إماماً يعلم بكل تفاصيله وعصمه من الجهل والخطأ والسهو والنسيان وكل الهفوات التي يمكن أن يبتلى بها المشرع أو المطبق، فشرعه سبحانه وتشريعه وتطبيقه معصوم.

الرابع: الهداية التربوية، وهي من توابع التشريعية والتكوينية؛ لأنها لا يكفيان للهداية ما لم تتبعهما الهداية التربوية، وتتعلق بحال الخلق ومصيره بالنسبة إلى الطاعات والمعاصي، وتتقوم بأمرين:

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، سورة

الاعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

الأول: الاختيار في الاعتقادات والأعمال.

الثاني: الإرادة والطلب للهداية.

فإذا اختار المخلوق الهداية وطلبها فإن الله سبحانه سيوصله إلى مطلوبه بتوفيق منه وتسديد، فهي هداية إيصلية، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾<sup>(٣)</sup> فإنه سبحانه يهدي من يريد الهداية، ومن لا يريدتها تحق عليه الضلالة، وهذه هي التي يقابلها الضلال بسبب الفسق والظلم والكفر ونحوها كما نصت عليه الآيات<sup>(٤)</sup>.

وفي هذه الهداية جميع الخلق مهتدٍ طوعاً أو كرهاً، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾<sup>(٦)</sup>.

ومن نسبة الإسلام والسجود إلى الفاعل مع اسم الموصول للعاقل،

(١) سورة القصص: الآية ٥٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٤) انظر سورة الصف: الآية ٥ و ٧؛ وسورة المائدة: الآية ٦٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٦) سورة الرعد: الآية ١٥.

وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يستفاد اختيار الخلق في ذلك، وهذا يستدعي حمل الإسلام والسجود على معناهما الاصطلاحي، أي دين الإسلام والسجود الحقيقي لا اللغوي، أي التسليم والخضوع، وهو ما يستفاد من الأدلة النقلية وتقتضيه البراهين العقلية؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان، فهو دين جميع المخلوقات، ورسوله المصطفى ﷺ خليفة الله سبحانه، وحجته على جميع العوالم، والكل مأمور بمعرفته ومحبته واتباعه.

### ما معنى طوعاً أو كرهاً؟

وفي توجيه كيفية الإسلام والسجود طوعاً وكرهاً أقوال بين المفسرين:  
القول الأول: أن الطوعي إسلام من آمن بالله تعالى؛ لأنه يراه أهلاً للعبادة فعبده، ولم يتعلق غرضه بغير الله جل جلاله، والكرهي إسلام الذين آمنوا به عز وجل لأغراض زائدة على أهلية المعبود للعبادة، كالذي يعبده خوفاً من ناره أو طمعاً في جنته<sup>(٢)</sup>، وهو أخص من مدلول الآية؛ لأنه يصح في البشر والجن ولا يصح في غيرهما من المخلوقات.

القول الثاني: أن الإسلام الطوعي ما إذا حصل عن إذعان واستجابة للنفس دون معارضة أو شك أو رفض، والإكراهي الانقياد مع إباء النفس ورفضها لمخالفته لميولها وشهواتها، فيكون نظير من يشرب الدواء المر

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٢) مواهب الرحمن: ج ٦، ص ١١٠.

مضطرباً، وهو أوجه من الأول، وتعززه الروايات الكثيرة التي نصت على أن الولاية لأمر المؤمنين عليهم السلام عرضت على المخلوقات فبعضها رضيت بها وبعضها رفضتها <sup>(١)</sup>، وقد أعطى الباري عزَّ وجلَّ خصائص الأشياء بحسب تسليمها للولاية.

**القول الثالث:** أن الطوعي يتعلق بالقوانين التشريعية للإسلام، والكرهي بالقوانين التكوينية، ولأن الاثنين يتحققان بالأمر صار الأمر قسمين أمراً تشريعياً وأمراً تكوينياً يقع بقوله للشيء كن فيكون، فاستجابة الأشياء لإرادته تكويناً هو تسليم كرهى، وأما استجابتها لأوامره ونواهيه فهي اختيارية طوعية <sup>(٢)</sup>.

**القول الرابع:** أن الطوعي ناظر إلى المؤمنين؛ لأنهم يستجيبون لأوامر الله سبحانه طوعاً وإرادتهم، أما غير المؤمنين فلا يستجيبون لها إلا في الشدائد حينما تعينهم الحيل، فهم في الشدة يلجؤون إلى الله تعالى، وفي الرخاء يشركون به <sup>(٣)</sup>.  
والحق هو عدم التنافي بين الأقوال، بل كلها تامة ولكنها ناظرة إلى أحد المعاني؛ لأن الإسلام والتسليم في المخلوقات يختلف بحسب المراتب والمقامات، وتكويناً لا يوجد مخلوق إلا وهو مسلمٌ وساجدٌ لله سبحانه طوعاً أو كرهاً، وتشريعاً إما يطيع عن إرادة ومحبة ومعرفة وهو أعلى مراتب التسليم، أو يطيع في جوارحه وكاره في جوانحه وهي مرتبة ضعيفة، أو لا

(١) بصائر الدرجات: ص ٩٦.

(٢) تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٣٤٥.

يطبع في جوارحه وجوانحه لكنه خاضع خاشع لقوانين الله سبحانه وسننه، وجميعها تسمى هداية؛ لأن حكم الله سبحانه وحكمته وقدرته وتدبيره تسيقها وترشدتها إلى مصالحها، ولعل إليه يشير قول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير التسليم بأنه تسليم التوحيد<sup>(١)</sup>؛ لأن الجميع مسلم لربه بمقتضى فطرته وخلقه وبمقتضى خضوعه لقوانينه.

الخامس: الهداية التقويمية، وتتعلق بتثبيت العبد على الهداية وتحصينه من الزيغ والانحراف عنها، ولا يمكن أن يكون العبد مهتدياً لعدم إحراز الاستقامة على ذلك، فهي تقوم العبد على الهدى وتثبته عليه، وإليها يشير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٢)</sup> ويقابلها الثبات والاستقامة كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وثباته في الحياة الدنيا يتم بالاستقامة على الهدى، وفي الحياة الآخرة يستقيم على الإيمان، ولا يغره الشيطان عند الاحتضار حينما يدعوه إلى الكفر والجحود، كما وردت به الأخبار الشريفة أن المحتضر يشعر بالعطش الشديد، فيحضره الشيطان ومعه ماء عذب يعرضه عليه بشرط أن يكفر<sup>(٤)</sup>، فإن كان المؤمن قد استعد في حياته لهذه اللحظة بقوة العقيدة والثبات عليها

(١) مواهب الرحمن: ج ٦، ص ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨.

(٣) سورة ابراهيم: ص ٢٥٩.

(٤) اليوم الآخر: ص ١٧١.

فإنه لا يعدل، وإلا أمكن أن يعدل ويذهب إلى ربه منحرفاً، ولا مخلص له من هذا البلاء إلا بالهداية التقويمية، وطريق تحصيلها الدعاء والتوسل وتقوية العقيدة.

السادس: الهداية الاصطفائية، وهي خاصة بالأنبياء والأولياء الذين اصطفاهم الله سبحانه للهدى، ومن يتلوهم في الرتبة، وتتميز بمزايا عن سائر الهدايات، وإليها يشير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> ونلاحظ أنه ينسب رفع الدرجات إليه سبحانه وإلى مشيئته، فيدل على الاصطفاء، أي هو يرفع درجات من يختاره من العباد، ثم يذكر جملة من المصطفين فيقول: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾<sup>(٢)</sup> أي بالهداية الاصطفائية ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَمِن آبَائِهِمْ وَدُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ثم يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتَّبُوتَ... \* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٤.

(٣) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ - ٨٨.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان ٨٩ و ٩٠.

وقد دلت الآيات على حقائق:

الأولى: أن الهداية الاصطفائية هي أعلى مراتب الهدايات، وهي باجتماع واختيار من الله سبحانه.

### سر الهداية الاصطفائية

الثانية: أن سر الاصطفاء للهداية توفر خصائص عديدة فيهم، وهي اختيارية. أولها: الإحسان ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ والإحسان معناه حسن الصفات والأعمال والإحسان إلى الغير.

ثانيها: الصلاح ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ والصالحون جمع صالح وهو الذي يؤدي فرائض الله سبحانه وحقوق الناس، فلا يبخس حق أحد بالانتقاص ولا يظلمه، وهو وصف خاص يناله الأنبياء، وأعلامهم رتبة أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا وصفه الباري عزَّ وجلَّ بأنه (صالح المؤمنين)<sup>(١)</sup>، والإضافة تفيد الأخصية بالصلاح، وقد ورد بطرق الفريقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بيد علي عليه السلام فقال: ﴿أيها الناس! هذا صالح المؤمنين﴾<sup>(٢)</sup>.

والإشارة اللفظية (هذا) والإشارة العملية (برفع يده) والتنبيه ب(يا أيها) تفيد بيان المعنى وحصره بالمصدق.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، سورة التحريم: الآية ٤.

(٢) روح البيان: ج ٢٨، ص ١٥٤؛ البرهان: ج ٤، ص ٨٨٤؛ شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣٥١، الهامش.

وقد استعمل التنبيه لكي يصحو الغافل والذاهل ويلتفت، وإذا كان في الحضور من سمعه ثقيل يرى الإشارة العملية، وإذا كان فيهم من نظره ضعيف يسمع بإذنه، فتتم الحجة على الجميع.

ثالثها: الأفضلية على الناس، وهي سمة لازمة في الأنبياء عليهم السلام، وجهات التفضيل عديدة: بعضها تتعلق بالذات، وبعضها بالصفات، وبعضها بالأفعال، حتى الأحاسيس والمشاعر؛ إذ لا بد وأن يكون سفير الله سبحانه ممثلاً له جامعاً لصفات الخير، وقد تقدم في وصف الهادي أنه يجب أن يكون المقدم رتبةً وعلماً وعملاً ومعصوماً.

رابعها: العبودية المطلقة لله سبحانه، وهي الجامعة لكل صفات الجمال والجلال؛ لذا قال تعالى بعد ذكر أسمائهم: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(١)</sup>

فالعبودية هي سبب الاصطفاء، والملفت أن الإشاعة في الهداية نسبتها إلى العباد، والاصطفاء نسبه إليه سبحانه.

### العصمة والتفضيل اختياريان

وبهذا تنحل جملة من التساؤلات التي غالباً ما تثار:

منها: أن العصمة اختيارية أم جبرية؟

ومنها: أن التفاضل بين الأنبياء وبين الناس جبري أم اختياري؟

ومنها: أن طريق الارتقاء المعنوي ونيل الكمالات مفتوح أم مغلق؟

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

فإن الآيات الشريفة تنص على أن العصمة والتفاضل اختياريان، وطريق الارتقاء لا مغلق. نعم النبوة والإمامة ختمتا برسول الله والمهدي عليه السلام؛ لعدم وجود من يملك الاستعداد لهما، وأما ما دون ذلك فهو مفتوح؛ لعدم وجود من له القابلية على الارتقاء إلى مقاماتهم عليهم السلام.

الثالثة: أنه سبحانه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالاعتداء بالأنبياء السابقين عليه، مع أنه أعلى رتبة ومقاماً منهم، بل هدايتهم من هدايته، والسبب أن هدايتهم إلى الصراط المستقيم، وهو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهي واجبة على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ويجب على الجميع الاقتداء بها، ولهذا تفصيل نوكله لمحلّه.

### المفردة الثانية: ﴿الصَّرَاطُ﴾

وله أكثر من قراءة، وبعضها بتبديل الصاد سينا<sup>(١)</sup>، وليست صحيحة، والحق هو الصاد وبالقراءة المشهورة، ويشهد له فرق المعنى، فإن السراط الطريق المستسهل الذي يتلج سالكه ويغيب فيه لسهولته، وهو مأخوذ من سرطت الطعام وزردته أي ابتلغته بسهولة فيغيب عن الفم<sup>(٢)</sup>، أما الصراط فهو الطريق المستقيم الموصل إلى مقصد السالك<sup>(٣)</sup>، فهو أخص من السراط.

وفي قوله تعالى عن قول إبليس: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

(١) انظر التبيان: ج ١، ص ٤٢؛ مجمع البيان: ج ١، ص ٦٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ١٥٢، (سرط)؛ مفردات الراغب: ص ٤٠٧، (سرط)؛ مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٥٢، (سرط).

(٣) مفردات الراغب: ص ٤٨٣، (صرط)؛ مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٥٩، (صرط).

الْمُسْتَقِيمَ ﴿<sup>(١)</sup> أي الطريق الموصل إلى الله سبحانه، وهو طريق الولاية واتباع علي والأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(٢)</sup> لا طريق الانحراف والفساد، ولذا ورد في حديث زرارة: ﴿يا زرارة! إنما عمد لك ولأصحابك، وأما الآخرون فقد فرغ منهم﴾ <sup>(٣)</sup> لأنهم يتبعون سبيله في المعتقد والعمل.

وفي قوم شعيب كانوا يقعدون في طريق أتباعه الذين يقصدون الوصول إليه ليمنعوهم منه فيخوفوهم بالقتل <sup>(٤)</sup>. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ <sup>(٥)</sup>.

### الصراط والطريق والسبيل

ويختلف الصراط عن الطريق والسبيل من وجوه عديدة <sup>(٦)</sup>؛ لذا عبرت به الآية ولم تعبر بهما، فإن الطريق مطلق ما يطرق في المشي بالأرجل أو بالفكر للوصول إلى غاية مادية، ولا يقتضي السهولة ولا الإيصال إلى المطلوب، فهو أعم من الصراط، والسبيل أعم من الطريق؛ لأنه يشمل الطريق للوصول إلى غاية مادية أو معنوية؛ لذا يقال للجهاد إنه في سبيل الله سبحانه، ولا يقال في طريق الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ <sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦.

(٢) انظر تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩، ح ٦، تفسير الآية المزبورة.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ١٤٥، ح ١١٨؛ البرهان: ج ٢، ص ٥٢١.

(٤) مجمع البيان: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٨٦.

(٦) انظر معجم الفروق اللغوية: ص ٣١٣، (١٢٦٠).

(٧) سورة المائدة: الآية ٣٥.

والصراط هو الطريق السهل الموصل إلى الغاية، وفيه اتباع واقتداء وهو خالٍ من الخلاف والتفرّق، فهو أخص مطلقاً من غيره، وواضح أن الثلاثة المذكورة قد يطلق أحدها على الآخر تسامحاً، إلا أن التحقيق هو التمييز بينها في العموم والخصوص. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
وبه أشار إلى أمور:

الأول: أن الصراط يتضمن الهدى والعدل والاستواء، ولذا نسبة الباري عزّ وجلّ إليه، وهي إضافة تشریف وتخصيص.

الثاني: أن صراط الله سبحانه هو ما يجب اتباعه عقلاً وشرعاً دون غيره.

الثالث: أن علامة صراط الله سبحانه الاستقامة لا الاعوجاج والتفرّق؛ لذا سمي كل ما يقابل الصراط سبيلاً، وذكرها بصيغة الجمع لأنها متفرقة وكثيرة.

إن قلت: فماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾<sup>(٢)</sup> إذ عبر عن الجهاد في الله تعالى بالسبل وبصيغة الجمع؟

والجواب: ذلك للإشارة إلى أمرين:

الأول: أن الله سبحانه سبلاً تهدي العباد أقر لها بذلك، كما تفيده الإضافة إليه (سبلنا) وهي ما بيّنا، ومن الهداية الداخلية الجبلية والهداية الخارجية بأنواعها وأصنافها.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

الثاني: أن مجموع السبل الهادية إليه تتلخص بالإمام عليه السلام، وقد وردت بصيغة الجمع للإشارة إلى جميع الأئمة عليهم السلام؛ لأنهم جميعاً هداة، وكل إمام هادٍ لأهل عصره، ومعه يحشرون وعنه يسألون.

إن قلت: فلماذا لم يعبر عن ذلك بالصراط وإنما بالسبل؟

والجواب لسببين:

الأول: لأن الصراط ناظر إلى النتيجة والمصير وهي واحدة أما السبل فإلى المقدمات.

والثاني: للإشارة إلى أن الجهاد في الله سبحانه له مراتب، والمجاهدون لا يبلغون كل المراتب؛ لأن الوصول إلى الله سبحانه بالمعنى الواسع الشامل خاص بمحمد وآل محمد عليهم السلام، وأما غيرهم فبجهادهم يرتقون المراتب الممكنة لهم، أما بلوغ درجة محمد وآل محمد عليهم السلام فممتنعة؛ لقصور العباد عنها، وقد عبر بالسبيل لأنه لا يوصل دائماً إلى المطلوب، وإنما وصوله يكون على قدر استعداد العبد ومقدماته، ولو عبر بالصراط لأفاد وصول الجميع إلى مقاصدهم وهو ممتنع، وهذه نكتة معرفية تنفع أهل النباهة والقلوب.

الرابع: أن اتباع السبيل يوجب التفرق وتضييع صراط الله سبحانه، ولازمه التيه وخسران الدنيا والدين، وهذه علامة ماثرة بين أتباع الصراط وأتباع السبل، فإن الأولين متوحدون متماسكون لا تفرق بينهم، فإذا لوحظ وقوع التفرق والاختلاف يعرف أن ذلك من أتباع السبل المتعددة المتفرقة بالأهواء المختلفة والإغواءات الشيطانية، والآية المباركة حددت الكبرى الكلية التي ينبغي أن يلتفت إليها الناس، وهي أن الواجب عليهم

اتباع صراط الله سبحانه دون غيره، فيجب الفحص عنه لبلوغه واتباعه.

### آل محمد ﷺ صراط الله

وأما مصداقه الخارجي فتحدده الآيات الأخرى والروايات، وكلها تجتمع على حقيقة واحدة، وهي أن صراط الله سبحانه هو محمد وآل محمد ﷺ، فقد شهد الباري عزَّ وجلَّ لرسوله المصطفى ﷺ بأنه على صراط مستقيم. قال سبحانه: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وقال فيما يدعو الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> وفي آية أخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> فنهج النبي ﷺ صراط مستقيم ويدعو إلى صراط مستقيم، فما هو الصراط المستقيم الذي يدعو إليه؟.

والجواب: هو ولاية أمير المؤمنين والأئمة ﷺ واتباعهم؛ لتضافر ذلك في الآيات والروايات.

فمن الآيات تعريفه في الآية التالية لقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فإنه صراط رسول الله وعلي وذريته الطاهرة ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٣.

(٢) سورة الشورى: الآيتان ٥٢ و ٥٣.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٧٣.

(٤) معاني الأخبار: ص ٣٦، ح ٧.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> و (اللام) للتأكيد و (علي) اسم علم لأمير المؤمنين عليه السلام، وقال: (لدينا) للإشارة إلى أن الناس يأبون ذلك ويرفضون، فنبه على أن رفض الناس لا يقلل من شأنه ومكانته، ويبقى هو الوصي والخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و (أم الكتاب) هي الفاتحة، ومعنى الآية أنه في الفاتحة علي حكيم، وحكمته تظهر في كونه الصراط المستقيم الذي يوصل الناس إلى غاياتهم، ويوحد كلمتهم، وينجيهم من عذاب النار، فأمر الكتاب الفاتحة، وأم الفاتحة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن جميع المصالح الدينية والدينية تتوقف عليها، وقد تضافر بطرق الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ﴿إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي﴾<sup>(٢)</sup> والمقصود بالعترة الإمام علي وأولاده وفاطمة عليها السلام، وفي اللغة يقال مسك بالشيء أخذ به وتعلق واعتصم<sup>(٣)</sup>، وتمسك مبالغة في ذلك، فنفيد أن اتباع علي عليه السلام بنحو التمسك أي التعلق، والاعتصام ينفي الضلالة.

و: ﴿أنه مع الحق والحق مع علي﴾<sup>(٤)</sup> و: ﴿أنه مع القرآن والقرآن مع علي﴾<sup>(٥)</sup> وقد ذكر الطرفين لبيان الاتحاد التام، فليس علي مع القرآن فقط حتى يقول

(١) سورة الزخرف: الآية ٤.

(٢) انظر بصائر الدرجات: ص ٤٣٣، ح ٣؛ كنز العمال: ج ١، ص ١٨٦، ح ٩٤٥.

(٣) المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٨٦٩، (مسك).

(٤) المناقب: ج ٣، ص ٥٠؛ تاريخ بغداد: ج ١٤، ص ٣٢٢، الرقم ٧٦٤٣.

(٥) الأمالي (للطوسي): ص ٤٧٩، ح ١٠٤٥؛ المعجم الصغير: ج ١، ص ٢٥٥؛

المستدرک (للحاكم): ج ٣، ص ١٢٤.

قائل كونه مع القرآن لا يدل على أن القرآن يوافق، فأكده بقوله: ﴿والقرآن مع علي﴾ ليشير إلى أنها حقيقة واحدة بمظهرين، فلا عذر لأحد من المسلمين في مخالفة هذه الحقيقة الواضحة كالشمس، وهو ما يقضي به العقل لاتفاق المسلمين على أنه لم يعص الله سبحانه طرفة عين، ولم يسجد لصنم قط، ولم يخالف لرسول الله ﷺ أمراً، وشهد له الباري عزَّ وجلَّ في كثير من الآيات بمناقب كثيرة لا تعد ولا تحصى، فهو الصراط المستقيم بعد رسول الله ﷺ.

### اهدنا الصراط المستقيم

فمعنى الآية (اهدنا صراط عليؑ) وتعززه القرائن:

الأولى: اسم الإشارة في قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾<sup>(١)</sup> فإنه يقتضي وجود حقيقة مشار إليها يراها الناس بمشاهدة العيون والقلوب ويعرفونها.

والثانية: لام العهد في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإنه لا يعقل أن تكون اللام جنسية لمانعين:

أحدهما: ظهوري؛ لوضوح أن لام التعريف تفيد أنه صراط معروف لديهم وليس بمنكر، وهذا يوافق العهد لا الجنس الذي يفيد العموم.

وثانيهما: عقلي؛ لأن الصراط المستقيم بمعناه الجنسي مفهوم عام لا يتناسب مع دعاء الداعي وطلبه، فلا يحقق غرض الداعي إلا بالصراط الخاص المعهود.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

إن قلت: إن العهد يقتضي وجود تعاهد سابق بين العبد وربّه وهو غير حاصل.

والجواب: بل حاصل في عالم الذرّ لما أخرج الباري عزّ وجلّ ذرية بني آدم وأشهدهم على أنفسهم، وكان مما تعاهد معهم أن لا يعبدوا الشيطان وأن يعبدوه، وعيّن لهم الصراط المستقيم وأمرهم باتباعه، ولذا سيحتج عليهم في الآخرة بمخالفة عهدهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

والإشارة إلى صراط مستقيم تقتضي وجود مشار إليه محسوس لديهم ومعروف، وقد ورد في الأخبار الكثيرة أنه صراط علي وذريته عليه السلام.

### علي عليه السلام والصراط المستقيم

والثالثة: ما تضافر بطرق الفريقين أن الصراط المستقيم هو علي عليه السلام،<sup>(٢)</sup> وفي بعضها صراط محمد وآله عليهم السلام،<sup>(٣)</sup> وفي شواهد التنزيل للحسكاني بسند متصل عن أبي بريدة، وبسندين آخرين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿أنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنت يعسوب المؤمنين﴾<sup>(٤)</sup> واليعسوب أمير النحل وكبيرهم وسيدهم، وبه تضرب الأمثال؛ لأنه إذا خرج من كوره تبعه النحل بأجمعه،

(١) سورة يس: الآيتان ٦٠ و ٦١.

(٢) انظر مواهب الرحمن: ج ١٤، ص ٤٧٧، تفسير الفرقان: ج ١، ص ١٣٧.

(٣) شواهد التنزيل: ج ١، ص ٧٤؛ تفسير الفرقان: ج ١، ص ١٣٧، الهامش (٢).

(٤) شواهد التنزيل: ج ١، ص ٧٦، الرقم ٨٨.

والمعنى يلوذ الدين بك ويتبعك في معارفه وحدوده وأحكامه؛ لأنك مصدره، وإذا كان الدين كذلك كان أهله كذلك<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أبي حمزة الثمالي في معنى الآية عن رسول الله ﷺ قال: ﴿علي هو والله الميزان والصراط﴾<sup>(٢)</sup>، وفي رواية جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بينما أصحابه عنده أشار بيده إلى علي عليه السلام وقال: ﴿هذا صراط مستقيم فاتبعوه﴾<sup>(٣)</sup>.

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المفيدة للعلم بهذه الحقيقة لدى الفريقين. وبهذا يكون المؤمن بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يسأل الله سبحانه أن يوفقه ويهديه ويفي بعهده معه حينها أمره بعبادته واتباع الصراط المستقيم في عالم الذر؛ لأن بقدمه للدنيا يتلى بالغفلة والنسيان، فيظهر لربه أنه باقٍ على عهده مع ربه، ويسأل أن يوفقه للوفاء بهذا العهد، وهو صراط علي وذريته الطاهرة عليه السلام، وهذا هو الذي يحقق غرض العبادة والبعثة وغاية الخلق والتكوين؛ لأن الله سبحانه خلق العباد ليكملهم ويرقيهم، ولا يبلغون ذلك إلا بصراط علي عليه السلام لا كل صراط، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ بالعبرة والكتابة والرسم.

ففي الرواية الواردة بطرق الجمهور كالدر المنثور وصححها علماءؤهم عن ابن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطأ بيده ثم قال: ﴿هذا سبيل الله

(١) مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٢١، (عسب).

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ص ٦٨؛ البرهان: ج ٣، ص ٣١٧؛ غاية المرام: ج ٣، ص ٤٥.

(٣) المناقب: ج ٢، ص ٢٧١؛ غاية المرام: ج ٣، ص ٤٥.

مستقيماً ﴿ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: ﴿وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup>﴾<sup>(٢)</sup>.

وروي مثله عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ولكن فيه: إنه خط خطأ هكذا أمامه فقال: ﴿هذا سبيل الله، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال: هذا سبيل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط وتلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(٣)</sup>﴾<sup>(٤)</sup>. ومنه يعرف أن الصراط الإلهي واحد، وغيره سبل غواية يقعد عليها الشياطين، وهي محيطة بالصراط المستقيم، ويتيه فيها الناس ويخدعون إلا من تمسك بعلي وذريته الطاهرة عليه السلام.

### المفردة الثالثة: ﴿المُسْتَقِيمَ﴾

وصف للصراط مأخوذ من الاستقامة وهي الاعتدال في الأمر والاستواء<sup>(٥)</sup>، والمستقيم صيغة اسم فاعل تدل على أن الاستقامة صفة قائمة بذاتها تقوم به قيام صدور كالضرب، أو انتزاع كالقيام، أو حلول كالطويل

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) الدر المنثور: ج ٣، ص ٥٦؛ المستدرك (للحاكم): ج ٢، ص ٢٣٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٤) الدر المنثور: ج ٣، ص ٥٦.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ص ٨٣٩، (قوم)؛ مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٤٥ (قوم)؛

المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٧٦٨، (قام).

والنحيف، وبينهما ملازمة لامتناع الانتزاع لولا الحلول، فالحق هو الحلول ومنه يتفرع الانتزاع والصدور لأنه السبب، فالصراط المستقيم هو ما اتحد لاستقامة فيه قامت ومنه صدرت، ولذا قال الراغب: الاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خط مستوٍ، وبه شبه طريق المحق نحو: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> و: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم<sup>(٤)</sup>.

### خصائص الصراط المستقيم

وإنما وصف الصراط بالمستقيم للإشارة إلى جملة آثار تلازمه:

الأول: أنه أقصر الطرق وأسهلها بالقياس إلى الطرق الملتوية والمتعرجة كما قرر في علم الهندسة.

الثاني: أن المستقيم موصل إلى المطلوب لأنه واحد، والطرق غير المستقيمة كثيرة يتيه سالكها عن المطلوب.

الثالث: أن آثاره ومنافعه ملازمة له فلا تنفك عنه، ومن آثاره طمأنينة الروح وسلامة البدن وأمان النفس وسكينتها؛ لمطابقته لحكم العقل والشرع، فإن الاستقامة في الشيء توجب قيام الشيء بنفسه، وهي أفضل

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٣) سورة هود: الآية ٥٦.

(٤) التبيان: ج ١، ص ١٣٠ - ١٣١؛ مجمع البيان: ج ١، ص ١٤٢؛ مواهب الرحمن:

ج ١، ص ٥٢ - ٥٣.

حالات الشيء التي بها تظهر آثاره وخواصه، فإن أفضل حالات الإنسان في إنجاز أعماله هي القيام، وأفضل حالات الشجرة أن تقوم على ساقها وتستقيم جذورها في الأرض وهكذا.

الرابع: أن المستقيم لا يتغير ولا يتبدل وكذا سالكه، بخلاف غير المستقيم فإنه يتبدل ويتغير وكذلك سالكه، فالنجاه والسلامة بالثبات والاستقامة لا بالاعوجاج.

والخصائص المذكورة هي صفة النبي والإمام عليهما السلام. هذا ما يقضي به حكم العقل والنقل، وبه نجمع بين الأقوال.

### معنى الصراط المستقيم

لقد اختلف المفسرون في معنى الصراط المستقيم على أقوال:

الأول: أنه القرآن، وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام <sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه الإسلام. روي عن جابر وابن عباس <sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنه دين الله سبحانه الذي لا يقبل من العباد غيره. روي عن محمد بن الحنفية <sup>(٣)</sup>.

الرابع: أنه حب محمد وأهل بيته عليهم السلام، وهو قول ابن عباس <sup>(٤)</sup>.

---

(١) تفسير الرازي: ج ٢، ص ١٥؛ التبيان: ج ١، ص ٤٢.

(٢) الدر المنثور: ج ٥، ص ٢٨٥؛ التبيان: ج ١، ص ٤٢.

(٣) جامع البيان: ج ١، ص ١١٢؛ مجمع البيان: ج ١، ص ٦٦.

(٤) المناقب: ج ٢، ص ٢٧١؛ البرهان: ج ١، ص ١١٧، ح ٣٧.

الخامس: أنه النبي والأئمة القائمون مقامه ﷺ وهو المتصافر في أخبارنا<sup>(١)</sup>.  
ولا تنافي بين المعاني، والأربعة الأول منها تدرج في الخامس؛ لأنهم ﷺ  
القرآن الناطق وعدله الذي لا يفارقه، وقد أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ  
بالتمسك بهما، والإسلام لا يكتمل إلا بولايتهم ﷺ، وهو دين الله سبحانه  
الذي لا يقبل من العباد غيره، ولازم ذلك أن كل ما يخرج عن ولايتهم  
ونهجهم ليس صراطاً مستقيماً، بل ليس صراطاً، ولذا وصفها الباري عزَّ  
وجلَّ بالسبل كما مر في المفردة الثانية.

وفي تفسير القمي عن أبي عبد الله ﷺ في معنى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: ﴿الطريق ومعرفة الإمام﴾<sup>(٢)</sup> وقرينة المناسبة بين الحكم  
والموضوع تقتضي حمل الطريق على طريق الحق الذي منه يصل إلى  
الإمام ﷺ، وفي رواية أخرى عنه ﷺ: ﴿والله نحن الصراط المستقيم﴾<sup>(٣)</sup>  
وورد بطرق العامة أن الصراط المستقيم هو صراط محمد وأهل بيته ﷺ<sup>(٤)</sup>،  
والاستقامة في معرفة الإمام ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، ولم  
يعدل صاحبها إلى إمام غيره<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ١٠٤؛ تأويل الآيات الظاهرة: ج ١، ص ٤٣؛

تفسير الميزان: ج ١، ص ٦٢.

(٢) تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨.

(٣) تفسير القمي: ج ١، ص ٦٨.

(٤) المناقب: ج ٢، ص ٢٧١؛ البرهان: ج ١، ص ١١٧، ح ٣٨؛ شواهد التنزيل: ج ١، ص ٧٤.

(٥) معاني الأخبار: ص ٣٣، ح ٤؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ٧٠.

## النبي ﷺ والاقرار بالولاية

وفي أصول الكافي بإسناد إلى أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> قال: إنك على ولاية عليه السلام، وعلي عليه السلام هو الصراط المستقيم<sup>(٢)</sup>.

وفيه دلالة على أن الإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام واجبة على النبي ﷺ فضلاً عن باقي الأمة، وهي من أمر الله سبحانه وتنصيبه، فاتباعه طاعة لله سبحانه، فيندفع سؤال البعض بأنه صلوات الله عليه أفضل من علي عليه السلام فكيف يؤمن بولايته؟ لأن الولاية أمر الله سبحانه وإرادته، وهو تكليف كل الأنبياء والأولياء، وفيه دلالة أخرى على أن التمسك والاستقامة والتبليغ والجهاد في سبيل الله إنما يصح إذا كان مع الولاية، فإذا خلا منها كان بلا أثر.

وهو ما ورد في الحديث القدسي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿قال رسول الله ﷺ: عن جبرئيل عن الله عز وجل أنه قال: يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فسلوني الهدى أهدكم. يا عبادي! اعملوا أفضل الطاعات وأعظمها لأسألكم وإن قصرتم فيما سواها، واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها لئلا أناقشكم في ركوب ما عداها. إن أعظم الطاعات توحيدي وتصديق نبيي والتسليم لمن نصّبته بعده، وهو علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرون عليهم السلام من نسله، وإن أعظم المعاصي عندي الكفر بي وبنبيي

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٣.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٤١٦، ح ٢٤.

ومناذة وصي محمد من بعده علي بن أبي طالب وأوليائه بعده، فإن أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى والشرف الأشرف فلا يكوننَّ أحد من عبادي أثر عنده من محمد، وبعده من أخيه علي، وبعدهما من أبنائهما القائمين بأمور عبادي بعدهما، فإن من كانت تلك عقيدته جعلته من أشرف ملوك جناتي، واعلموا أن أبغض الخلق إليَّ من تمثَّل بي وادعى ربوبيتي، وأبغضهم إليَّ بعده من تمثَّل بمحمد ونازعه نبوته وادعاها، وأبغضهم إليَّ بعده من تمثَّل بوصي محمد ﷺ ونازعه محله وشرفه وادعاها، وأبغض الخلق إليَّ من بعد هؤلاء المدعين لما به لسخطي يتعرضون من كان لهم على ذلك من معاونين، وأبغض الخلق إليَّ بعد هؤلاء من كان بفعلهم من الراضين وإن لم يكن لهم من معاونين، وكذلك أحب الخلق إليَّ القوَّامون بحقي، وأفضلهم لديَّ وأكرمهم عليَّ محمد سيد الورى، وأكرمهم وأفضلهم بعده علي أخو المصطفى المرتضى، ثم بعدهما القوَّامون بالقسط أئمة الحق، وأفضل الناس بعدهم من أعانهم على حقهم، وأحب الخلق بعدهم من أحبهم وأبغض أعداءهم وإن لم يمكنه معاونتهم ﴿<sup>(١)</sup>

وتتضمن دلالات عديدة:

الأولى: أن الإمامة تكون بالنص والتنصيب الإلهي لا باختيار الناس، وهي مدار رضا الله سبحانه وسخطه وطاعته ومعصيته.

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ج١، ص٢٧-٢٨، ح١٠؛ تفسير كنز الدقائق:

## أصول الدين بالنص

الثانية: أن أصول العقيدة ثلاثة هي التوحيد والنبوة والإمامة، والعدل والمعاد يعودان إلى التوحيد، فما يذكره البعض من أن تسلسل أصول الدين من تقرير علماء الكلام غير سديد.

الثالثة: أن أعظم طاعة لله سبحانه التي يقبلها من بعده تقوم على الأصول الثلاثة، وأن أعظم المعاصي هو مخالفة ذلك.

والملفت أنه في التوحيد والنبوة جعل المدار على الإيثار والتصديق، ويتم بالإقرار القلبي، وأما في الإمام أمر بالتسليم له؛ لأن مدار الطاعة ليس فقط الإقرار القلبي، بل الاتباع والافتداء، وفي مقابلتها المنابذة، وهي الإلقاء والطرح<sup>(١)</sup>.

وإنما عبّر به لأن النبذ اسم للإلقاء الشيء استهانةً به، وإظهاراً للاستغناء عنه، ولهذا قال تعالى في أهل الكتاب حيث أمرهم ببيانه وعدم كتمانها: ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وأن ما كلفوا ببيانه هو نبوة المصطفى ﷺ، وقد أخذ الله سبحانه عليهم العهد بذلك، لكنهم كتموها ونبذوا عهد الله وراء ظهورهم<sup>(٣)</sup>، وذات الموقف اتخذها المسلمون في عهد رسول الله في الغدير في إمامة علي عليه السلام، فنبذوها وراء ظهورهم طمعاً في

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٤٥٥، (نبذ)؛ مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٨٩، (نبذ).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٣) انظر تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٦؛ مواهب الرحمن: ج ٧، ص ١٦٢.

الدنيا، وأهل جهنم هكذا ينبذون فيها. قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾<sup>(١)</sup> بينما طرح والإلقاء أعم، وحال النواصب ومن خالف علياً عليه السلام في إمامته عن علم وعمد هو النبذ، ولذا مصيرهم الهلاك والمبغوضية.

### طبقات المقربين

الرابعة: أن طبقات عباد الله المقربين ذاتاً وعملاً أربع:

أولها: النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام، وأما الذين يتقمصون مقامهم يجللون ويحرمون وينسبونه لدين النبي صلى الله عليه وآله، أو يتولون مقامه الإلهي ويدعون الخلافة فهم مبعدون.

ثانيها: الذين يؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وخليفته ويؤثرونهم على أنفسهم، وهم أعلى طبقات أهل الإيمان، ومصيرهم أن يكونوا من أشرف ملوك الجنان.

ثالثها: الذين يتبعونهم ويعينونهم على حقهم، أي المناصرون لهم بالقول والعمل.

رابعها: الذين يحبون محمداً وآل محمد عليهم السلام ويغضون أعداءهم وإن لم ينصروهم إذا كانت عدم النصره لهم بسبب العجز وعدم القدرة، فإنهم جميعاً عند الله سبحانه محبوبون ومن المقربين، وبذلك تظهر أهمية الولاية لآل محمد عليهم السلام والبراءة من أعدائهم.

---

(١) سورة الهمزة: الآية ٤.

## طبقات الكفار

ويقابلهم طبقات الكفار وهي خمس يبغضها الله سبحانه:

أولها: الذين يتجبرون في الأرض الذين يدعون الربوبية بأقوالهم كفرعون، أو بأعمالهم كسائر الطغاة والجبابرة.

ثانيها: الذين ينازعون رسول الله ﷺ، ويتقمصون مقامه.

ثالثها: الذين ينازعون وصي رسول الله ﷺ محله وشرفه ويدعونه.

رابعها: الذين يتبعون من خالف النبي والوصي وعاونهم ونصرهم على ذلك، وهؤلاء يتعرضون لسخط الله سبحانه، أي الغضب الملازم للعقوبة كناية عن حرمانهم من الشفاعة.

خامسها: الذين يرضون بأفعال هؤلاء وإن لم يفعلوا شيئاً في نصرتهم، فكل هؤلاء في سخط الله سبحانه.



## المبحث الثاني: في لطائف الآية المباركة



وهي عديدة:

### اللطيفة الأولى: هداية البصيرة

هداية الله سبحانه إلى الصراط المستقيم فيها بعدان مشترك ومتميز، البعد المشترك يتساوى فيه جميع الناس المؤمن والكافر، وهو مقتضى العدل الإلهي، وعليه تقوم سنة الاختبار للعباد، ويتضمن ثلاث هدايات:

الأولى: إعطاء الوسائل والأدوات التي بها يبصرون ويتفكرون ويحبون ويتعصبون ويدركون الحقائق كالعقل والقلب والمشاعر والحواس الظاهرة والباطنة، ومن مكملاتها إيجاد الوازع في فطرة الإنسان وعقله للبحث عنه والوصول إليه، وإليه يشير قول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة: ﴿بك عرفتك وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت﴾<sup>(١)</sup>.

إن الإنسان يجهل أبسط الأشياء المحيطة به، فكيف يدرك الغيب وما فيه من أسرار وعظمة فضلاً عن الوصول إلى الخالق؟ فلولا أن يعطيه أدوات الإدراك ويحفزه ويوجد الوازع إليه لما بلغ ذلك، ولولا أن يهديه إليه لتاه وضل في العقيدة كالمشركين والكفار وأهل الكتاب، فإنهم آمنوا بوجود

---

(١) إقبال الأعمال: ج ١، ص ١٥٧؛ البحار: ج ٩٥، ص ٨٢، ح ٢.

الخالق لكنهم في حقيقته تاهوا؛ لأنهم اعتمدوا على أنفسهم، ولو استعانوا بهداية الله سبحانه لوصلوا، وهداية الله عند محمد وآل محمد عليهم السلام، فلوا لجؤوا إليهم وصلوا.

الثانية: نصب الدلائل والآيات الفارقة بين الحق والباطل والصحيح والخطأ والصلاح والفساد سواء في الآيات الآفاقية أو الأنفسية، فالله سبحانه يتجلى للعباد في خلقه، وكل مخلوق هو دليل ومرشد وهادٍ إليه، ومنطلق ذلك كله يبدأ من الوجدان، فإن ضمير الإنسان صادق معه لا يكذبه ولا يغشه، ويسوقه إلى الحق والصواب، ويذمه ويلومه إذا خالفه.

وبصيرة الضمير إذا كانت سليمة تكون نافذة تدرك الحقائق ولا تخطئ فيها. شهد لها خالقها بقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ \* وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾<sup>(١)</sup> أي أن في الإنسان بصيرة كاملة لا يخطئ الواقع وإن أغراه الشيطان، أو سولت له نفسه الدانية لتبرير الخطأ والعصيان، لكنه في وجدانه يعلم أنه يغش ويخون الحقيقة.

فإن من دأب الإنسان تبرئة نفسه من العيوب والذنوب، وإلقاء كاهلها على الغير، وهو نوع طغيان وتجبر وتفخيم النفس بما لا تستحق؛ لذا يتعلل الكفار والعصاة بأن ما وقعوا فيه من الكفر والضلال لم يكن منهم، وإنما يلقونه على كاهل غيرهم، حتى حينما يساقون إلى النار، حكى عنهم البارئ عز وجل ذلك بقوله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ

---

(١) سورة القيامة: الآيتان ١٤ و ١٥.

وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً  
قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هُوَ لَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَيْهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ  
لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

والآية تدل على أن الجن الكافر والمعاند يعذب بالنار أيضاً، وأن  
أعاذيرهم مرفوضة، فلكل منهم ضعف من العذاب، أحدهما للعصيان  
والآخر للتبرير؛ لأنه كذب، وأن للنار رباً يأمر فيها وينهى وهو أمير  
المؤمنين عليه السلام <sup>(٢)</sup>، كما تصافر في الأخبار أيضاً، وتدل على أن أهل الضلالة  
يسعون لإلقاء المعاذير وتبرير ضلالتهم هذا في النار.

وفي المحشر يسعون لإلقاء معاذيرهم وتبرير ضلالتهم بالشیطان،  
والشیطان يلقي معاذيره ليدفع عن نفسه ما هم فيه. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ  
الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ  
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي  
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وهذا السعي من الإنسان لإخفاء الحقيقة والتملص من المسؤولية  
يكشف عن ثلاث رذائل:

الأولى: الجهل بالله سبحانه، وأنه لا تخفى عليه خافية.

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٢) انظر تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٠٥، و ص ٧٠٨.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

الثانية: الكذب والنفاق بإظهار شيء وإخفاء غيره.

الثالثة: الجبن وعدم تحمل المسؤولية.

### تبرير الأخطاء والمعاصي

فترى البعض يبرر أخطائه ومعاصيه تارة بالحاجة، فإذا قيل له: لماذا تعمل مع الظالمين وتطيع أوامرهم؟ يقول: مجبور، وإذا قيل للظالم: لماذا تظلم شعبك ورعيتك؟ يقول: أخاف أن ينفرد الأمن والسلطة والسلم الاجتماعي وأمثال ذلك، وإذا قيل للموظف: لماذا ترتشي وتبتز المواطنين؟ يقول: ماذا أعمل إنني بحاجة إلى المال، وبعضهم يقول: ليس الأمر بإرادتي إنها إرادة من بيده الأمر والنهي، وثالث يقول: إذا أنا لا أبتزه يبتزه غيري، وهكذا سلسلة المفسد والظلمات تقع بتبريرات وأعاذير واهية دافعها هوى النفس وإغواء الشيطان، لكنهم جميعاً في واقعهم وبصيرة ضمائرهم يعلمون أنهم كاذبون، ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ما يصنع أحدكم أن يُظهر حسناً ويستر سيئاً؟ أليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنه ليس كذلك، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾<sup>(١)</sup> إن السريرة إذا صحَّت قويت العلانية<sup>(٢)</sup> .

لأن ظاهر الإنسان انعكاس لباطنه، وهؤلاء كاذبون في باطنهم

(١) سورة القيامة: الآية ١٤ .

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٩٥، ح ١١؛ مجمع البيان: ج ١٠، ص ١٩٥؛ نفحات الرحمن:

ج ٦، ص ٣٨٠ .

فيظهرون الأعاذير في ظاهرهم، وهذه قضية أخلاقية عظيمة للذين يجبنون عن الاعتراف بأخطائهم ومساوئهم إذا وقعوا فيها، ويسعون لتبريرها، ولذا اشتهر القول بأن الاعتراف بالخطأ فضيلة؛ لأنه من يتقرب الصدق وتبرير الخطأ كذب.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام بعد أن تلا الآية المباركة قال: ﴿ما يصنع الإنسان أن يتقرب إلى الله بخلاف ما يعلم الله تعالى؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من أسر سريرة رده الله ردها إن خيراً فخير وإن شراً فشر﴾<sup>(١)</sup>.

### تبشير وتحذير أخلاقي

وهذا تعليم أخلاقي آخر فيه تبشير وتحذير، فهو تبشير لأصحاب السريرة الطيبة الصادقين مع أنفسهم أن ما يضمرونه من خير سيظهره الله سبحانه على جوارحهم ويشهده الناس ويشهدون به، وتحذير لأصحاب الأعاذير والتبريرات الذين يضمرون السوء ويظهرون الخير بأن تبريرهم لا يجذب ضمائرهم كما لا يجذب الناس، فإن الناس يميزون الصادق من الكاذب، وربما ينخدع بعضهم في فترة وجيزة إلا أنه لا يبقى مخدوعاً طول الوقت، وسرعان ما ينفصح.

هذه هي هداية الضمير التي نصبها الله سبحانه في داخل الإنسان، تهديه إلى الصحيح والخطأ والحق والباطل، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٩٤، ح ٦؛ مجمع البيان: ج ١٠، ص ١٩٥؛ نفحات الرحمن: ج ٦، ص ٣٨٠.

التَّجْدِينِ<sup>(١)</sup> والنجد هو الطريق العالي<sup>(٢)</sup> أو المرتفع<sup>(٣)</sup>، والمراد بهما طريق الخير والشر، كما ورد عن النبي والوصي عليهما السلام وهو المتبادر منهما<sup>(٤)</sup>، ومن حذف حرف الجر (إلى) و(اللام) ونحوهما؛ إذ لم يقل (هدينا إلى النجدين) أو (لِلنَّجْدِينِ) إشارة إلى عدم الحاجة؛ لأن كلاً من الطريقين مرتفع ظاهر، فلا الخير يخفى على الإنسان ولا الشر، بل يعرفهما بمقتضى فطرته وعقله ووجدانه، لكنه أحياناً يتغاضى عن الخير ويميل إلى الشر طمعاً منه في الشهوة. ومن نسبة الهداية إلى الباري عزَّ وجلَّ في قوله ﴿هَدَيْنَاهُ﴾ يتضح أن مبدأها ومنطلقها منه سبحانه، وأما الإنسان فدوره يظهر في أمرين:

الأول: الاستجابة لنداء ضميره وهداية ربه.

والثاني: الاستقامة على ذلك.

وبهذا نجمع بين الاختيار والهداية، كما يتضح الفرق بين المهتدي والضال.

الثالثة: إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأئمة والعلماء، فهم هداة مرشدون لكل من يطلبها. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(٦)</sup> فأنزل القرآن

(١) سورة البلد: الآية ١٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٣٩٢، (نجد).

(٣) مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٨، (نجد)؛ المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٠٢، (نجد).

(٤) الكافي: ج ١، ص ١٦٣، ح ٤؛ مجمع البيان: ج ١٠، ص ٢١٤، وانظر تفسير القرطبي: ج ٢٠، ص ٧٥.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

وجعل الأئمة للناس كافة يهتدي بهما من شاء الهداية لمصالحه الدينية والدينية، لكنها متوقفة على شرط الاتباع.

### الهداية اللطيفة الإفاضية

وأما الهداية المتميزة فهي ما تختص بالمؤمنين الصالحين، وهدايتهم إفاضية لطيفة، وتتم بثلاثة طرق:

أحدها: إيجاد الجذب والشوق في نفوسهم إلى الهدى.

ثانيها إزاحة الستر والحجب عن قلوبهم لترى الحقائق.

ثالثها: إرشادهم إلى مصالحهم عبر الإلهام والقذف في القلوب والرؤى الصادقة، أو إرسال من يهديهم كما أرسل الخضر لموسى عليه السلام.

ولهذه الهداية ثلاثة آثار:

الأول: زيادة النور والبصيرة والعلم بالحقائق.

الثاني: الثبات على الهدى والعصمة من الشيطان وأعدائه.

الثالث: نيل المراتب والمقامات العالية، فإن المقامات المعنوية تنال بالمعارف والهدايات، وهذا ما تضافر في بعض النصوص الشريفة.

منها: ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، يقول عليه السلام: ﴿قد أحيا عقله، وأمات نفسه حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعت الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة

بما استعمل قلبه، وأرضى ربه ﴿١﴾ .

وجليله معظمه وأكثره، والمعنى كسر غروره وكبريائه وطغيانه، وتواضع في جوهره لا مظهره <sup>(٢)</sup> ، وهذا البيان يكشف الإمام عليه السلام حقيقة الهداية الخاصة التي يتميز بها أولياء الله تعالى، وهي مرتبة عالية من الهداية التكوينية يرون بها الأسرار والحقائق، ويطلعون على ملكوت الأشياء، ولا تنحصر رؤيتهم بملكها، وهذا وجه من وجوه عصمة الأولياء وترفعهم عن النواقص والدوائ؛ لذلك يختلفون في فهمهم ونظرتهم إلى الأمور، كما تختلف أفعالهم وتصرفاتهم وتقييماتهم للحقائق.

### هكذا هم أولياء الله

وقد روي أن سليمان بن داود عليه السلام مرَّ بحرَّات فقال: لقد أوتي ابن داود ملكاً عظيماً، فألقاه الريح في أذنه، فنزل ومشى إلى الحرَّات - ويبدو من الرواية أنه كان على بساط الريح - وقال: ﴿إنما مشيتُ إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال: لتسيحة واحدة <sup>(٣)</sup> لأن ملك آل داود يزول والتسيح لا يزول﴾.

هكذا هم أولياء الله تعالى ينظرون إلى الأمور بالنظرة الواقعية، ويتعاملون معها بحسب مقتضياتها، فلا تغرهم المظاهر وتخدعهم الصور البراقة للأشياء دون النظر إلى جواهرها وحقائقها، فإن الأشياء لها صورتان

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٠٤، الرقم ٢٢٠.

(٢) انظر مجمع البحرين: ج ٦، ٢٣٣، (جلل).

(٣) البحار: ج ١٤، ص ٨١، أقول؛ سفينة البحار: ج ٤، ص ٤٦، (سبح).

ملكية وملكوتية، والأولى يدركها عموم الناس، ولكن الأولياء ينظرون ملكوتها ويعرفون آثارها، وقد شهد لذلك القرآن في مثل قوله تعالى في طعام أهل جهنم: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ \* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ \* لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾<sup>(١)</sup> والغسلين هو القيح القذر الذي يخرج من أبدانهم ويغسلها<sup>(٢)</sup>، وهو صورة واقعية لأعمالهم الفاسدة التي عملوها في دنياهم؛ لذا قال في آية أخرى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فالجزاء هو نفس العمل، فهم كانوا يرون الخمر وأكل الحرام والربا والفواحش بصورة لذيدة، لكنها في صورتها الملكوتية غسلين، وستكون طعامهم في الآخرة.

والملفت هنا أمران:

### طعام أهل النار

الأمر الأول: أن طعامهم صار غسليناً، وهو ما يخرج من الأبدان ويغسلها؛ لأن هذا هو ما كوّن أبدانهم من الخمر وأكل الحرام، فنفسه يدخر لهم ليكون طعامهم، وهو ما كانوا يعملون، ولا يخفى ما في ذلك من دلالة على أن المعاد يكون بالأجسام الدنيوية، وهذا طعام طبقة من أهل النار، وبعض الطبقات طعامهم الزقوم، وهو من شجرة مرة كريهة الطعم والرائحة خشنة الملمس يكره أهل النار على أكله<sup>(٤)</sup>، وهو طعام الأثيم، قال

(١) سورة الحاقة: الآيات ٣٥-٣٧.

(٢) انظر مجمع البيان: ج ١٠، ص ١١٠.

(٣) سورة النمل: الآية ٩٠.

(٤) مجمع البحرين: ج ٦، ص ٧٩، (زقم).

تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ \* طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾<sup>(١)</sup> والتعبير بالشجرة يوحي إلى أنها من نار، ولذا قال في آية أخرى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ \* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٢)</sup>.

سمّيت بالزقوم من اللقم الشديد والشرب المفرط كناية عن إكراههم على الأكل، فليس أكل وشرب أهل النار بالاختيار؛ لأنه عذاب لهم فيكرهون عليه.

والأثيم هو المعاند المكابر على الإيمان والعقيدة الحقّة كأبي جهل، فقد روي أنه أتى بتمر وزبد فجمع بينها وأكل، وقال: هذا هو الزقوم الذي يخوّفنا به محمد، نحن نتزقمه، أي نملاً أفواهنا به<sup>(٣)</sup>، ويقال لتناول الطعام تزقم إذا تناوله على تكرّره ومشقة شديدة، وعن النبي ﷺ أن الزقوم الطعام المعد لمخالفني علي عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

وبعضهم طعامهم الضريع؛ إذ قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾<sup>(٥)</sup> وهم الذين كانوا يغصصون العيش على الناس ويؤذونهم ويذيقونهم المر، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك أمرّ من الصبر وأنتن من الجيفة وأشدّ حرّاً من النار.

(١) سورة الدخان: الآيتان ٤٣ و ٤٤.

(٢) سورة الصافات: الآيتان ٦٤ و ٦٥.

(٣) مجمع البيان: ج ٩، ص ١١٣؛ المصدر نفسه: ج ٨، ص ٣٠٩.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٢٧؛ البحار: ج ٨، ص ٥٩، ح ٨٢.

(٥) سورة الغاشية: الآية ٦.

سماه الله الضريع<sup>(١)</sup> ولعله تشبيهاً له بنوع شوك يقال له الشبرق، ويسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو أخبث طعام وأبشعه لا ترعاه دابة<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ أن طعام كل طبقة مسانخ لأعمالها، وهو صورته المملكوئية، والأولياء الذين أحيوا عقولهم وأماتوا شهواتهم وأناروا قلوبهم يرون هذه الحقائق، فلا يقدمون على ذنب أو قبيح؛ لأنهم يعرفون حقيقته.

ويمكن تشبيه هذه القضية بمثال محسوس، فإن الطفل الصغير إذا رأى قطعة من الحلوى ساقطة في الأرض يحملها ويأكلها ولا يبالي بينما الكبير يتركها، وإذا أراد أكلها فإنه يغسلها جيداً ثم يأكل، لماذا؟ وما هو الفارق؟

والجواب: لأن الكبير يعلم بقذارة الحلوى وهي في التراب فيتجنبها، أما الصغير فلا، وهكذا هو الفرق بين الأولياء وبين غيرهم، فالعلم بقبح الذنب عاصم منه.

### الخاطيء والمخطيء

الأمر الثاني: أن الآية نصت على أن الغسلين لا يأكله إلا الخاطئون، ولم تقل (المخطئون) لأن الخاطيء هو الجائر عن الصراط المستقيم عن علم وعمد، بخلاف المخطيء فإنه ينحرف عنه عن جهل<sup>(٣)</sup>، وفي ذلك دلالة على أن عذاب المتعمدين يغاير عذاب غير المتعمدين.

(١) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٣٣٦.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٣٣٦.

(٣) انظر مجمع البيان: ج ١٠، ص ١١٢.

## هداية أهل القلوب

ومنها: قول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: ﴿أنت الذي أشرفت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجؤوا إلى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حيث استبانتم لهم المعالم... يا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أوليائه ملابس هيئته فقاموا بين يديه مستغفرين<sup>(١)</sup> .

### حقائق معرفية

ونلاحظ أنه عليه السلام أشار إلى حقائق عظيمة تهم أهل القلوب:

الأولى: أن الهداية اللطيفة إفاضية من الله سبحانه ترد إلى القلوب بشرط أن يكون العبد ولياً لله تعالى، والولي من تميز بسلامة القلب من الكدورات والسعي لتحصيل الهداية، فإذا طهر الإنسان قلبه من العيوب والنواقص وتوسل إلى الله سبحانه في طلب الهداية هداة، فإن الاستجابة لمثلها من قبيل العلة والمعلول لا ينفكان؛ لأن الأثر تكويني.

الثانية: أن المعرفة في قوله: ﴿حتى عرفوك ووحدوك﴾ يراد بها المعرفة الخالصة الموجبة للتوحيد الخالص، وخلوص المعرفة خلوها من اللواسب والأوهام والصور والتشبيهات والتجسيم، وخلوص التوحيد التنزه من الدواعي المصلحية والشهوية في المعرفة والعبادة.

(١) إقبال الأعمال: ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

الثالثة: أن الكدورات تمنع الانقطاع في حب الله سبحانه، وهي حب الدنيا والشهوات، فمتى ما تجرد العبد منها صار حبه لله سبحانه خالصاً، وثمره خلوص الحب خلوص التوكل والاعتماد والانقطاع، فلا يلجأ المحب إلى غير رضا الله سبحانه.

الرابعة: أن لذة الذكر والمناجاة والتوسل إفاضية من الله سبحانه، لا ينالها إلا من طهر قلبه وأخلص حبه لله سبحانه، فالذي قلبه متعلق بالدنيا لا يلتذ بالعبادة.

### ما سبب استغفار المعصومين؟

الخامسة: أن سبب استغفار المعصومين عليهم السلام ليس وقوع الذنب أو القبيح (حاشاهم) وإنما تتجلى هيبه الخالق في قلوبهم فيشعرون بقصورهم وتقصيرهم وقلة شأنهم في محضره، فيستغفرون أديباً منهم وطلباً للكمال الأعلى، فاستغفارهم ليس لمحو الذنب فإنهم لا يفعلونه، وإنما هو استغفار القصور والحاجة، وأثره إظهار الإجلال والتعظيم لمقام الربوبية، وطلب الكمال والمقام الأعلى في محضره.

وبذلك يتضح أن جميع العباد يقولون: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ حتى رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام وسائر أنبياء الله وأوليائه عليهم السلام.

لكنهم يطلبون الهداية الإفاضية الإرقائية، وغيرهم يطلب الهداية الإيصالية، فالهداية الأولى من الله سبحانه، والهداية الثانية من خلفائه محمد وآل محمد عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ<sup>(١)</sup> .

فبالروح الإلهي التي أودعه الباري عزَّ وجلَّ في نفوس النبي والأئمة عليهم السلام يسددهم، وبها ميزهم على سائر الناس، ولولاها لكانوا أناساً عاديين لا يعلمون الكتاب ولا الإيَّمان كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام<sup>(٢)</sup> ، وبهم عليهم السلام هدى سائر الخلق وأوصلهم إلى الصراط المستقيم، وهو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٣)</sup> ، فإذا قالها العبد ملتفتاً إلى معناها وقاصداً له اهتدى.

### اللطيفة الثانية: هل العلم أم الهداية؟

وردت الآية المباركة بسؤال الهداية فقالت: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولم ترد بسؤال العلم أي (أعلمنا بالصراط المستقيم) مع أن العلم هو أساس العمل. الجواب لثلاثة أسباب:

الأول: لأن الداعي بعد علمه وإيمانه يدعو الله سبحانه أن يهديه الصراط المستقيم، فلو سأله العلم يكون من تحصيل الحاصل.

الثاني: لأن الداعي بهذه الآية جميع المكلفين على اختلاف مراتبهم بما فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ومن يأتي بعدهم في الرتبة، وهم أعلم

(١) سورة الشورى: الآيتان ٥٢ و ٥٣ .

(٢) الكافي: ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٤، ح ٥ .

(٣) بصائر الدرجات: ص ٩١، ح ٥؛ تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٩ .

الخلق بالله سبحانه، فلا يطلبون العلم بل الهداية بالمعنى الذي تقدم في اللطيفة السابقة، كيف وقد تضافرت الأدلة على أن محمداً وآل محمد ﷺ يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن<sup>(١)</sup>، فهم أعلم الخلق بعد الله سبحانه، بل هم الصراط المستقيم، فلا يعقل أن يسأل العلم بنفسه أو العلم بما هو عالم به، فلا بد وأن يكون السؤال للهداية؛ لأن العباد كلهم يحتاجونها حتى محمداً وآل محمد ﷺ، فإنهم يسألون الهداية الاصفائية اللطيفة.

والثالث: لأن العلم وإن كان من أصول الكمالات وهو مطلوب الجميع، إلا أن العلم وحده لا يحقق أغراض الإنسان وطموحاته، وإنما العلم مع الهداية، فإن الهداية أعظم وأعمق وأوسع من العلم؛ لأن الهداية ليست علم القلب بل بصيرة القلب، والمهتدي ليس من يعلم بالحق بل من يرى الحق ويبصره في كل شيء، ولذا لا يعتبر القرآن الكريم العلم هداية إلا إذا أدى إلى البصيرة وأثمر في العمل، ويسمي العالم غير العامل بالأعمى، ووصف قلبه بالعمى، فبين الهداية والعلم عموم مطلق، فإن كل هداية علم، وليس كل علم هداية؛ لأن الهداية تتوقف على إرادة وقلب طاهر، وذلك لا يلازم العلم، فإن إبليس من أعلم العلماء لكنه ضال مضل، وقوم ثمود قال عنهم الباري عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾<sup>(٢)</sup> بسبب كفرهم وعنادهم.

(١) انظر التوحيد: ص ٣٠٥، ح ١.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٧.

## أهل الكتاب يكتمون الحق

وعلماء أهل الكتاب كانوا يعلمون بحقيقة النبي المصطفى ﷺ، وقد أعلمهم بذلك الباري عزَّ وجلَّ في كتبهم، وأخبرهم به أنبياءهم، لكنهم كانوا يكتمون الحق وهم يعلمون، قال تعالى في ذمهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد ورد عن ابن عباس أن الله تعالى كان قد عهد إلى بني إسرائيل في التوراة: ﴿إني باعثُ من بني إسماعيل نبياً أميناً، فمن تبعه وصدَّق بالنور الذي يأتي به غفرت له﴾<sup>(٣)</sup> والنور الذي يأتي به هو القرآن وأمير المؤمنين ﷺ، لكنهم كتموا ذلك وأخفوه عن الناس طلباً لمصالحهم، وهكذا الكثير من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعلمون بمقام أمير المؤمنين ﷺ لكن عمى قلوبهم أضلهم، وهكذا العلماء وأهل الفكر في طول التاريخ يعلمون الحقائق، ولكنهم يكابرون ويعاندون في قبولها، فالعلم ليس دائماً يوصل الإنسان إلى المطلوب بل الهداية.

ومن التلبيس والخديعة التي مارسها أهل الكتاب ما ورد أن جماعة من أحبار يهود خيبر وقرى عرينة تواطؤوا فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك، وظهر لنا كذبه

(١) سورة البقرة: الآية ٤٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧١.

(٣) تفسير نفحات الرحمن: ج ١، ص ٢٥٦؛ تفسير الرازي: ج ٣، ص ٣٥.

وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل الكتاب وهم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر به نبيه ﷺ والمؤمنين<sup>(١)</sup>.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهُ التَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذه السياسة اليوم متبعة أيضاً يستخدمها الأعداء ضد أهل الإيمان؛ إذ يأتون ببعض في ظاهرهم الإيمان، ثم يعلنون خروجهم من الدين أو من العقيدة الحقة، وينفخون فيهم في الإعلام، والغاية من ذلك زعزعة عقيدة المسلمين وتشكيكهم في معتقداتهم، فهذه السياسة كشفها القرآن بهذه الآية المباركة، وهي شاهد على أن السياسة العالمية اليوم ظاهرها علماني وتستبطن الأفكار والاعتقادات الدينية لليهودية والنصرانية<sup>(٣)</sup>.

فالخطر الكبير الذي يهدد المجتمعات الإنسانية هو خطر المفكرين والمثقفين وأصحاب الشهادات الذين يسخرون معارفهم للفراغنة والجبارين، ويخدمون السياسة المعادية، وفي القرآن ضرب الله سبحانه مثلاً لذلك في بلعم بن باعورا الذي كان من أكبر علماء بني إسرائيل،

---

(١) مجمع البيان: ج ٢، ص ٣٢٢؛ مواهب الرحمن: ج ٦، ص ٧٠؛ معالم التنزيل: ج ١، ص ٣١٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٢.

(٣) انظر تفسير الأمثال: ج ٢، ص ٣٧٤.

وكان موسى عليه السلام يعوّل عليه، وإنه داعية مقتدر، وكان دعاؤه مستجاباً؛ لأنه يملك الاسم الأعظم، لكن علمه هذا لم يعصمه ولم يهتد، بل انضم إلى جانب فرعون وصار معه على موسى؛ لذا قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومثل بالكل لبيان شدة حرصه على الدنيا الذي يجعله يفتح فاه في كل حال طلباً للدنيا وعطشاً لها، والإمام الباقر عليه السلام يقول: ﴿إن هذه الآية مثل لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة، فيعلم بالحقيقة ويخفيها﴾<sup>(٢)</sup> ومضمون الآيتين يدل على أن الاسم الأعظم كان يملكه بلعم ليس ما كان ناشئاً من المقامات المعنوية والهداية الاصطفائية؛ لأن هداية الاصطفاء تعصم صاحبها من الزلل، وإنما هو الاسم المتعلق بأسرار عالم التكوين وخفياها التي يعرفها العلماء الخبراء وتخفى على الناس، وهذا الاسم لا يعصم صاحبه، كالعالم الفيزيائي الذي يعرف خفايا الظواهر الطبيعية ويتصرف فيها، والكيميائي الذي يعرف خفايا العناصر والمركبات، فإن هذا العلم لا يعصم صاحبه من الانحراف.

(١) سورة الأعراف: الآيتان ١٧٥ و ١٧٦.

(٢) انظر مجمع البيان: ج ٤، ص ٣٩٥؛ التفسير (للأصفى): ج ١، ص ٤١٢.

## الاسم الأعظم الغيبي والعلمي

وباختصار: أن الاسم الأعظم على قسمين:

الأول: الاسم الأعظم الإفاضي الذي يعطيه الباري عزَّ وجلَّ لبعض عباده بسبب ما لهم من مقامات إلهية عالية، فيصطفاهم له كما هو حال الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

الثاني: الاسم الأعظم العلمي، وهو القانون العلمي الذي يندرج في نظام الأسباب والمسببات الذي يطلع عليه العالم الخبير، ويخفى على غيره، ويتصرف فيه تصرف السبب بالمسبب، ويقوم على الهداية التكوينية العلمية، أما الأول فيقوم على الهداية التكوينية الإفاضية، ولذا يعصم صاحبه من الخطأ، أما الثاني فلا، وبلعلم لو صحت الرواية بأنه يملك الاسم الأعظم فيكون من قبيل الثاني، ووصفه الباري عزَّ وجلَّ بالآيات في قوله ﴿آيَاتِنَا﴾ من باب المعنى اللغوي، أي العلائم الدالة على الله سبحانه.

وفي هذا إلفات إلى حقائق:

## العلم وطهارة النفس

الأولى: أن العلم يجب أن يلازم المعرفة والأخلاق وطهارة الباطن، وإلا كان حجاباً أكبر، وهذا أحد أسباب ارتقاء البشر وسقوطهم، فلا بد وأن تلازم التربوية الروحية العلوم والدراسات والأبحاث؛ فبذلك تضمن أمرين:

أحدهما: الهداية في العلم والإيصال إلى المطلوب.

ثانيهما: أن يكون العلم وسيلة للإصلاح والارتقاء الإنساني.

الثانية: أن أحد أسباب انحطاط العالم اليوم وسوء المصير الذي وقع فيه هو انفكك العلم والتعليم عن الأخلاق، فصار التقدم العلمي الحاصل في البشر - في بعض جوانبه - وسيلة لهدم الحياة وتحطيم الإنسانية.

### يعرفون الحق وينكرونه

الثالثة: أن الكثير من علماء المسلمين ورواتهم ومتكلميهم يعلمون بحق أمير المؤمنين عليه السلام، ورووا الروايات الواردة بشأنه لكنهم ظلوا مخالفين له؛ لأن علمهم لم يبرح الكتب والأخبار، ولم ينر قلوبهم، وهذا ما تؤكدته الشواهد الكثيرة.

فقد روى بعض العامة عن ابن عباس أنه قد جاء في علي عليه السلام ثلاثون ألف حديث ناطق بفضائله ومناقبه <sup>(١)</sup>، ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ﴿علي خير البشر ومن أبي فقد كفر﴾ <sup>(٢)</sup> ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ﴿يا علي! لا يتقدمك بعدي إلا كافر﴾ <sup>(٣)</sup> وورد: ﴿من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب الله ورسوله، ومن شك في علي فهو كافر﴾ <sup>(٤)</sup>.

وذكر بعض الأعلام أن علماء المخالفين ألفوا مائة ألف كتاب في مناقب

(١) فرائد السمطين: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٢٩١، وح ٢٩٢؛ مناقب الخوارزمي: ص ٣، المقدمة؛ تحفة الأبرار: ص ١٣٦.

(٢) الفردوس (للدليمي): ج ٣، ص ٦٢، ح ٤١٥٧؛ كنز العمال ج ١١، ص ٦٥٢، ح ٣٣٠٤٥؛ الأمالي (للصدوق): ص ١٣٦، ح ١٣٣.

(٣) البحار: ج ٣٧، ص ٣١٠، ح ٤٠؛ مناقب ابن المغازلي: ج ٤٥، ح ٦٨.

(٤) انظر البحار: ج ٣٧، ص ٢٣٣، ح ٤٤؛ مناقب ابن المغازلي: ج ٩٧، ح ٦٨.

علي عليه السلام، وأنشد الشعراء والأدباء في مدح علي وولده عليه السلام نظماً ونثراً بالعربية والفارسية وغيرهما، فجهروا بها من على المنابر وفي المحافل <sup>(١)</sup>.

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله أبلغ الناس في أمر علي عليه السلام ستمائة آية من القرآن وثلاثة آلاف حديث فلم يقبلوا، ثم إنهم قتلوه وقالوا: قتلناه كافراً <sup>(٢)</sup>.

وروي أن عائشة أنكرت يوماً على أبي هريرة إذ رآته يسير في خدم وحشم، فقال لها: يا أم المؤمنين! كفي فإني غيرت سبعمائة حديث من أحاديث رسول الله قالها في علي بن أبي طالب وصرفتها إلى أبيك وصاحبه تمشية لأمرهما، فخرجت ونكست رأسها <sup>(٣)</sup>.

ويقصد بذلك أننا وطأنا الأمور لهما لكي نرفل بالخير والسلطة أيضاً، والقضايا بهذا الشأن كثيرة جداً جمعها بعض العلماء في كتب مفصلة <sup>(٤)</sup>.

الرابعة: أن الكثير من علماء العالم اليوم يعلمون أن الحق عند محمد وآل محمد عليهم السلام، وأنهم القادة الإلهيون للبشرية، وكلهم يعلمون بأن الله سبحانه سيورث الأرض ومن عليها للمهدي عليه السلام، وأنه المنتظر الموعود لإقامة العدل، لكنهم يكتمونونه ويلبسون على الناس، ويسعون لتخريب مشروعه بسياسات باتت معروفة:

---

(١) تحفة الأبرار: ص ٢٧٧.

(٢) تحفة الأبرار: ص ٢٧٠.

(٣) تحفة الأبرار: ص ١٥٠.

(٤) انظر كشف الأستار: ص ١٣٧ - ٣١٥.

أولها: إفساد المجتمعات وتهديم القيم الأخلاقية التي يرتكز عليها قيام المهدي عليه السلام ودولته.

ثانيها: نشر النزاعات والحروب في البلاد التي ينتظر أن يخرج فيها ويقيم دولته.

ثالثها: محاربة الدين وجر المجتمعات إلى الإلحاد واللاادين، وغايتهم من ذلك هدم البنى التحتية التي تقوم عليها دولة الإمام عليه السلام، وهذا هو مبلغهم من العلم الذي يقوم على الأسباب الطبيعية، ويغفلون عن أن قضية المهدي عليه السلام وظهوره ودولته أمر إلهي رباني لا تقف أمامه كل الأسباب الطبيعية، ويقودهم عمى القلوب إلى هذا النهج، ولو استنارت قلوبهم لأظهروا الحق وتضامنوا معه، وكانوا من أعوانه وأنصاره.

### آثار الديانة الإبراهيمية

والدعوة الأخيرة التي دعا إليها زعيم النصارى في العالم من الرجوع إلى الديانة الإبراهيمية، وقررها بعض القادة والزعماء تلفتنا إلى ثلاث ملاحظات:

### الإقرار بصدق الإسلام

الملاحظة الأولى: أنها تتضمن الإقرار بصحة ديانة الإسلام وصدق نبوة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله والقرآن الذي جاء به، فلو لا هذا

الإقرار تبطل أصل الدعوة، فلا يعقل أن يدعو المسلمين إلى الديانة الإبراهيمية، وإنما آمن المسلمون بديانة إبراهيم عليه السلام؛ لأن نبي الإسلام والقرآن الكريم دعيا إلى ذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ

﴿مُسْتَقِيمٌ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### الإقرار بخاتمة الإسلام

الملاحظة الثانية: أن لازم الدعوة للإقرار بأن دين الإسلام هو خاتم الأديان السماوية، وأن نبوته خاتمة النبوات، وقد دعى الناس جميعاً إلى الإسلام لأن دين الله سبحانه هو الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فتوحيد البشرية وأهل الأديان لا يمكن أن يكون على نهج صحيح إلا باتباع الإسلام وهو الصراط المستقيم.

وحتى لو رجع إلى الديانة الإبراهيمية، فإنها تدعو إلى الإسلام لا غير، أخبر عن ذلك قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٤)</sup>.

### الإقرار بالمهدي عجل الله تعالى فرجه

الملاحظة الثالثة: أن جميع الديانات الثلاث تعتقد بالمهدي عليه السلام، وأنه بشارة جميع الأنبياء والشرائع السماوية، فإذا كان ينبغي أن تتحد الديانات على أمر وجب أن تتحد على المهدي عليه السلام؛ لأنه حاضر العالم ومستقبلهم،

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦١.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٤) سورة الحج: الآية ٧٨.

والديانة الإبراهيمية إذا رجعوا إليها فإنها تدعوهم إلى الإيمان بالمهدي عليه السلام،  
فالعقل والمنطق والديانات تتفق على أن من

يجمع العالم ويوحد كلمته ويوصل الجميع إلى السلامة والمحبة هو  
الاعتقاد بالمهدي عليه السلام والإذعان له، وهو الصراط المستقيم الذي يجب أن  
يسلكه العالم.

هذه نسجلها للتأريخ والحقيقة وأداء الوظيفة الدينية والإنسانية الملقاة  
علينا، والله الأمر من قبل ومن بعد.

ويتحصل من ذلك: أن إنسانية الإنسان وكماله ورقيه ليس بالعلم الذي  
يحملة، بل بالعلم الذي يهديه إلى الصراط المستقيم، فلو افترق العلم عن  
الهداية صار وبالاً على الإنسان ومضلاً له، ومنه يتضح عمق القرآن ودقته  
في البيان، وهو الآخر نوع هداية يقدمها للبشر ويرشدهم إلى مصالحهم.

### اللطفية الثالثة: الإعداد الروحي للصراط

إن الصراط في مفهومه اللغوي والواقعي يتضمن مبدأً ومنتهىً وتوسطاً  
بين المبدأ والمنتهى، ولا يكون مستقيماً إلا إذا اجتمعت فيه الاستقامة في  
مبدئه وتوسطه ومنتهاه، وقد تضافرت الأدلة على أن آل محمد عليهم السلام هم  
الصراط المستقيم، ويستفاد من الأخبار أن مدار الصراط فيها على ثلاثة  
أئمة يتجلى فيهم الصراط أكثر، ويدور عليهم الاختبار والامتحان،  
والاعتقاد بهم والتضامن معهم هو أصل الهداية على الصراط المستقيم،  
ومنهم انقسم الناس إلى مؤمنين وغير مؤمنين.

هم أمير المؤمنين عليه السلام في المبدأ، والإمام الحسين عليه السلام في التوسط، والإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في المنتهى، ففي المبدأ امتحن الناس بأمر المؤمنين عليه السلام، وفي التوسط امتحنوا بالحسين عليه السلام، وهم اليوم يمتحنون بالمهدي عجل الله فرجه الشريف، وعليه يكون معنى الآية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اهدنا صراط علي والحسين والمهدي عليه السلام، وبهم تكتمل العقيدة الكاملة بالأئمة عليهم السلام، ويصبح الدين كاملاً والصراط مستقيماً.

أما علي عليه السلام فقد تضافرت الأخبار بأنه الصراط المستقيم<sup>(١)</sup>، وأما الحسين عليه السلام فلما ورد في زيارته الشريفة الواردة عن الصادق عليه السلام، ومن طريقها تظهر أهميتها وعظمة أثرها، فقد روى الشيخ قدس سره في المصباح عن صفوان أنه قال: استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولاي الحسين عليه السلام وسألته أن يعرفني ما أعمل عليه - وبهذا بين له الإمام عليه السلام الصراط المستقيم في الزيارة الذي يرتقي الزائر فيه إلى مقام زائر الحسين عليه السلام - فقال: ﴿يا صفوان! صُم ثلاثة أيام قبل خروجك، واغتسل في اليوم الثالث، ثم اجمع إليك أهلك، ثم قل: اللهم إني أستودعك اليوم نفسي وأهلي ومالي وولدي﴾ ومنه يتضح أنه كان في أيام شدة وتقية، ثم علّمه دعاء يدعو به إذا أتى الفرات، ثم قال: ﴿ثم اغتسل من الفرات، فإن من اغتسل من الفرات تساقط خطايا كهيئة يوم ولدته أمه..﴾ ثم علّمه دعاء يقوله في الغسل. قال: ﴿إذا فرغت من غسلك فالبس ثوبين وصل ركعتين خارج المشرعة..

(١) مسند أبي بصير: ج ١، ص ٥٨٢، ح ٩.

فإذا فرغت من صلاتك فتوجه نحو الحائر وعليك السكينة والوقار وقصّر خطاك، فإن الله تعالى يكتب لك بكل خطوة حجة وعمرة، وصر<sup>(١)</sup> خاشعاً قلبك، باكية عينك، وأكثر من التكبير والتهليل والثناء على الله عزّ وجلّ، والصلاة على نبيه ﷺ، والصلاة على الحسين ﷺ خاصة، والعن من قتله والبراءة ممن أسس ذلك عليه، فإذا أتيت باب الحائر فقف وقل: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق<sup>(٢)</sup> .. ثم تأخذ بالسلام على رسول الله والأئمة عليهم السلام.

ومن المنهج الذي بيّنه الإمام الصادق ﷺ للزائر تستفاد حقائق:

### الإعداد الروحي لزيارة الحسين ﷺ

الحقيقة الأولى: أن الزيارة الكاملة للحسين ﷺ في غير الأيام المخصصة تحتاج إلى تحضير وإعداد نفسي وبدني مسبق، والتحضير الروحي يتم بأعمال:

أولاً: الصيام ثلاثة أيام.

وثانياً: الدعاء عند الخروج.

وثالثاً: الاغتسال مرتين.

ورابعاً: الصلاة ركعتين.

---

(١) وفي نسخة أخرى (سر).

(٢) انظر مصباح المتهجد: ص ٧١٧-٧١٩، ح ٨٠١، وح ٨٠٢.

وخامساً: العزوف عن الكلام الزائد والطعام الترفيحي اللذيذ،  
والانشغال بالذكر والخشوع والصلاة على الحسين عليه السلام في طريق الزيارة،  
والغاية منه هو هداية القلب إلى الحضور الروحي والانتقاع إلى الزيارة.

والتحضير البدني ويتم بأعمال:

أولها: لبس ثوبين نظيفين بعد الاغتسال.

وثانيها: أن يمشى بوقار وسكينة لا متسرعاً أو متعجلاً ولا شاخطاً في  
الأرض كمشية المتكبرين، وأن يأتي راجلاً.

وثالثها: أن يقصّر خطاه لحفظ السكينة ونيل علو الأجر، ثم أول ما  
يقوله الزائر بعد التكبير والحمد والتسبيح هو الحمد لله سبحانه على نعمة  
الهداية لزيارة الحسين عليه السلام، وهذا يشير إلى أمور:

الأول: أن الهداية إلى زيارة الحسين عليه السلام من الهداية اللطيفة التوفيقية  
الخاصة التي لا ينالها إلا أهل المقامات العالية من المؤمنين.

الثاني: أن هذه الزيارة من مقاصد الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد  
الله سبحانه حينما يقولون: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولمثلها يحتاج العبد  
إلى إعداد روحي وبدني حتى ينال خيرها وفضلها.

الثالث: أن قوله: ﴿قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا...﴾ قول أهل الجنة لما  
يدخلونها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ  
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

وفي قول الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة والآية إشارات لطيفة لأهل القلوب.

منها: أن الحضور في حائر الحسين عليه السلام وزيارته الشريفة من

الجنة، والأجواء التي يعيشها الزائر في الزيارة هي أجواء الجنة؛ لذا تزول الهموم والغموم، ويشعر الزائر براحة نفسية وقلبية بدخوله للحرم الشريف، وتنتزع من قلبه الأحقاد والضغائن، ويدعو لنفسه وللمؤمنين، فكما أن الجنة تطهر الأرواح والقلوب وتزيل الكدورات الروحية والبدنية كذلك زيارة الحسين عليه السلام في الحائر، وهذه الآثار من مختصاته لمن دخل الحائر، ومن آثار زيارته التكوينية، ولذا نسب الباري عزَّ وجلَّ النزاع إليه، وصور الأحقاد وأمراض القلب بمنزلة اللباس يسربل ابن آدم فينزعه منه إذا أدخله الجنة، فكذلك في زيارة الحسين عليه السلام، فإذا زاره المؤمن في غير الحائر ينال ثواب الزيارة ولا ينال الآثار المذكورة.

ومنها: أن دخول الجنة علامة الإيمان والهداية على الصراط المستقيم، فكذلك الشوق الروحي لزيارة الحسين عليه السلام والحضور في حائه الشريف، فالتعلق بالحسين عليه السلام والانجذاب إليه والحضور لزيارته من علائم الهداية على الصراط المستقيم، وهي هداية إيصالية إلى المطلوب وليست إرائية؛ لذا يقول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي لزيارته عليه السلام.

ومنها: أن الهداية إلى زيارة الحسين عليه السلام تحتاج إلى عمل ومواظبة وتحضير

روحي وبدني كما أن الجنة كذلك، فلو أعد لها المؤمن نال الفيوضات العلمية والمعرفية والمكاشفات الروحية، وقد ذهب بعض أهل المعرفة إلى أن الأنهار تجري من تحت أهل الجنة للإشارة إلى طهارتهم البدنية والروحية، وبها ينالون المكاشفات والفيوضات الروحانية<sup>(١)</sup>، وكذلك زيارة الحسين عليه السلام بالنحو الذي فصله الإمام الصادق عليه السلام.

### كربلاء حائر الحسين عليه السلام

الحقيقة الثانية: أن إطلاق لفظ الحائر على مرقد الحسين عليه السلام السابق على زمان المتوكل وإطلاق الماء عليه، ولهذا الإطلاق ثمرة فقهية تتعلق بحدود كربلاء التي يخير فيها المسافر بين القصر والتمام نوكلها محلها.

الحقيقة الثالثة: يستحب للزائر أن يدخل لزيارة الحسين عليه السلام بهيئة الخاشع الحزين، خاشع القلب دافع العين ولو بالتظاهر بذلك كما يفيدته قوله: (صير).

وأما المهدي عجل الله فرجه الشريف فقد تضافر في الأخبار الشريفة أن الإيمان به والدعوة إليه من الهداية إلى الصراط المستقيم.

منها ما رواه الصدوق قدس سره بإسناده إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد من خلق الله عزّ وجلّ، وأنا خير من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع ملائكة الله المقربين وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف، وأنا

(١) نفحات الرحمن: ج ٢، ص ٥٩٩.

وعلي أبوا هذه الأمة. من عرفنا فقد عرف الله عزَّ وجلَّ ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزَّ وجلَّ، ومن عليَّ سبطا أمتي سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومن وُلد الحسين أئمة تسعة، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، وتاسعهم قائمهم ومهديهم ﴿١﴾ .

ووصفه بالمهدي صلوات الله عليه بصيغة اسم المفعول مأخوذ من الهدى، ومعناه من هداه الله إلى الحق <sup>(٢)</sup> ، وبالإضافة إليهم (مهديهم) يدل على أمرين: الأول: أنه ﷺ مخصوص بالهداية اللطيفة الإفاضية، فهو المسدد المؤيد المنصور بالله سبحانه الهادي إليه.

### هدايات آل محمد ﷺ في المهدي ﷺ

الثاني: أن هداية آل محمد ﷺ اجتمعت فيه كما تفيده الإضافة إليهم، فكما أنه (قائمهم) فقيام كل إمام في عصره يجتمع فيه، فقيام النبي ﷺ في بعثته وإظهار نور الله سبحانه وإطفاء نيران الكفر والجاهلية، وقيام أمير المؤمنين ﷺ بالعلم والجهد على التأويل وإقامة العدل، وقيام الحسن ﷺ بالكرم والجود وإطفاء نار الفتن، وقيام الحسين ﷺ بالمعرفة والتضحية والشهادة في سبيل الله سبحانه، وقيام الإمام زين العابدين ﷺ بالعبادة والدعاء، وقيام الباقر والصادق ﷺ بالفقه وإظهار علوم آل محمد، وقيام الكاظم ﷺ بالصبر والزهد، وقيام الرضاء ﷺ بالعلوم الربانية وظهورها

(١) انظر كمال الدين؛ ص ٢٦١، ح ٧.

(٢) مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٧٥، (هدا).

على الأديان، وكذا قيام الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، وكلها اجتمعت فيه؛ إذ تنهياً الأسباب لظهورها الأكمل، فكذلك هو (مهديهم)، وهو الصراط المستقيم الكامل الذي سيظهر في الدنيا ويمتد إلى الآخرة، وهذا ما يقضي به العقل من وجهين:

أحدهما: ما قرره أهل المعقول من أن الجزء الأخير من العلة هو سبب الأثر وظهور الخصائص، وكذلك إمامته عليه السلام، فإن من يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام وينكر المهدي عليه السلام يكون كمن أنكر النبي وباقي الأئمة.

ثانيهما: أن الهداية تفتقر إلى مهدي وإلا امتنعت، لا سيما الهداية الإيصالية، وكمال الهداية بكمال الإيصال، ولا يتحقق ذلك إلا على يديه عجل الله تعالى فرجه.

وكل الأقوال التي فسرت الصراط المستقيم بالإسلام والإيمان والقرآن والعبادة والنبي والأئمة عليهم السلام <sup>(١)</sup> لا تتحقق في معناها الكامل إلا به عليه السلام، لأنه مهدي الأمم، وجامع الكلم، وناشر راية العدل والهدى، فيقول المؤمن: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إنما تكتمل هدايته إذا تبع ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ونهضة الحسين عليه السلام وشهادته والاعتقاد بالمهدي والانتظار لفرجه الشريف والإعداد له، وهذه العقيدة هي هوية المؤمن.

---

(١) انظر مجمع البيان: ج ١، ص ٦٦؛ الإمامة (للشفتي): ص ٣٨٤.

## اللطيفة الرابعة: هل طلب الهداية من طلب الحاصل؟

قد يقال أن الآية المباركة متضمنة لطلب الحاصل، وهو مما يمتنع على الحكيم؛ لأن من يقرؤها إما يكون في تلاوة القرآن أو في الصلاة، ومعنى ذلك أنه مهتد مؤمن بالله واليوم الآخر، وطلب الهداية من المهتدي لغو، بل يتنافى مع مقام النبي والإمام عليهما السلام، لأنها يقرآن الآية، وقد جعلها الله سبحانه هاديين للبشر، فطلبها للهداية يستلزم الخلف والتناقض. أشار إلى ذلك بعض المفسرين <sup>(١)</sup>.

ويمكن الإجابة عنه بجوابين نقضي وحلي، أما النقضي فبمثل الأمر بالعلم بتوحيده والإقرار به. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ <sup>(٢)</sup> فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله عالماً بالوحدانية فلماذا أمره بالعلم بها؟ والأمر باتباع النبي صلى الله عليه وآله وطاعته؛ إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ <sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ <sup>(٤)</sup> مع أن الخطاب موجه للمؤمنين، فأمر المؤمن بالإيمان والمطيع بالطاعة من قبيل تحصيل الحاصل، ومثله في الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله فإنها دعاء من المؤمن لهم فضلاً عن إظهار العقيدة بهم، وإظهار الولاية لهم والبراءة من أعدائهم،

(١) انظر مجمع البيان: ج ١، ص ٦٦؛ تفسير الرازي: ج ١، ص ٢٥٤؛ تفسير الأمل: ج ١، ص ٤٦.

(٢) سورة محمد: الآية ١٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٤) سورة النساء: الآية ١٣٦.

وفي تشهد الصلاة مستحب أن يضيف لها المصلي ﴿وتقبل شفاعته وارفع درجته﴾<sup>(١)</sup> مع أن درجاته عَلَيْهِ السَّلَامُ وشفاعته عالية يقينية، فما يجيبه المستشكل في ذلك يجاب به في الآية.

وأما الحلي فمن وجوه:

### مراتب الهداية

الوجه الأول: أن الهداية مراتب:

الأولى: مرتبة الإيمان والتصديق بالله سبحانه ورسوله ﷺ، ويعبر عنها بهداية الدلالة.

والثانية: هي مرتبة الثبات على الهداية وإزالة الموانع عنها ليكلا يزله الشيطان، ويعبر عنها بهداية العون.

والثالثة: الزيادة فيها لعلو الدرجات ونفوذ البصيرة، ويعبر عنها بهداية القرب، والأولى يتوقف عليها الإيمان وتتم بالاستدلال العقلي، وبها اهتدى المؤمن، وأما الثانية والثالثة فتتوقفان على اللطف الإلهي والتوفيق الرباني، ويحصلان بالدعاء والتوسل والعمل الصالح، وهما اللذان تعنيهما الآية المباركة، فارتفع المحذور.

وهذا في غير المعصومين جلي، وأما فيهم فلأن كل ما لديهم من مقامات هي من الله سبحانه، وحاجتهم إلى الله سبحانه لا تنقطع، وما لم يعطهم المزيد ويثبت أقدامهم فإنهم يبتلون بالقصور، وهذا أحد أسرار استغفارهم

---

(١) الوسائل: ج ٦، الباب ٣ من أبواب التشهد، ص ٣٩٣، ح ٨٢٦٤.

وتضرعهم، وقال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> وفي النبوي: ﴿إِذَا أَتَى عَلِيٌّ يَوْمَ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يَقْرُبُنِي إِلَى اللَّهِ فَلَا بَارِكَ اللَّهُ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِهِ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالعصمة حدوثاً اصطفايية، وبقاءً لطفية تفضلية، ولذا قال تعالى لرسوله المصطفى ﷺ: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> فإنها تدل على أن العصمة بلطف الله سبحانه وعنايته لا بالطبيعة البشرية، وقد تضافر في الأخبار أن الله سبحانه يعصم أوليائه بالملكات القدسية وروح القدس.

وقد عصم يوسف ﷺ ببرهانه من كيد زليخا؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي كَذَلِكَ لِنَصُرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالله سبحانه هو الذي صرف عنه السوء والفحشاء بلطفه وعنايته، وسببه هو العباد المخلصين، فالعبودية سبب الهداية اللطفية، وهو ما يطلبه المعصومون وغير المعصومين في قولهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولكن كل منهم بحسب ما يناسبه.

(١) سورة طه: الآية ١١٤.

(٢) مجمع البيان: ج ٧، ص ٦٠؛ تفسير الأمل: ج ١٠، ص ٩٠.

(٣) سورة محمد: الآية ١٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٤.

(٥) سورة يوسف: الآية ٢٤.

## الهداية التأثرية

الوجه الثاني: أن المقصود من الآية الهداية التأثرية التي فيها الزيادة، وتسدد المهتدين وتوصلهم إلى مقاصدهم لا الحدوثية، والتأثرية تشمل البقائية، فمعنى قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثبتنا على الهداية وزدنا من خيراتها وبركاتنا لنبلغ مقاصدنا ومصالحنا.

وبيان ذلك: أن المؤمن إذا اهتدى إلى الطريق قد يهتدي بالإراءة والإشارة إليه، ولكن ليس بالضرورة يصل إلى مطلوبه، فحتى يصل المطلوب لا بد من توفر أمرين:

الأول: أن يعرف الطريق ويسير فيه.

والثاني: أن تزول الموانع التي تعترضه فإتية في وسط الطريق أو يضل أو ينحرف عن مساره إلى مسارات جانبية، وهذا في المحسوسات جلي. فإن الذي يريد مكة يجب أن يعرف طريقها أولاً، ثم يمضي في هذا الطريق ويستقيم عليه، ولا يتأثر بالعوارض التي تعترضه في الطريق حتى يصل، وكذلك في غير المحسوسات كالذي يريد دراسة الطب، فإنه يجب أن يعرف طريقه، وأن لا ينشغل بالأمور التي تصرفه عن الدراسة، والأمر الأول بيده، وأما الثاني فبيد الله سبحانه؛ لرجوعه إلى القضاء والقدر والتوفيقات التي تسدده ليصل إلى مطلوبه، وكذا العبد الذي يطلب الهداية للصرط المستقيم.

## شروط الوصول إلى الهداية

فإن بلوغ الهداية يتوقف على ثلاثة أمور:

الأول والثاني ما عرفت، والثالث أن تستمر همته وعزمه لطلب المزيد

والاستمداد من الله سبحانه؛ لأن الهداية المعنوية لا نهاية لها، فلو توقف العبد المهتدي على مقام ضاع وفقد الكثير، فلا بد أن يطلب المزيد للارتقاء نحو الأفضل دائماً، وهذه الزيادة يطلبها الجميع كل في مقامه ومرتبته حتى المعصوم عليه السلام، وهذا الأمر الثالث لطفي إفاضي من الله سبحانه، هنا نلاحظ أن أولياء الله تعالى مهما بلغوا مرتبة في الكمال والاهتداء يطلبون المزيد، فإبراهيم عليه السلام بالرغم من مقام الخلة والإمامة قال لربه تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَرَبِّ الْوَالِدِينَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ يَعْلَم بِمَا صَدَقْتَ أَإِنتُ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُن لِّمَنۡ يُشْرِكۡ بِكَ مَلَكٌ مِّنۡ قَبۡلِيۡ ۗ فَسَدِّكۡ أَصۡبٰبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنۡ فِيۡهِنَّ أَلَمْ يَكُن لِّمَنۡ يُشْرِكۡ بِكَ خَلْقٌ مِّنۡ قَبۡلِيۡ ۗ فَسَدِّكۡ أَصۡبٰبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنۡ فِيۡهِنَّ أَلَمْ يَكُن لِّمَنۡ يُشْرِكۡ بِكَ خَلْقٌ مِّنۡ قَبۡلِيۡ ۗ فَسَدِّكۡ أَصۡبٰبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنۡ فِيۡهِنَّ أَلَمْ يَكُن لِّمَنۡ يُشْرِكۡ بِكَ خَلْقٌ مِّنۡ قَبۡلِيۡ ۗ فَسَدِّكۡ أَصۡبٰبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنۡ فِيۡهِنَّ﴾<sup>(١)</sup>

وبهذا الطلب أراد الانتقال في المعرفة من الهداية العقلية والقلبية إلى الهداية الاطمئنانية التي تصير المعقول محسوساً لديه.

وكليم الله موسى عليه السلام قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾<sup>(٢)</sup> بناء على أن هذا طلب موسى عليه السلام لا طلب قومه، وهو أوصله، ومعلوم أن موسى عليه السلام يعلم بأن الله سبحانه لا تجوز عليه الرؤية الحسية، لكنه أراد رؤية تجليه في آياته؛ لذا قال: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ﴾، والرؤية إدراك المرئي بالحس أو بالعقل<sup>(٣)</sup>، وقد طلبها موسى معاً؛ لذا قال ﴿أَنظُرْ﴾ فإن النظر الرؤية بالحس، ويتم بتقليب العين حيال المرئي طلباً لمشاهدته، والرؤية الإدراك بالعقل، وأعلى

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٣) انظر مفردات الراغب: ص ٢٠٩ (رأى)؛ معجم الفروق اللغوية: ص ٥٤٣، (٢١٨٩).

مراتب الرؤية هو ما يجتمع فيه العقل والحس؛ لأنها تكون أبعد عن الخطأ والإجمال، فإن الرؤية الحسية قابلة للخطأ، والرؤية العقلية قابلة للإجمال، فإذا اجتمعتا صارت معرفة تفصيلية مطابقة للواقع، وما طلبه موسى عليه السلام ليس إدراك الباري عزَّ وجلَّ بالحس، بل إدراك تجليه وظهور نوره؛ لذا قال ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ لا (أنظرك)، فالملقود هو طلب المزيد، أو تثبيت ما وصل إليه لكيلا يفقده بحصول الموانع. هذا حسيًّا.

ومعنويًّا أرني أنظر إليك في كل قول وعمل وموقف يوصل إليك، فلا أحميد عن رضاك، ولا أقع في مخالفتك والتجرؤ عليك، فطلب موسى حسيًّا للمعرفة ومعنويًّا للعصمة، وكلاهما زيادة، ولذا ورد في العيون عن الفضل بن شاذان: أنه سمع الرضا عليه السلام يقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استرشاد لأدبه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربه وبعظمته وكبريائه<sup>(١)</sup>.

وهذا مما يقصده العبد بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي الثبات والزيادة واستمرار الإفاضة لنيل الكمال بعد الكمال، وإزالة موانعها وإثبات فوائدها، وقد أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الموانع التي تمنع الزيادة في دعاء أبي حمزة. يقول عليه السلام: ﴿ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوايين مجلسي عرضت لي بلية أزالتي قدمي، وحالت بيني وبين خدمتك، سيدي لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلك رأيتني مستخفًا بحقك فأقصيتني، أو لعلك رأيتني معرضًا عنك فقليتني، أو

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ١١٤.

لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر  
 لنعمائك فحرممتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك  
 رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس  
 البطالين فبيني وبينهم خليتني، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني،  
 أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني، أو لعلك بقله حيائي منك جازيتني<sup>(١)</sup>.  
 وهذه الموانع لا تقوم لها الجبال الرواسي، ولا يرفعها إلا الدعاء  
 المتواصل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

### الهداية التفصيلية

الوجه الثالث: أن الهداية التي أرشدت العبد إلى ربه وعبادته هي هداية  
 ربانية حدوثية إجمالية تقوم على أصل وجوده وكماله واستحقاقه العبادة،  
 وأما الهداية التي يطلبها العبد هي الهداية اللطيفة التفصيلية التي تعرّفه على  
 كمال ربه وجلاله، فيراه في كل الأشياء فيعرض عن كل ما سوى الله  
 سبحانه، وإذا اختلفت الهداية بالإجمال والتفصيل انحل الإشكال.

الوجه الرابع: أن الدعاء ورد بصيغة الجمع (اهدنا) ليكون الدعاء شاملاً  
 للجميع، فالمهتدي يدعو لغير المهتدي، كما يدعو الجميع الناس بالهداية إلى  
 مصالحهم، وهو من موجبات الإجابة، فإن الداعي إذا وسّع في الدعاء  
 وشمل العموم فيه كان أقرب إلى الإجابة، أما على القول بأن الدعاء لطف  
 ورحمة إلهية فالدعاء العام كاشف عن الرحمة والمحبة بين الناس، والرحمة

(١) مصباح المتهجد: ص ٥٨٨.

توجب الرحمة، وفي الحديث: ﴿ببذل الرحمة تستنزل الرحمة﴾<sup>(١)</sup>.

وأما على القول بأن إجابة الدعاء على حسب الاستعداد والاستحقاق فإن بالتعميم فيه يضمن الداعي وجود ما يستحق الإجابة كالإمام المعصوم عليه السلام ومن يتلوه في الدرجة والرتبة، أو الطفل الصغير والشيخ الكبير وغيرهم ممن يستحقون الإجابة.

هذا فضلاً عن وعد الله سبحانه للداعين بالإجابة إذا دعوا بالأسنة لم يعصوه فيها، ويتحقق هذا بالدعاء العام، وفي الحديث النبوي: ﴿ادعوا الله بالأسنة ما عصيتموه بها، قالوا: يا رسول الله! ومن لنا بتلك الأسنة؟ قال: يدعوا بعضكم لبعض؛ لأنك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك﴾<sup>(٢)</sup>.

ويتحصل: أن الإشكال على فرض صحته يرد على دعاء المهتدي لنفسه بالهداية الخاصة، وأما إذا كان الدعاء لغيره ولنفسه بالهداية العامة يرتفع المحذور.

### هداية المعرفة

الوجه الخامس: أن المطلوب ليس أصل الهداية التي قاده إلى الإيمان والدعاء، وإنما الهداية في كل ما يواجهه العبد في حياته في حاضره ومستقبل أيامه.

فإن الإنسان يتعرض إلى مشاكل وأزمات تتعلق بحياته الشخصية

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ص ١٩٠.

(٢) انظر روح البيان: ج ١، ص ١٤٩؛ تفسري الرازي؛ ج ١، ص ٢٥٧.

كالزواج والطلاق والديون والمشاكل الأسرية ونحوها، كما يتعرض إلى مشاكل وأزمات عامة تتعلق بالوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وكل هذه الأزمات تحتاج إلى معرفة وهداية لكيلا يضل الإنسان فيرتكب الأخطاء المضرة به، ويهتدي لأفضل الحلول للتغلب عليها.

فإن حياة الإنسان مليئة بالخيارات الصعبة سواء كان حاكماً أو محكوماً أو مديراً أو رب أسرة أو صاحب تجارة أو مريضاً يحتاج إلى علاج، وهكذا كل ما يتعرض إليه الإنسان - بعضه صعب وبعضه فتن - مما يحتاج إلى بصيرة ومعرفة قد لا تعينه قواه وقدراته على معرفة الموقف الصائب، ولا بد له من هادٍ ومرشد، ويقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يستمد من الله سبحانه الهداية التي ترشده لأفضل مصالحه، فالهداية التي يطلبها العبد ليست هداية دلالة، بل هداية عون وإعانة التي أقرَّ بها في الآية السابقة بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ولذا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: ﴿أتاني جبرئيل فقال: يا محمد ﷺ! سيكون في أمتك فتنة!! قلت: فما المخرج منها؟ - وربما تقرأ من المخرج - فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَنْ وَلِيَهُ مِنْ جَبَّارٍ فَعَمَلٌ بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم﴾<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٣، ح ٢؛ البحار: ص ٢٤ - ٢٥، ح ٢٥.

## ثلاث من سنن الله تعالى

وينبه الحديث على ثلاثة أمور عن الله سبحانه:

**الأول:** أن المجتمع المسلم في أزماته العامة ما دام لا يلتمس من القرآن الهداية يبقى في ضلال، فتخلي المسلمين عن قرآنهم واتباعهم العلمانية يقودهم إلى الهلكة مهما بدلوا من أنظمة وملوك وقوانين؛ لأن الهدى هدى الله سبحانه.

**الثاني:** أن المشاكل الشخصية لا سيما إذا صارت بين طرفين وأكثر كالمشاكل الأسرية والعشائرية والحزبية ومشاكل الجيران تحل بالرجوع إلى حكم القرآن، وحينما يخالف الناس ذلك تزداد الأزمات، ويكثر الطلاق والنزاع العشائري والحزبي وغير ذلك، وحتى مشاكل الدول الحدودية والسياسية والاقتصادية، فلو كان المعنيون يبحثون عن الحلول الصحيحة فليرجعوا فيها إلى كتاب الله سبحانه، فإن الله سبحانه تعهد بأن كل من يخالف القرآن يقصم ظهره، ويجعله تائها فيستعصي عليه الحل العادل.

## في القرآن بصائر العلاج

**الثالث:** أن كل ما يحتاجه البشر من حلول لمشاكلهم موجود في القرآن، فعليهم أن يرجعوا إلى العالمين به، المطلعين على ظاهره وباطنه ومقاصده؛ لكي يبينوا لهم الحلول، وهم محمد وآل محمد ﷺ الذين نزل القرآن في بيوتهم وخاطبهم أولاً.

فلو رجع الناس إلى غيرهم في فهم القرآن تاهوا وقصم ظهرهم،

فالطريق المستقيم الذي يهدي البشر إلى مصالحتهم هو القرآن والعتره الطاهرة ﷺ، ومن دونهم لا استقامه ولا سلامه، فالآيه الشريفه بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ترشدنا إلى أن كل المشاكل والأزمات المستحدثه اطلبوا حلولاها من الله سبحانه، والله عزَّ وجلَّ جعل نورها في القرآن والعتره ﷺ فتمسكوا بهما، فإن تمسكن بهما لن تضلوا أبداً.

### اللطفه الخامسه: اتحاد الهدايه والصراط

الآيه المباركه وردت بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ لا (اهدنا للصراط) ولا (إلى الصراط) ولا (على الصراط) لماذا؟

والجواب لسببين:

السبب الأول: أن صيغه ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ تدل على الاتحاد المفهومي والمصداقي بين الهدايه والصراط المستقيم، فلا انفكاك بينهما، بخلاف الصيغ الأخرى، فإن الحرف (إلى) و (اللام) و (على) تُفيد الانفكاك، فكأن المهتدي في ناحيه والصراط المستقيم في ناحيه أخرى فيسأل الله سبحانه أن يوصله إليه، ومعنى ذلك أن يكون العبد مهتدياً من قبل حتى يسأل الله سبحانه أن يوصله إلى الصراط، فتكون الهدايه قسمين: أوليه وثانويه، والحال أن الواقع ليس كذلك؛ لأن الهدايه حقيقه واحده والصراط المستقيم كذلك متحdan مفهوماً ومصداقاً، وإنما تختلف الهدايه في الرتبه والدرجه، ويشهد له أن رسول الله والأئمة الأطهار ﷺ يتلون قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في جميع الأوقات، وهم حقيقه الهدايه وواقعها، وكل هدايه تتم بهم تبدأ منهم وتنتهي إليهم، فلا يوجد صراط يصلون إليه حتى

يصح القول (اهدنا إلى الصراط) أو غيره، وإنما هم الصراط وهم الهدى.  
 السبب الثاني: أن اهدنا (إلى) و (ل) و (على) يستلزم التناقض؛ لأن المعروف أن العبد يؤمن بالله سبحانه، ويلتجئ إليه في الحمد والإقرار بالمالكية والعبودية والاستعانة، فهو في هذا الحال مهتدٍ وعلى الصراط المستقيم، فلا يعقل أن يطلب الهداية إلى الصراط ونحوه؛ لأنه يستلزم التناقض والخلف واللغوية؛ لأن الماشي على الصراط لا يطلب الهداية إليه، وإنما يطلب هدايته الصراط للاستمرار والثبات عليه، وبهذا يظهر مدى دقة القرآن في تعبيره.

ويعززه أنه في مخاطبة الكفار قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>  
 لأنهم بعيدون عن الهداية، ويفتقرون إلى أن يهديهم إلى الصراط، فشهد لرسوله المصطفى ﷺ بأنه الذي يهدي إلى الصراط لا أصنامهم التي كانوا يعبدونها، ولا كبارهم ولا آبائهم وأجدادهم الذين كانوا يتبعونهم تقليداً، فإن هؤلاء يضلونهم الصراط، والرسول يبين لهم الصراط الذي يجب اتباعه، ومثله ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقد أشار إلى ملة إبراهيم ووصفه بالحنيف لترغيب العرب في الإسلام، لجلالة إبراهيم ﷺ في نفوسهم ونفوس كل أهل الأديان، ولانتساب العرب إليه واتفاقهم على أنه كان على هدى مستقيماً على التوحيد<sup>(٣)</sup>، وهذا النهج هو الذي بعث عليه

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦١.

(٣) انظر مجمع البيان: ج ٤، ص ٢٠٧.

النبي المصطفى ﷺ، فيقتضي التعدية بـ (إلى) لأن إبراهيم سابقُ زماناً. وقد جاء هذا أولاً مقابل اتهام الكفار له بعدم الاستقامة، فقال: ﴿هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> لإثبات هدايته أولاً، ثم يأتي بعده هدايته للناس، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> لأن الهادي يجب أن يكون مهتدياً أولاً، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

### اللطفة السادسة: ما المقصود بالصراط؟

اختلفت الأخبار في بيان المراد بالصراط المستقيم، وبعضها أشار إلى المفهوم، وبعضها إلى المصداق، وبعضها أشار إلى معناه الظاهر والباطن. ففي معاني الأخبار عن الإمام الحسن بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ... قال: ﴿والصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة﴾<sup>(٣)</sup>. ولعل المراد بغير النار الأعراف أي الحاجز بين الجنة والنار<sup>(٤)</sup>، وواضح

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦١.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣٣، ح ٤؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ١٠٦.

(٤) المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٥٩٥، (عرف).

أنها عرّفت مفهوم الصراط في الدنيا وهو الاعتدال في كل شيء، وقد ورد هذا عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً<sup>(١)</sup>، وهو يشمل الدين والقرآن والدعاء وكل ما يوصل العبد إلى غايته باستقامة واستواء<sup>(٢)</sup>، وأما صراط الآخرة فعرفته بالمصدق.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام فسّرت الصراط في الدنيا بالمصدق وحصرته بالإمام عليه السلام. قال: ﴿هو الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصرراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة. من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو على جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم﴾<sup>(٣)</sup>.

### حقيقة الصراط

وفي بعض الروايات فسر الصراط المستقيم بآل محمد عليهم السلام<sup>(٤)</sup>، وفي بعضها بأمر المؤمنين عليهم السلام<sup>(٥)</sup>، وفي أخرى بمعرفة الإمام<sup>(٦)</sup>، وفي بعض الأخبار وصف الإمام الصادق عليه السلام الصراط الأخروي

---

(١) انظر معاني الأخبار: ص ٣٣، ح ٤.

(٢) انظر الكافي: ج ١، ص ٤١٧، ح ٢٤، في تفسير الآية ٤٣ من سورة الزخرف.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ١؛ البحار: ج ٨، ص ٦٦، ح ٣.

(٤) مجمع البيان: ج ٩، ص ٤٣٧.

(٥) معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ٢.

(٦) تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢١؛ التفسير الصافي: ج ٥، ص ٨٥.



المفسرين التعبير عن ذلك بالتفسير بالمصداق، كما تسمى بقاعدة الجري استناداً إلى ما ورد عنهم عليهم السلام.

ففي تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ﴿ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع قلت: ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع﴾<sup>(١)</sup>.

### مشابهة القرآن بالشمس والقمر

وقوله: ﴿يجري كما يجري الشمس والقمر﴾ يشير إلى خصوصيتين في القرآن مشابهة للشمس والقمر:

الأولى: أنه يسري في كل زمان ومكان يواكب البشر ويضيء طريقهم، ويهدي قلوبهم وعقولهم كما هو شأن الشمس والقمر.

الثانية: أن ما من حادثة تقع أو واقعة تستحدث إلا وتقع في إحاطة الشمس والقمر، فكذلك القرآن، فلذا يجري القرآن في الزمان والمكان والحوادث والوقائع، ولا يستقيم هذا المعنى إلا بحمل تفسير ألفاظه ومعانيه على العموم الشامل لجميع المصاديق، وهذا ما يقضي به العقل؛ لأن القرآن حجة الله سبحانه البالغة على البشرية أجمع، وقد أنزله الباري عز وجل ليهدي الخلق إلى مصالحهم في كل زمان ومكان، فلو حضرت دلالاته

---

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص ١١، ح ٥.

ومعانيه بزمان خاص أو مكان خاص سقطت حجيته، وانتقض الغرض من نزوله، وصار مثل كتب التأريخ والقصص التي لا تفارق حدودها، ولذا يمكن أن يكون في كل زمان ومكان مصاديق جديدة للآيات القرآنية، فحينها يمدح المؤمن الأوائل فإن المدح يجري في المؤمنين اللاحقين، وحينها يذم الكفار والمشركين والطغاة والجبابة فإنه يجري في كل من يشابههم في الأفعال في الأزمنة اللاحقة إلى يوم القيامة.

ومن مصاديق هذه القاعدة معنى الصراط المستقيم الذي تنوعت الروايات في بيان معناه، فإن هذا التنوع ليس من التعارض والتكاذب، بل بيان المصاديق التي ينطبق عليها مفهوم الصراط المستقيم، وبذلك يتضح وجه الخلل في قول بعض المفسرين بالمغايرة بين الصراط الدنيوي والأخروي إن أراد المغايرة في المفهوم لا المصداق<sup>(١)</sup>، كما يتضح وجه الخلل في زعم البعض بأن القرآن محصور بزمانه ومكانه، وهكذا سائر النصوص الشرعية، فإن لازمه أن تكون القضايا النصية قضايا خارجية وساقطة عن الاعتبار.

### الصراط هو الإمام عليه السلام

السبب الثالث: أن اختلاف معاني الصراط ومصاديقه يرجع إلى جامع مفهومي يضم جميع المعاني، وهو ما قدمناه في شرح معنى الصراط المستقيم لغةً وعرفاً، وأنه الطريق المستقيم الذي يوصل سالكه لمقصده، ووصفته الروايات بما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم

(١) انظر مناهج البيان: ج ١، ص ١٢٩.

يعدل إلى شيء من الباطل<sup>(١)</sup>.

وجامع مصداقي تجتمع فيه كل خصائص الصراط ومزاياه، وإليه ناظرة جميع الروايات، والمعاني الأخر تكون من لوازمه وآثاره، وهو الإمام المعصوم عليه السلام؛ بدهة أن الإنسان في أفكاره وأخلاقه وأعماله يحتاج إلى من يرشده إلى النهج المستقيم، فلا يتجاوز الحد في الأفكار، ولا يتجاوز الفضائل في الأخلاق، ولا العدالة والاستقامة في الأعمال.

وهذه جميعاً لا يمكن أن تتحقق بالدين وحده من دون مبين وشارح، ولا تتحقق بالقرآن وحده، والدليل على ذلك وقوع الاختلاف بين الناس في الدين، وفي مقاصد القرآن ومعانيه، وحصول الانحراف عنها، ولا يحققه النبي صلّى الله عليه وآله وحده من دون وصي وخليفة، ولذا اختلفت أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقيات في النار<sup>(٢)</sup>.

كما تضافرت الأدلة العقلية والنقلية على أن الإيمان بالنبي صلّى الله عليه وآله وحده لا ينجي من الضلالة والعذاب، وإنما الاتباع الكامل لرسول الله صلّى الله عليه وآله، ويتحقق ذلك باتباع من نصبه النبي خليفة من بعده، وأوكل إليه مهام تبليغ الرسالة وتطبيق الأحكام، وهو الإمام عليه السلام، فالنبوة بلا إمامة نكران للنبوة وجحود بها.

فلا استقامة للصراط في أي معنى من معانيه إلا بالإمام عليه السلام، ومن كان متبعاً للإمام في الدنيا فإنه يمر على الصراط بمصداقه الأخرى؛ لأنها

(١) معاني الأخبار: ص ٣٣، ح ٤؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ١٠٦.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ٢٢٤، ح ٢٨٣؛ الخصال: ص ٥٨٥، ح ١١.

وجهان لحقيقة واحدة، والذي يزل عن الإمام عليه السلام ويذهب يميناً وشمالاً في الدنيا تزل قدمه في الآخرة، وهذا ما تضافر في الأخبار الشريفة.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك<sup>(١)</sup>.

والمراد براءة من النار، والكتاب الذي يحمله يحتمل معنيين:

الأول: أنه مرسوم خاص يحصل في المحشر لما يسأل الناس عن معتقداتهم، وتقوم الشهود عليهم يعطى من آمن بولاية علي عليه السلام وتبرأ من أعدائه كتاباً خاصاً فيه تكريم وتشريف وتفريح لأهل الإيمان، وإشعار لمخالفهم بالخيبة والخذلان؛ إذ هناك تظهر كرامة العقيدة السليمة، ويجد المؤمن لتضحياته وصبره أثراً عظيماً، وهذا نهج كثير المشاهد في الآخرة، مثل لواء الحمد، وموضع الميزان والأعراف، ومشهد مرور فاطمة عليها السلام وأمثال ذلك، ولكل ذلك حكم ووجوه تقتضيها الحكمة، وليست جزافية أو عبثية.

الثاني: هو الكتاب الذي يعلق في عنقه حينما يدفن في قبره ويحضره منكر ونكير ويسألانه عن معتقداته، ومن أهم ما يسألانه بعد الإيمان بالله تعالى وكتابه ورسوله عن إمامه الذي كان يؤمن به في الدنيا ويتبعه، فيكون حينذاك لسانه قلمه، وريقه مداده، فيكتب جوابه<sup>(٢)</sup>، فإذا تم السؤال

(١) معاني الأخبار: ص ٣٥-٣٦، ح ٦.

(٢) انظر الكافي: ج ٢، ص ٤٣٩، ح ٣؛ صفات الشيعة: ص ٣٨-٣٩.

والجواب طوي الكتاب، وعلّق في عنقه إلى يوم النشور يلقاه منشوراً بيد الرقيب والعنيد، ويؤمر بقراءته على الملائ، وبه يتحدد مصيره، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً \* مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup>.

ولما يقرأ الكتاب يجد قد دونت فيه أعماله صغيرها وكبيرها، وقد نسي الكثير منها، ولكنه يستذكرها حينها يجدها؛ لذا يقول تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: قال: ﴿يَذُكَّرُ الْعَبْدُ جَمِيعٌ مَا عَمِلَ وَكُتِبَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ فَعَلَهُ تِلْكَ السَّاعَةَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ورأس الأمور التي تدون في الكتاب هي ولايته لأمر المؤمنين عليهم السلام عالية وبراءته من أعدائه كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام<sup>(٤)</sup>، فإن كان موالياً سيق إلى الجنة، وإلا مرّ على الصراط، وبحسب أعماله يحترق، فإن كانت سيئاته قليلة يحترق بحرارته فيمر عليه حبواً، وإن كانت أكثر يحترق منه شيء ويترك شيء، وإن كانت غالبه هوى في نار جهنم، والأخبار بهذا المعنى متواترة<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الإسراء: الآيات ١٣ - ١٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٢٨، ح ٣٥؛ التفسير الصافي: ج ٣، ص ١٨٢.

(٤) كمال الدين: ص ٣٢٣، ح ٥٠.

(٥) انظر تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩؛ الأمالي (للصدوق): ص ٢٤٢، ح ٢٥٧.

منها: ما ورد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن يوم القيامة يوم شديد الهول، فمن أراد منكم أن يتخلص من أهوال يوم القيامة وشدائده فليوال وليي، وليتبع وصيي وخليفتي وصاحب حوضي علي بن أبي طالب، فإنه غداً على الحوض يزود عنه أعداءه، ويسقي منه أوليائه، فمن لم يشرب لم يزل ظمآنًا لم يرو أبداً، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً.

ألا وإن حب علي علامة بين الإيمان والنفاق، فمن أحبه كان مؤمناً، ومن أبغضه كان منافقاً، فمن سره أن يمر على الصراط كالبرق الخاطف ويدخل الجنة بغير حساب فليوال وليي وخليفتي على أهلي وأمتي علي بن أبي طالب، فإنه باب الله والصراط المستقيم.

علي يعسوب الدين، وقائد الغر المحجلين، ومولى من أنا مولاه، لا يحبه إلا طاهر الولادة زاكي العنصر، ولا يبغضه إلا من خبث أصله وولادته، وما كلمني ربي ليلة المعراج، إلا قال لي: يا محمد! أقرئ علياً مني السلام، وعرفه أنه إمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهنئه بهذه الكرامة مني. وقال ﷺ: ﴿لا تستخفوا بالفقير من شيعة علي عليه السلام فإن الرجل منهم يشفع في مثل ربيعة ومضر﴾<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن رسول الله ﷺ: ﴿والذي بعثني بالحق نبياً لو أحببك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لما عذب الله أحداً بالنار... يا علي: بشرني جبرئيل عن رب فقال لي: يا محمد! بشر أخاك علياً عليه السلام، إنني لا أعذب من

(١) مشارق أنوار اليقين: ص ٧٩ - ٨٠؛ القطرة: ج ١، ص ١٢٥، ح ١١٢ / ٣٣.

تولّاه، ولا أرحم من عاداه﴾<sup>(١)</sup> .

وسيمر المؤمن في القيامة على النار فتخاطبه وتقول له: ﴿جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نوركَ لهبي﴾<sup>(٢)</sup> .

## نوران يطفآن النار

فأي نور هذا الذي يطفىء لهب جهنم؟ وكيف يطفىء النور النار؟

والجواب: أن هذا النور نور الهداية الإلهية التي تتصرف في الأسباب الطبيعية وتعطلها كما بيناه في البيان السابق، وهو عبارة عن نورين: نور الولاية ونور البكاء على الحسين عليه السلام، فقد تضافر في الأخبار أنه يطفىء لهب جهنم<sup>(٣)</sup> .

ويشهد له ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَاْرِدُهَا﴾<sup>(٤)</sup> فقال صلى الله عليه وآله: ﴿إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ وَعَدْنَا رَبَّنَا أَنْ نَرُدَّ النَّارَ؟ فَقَالَ: قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ﴾<sup>(٥)</sup> خامدة بولاية أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام والاعتصام بهم وبالبكاء على الحسين عليه السلام.

(١) مشارق أنوار اليقين: ص ٨٤؛ القطرة: ج ١، ص ١٥٢، ح ١٢٨ / ٣٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٤٣.

(٣) الوسائل: ج ١٤، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه، ص ٥٠١، ح ١٩٦٩٢؛ ص ٥٠٨، ح ١٩٧٠٥.

(٤) سورة مريم: الآية ٧١.

(٥) البحار ج ٨، ص ٢٥٠؛ زبدة التفاسير: ج ٤، ص ٢٠٠.

### اللطيفة السابعة: صراط محمد وآل محمد ﷺ

يتضح من الآية أن الصراط المستقيم واحد لا متعدد، وهو صراط المعصوم ﷺ، وهم محمد وآل محمد ﷺ، ومعنى ذلك أن كل ما ليس من المعصوم ﷺ ليس بصراط ولا مستقيم، ولذا عبّر عنه في الآيات بالسبل والطرق، وبه تبطل دعوى العرفاء والصوفية بأن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق<sup>(١)</sup>، كما تبطل دعوى الرجوع إلى الديانة الإبراهيمية، ودعوى جواز التعبد بكل الديانات، وأمثال ذلك من أفكار ومناهج. والملفت في ذلك أمور:

الأول: أن كلمة صراط استعملت في القرآن بصيغة المفرد بخلاف غيرها كالسبيل، فإنها استعملت في المفرد والجمع. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن السبيل إذا استعمل في المفرد يطابق الصراط في الأثر، ولذا قال في ذات الآية المتقدمة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> فوصفت الصراط بالسبيل ونسبته إلى الخالق عز وجل للإشارة إلى أنه مستقيم وموصل إلى المطلوب، فلا فشل فيه ولا ندم ولا خوف ولا قلق، فهو نهج الأمن والسلامة في الدنيا والآخرة.

(١) انظر تفسير الميزان: ج ١، ص ٣٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

الثالث: أن الصراط لا يقبل التعدد؛ لأنه يستند إلى الله سبحانه وينتهي إليه، فلا يعقل أن يتعدد، بل يجب أن يكون واحداً، وإذا تعددت مصاديقه كما ذكرنا في اللطيفة السابقة فإن جميع المصاديق تتفق في المبدأ والغاية والمسار، ولذا لا ينطبق إلا على المعصوم عليه السلام.

وبهذا يتضح أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾<sup>(١)</sup> يراد مصاديق الصراط، وقد جمع السبل للإشارة إلى أن أبواب الجهاد غير منحصرة وإنما مفتوحة، وكل مؤمن يجاهد لربه من الموقع الذي يكون فيه. ولذا ورد أن جهاد المرأة حسن التبعل، وهو من السبل إلى الله سبحانه، وجهاد العالم نشر العلم، وجهاد التاجر التجارة وتوفير الرزق، وجهاد الطبيب معالجة المرضى وهكذا.

فكل من سعى الغاية من الغايات المشروعة واستعان بالله سبحانه واتبع المعصوم عليه السلام حسب سعيه جهاداً، وبلغ مقصوده آجلاً أو عاجلاً.

### التفرق ينفي الصراط

ومتى ما لوحظ وقوع التفرق والتنازع والاختلاف بين دعاة الهداية فليعرف أنهم على هوى ولا يطلبون الله سبحانه، وإن زين لهم الشيطان أعمالهم، فإن الوحدة والانسجام والتلاحم والمحبة علامة الهداية والمرور على الصراط المستقيم، ولذا يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام من ينخدع بالشعارات فيقول لهم: ﴿يا أيها الناس المجتمععة أبدانهم المختلفة وأهواؤهم﴾<sup>(٢)</sup> والباري

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٢) نهج البلاغة: ج ١، ص ٧٣، الخطبة ٢٩.

عَزَّ وَجَلَّ وصف المنافقين بقوله: ﴿مَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾<sup>(١)</sup> فالذي يرى ظاهرهم يلاحظهم متفقيين ومتحايين، ولكن الذي يخترق ما في قلوبهم يجدهم متفرقين لكل واحد منهم مذهب غير مذهب الآخرين، ففي الواقع متعادون وفي الظاهر متوافقون<sup>(٢)</sup>، وهذه صفة غالبية عند أهل الدنيا تتجلى في السياسة وإدارة العالم، وكيف يتصارع الأقوياء على أكل الضعفاء، ويجلسون مع بعضهم ويمدح أحدهم الآخر بحسب الظاهر، ولكنهم في الواقع متعادون، وكلُّ يعمل لتضعيف الآخر وهزيمته، ويظهر اختلافهم هذا حتى وهم في النار؛ إذ يقول تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾<sup>(٣)</sup> واليهود والنصارى أخبر الباري عزَّ وجلَّ بأنهم يتعادون مع بعضهم إلى يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٤)</sup> فلا ينبغي أن ينخدع أهل الإيمان بهم، وينظروا إلى ظاهرهم، ويتوهموا بأنهم على وفاق، بل هم على نزاع وتعادٍ دائم ومستمر، بخلاف أهل الصراط المستقيم فإنهم متحابون متوافقون في الظاهر والباطن. قال رسول الله ﷺ في يوم الغدير: ﴿معاشر الناس! أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه، ثم علي من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الحشر: الآية ١٤.

(٢) انظر نفحات الرحمن: ج ٦، ص ٢١٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٥) البحار: ج ٣٧، ص ٢١٢، ح ٨٦.

## المبحث الثالث: في تعاليم الآية المباركة



وهي عديدة:

### التعليم الأول: معنى الأمر بين الأمرين

إن قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بصيغة الدعاء يبطل القول بالجبر والقول بالتفويض معاً، ويثبت الأمر بين الأمرين، وأن الإنسان مخير في أفعاله ومجبر في النتائج والآثار، فيفيد معنى آخر للأمر بين الأمرين.

وتوضيح ذلك: اختلفت الكلمات في بيان مراد قولهم عليه السلام: ﴿أمر بين أمرين﴾ الذي قالوه في مقابل نظرية الأشاعرة القائلة بالجبر في أفعال البشر، وكل ما يحصل للبشر هو من الله سبحانه لا من أنفسهم<sup>(١)</sup>، ونظرية المعتزلة القائلة بالتفويض، وأن الله سبحانه لا يتدخل في أفعال البشر، فكل ما يحصل لهم من اختيارهم<sup>(٢)</sup>، ولعل أصح الأقوال في تفسيرهما ما حققناه في الحقائق والدقائق<sup>(٣)</sup>، وهو القول بأن الإنسان مجبور في تكوينه مختار في أفعاله، فإنه لا يختار أصل وجوده ولا كيفيته ولا ملكاته ولا أصل اختياره، وإنما يوجده الباري عزَّ وجلَّ بحسب ما يراه من المصلحة وبحسب

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن: ج ١، ص ١٤٥؛ الحقائق والدقائق: ج ١، ص ٢٥٩.

(٢) الحقائق والدقائق: ج ١، ص ٢٦١.

(٣) الحقائق والدقائق: ج ١، ص ٢٦٣.

الاختبارات التي مرّ بها قبل عالم الدنيا، وأعطاه الإرادة والاختيار، وأعطاه السلطة على نفسه، فيختار أفعاله ومصيره بنفسه.

والآية المباركة هنا تضيف معنى آخر، وهو أن الإنسان مختار في أصل أفعاله، إلا أن النتائج والآثار تترتب على أفعاله ترتب المعلول على العلة، وبهذا الاعتبار لا يملك الإنسان الاختيار على النتائج إذا اختار المقدمات، وهذه النتائج تسمى اختيارية بلحاظ أن مقدماتها اختيارية، وقد اشتهر القول بين أهل المعقول أن ما بالاختيار لا ينافي الاختيار<sup>(١)</sup>، وتسمى جبرية باعتبار أن سلطة الإنسان محدودة بالمقدمات، أما ترتب النتائج على المقدمات فهي قهرية، وبهذا الاعتبار يمكن التعبير عن فعله بأنه أمر بين أمرين.

### مثالان للأمر بين أمرين

ونقرب هذه الحقيقة بمثالين:

الأول: إذا ألقى الإنسان نفسه من شاهق وهوى إلى الأرض فإنه سوف يلاقي مصيره وهو الموت حتماً، فهو مختار في المقدمات، ويبيده أن يلقي بنفسه أو لا، ولكن ينتهي اختياره وهو بإلقاء نفسه؛ لأنه سوف يصطدم بالأرض حتماً، ولا يملك سلطة على عدم السقوط ولا على الموت.

الثاني: العالم فإنه يملك الاختيار على مقدمات التحصيل والتعلم، فيبيده أن يذهب إلى المعلّم ويطالع ويبحث، ولكن حصول العلم في ذهنه وبقاءه وفهم الملازمات بين الأشياء واكتشاف الحقائق الجديدة وأمثالها فليس

---

(١) بيان الأصول: ج ١، ص ١١؛ ج ٢، ص ٣١٦.

باختياره، وإنما تترتب على المقدمات بطريقتين:

أحدهما: ترتب المعلول على العلة؛ لكونها نتائج توليدية على الأسباب كما في العلوم التحصيلية.

ثانيهما: ترتب الإفاضة على الاستفاضة، كما في العلوم النورية التي يقذفها الله سبحانه في القلوب، فإن إفاضة العلم من فعل الله سبحانه لا من فعل الإنسان نفسه، وإليه يشير الحديث الشريف: ﴿ليس العلم بكثرة التعلم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء﴾<sup>(١)</sup>.

سواء كان فاعل الإشاعة الإنسان نفسه أو الباري عز وجل، فإن النتائج العلمية ليست اختيارية وإنما مقدماتها اختيارية.

وذات القضية تنطبق في الهداية، فإن مقدماتها اختيارية تنشأ من إرادة الإنسان ودعائه وتميئة الاستعداد لها، أما حصولها فهي نتيجة تحصل بإرادة الله سبحانه.

### التعليم الثاني: أفضل أوقات الدعاء وحالاته

قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وبصيغة الجمع، وبعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يرشدنا إلى أمرين:

الأمر الأول: أن من أفضل أوقات الدعاء ما كان بعد العبادة، وهذه كانت طريقة الأنبياء والأئمة عليهم السلام يدعون الله سبحانه لا سيما بعد أداء

---

(١) البحار: ج ٦٧، ص ١٤٠، ح ٥؛ المواعظ العددية: ص ٢٤٠.

الفرائض؛ لأن الدعاء مستجاب، وقد ورد عن النبي ﷺ: ﴿من أدى لله مكتوبة فله في إثرها دعوة مستجابة﴾<sup>(١)</sup> والمكتوبة هي الصلاة الواجبة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾<sup>(٢)</sup> أو مطلق الفريضة المكتوبة على العبد كالصيام؛ لقوله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وقد ورد عن الهادي عن آبائه عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً<sup>(٤)</sup>، ويعززه ما ورد من استحباب الدعاء عند الإفطار<sup>(٥)</sup>.

وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿يستجاب الدعاء في أربعة مواطن: في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب﴾<sup>(٦)</sup> والمراد بعد صلوات الأوقات المذكورة؛ لأن بعد الظهر وبعد المغرب يشمل صلاتي العصر والعشاء كما هو معهود لدى المشرعة.

الأمر الثاني: محبوبة الدعاء الجماعي، فإن للاجتماع الأثر البالغ في حصول خير العبادة وبركاتها، ولذا تستحب الصلوات الجماعية مثل صلاة الجماعة والجمعة والعيد بناءً على استحبابها، كما أن الحج جماعي والصيام كذلك،

---

(١) الوسائل: ج ٦، الباب ١ من أبواب التعقيب وما يناسبه، ص ٤٣١، ح ٨٣٦٠؛

البحار: ج ٨٢، ص ٣٢١، ح ٨.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٤) الوسائل: ج ٧، الباب ٢٣ من أبواب الدعاء، ص ٦٦، ح ٨٧٤٤.

(٥) الوسائل: ج ١٠، الباب ٦ من أبواب آداب الصائم، ص ١٤٧.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ٤٧٧، ح ٢.

وحتى مثل صلاة الاستسقاء والخوف - اللتين تؤدَّيان في أشد الأحوال -  
تصليان جماعة، وهكذا الدعاء، فقد تواتر في الأخبار والوقائع أن الأئمة عليهم السلام  
والعلماء والصالحين رفعوا الابتلاءات والآفات بالأدعية الجماعية.

## كيفية الدعاء الجماعي

ويتم الدعاء الجمعي بثلاث حالات:

الأولى: الاجتماع البدني.

الثانية: الاجتماع في القصد والنية كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الثالثة: الاجتماع الذهني في الدعاء بأن يحضر إخوانه في ذهنه تفصيلاً،  
ويدعو لهم بظهر الغيب. دل على كل ذلك قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ﴾ بالمطابقة والإشارة، وتضافرت به الأخبار الشريفة.

فمن الأولى قول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ما من رهط أربعين رجلاً  
اجتمعوا فدعوا الله عزَّ وجلَّ في أمرٍ إلاَّ استجاب الله لهم، فإن لم يكونوا  
أربعين فأربعة يدعون الله عزَّ وجلَّ عشر مراتٍ إلاَّ استجاب لهم، فإن لم  
يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرة فيستجيب الله العزيز الجبار له﴾<sup>(١)</sup>.

وظاهر الرواية أن للأربعين خصوصية في الإجابة، والرهط يطلق على  
جماعة الرجال دون النساء، وعن ابن فارس: رهط الرجل قومه وقبيلته  
الأقربون<sup>(٢)</sup>، وعلى المعنى الأول يشمل مطلق الرجال، وعلى الثاني يدل على

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٧، ح ١.

(٢) مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٩، (رهط)؛ المعجم الوسيط: ج ١، ص ٣٧٧، (رهط).

الدعاء والذي يخص العشيرة والأرحام لو أراد كبيرهم أن يدعو. نعم يستحب لصاحب الأهل والعيال أن يجمعهم ويدعو ليأمنوا على دعائه.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿كان أبي إذا حزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمنوا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك إرشاد إلى استحباب أن يدعو الرجل أهله وصبيانهم، وكذا كل أرحامه وعشيرته، فإن لذلك أثراً في الإجابة، وهو نوع هداية جماعية إلى الصراط المستقيم.

ومن الثانية ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دعا أحدكم فليعم فإنه أوجب للدعاء﴾<sup>(٢)</sup> وفي رواية أخرى: ﴿إذا دعا العبد ولم يضم المسلمين إلى نفسه قال الله تعالى: ملائكتي يحسب عبدي أنه يسأل من بخيل، وإذا أعرض عن حاجته ودعاهم قالت الملائكة: بدأ الله بك﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الثالثة ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إن دعاء الأخ المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب، ويدرّ الرزق، ويدفع المكروه﴾<sup>(٤)</sup> ويدرّ الرزق لأنه رحمة، وبالرحمة تستنزل الرحمة.

وفي رواية معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا: يا عبد الله! ولك

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٧، ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٧، ح ١.

(٣) المستدرک: ج ٥، ص ٢٤١، ح ٥٧٧٩؛ ينابيع الحكمة: ج ٢، ص ٣٢٧-٣٢٨، ح ١٦.

(٤) الوسائل: ج ٧، الباب ٤١ من أبواب الدعاء، ص ١٠٩، ح ٨٨٧٤.

مائة ألف ضعف مما دعوت.. ثم يناديه الله تعالى: أنا الغني الذي لا أفقر، لك يا عبد الله ألف ألف ضعف مما دعوت<sup>(١)</sup>.

وقد يقال: لماذا لا يظهر هذا على العبد؟ وفيه جوابان:

الأول: ظاهر الرواية أنه يتعلق بالدعاء للمغفرة وعلو الدرجات الآخروية، والأجر الآخروي يظهر في الآخرة.

والثاني: أن قضاء الحوائج في الدنيا ليس بالماديات، بل هناك نِعَم غير منظورة يتمتع بها الإنسان وهو غافل عنها مثل نعمة النظر والسمع والكلام والسلامة، فإنها في كل لحظة تتجدد نعمة منها، وهذه نِعَم قد لا يلتفت إليها الإنسان لأنه أَلْفها، فإذا دعا لأخيه بالعافية ينال ألف ألف ضعف من العافية بسلامة أعضائه وخلاياه وطيب أوقاته.

إن آخر ما توصل إليه العلم أن المخ ليس هو الوحيد الذي يعطي إيعازات لخلايا الجسم، بل كل خلية لها جهاز ارتباط وتناسق مع غيرها، فشبكات للتواصل تحكم الخلايا وتنظم أعمالها، وهذه كلها تحتاج إلى سلامة في كل لحظة وأن، فإذا اختلت واحدة منها اضطربت وأصابت البدن بالأمراض الخطيرة، فإذا نحسب أن كل خلية تحتاج إلى سلامة فإن مليارات الخلايا يحتاجها الإنسان حتى يقوم وجوده ويؤدي دوره بفاعلية، فيحتاج إلى مليارات السلامة والفعل.

وعنهم عليهم السلام: ﴿سِتَّةٌ لَا يَجِبُ لَهُمْ عَنِ اللَّهِ دَعْوَةٌ: الْإِمَامُ الْمَقْسُطُ، وَالْوَالِدُ

(١) الوسائل: ج ٧، الباب ٤٢ من أبواب الدعاء، ص ١١٢، ح ٨٨٨٢.

البارّ لولده، والولد الصالح لوالده، والمؤمن لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم يقول الله: لا تتقمنَّ لك ولو بعد حين، والفقير المنعم عليه إذا كان مؤمناً<sup>(١)</sup>.

وإطلاق الإمام المقسط يشمل كل مقتدى وزعيم في دولة كان أو حكومة أو جماعة أو أسرة، أي كل مؤتم به إذا كان مقسطاً في رعيته، وإنما وصفه بالقسط دون العدل؛ لأن القسط هو العدل البيّن الظاهر، ومنه سمي المكيال فسطاً، والميزان قسطاً؛ لأنه لك العدل في الرزق حتى تراه<sup>(٢)</sup>، أما العدل فربما يخفى ولا يدرك بالحس، فهو أعم من القسط، ولا تحجب الدعوة بحقه لأن الناس يدعون له بطيب قلوبهم.

والفقير المنعم عليه إذا دعا لولي النعمة ومن أسدى له معروفاً؛ لأن هذا الدعاء يستوفي شرط الإجابة، وهو استحقاق المحسن للإحسان إليه، فإنه سبحانه يجزي الإحسان بالإحسان.

وكذلك الوالد والولد والمظلوم، ومن أدب أهل البيت عليهم السلام أنهم يدعون إلى مقابلة الإحسان بالأحسن، ويقولون: ﴿ليس المكافأة أن تصنع كما صنع لك حتى يربى عليه، فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء﴾<sup>(٣)</sup> هذه أخلاق أولياء الله سبحانه، وهكذا هي أخلاق الله تعالى، فإذا دعا من أنعم إليه لا يرد دعاءه، وكذلك الوالد والولد والمظلوم.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥، ص ٢٥٦، ح ٥٨١٥؛ البحار: ج ٩٠، ص ٣٦٠، ح ٢٠.

(٢) معجم الفروق اللغوية: ص ٤٢٨، (١٧٢٠).

(٣) البحار: ج ٨، ص ١٠٥؛ الوسائل: ج ١٦، الباب ٧ من أبواب فعل المعروف، ص

ومن دواعي الإجابة إدخال الأطفال في الداعين؛ لما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعاء أطفال أمتي مستجاب ما لم يقارفوا الذنوب﴾<sup>(١)</sup> وبه يظهر أهمية دعاء الصبيان الصغار، لا سيما قبل المراهقة والتمييز، وهو باب يفتحه الإمام عليه السلام للآباء والأمهات وعموم الناس في أن يوسطوا أطفالهم بالدعاء وقضاء الحوائج.

والضمير في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يشمل جميع الفئات والحالات، فلو قرأها المؤمن في صلاة الجماعة كانت الهداية مضمونة، ولعل هذا أحد أسباب شدة استحباب صلاة الجماعة، وكذلك لو قرأها في صلاة الفرادى وقصد التعميم، وكذلك لو قصد أحاً مؤمناً معيناً في دعائه.

### أفضل ما يدعو به الآباء للأبناء

وبهذا نلقت إلى حقيقتين:

الأولى: أن خير ما يدعو به الآباء والأمهات لأولادهم هو الدعاء بالهداية والاستقامة، ولو ضمّنوا ذلك في أثناء قراءة الصلاة وبعدها ضمّنوا الإجابة ورأوا في أولادهم ما يأملون.

الثانية: أن كل من يطلب الهداية في أي بعد ومجال كالعالم الذي يطلب العلم، والفقير الذي يطلب الغنى، والشقي الذي يطلب السعادة، وكل محتاج إذا صلّى وفي صلّاته ضمّن هذا المعنى فإنه سينال فيوضاتها وبركاتها، فإن الصلاة صلاح العبد، وبركات الصلاة تظهر في إجابة الدعاء فيها، لا

---

(١) البحار: ج ٩٠، ص ٣٥٧، ح ١٤.

سيما الإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من صلى على النبي وآله مرة واحدة وبنية وإخلاص من قلبه قضى الله له مائة حاجة منها ثلاثون للدنيا وسبعون للآخرة»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من صلى عليّ كل يوم ثلاث مرات، وفي كل ليلة ثلاث مرات حباً لي وشوقاً إليّ كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس قال: قال لي النبي صلى الله عليه وآله «رأيت فيما يرى النائم عمّي حمزة بن عبد المطلب وأخي جعفر بن أبي طالب وبين يديهما طبق نبق، فأكلا ساعة فتحول النبق عنباً، فأكلا ساعة، فتحول العنب لهما رطباً، فأكلا ساعة فدنوتُ منهما وقلت: بأبي أنتما أي الأعمال وجدتما أفضل؟ قال: فديناك بالآباء والأمهات، وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك وسقي الماء وحب علي بن أبي طالب»<sup>(٣)</sup>.

وسقي الماء يشير إلى سقي الماء بثواب الحسين عليه السلام استذكراً لعطشه وعطش عياله، كما هو المتبادر والمركوز في نفوس المتشرعة.

وتبدل الثمار يعود إلى قوانين عالم الآخرة ونعم الجنة التي لها قوانينها الخاصة، ويستفاد من بعض الأخبار أن الصلاة على محمد وآله عليهم السلام أول

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٥، ص ٣٣١، ح ٦٠١٥؛ البحار: ج ٩١، ص ٧٠، ح ٦٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٥، ص ٣٣١، ح ٦٠١٥؛ جامع أحاديث الشيعة: ج ١٥،

ص ٤٧١، ح ١٥٣٣؛ البحار: ج ٩١، ص ٧٠، ح ٦٣.

(٣) البحار: ج ٩١، ص ٧٠، ح ٦٣.

رابطة تكونت بها الأسرة البشرية، فقد ورد أن آدم لما استيقظ من نومه ورأى حواء أراد أن يمد يده إليها فنهته الملائكة، فقال: أما خلقها الله تعالى لي؟ فقالوا: بلى حتى تؤدى مهرها، قال ما مهرها؟ فقالوا: أن تصلي على محمد وآل محمد ثلاث مرات<sup>(١)</sup>.

وفيه دلائل:

### من آثار الصلاة على محمد وآله عليهم السلام

الأولى: جواز أن يكون المهر ذكراً وعبادة، لا سيما الصلاة على محمد وآل محمد، فإن فيها كنوز الملك والملكوت، وأن هذا أول مهر جعل للإيجاد الروابط الإنسانية.

الثانية: أن النكاح والمهر منذ أول الخليفة جعل رابطة تكوين الأسرة، أما الترابط بلا عقد فهو من نهج الشيطان.

الثالثة: أن الصلاة على محمد وآله عليهم السلام هو أساس حلّية الأولاد وتكوين الذرية في التكوين والتشريع، فالمجتمع الإنساني قائم بذكرهم منذ خليفته الأولى، ولعل هذا أحد معاني الروايات التي نصت على أن المبغض لهم ولد حرام<sup>(٢)</sup>.

### التعليم الثالث: هداية القلوب

الهداية من صفات الفعل الإلهي لا صفات الذات، فوصفه سبحانه بالهادي والمهدي لكون ذلك من فعله، فهي ليست كالحياة والعلم والقدرة،

(١) تفسير أبي الفتوح الرازي: ص ١٧٦، ح ٩.

(٢) انظر قرب الإسناد: ص ٢٥، ح ٨٥.

وقد اختلف علماء الكلام والحكماء في بيان المائر بين صفة الذات وصفة الفعل، وذكروا أقوالاً عديدة فيها، لكن المستفاد من مجموع الأدلة النقلية والعقلية أن الفارق بينهما في لزوم الصفة للذات وانفكاكها عنها، فإذا كانت الصفة بحيث يصح توصيف الباري عزَّ وجلَّ بها وبنقيضها، فهي صفة فعل، وإلا فهي صفة ذات.

فالرزق مثلاً صفة فعل؛ لإمكان حصوله وإمكان عدمه، وكذا الرحمة، ويقابلها الغضب، وفي الهداية قال تعالى: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> فالهداية والضلال كلاهما يصح توصيف الباري عزَّ وجلَّ بهما. بينما الحياة لا يعقل انفكاكها عن الذات، ولا يمكن أن تتصف الذات بها وبنقيضها؛ لأن نقيض الحياة الموت، وكذا العلم؛ لأن نقيض العلم الجهل، وهو لا يليق بجنابه، ومثله القدرة؛ لأن نقيضها العجز وهكذا.

### بالدعاء هداية الصراط

وبهذا يتضح: أن الهداية إلى الصراط المستقيم من مختصات المؤمنين الداعين، فمن دون دعاء وتوسل لا يصلون إلى ذلك، وبه يتضح أيضاً سر كثرة الدعاء والمناجاة من الأنبياء والأولياء عليهم السلام لطلب المزيد، فمهما بلغ الإنسان من الخصائص والعقل والعلم فإنه يفتقر إلى هداية ربانية ترشده إلى مصالحه، وتبلغه مقاصده.

ولو هدى الباري عزَّ وجلَّ العبد بالهداية اللطيفة الخاصة رأى واقع

(١) سورة المدثر: الآية ٣١.

الأشياء وملكوتهما، فإذا رأى الذنب وجده ناراً محرقة وسمّاً مهلكاً فيتجنبه بذاته، وإذا لاحظ ما يستلذه أهل المعاصي وجده جيفة متنتة؛ لأن الهداية القلبية كالمصباح الذي يضيء للإنسان ويكشف له الأشياء، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> ونسبة الجعل إليه سبحانه تفيد أنها نوع هداية خاصة، وهداية الباري عزّ وجلّ له تتم بدليل داخلي وآخر خارجي، والداخلي هو نورانية القلب، والخارجي هو الإمام عليه السلام الذي يهتدي به ويستضيء بنور علمه.

وفي نور القلب ورد عن ابن عباس قال: الآية نزلت في حمزة وأبي جهل، فإن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وآله بفرث، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من الصيد وبيده قوس، وكان يومئذ لم يؤمن بعد - أي لم يظهر إسلامه كما يدل عليه ذيل الرواية - فلقى أبا جهل فضرب رأسه بالقوس، فقال أبو جهل: أما ترى ما جاء به! سقّه عقولنا، وسبّ آهتنا، فقال حمزة: وأنتم أسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ونزلت الآية: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ إلى آخر الآية<sup>(٢)</sup>.

وفي الثانية ورد في الكافي أن النور الذي يمشي به في الناس هو الإمام الذي يؤتم به وهو علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٣)</sup>، ومن امتلك الهداية في الدنيا

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٢) نفحات الرحمن: ج ٢، ص ٥٤٠؛ روح المعاني: ج ٣، ص ٩٦.

(٣) الكافي: ج ١، ص ١٨٥، ح ١٣؛ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٨٩.

يملكها في الآخرة؛ لذا يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كما ذكر القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، والنور الذي يسعى أمامهم علمهم ومعرفتهم وبصيرتهم وولايتهم يعبرون بها على الصراط، والنور الذي بأيمانهم القرآن هو وصك الولاية من أمير المؤمنين عليه السلام، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿يسعى أئمة المؤمنين يوم القيامة بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة﴾<sup>(٢)</sup> وبه يتضح أن الصراط الذي في الدنيا وفي الآخرة هو الإمام عليه السلام.

### باتباع الإمام النجاة من الشيطان

وما ينبغي أن نتعلمه من مجموع النصوص الشريفة أن من يهتدي بنور الله سبحانه ويتبع إمامه يعصمه الباري عزَّ وجلَّ من مكائد الشيطان وفخاخه، وربما ارتقى إلى مقام الأولياء، وصار تالي تلو المعصوم عليه السلام، ويشهد لهذه الحقيقة ثلاثة شواهد:

**الشاهد الأول:** أن الباري عزَّ وجلَّ وصف صراطه بالمستقيم، ومعنى ذلك أنه لا عوج فيه، والعوج يأتي من تسويلات النفس وإغراءات الشيطان، والقلوب إذا تحصنت بنورانية الوحي واتباع الإمام المعصوم عليه السلام نجت من الاعوجاج بسببيه.

### إقرار الشيطان بعجزه

**الشاهد الثاني:** أن الشيطان نفسه أقر بأنه عاجز عن إغراء المهتدين؛ إذ قال سبحانه عن لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

(١) إشارة إلى سورة التحريم: الآية ٨، وسورة الحديد: الآية ١٢.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٦٣؛ التفسير الصافي: ج ٥، ص ١٩٧.

أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿١﴾ فقد أقر على نفسه بإقرارين:

أحدهما: أنه يناصب العداة لعباد الله سبحانه ويسعى لتضليلهم بالتزيين والإغواء، ومدخله في ذلك التزيين؛ لأن أهل الأرض يحبون الجمال وشهوات القلب والفخر والتباهي وأمثال ذلك، فيزين لهم المفاسد ويصورها بأنظارهم محاسن، فسفور المرأة يزينه في نظرها أنه انفتاح، والملبس السيء الذي يلبسه الشباب كالملابس الفاضحة والمخروقة وشكل الشعر الذي لو كان في غير هذا الزمان كان معيباً قبيحاً يزينه لأهل هذا الزمان، ويصوره أنه ثقافة وتطور على تعبيرهم، والألعاب في شبكات التواصل ولعب القمار وأمثالها يزينها لهم بأنها تسلية، واتباع الأفكار المنحلة الهادمة للأخلاق والمتخلفة عن الأصالة والقيم يزينها لأهلها بأنها عصرنة وحدثية، والتمسك بالأخلاق والقيم يصوره تعصباً وهكذا.

وهو ما يلمسه المتبع لأفكار وأخلاق أهل الزمان، وقد أقر الشيطان بأنه من الإغواء، وهو الإضلال والخيبة، والغى وادٍ في جهنم<sup>(٢)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾<sup>(٣)</sup> أي ضلالاً وخيبةً ووادياً لهم في جهنم، وهذا ما يجب أن يعرفه الناس ويحرروا أنفسهم من خدع الشياطين.

---

(١) سورة الحجر: الآيتان ٣٩ و ٤٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١، ص ٣٢١ (غوا)؛ معجم الفروق اللغوية: ص ٣٩٢، (١٥٧٧).

(٣) سورة مريم: الآية ٥٩.

## سلطة الشيطان في الأرض

والملفت أنه قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فإذا يعني ذلك؟

والجواب: فيه احتمالان:

### التزيين

أحدهما: أن الشيطان قادر على التزيين لأهل الأرض في الأرض، فإذا صعدوا إلى السماء أو ركبوا البحار فإنه يعجز عن التزيين، ولعل السبب في ذلك أن في الجو والبحر تنجلي الفطرة أكثر ويظهر صوتها ويشده إلى ربه؛ لأنها من مواطن الخطر التي يشعر الإنسان بأنه عاجز فقير لا يملك قدره ولا مصيره، وإنما أمره عند ربه، فإذا حلقت الطائرة في الفضاء يمسكها ويوصلها بسلامة وينجيها من الأخطاء البشرية التي يقع فيها المهندسون والطيّارون والمراقبون، كما ينجيها من العوارض الطبيعية التي تواجه الطائرة؟

لا أحد يمكنه أن يعطي الضمان بالسلامة إلا الله سبحانه، وفي مثل هذا الجو يعجز الشيطان عن التزيين، ومثل ذلك يقال إذا ركب الإنسان البحر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

فغرور الإنسان وتجبره وطغيانه على الأرض، فهي ميدان الشيطان للتزيين لبني آدم وإغرائهم، وأما الفضاء والبحار فهما ميدان الفطرة والانقطاع إلى الله سبحانه، ويعززه أن بعض الذين صعدوا الفضاء وكانوا

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٧.

ملاحظة أو ضعاف الإيمان لما نزلوا إلى الأرض أعلنوا إيمانهم، وكذلك الكثير من الفلكيين والفيزيائيين.

### انحصار سلطته بالأرض

ثانيهما: أن سلطة الشيطان محصورة بالأرض، ولا يقدر أن يغري من يخرج منها، وهم الملائكة وأرواح المؤمنين والمؤمنات التي انتقلت إلى عالم البرزخ، فإن الإنسان إذا خرج من الدنيا تحرر من سلطة الشيطان، وتوجه كله إلى الرحمن، ولكن حيث إنه محمل بأعماله في الدنيا يجب أن يطهر منها بالنار إن كانت سيئة، وينال جزاءها الطيب إن كانت صالحة.

الشاهد الثالث: أن الباري عزَّ وجلَّ تعهد بأن يحفظ عباده الذين يطلبون الهداية أن يهديهم ويمنع عنهم كيد الشيطان؛ لذا قال سبحانه للشيطان لما تعهد بإغواء بني آدم: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup> فصنف الناس إلى صنفين: عباد الله سبحانه وعباد للشيطان، فالذين يتبعون أوامر الله سبحانه ويقتدون بالإمام عليه السلام الذي نصبه لهم يحصنهم الله سبحانه من الشيطان، وأما الذين يعصون أوامر الله سبحانه ولا يتبعون الإمام عليه السلام فإنهم حصة الشيطان سيغويهم ويقودهم إلى جهنم.

وبذلك يتضح أن العبادة والطاعة لله سبحانه ولأوليائه تعصم أهلها من الذنوب والمعاصي، وتفطمهم من نار جهنم بنورانية القلوب ونورانية

---

(١) سورة الحجر: الآيات ٤١ - ٤٣.

الإمام والحصانة الإلهية.

## التعليم الرابع: مزايا الهداية العقلية والقلبية

الهداية الإلهية للبشر لها ركيزتان:

الأولى: إرائية عقلية تقوم على إراءة العبد تجليات قدرة الله سبحانه وحكمته في آيات ربه الآفاقية والأنفسية، وترسيخ هذه الهداية في القلب، وعلى أساسها يفكر ويعمل ويعتقد، وتتميز بخمس بمزايا:

أولها: أنها تحاكي أهل العقول والبحث العلمي والذين يتحرون عن الدليل المنطقي في الأشياء، فخصوصيتها أنها تنتقل من العقل إلى القلب، ثم تظهر على الجوارح.

ثانيها: أنها تقوم على إثبات أصل الوجود لا تفاصيله، وتتوقف عند حدود الاعتقاد بالخالق عز وجلّ وبعلمه وقدرته.

وثالثها: أنها إرائية لا إيصالية.

ورابعها: أنها قد تصل عند حد وتتوقف عند حد العلم واليقين.

وخامسها: أنها لا تكفي في الإيمان والعبادة إلا بالهداية الثانية.

وإليها يشير قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> فتعهد الباري عز وجلّ بأنه سيرى العباد آياته وأدلة توحيده في الآفاق، وهي أقطار

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

السموات والأرض، وإظهار عجائبها وخصائصها وبيان وجه الترابط فيها وعجائب خلقهم أنفسهم ليكتمل الدليل لديهم ببرهانين: وجداني نفسي وخارجي، والغاية من ذلك إظهار حقانيته في وجوده وكماله وجلاله، وإحاطته بالأشياء طراً، وفي ذلك دلالة على أمور:

أحدها: أن دلائل وجود الله سبحانه وتوحيده وجماله وجلاله ظاهرة في كل شيء.

ثانيها: أن الإرشاد إلى هذه الدلائل يتم بأمر الله سبحانه وإيجائه وإلهامه لهم وإفهامهم إلى جوانب العظمة في كل شيء، وهذا يؤكد ما ذكرناه من أن العلم الذي يملكه العلماء ليس من عند أنفسهم، وإنما من الله سبحانه ويفيضة عليهم بالإلهامات والإيجاءات والإلفات، وحفظه في أذهانهم وإرشادهم إلى أسرارهم، والآية تشير إلى أن علوم الطبيعة وعلوم الأحياء وعلوم النفس وكل ما في العالم من علوم ومعارف هي هداية إلهية للبشر هو الذي يرشدهم إليها ويريهم آياته فيها.

ثالثها: أن هذه الهداية الإلهية إرائية ترى العباد الحقيقة، فإذا لم يزيلوا المانع منها لا يصلون إليها، وقد كان بعض الكفار والمنافقين يستمعون لكلام الله سبحانه وبيانات النبي ﷺ وأذانهم مفتوحة للسمع، لكن أذهانهم تأبى الاستماع لاتباعهم الهوى. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> فهم أوجدوا في

(١) سورة محمد: الآية ١٦.

أنفسهم المانع من الاهتداء، ولذا ما كانوا يفهمون الكلام، أو كانوا يفهمونه ولكن نفوسهم الشريرة تتأباه وتنفر منه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿إنا كنا عند رسول الله فيخبرنا بالوحي، فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال أنفأ؟<sup>(١)</sup> أي قبل قليل، فأجسادهم كانت حاضرة في المجلس لكن قلوبهم وعقولهم ليست فيه، بينما كان الصحابة الخالص الذين أتوا العلم يستمعونه ويهتدون به، فالنور هو النور، والهادي هو الهادي، إلا أن هؤلاء أوجدوا المانع فطبع الله سبحانه على قلوبهم.

### أركان الهداية القلبية ومزاياها

والثانية: إيصالية قلبية، وتقوم على أربعة أركان هي: القرآن والدين والمعصوم عليه السلام والعالم الرباني كما تضافر في النصوص، فإن الباري عز وجل يهدي عباده إلى الصراط المستقيم بواسطة هذه الأربعة، وهي هداية أعلى من الأولى رتبة، لكنها تأتي بعدها في الوجود، وتتميز بخمس مزايا:

أولها: أنها تحاكي القلوب قبل العقول، وتتجلى على الجوارح، ويتمسك بها أهل الخضوع والتسليم الذين ينطلقون لفهم الحقائق من الحب والرغبة.

ثانيها: أنها تفصيلية تخوض في تفاصيل الحقائق، ولا تتوقف عند أصل الوجود.

وثالثها: أنها إيصالية إلى المطلوب.

ورابعها: أنها لا تتوقف عند حد، وتتوغل في مراتب اليقين، وتتزايد نوراً بعد نور.

---

(١) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٦٩، التفسير الصافي: ج ٥، ص ٢٤.

وخامسها: أن عليها يقوم الإيـمان الحقيقي والعبادة المقبولة عند الله سبحانه، فإن الهداية الإرشادية يشترك فيها عموم الناس حتى أهل الكتاب والمخالفون، وكل من يؤمن بالله سبحانه، إلا أن العبودية الحقيقية لله سبحانه تكون بالإذعان والاستجابة للهداية الإيصالية المتواصلة في كل وقت وأن.

وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾<sup>(١)</sup> فهي هداية مستمرة تأتي نوراً بعد نور، والهدايات الأربع تتلخص بالإمام المعصوم عليه السلام؛ لأنه العلة الفاعلية والغائية لها، فبالإمام تظهر خصائص القرآن ومعانيه، وبه تعرف أحكام الدين وحدوده، وبالإمام تثبت مكانة العالم الرباني لأنه انعكاس لتعاليمه وسيرته.

فلا يكفي في الهداية أن الإنسان يؤمن بالدين أو بالقرآن ولا يؤمن بالإمام عليه السلام ويدعن بقلبه له، فإن العزوف عن الإمام عليه السلام إيماناً واتباعاً ضلالة، وإلى ذلك يشير في قوله: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾<sup>(٢)</sup> إذ جعلت الآية التوبة والإيمان بالله سبحانه والعمل الصالح - أي العبادات - في كفة والاهتداء بعدها في كفة أخرى، وقد عطفت الهداية على الإيمان والعمل الصالح ب (ثم) لإفادة التعاقب، وبيان أن خصائص الإيمان وآثاره لا تظهر إلا بالاهتداء، والسؤال أن المؤمن العامل للصالحات مهتد، فلماذا قال: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾؟

(١) سورة محمد: الآية ١٧.

(٢) سورة طه: الآية ٨٢.

والجواب: أن الإيمان والعمل الصالح نصف الهدى، والهداية الكاملة تتم بالاهتداء، و(الاهتداء) يتضمن زيادة في المباني، فيدل على أنه هداية خاصة تفوق هداية الإيمان والعمل الصالح، وتتوقف على مؤونة عملية في الفحص والتحري لأجل الوصول إليها، ومؤونة قلبية في الإذعان والتسليم لها، وهي ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام كما تضافرت به الأخبار الشريفة.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في معنى الآية قال: ﴿ألا ترى كيف اشترط ولم تنفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدي قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا﴾<sup>(١)</sup>.

وعن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله قال في حديث لعلي عليه السلام: ﴿ولقد ضلّ من ضلّ عنك ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إليك وإلى ولايتك، وهو قول ربي عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ يعني: إلى ولايتك﴾<sup>(٢)</sup>.

### يجب معرفة شخص الإمام

وفيه إشارة إلى وجوب الاهتداء إلى الولاية والولي معاً والإمامة والإمام، فلا يكفي الإيمان بالإمامة والولاية دون الاهتداء إلى ذات الولي والإمام؛ لسد باب الدجالين والمتلبسين، وهو من مراتب الهداية الإيصالية، ويؤكد هذه قول الإمام الباقر عليه السلام وهو مستقبل البيت: ﴿إنّما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا، وهو قول الله تعالى:

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٦١؛ التفسير الصافي: ج ٣، ص ٣١٤.

(٢) الأمالي (للصدوق): ص ٥٨٣، ح ٨٠٣؛ التفسير الصافي: ج ٣، ص ٣١٤.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ثم أوماً بيده إلى صدره وقال: إلى ولايتنا<sup>(١)</sup> وفيه إشارتان مهمتان:

الأولى: أن القيمة الحقيقية للطواف بالبيت ليست بالأحجار والمظهر الخارجي، بل للروح المعنوية التي يمثلها، وهي الإيمان بالله سبحانه وبمن نصبه حجة على الخلق وهو الإمام عليه السلام، فالذي يطوف بالبيت ولا يؤمن بهذه الحقيقة يطوف بالأحجار ولم يطف بالبيت.

### وجوب الإعلان بالولاية

والثانية: أن الإعلان بولايتهم وإظهارها في محضرهم من لوازم الإيمان، وفي عصر الظهور يتعين على أهل الإيمان الحضور عندهم وإعلان ذلك، وفي هذا الزمان ينبغي إعلان ذلك في محضر حجة الزمان عجل الله فرجه الشريف، فإننا محجوبون عنه، أما هو فحاضر عالم بما نخفي وما نعلن بإذن الله، ويمكن إعلان ذلك بالرجوع إلى العلماء الربانيين الذين نصبهم الإمام عليه السلام حجة على الناس من بعده، فلولا الهداية والاهتداء إلى الإمام عليه السلام لا تكون هداية، ولا يكون السبيل الذي يسلكه الإنسان صراطاً مستقيماً، وهو ما قرره الإمام الباقر عليه السلام بقوله: ﴿ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يحى بولايتنا لأكبّه الله في النار على وجهه﴾<sup>(٢)</sup> والقسم و (لام) التأكيد

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٩٣، ح ٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٧، ص ٤٥؛ التفسير الصافي: ج ٣، ص ٣١٤؛ البحار: ج ٢٤، ص ١٤٩، ح ٢٩.

يفيدان حتمية النتيجة، وأن العبادة ليست بالحركات والأفعال والمناسك مجردة عن الهداية القلبية إلى الإمام عليه السلام، فالذي يدير وجهه ويعرض عنها يكبه الله تعالى على وجهه، وهو الجزء المسانح لعمله، فلا ينبغي أن ينخدع الإنسان بالمظاهر؛ لأن الدين بالجواهر واللب الذي يقوم على الولاية والتسليم القلبي لها.

ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفون حتى تصدقوا، ولا تصدقون حتى تسلموا، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً. إن الله لا يقبل إلا العمل الصالح، ولا يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والوعود، فمن وفى الله تعالى بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده، واستكمل وعده. إن الله تعالى أخبر العباد بطرق الهدى، وشرع لهم فيها المنار، وأخبرهم كيف يسلكون فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup> فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد عليه السلام، هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا، وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون﴾<sup>(٢)</sup>.

### ثلاث نظريات باطلة

وهذا ما يجب أن يعلمه الناس ويسعوا إليه، وبه تبطل ثلاث نظريات للعامّة:

الأولى: أن الخلافة تكون باختيار الأمة، وأنها من فروع الدين.

(١) سورة المائدة: الآية ٢٧.

(٢) الكافي: ج ١، ص ١٨٢، ح ٦؛ التفسير الصافي: ج ٣، ص ٣١٥.

الثانية: أن النجاة في الآخرة باتباع الصحابة، وفي المقابل تثبت نظرية الإمامية في أن الفرقة الناجية التي نص عليها النبي ﷺ في أحاديث عديدة، وقال: ﴿ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها في الجنة والباقي في النار﴾<sup>(١)</sup> هي التي تؤمن بالله، وتعمل صالحاً بهداية أمير المؤمنين عليه السلام، وأولاده الطاهرين.

الثالثة: تفسيرهم للصراط المستقيم بأنه رسول الله ﷺ وصاحبه ومن بعده<sup>(٢)</sup>، فإنها نظرية باطلة من وجوه:

أحدها: أنها قائمة على الادعاء؛ إذ لا شك في أن رسول الله ﷺ صراط مستقيم، والأدلة العقلية والنقلية متضافرة فيه، ولكن ما الدليل على أن صاحبيه من بعده أيضاً صراط مستقيم؟ فهي صرف ادعاء.

ثانيها: أن الدليل النقلى يكذبها لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام.

ثالثها: أن الدليل العقلي يبطل الدعوى المذكورة؛ لأن الصراط المستقيم لا عوج فيه ولا اختلاف ولا جهل، ولا شيء من ذلك ثابت لصاحبيه، بل هما أقرأ على نفسيهما في موارد عديدة بخطئها وجهلها واحتياجها إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام في المعضلات والفتن<sup>(٣)</sup>، فكيف

(١) انظر الفوائد الطوسية: ص ٢٦٦.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن: ج ١، ص ١٤٧.

(٣) انظر أسد الغابة: ج ٤، ص ٢٢ - ٢٣؛ مسند أبي بصير: ج ١، ص ٣٨٥، ح

٦٦٩؛ الكافي: ج ٧، ص ٢١٧، ح ١٦.

يكون المفتقر المحتاج صراطاً مستقيماً؟

### التعليم الخامس: ما غفل عنه المسلمون

إن الآية المباركة تدل على حقيقتين هامتين غفل عنهما بعض المسلمين فوقوعوا في تيه:

### علم النبي والإمام عليهما السلام

الحقيقة الأولى: أن النبي والإمام عليهما السلام عالمان بكل المصالح والمفاسد التي تتعلق بالوجود، وهما معصومان من كل خطأ ونقص وجهل، وهما حجة مطلقة على كل ما سوى الله سبحانه، وهذه مما تواترت بها الأدلة النقلية وقررها البرهان العقلي من وجوه عديدة، أذكر منها وجهين:

الوجه الأول: لا خلاف في أن الصراط المستقيم هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد له بذلك الباري عزَّ وجلَّ في آيات عديدة. قال تعالى: ﴿يَسْ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وشهد له بأنه يدعو إلى صراط مستقيم، وهو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما نص القرآن على وجوب الأخذ بما جاء به النبي وأمر به، فما جاء به هو التصريح بأن ولاية علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ الصراط المستقيم، ويترتب على ذلك ثلاثة آثار:

الأول: أن يكونا عالِمين بالحقائق وإلا بطلت الهداية.

الثاني: أن يكونا معصومين وإلا بطلت الاستقامة.

---

(١) سورة يس: الآيات ١ - ٤.

الثالث: أن يكونا حجة على العوالم بمقتضى العلم والعصمة.

الوجه الثاني: أن الباري عزَّ وجلَّ علّم العباد وأمرهم بأن يسألوه الهداية للصرّاط المستقيم، وحينئذٍ نسأل أن الصراط المستقيم لا يخلو من احتمالين:

أحدهما: أن يكون هو طريق النبي ﷺ وسيرته وسنته.

ثانيهما: أن يكون غيره، والثاني باطل بالضرورة باتفاق الكلمة، فيتعين الأول، وقد عيّن رسول الله علياً عليه السلام هادياً ومرشداً من بعده بتواتر الأخبار وباجتماع الأدلة العقلية عليه لكفاءته وعلمه وجهاده وأكملته من سائر الصحابة، وعدم نص النبي ﷺ في الإمامة والخلافة على غيره، ولازم ذلك أن يكون الصراط المستقيم هو صراط علي عليه السلام، وصرّاط غيره ليس بمستقيم، وكون صراطه مستقيماً يقتضي أن لا يقع في جهل أو خطأ أو نسيان، وهو معنى العلم والعلمية، كما يقتضي وجوب اتباعه، وهو معنى الحجية، فعلى المسلم أن يعرف أين يضع قدمه وخلف أي إمام يمشي؟

### لا يفسر القرآن إلا المعصوم

الحقيقة الثانية: أن القرآن الكريم لا يفسره ويعرف ظاهره وباطنه ويوصل إلى مقاصده إلا النبي والإمام عليه السلام، فطريقة بعض مفسري المسلمين القائمة على بيان معانيه بالآراء والظنون والاستحسانات خروج عن الصراط المستقيم، ولا يمكن أن توصل العباد إلى صواب.

ويعزز ذلك العقل من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: ما نصت عليه الآيات وتواتر في الأخبار من أن للقرآن

أهلاً وعلماء راسخين في العلم هم عدل القرآن، ولا يفهم القرآن إلا هم، ولا يجوز أخذ معانيه إلا منهم، وأن التمسك بالقرآن وبهم يلزم الهدى، والتفكيك بينهما يلزم الضلال، وهم عترة النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

الوجه الثاني: أن القرآن معصوم من الخطأ وكاشف عن الحقائق والواقعات، والحقيقة واحدة لا تتعدد ولا تختلف، فإما أن يصل إليها البشر أو يجهلها، وحيث إن غير المعصوم يجهل ويغفل ويخطئ فلا يمكن أن يكون مفسراً للقرآن، فيتعين أن يكون المعصوم عليه السلام.

الوجه الثالث: ما ثبت بالتواتر التاريخي أن جميع الناس احتاجوا إلى عترة النبي عليه السلام في فهم معاني القرآن ورجوعهم إليهم، ولم يثبت حتى مورد واحد رجع فيه عترة النبي عليه السلام إلى غيرهم، كما تواتر في الأخبار أن كل العلماء وذوي الرأي يسكتون إذا ورد بيان من العترة الطاهرة عليهم السلام في شرح الآيات وبيان معانيها، وشواهد ذلك كثيرة.

### بين الإمام الصادق عليه السلام وأبي حنيفة

منها: ما رواه الصدوق في العلل بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة: «أنت فقيه أهل العراق؟ فقال: نعم. قال: فيم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه. قال: يا أبا حنيفة! تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: نعم. فقال: يا أبا حنيفة! لقد ادعيت علماً، وملك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذي أنزله عليهم، وملك وما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلوات الله عليهم، وما أراك تعرف من كتابه حرفاً، فإن كنت كما تقول ولست كما تقول فأخبرني عن قول الله تعالى:

﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> أين ذلك من الأرض؟ قال: أحسبه ما بين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال: تعلمون أن الناس يقطع عليهم ما بين المدينة ومكة فتؤخذ أموالهم، ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون؟ قالوا: نعم، فسكت أبو حنيفة!! فقال: يا أبا حنيفة! أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾<sup>(٢)</sup> أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة. قال: أفتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها؟ فسكت، فقال أبو بكر الحضرمي: جعلت فداك الجواب في المسألتين؟

فقال: يا أبا بكر ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فقال: مع قائمنا أهل البيت، وأما قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقد أصحابه كان آمناً<sup>(٤)</sup>.

وتضمنت دلائل عديدة:

### لماذا سكت أبو حنيفة؟

الأولى: أن أبا حنيفة بسكوته مقابل قول الإمام عليه السلام ﴿ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذي أنزله فيهم﴾ دليل على أن القرآن نزل على العترة الطاهرة عليهم السلام، وأنهم هم أهل الكتاب، كما أقر على نفسه بأنه لا يعرف من

(١) سورة سبأ: الآية ١٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٣) سورة سبأ: الآية ١٨.

(٤) علل الشرائع: ج ١، ص ٨٩-٩١، ح ٥.

كتاب الله تعالى حرفاً، والشاهد على ذلك سكوته وتفسيره الخاطيء للآية.  
الثانية: أن قول أبي حنيفة (أحسبه ما بين مكة والمدينة) شاهد على أنهم  
يفسرون القرآن بالرأي والظنون لا بالعلم.

### شرطان لحجية الظهور القرآني

الثالثة: أن المعنى الظاهر من القرآن الذي قد يتبادر إلى ذهن المفسر أولاً  
ليس معتبراً؛ لعدم الملازمة بين المعنى الظاهر والمعنى المقصود، ولإمكان  
اختلاف الإرادة الاستعمالية عن الجدية، فلا يعتبر المعنى الظاهر من القرآن  
إلا بشرطين:

أحدهما: أن يرجع إلى الروايات الشريفة والنظر في بيانها، فإن كان لها  
بيان مغاير أخذ بها كما ظهر في بيان الإمام الصادق عليه السلام المعنى السير  
والأرض ومكان الأمن.

ثانيهما: أن لا يوجد مانع عقلي أو شرعي من الأخذ بالظاهر.

ونلاحظ أن الإمام عليه السلام ربط بين آيتين متباعدتين في وجودهما

إحدهما في سورة سبأ، والأخرى في آل عمران، إلا أن معنى كل واحدة  
منهما مكمل للمعنى الأخرى، وهذا ما لا يعرفه إلا المعصوم عليه السلام.

وشبيه هذه الحادثة وقعت بين الإمام الباقر عليه السلام وفتادة، وهو من  
مشاهير محدثي العامة ومفسريهم<sup>(١)</sup>، كما وقعت بين بعض قضاة الكوفة مع

---

(١) انظر الكافي: ج ٨، ص ١١١، ح ٤٨٥.

الإمام زين العابدين عليه السلام<sup>(١)</sup> ، وكانت المحاوره بذات السياق، وأسكتوها وأبطلوا منهجها القائم على تفسير القرآن بالرأي والظنون.

### بين الإمام الباقر عليه السلام والحسن البصري

وأشد ذلك ما وقع من محاوره بين الإمام الباقر عليه السلام والحسن البصري رئيس القدرية (مقابل الجبرية)، فقد روى أبو حمزة الثمالي قال: أتى الحسن البصري أبا جعفر عليه السلام، فقال: جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله، فقال له أبو جعفر: ﴿ألست فقيه أهل البصرة؟ قال: قد يقال ذلك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟ قال: لا. قال: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟ قال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: سبحان الله لقد تقلدت عظيماً من الأمر. بلغني عنك أمرٌ فما أدري أكذلك أنت أم يُكذب عليك؟ قال: ما هو؟ قال: زعموا أنك تقول: إن الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم؟ قال: فسكت، فقال: رأيت من قال له الله في كتابه: (إنك آمن) هل عليك خوف بعد هذا القول منه؟ فقال الحسن: لا فقال أبو جعفر عليه السلام: إني أعرض إليك آية وأنهى إليك خطاباً، ولا أحسبك إلا وقد فسرتة على غير وجهه، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت لا فقال له: وما هو؟ فقال: رأيت حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الاحتجاج: ج ٢، ص ١٣٩.

(٢) الاحتجاج: ج ٢، ص ٦٢ - ٦٣.

يا حسن! بلغني أنك أفتيت الناس فقلت هي مكة ! فقال أبو جعفر عليه السلام: فهل يقطع على من حج مكة؟ وهل يخاف أهل مكة؟ وهل تذهب أموالهم؟ قال: بلى. قال: فمتى يكونون آمنين؟، بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ، فمن أقرَّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ والقرى الظاهرة الرسل، والنقلة عنا إلى شيعتنا، وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا، وقوله: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ والسير مثل للعلم، ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾ مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيام عنا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام ﴿آمِنِينَ﴾ فيها إذا أخذوا منه، آمنين من الشك والضلال، والنقلة من الحرام إلى الحلال؛ لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذه إياه عنهم بالمعرفة؛ لأنهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا. ذرية مصطفاة بعضها من بعض، فلم ينته الاصطفاء إليكم بل إلينا انتهى، ونحن تلك الذرية المصطفاة، لا أنت ولا أشباهك يا حسن، فلو قلتُ لك حين ادعيت ما ليس لك وليس إليك يا جاهل أهل البصرة لم أقل فيك إلا ما علمته منك، وظهر لي عنك، وإياك أن تقول بالتفويض، فإن الله جلَّ وعزَّ لم يفوض الأمر إلى خلقه وهنا منه ولا ضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً... إلى آخر الخبر <sup>(١)</sup>.

وتضمنت إشارات مهمة:

(١) سورة سبأ: الآية ١٨.

## لماذا قدم الحسن على الإمام؟

الأولى: أن الحسن البصري هو الذي قدم على أبي جعفر عليه السلام ليسأله عن أشياء في كتاب الله تعالى بالرغم من زعمه أنه فقيه البصرة، والبصرة يومذاك كانت ذات مساحة واسعة ربما تشمل بعض مناطق الخليج وإيران في هذا الزمان، ومعناه أنه لم يجد في كل هذه المقاطعة من ينفعه في علوم الكتاب إلا الحضور عند الإمام الباقر عليه السلام.

وقوله عليه السلام: ﴿فجميع أهل البصرة يأخذون عنك﴾ إقرار منه عليه السلام بإطباق الناس على الرجوع إليه، وعدم وجود من ينافسه في ذلك، ومعنى ذلك أن أعلم علماء البصرة الكبيرة من المخالفين لا يعرف الكتاب العزيز ويحتاج إلى الإمام عليه السلام في فهمه.

## أدب الإمام الباقر عليه السلام

الثانية: قوله عليه السلام: ﴿فما أدري أكذاك أنت أم يُكذب عليك﴾ لا يريد نفي العلم، وإنما يعني أمرين:

أحدهما: انتزاع الإقرار منه.

وثانيهما: مراعاة أدب الحوار.

والملفت أن الإمام عليه السلام لما قال له الأمر الذي نسب إلى الحسن البصري وهو القول بالتفويض سكت الحسن مع أنه زعيم المفوضة! وسكوته لا يخلو من أحد سببين:

الأول: أنه يعلم في داخله أنه على ضلالة لكنه يقول قوله لأجل الرياسة،

كما ورد ذلك في سيرته كما سأشير إليه، ومن يدعي الاعتقاد يسكت عند أول مجادلة بخلاف المعتقد فإنه يحاور ويأخذ ويرد.

الثاني: أنه يعلم بأن حجته مهما قويت فإنها تصبح هباءً في مقابل حجة الإمام عليه السلام، فما أراد أن يظهر بطلان رأيه وفساد أمره في الملاء الحاضر أكثر مما ظهر.

الثالثة: أن الحسن البصري أقرّ بأنه يفسر القرآن على غير وجهه استناداً إلى رأيه وظنونه بسكوته عن قول الإمام عليه السلام: ﴿فسرته على غير وجهه﴾ وذكر الإمام عليه السلام له مصداق نهجه الخاطيء بالسؤال عن معنى القرى، فأخذ بما تبادر إلى ذهنه أولاً، فأفتى الناس فتياً باطلة، وقال هي مكة، مع أن المنطق والعقل يقضيان بعدم صحة ذلك، فإن الآية لو تحمل على مكة وهو المعنى الذي ذكره الحسن تكون جملة خبرية كاذبة، وقد كذّبها الإمام عليه السلام بواقع الحال، فأشهد عليه أصحابه وسكت عنها الحسن، ولما فسر القرى بالأئمة عليهم السلام سكت عنها الحسن.

### لماذا وصف الأئمة والعلماء بالقرى؟

الرابعة: أن الإمام فسر القرى المباركة بالأئمة عليهم السلام، والقرى الظاهرة برسلمهم والعلماء من شيعتهم، ونص على أن فقهاء الشيعة هم واسطة الأئمة عليهم السلام إلى الشيعة، والقرى التي أمر الناس بالرجوع إليهم، ويسيرون إليهم ليأخذوا منهم ولو طال بهم المسير، والوجه في توصيف الأئمة عليهم السلام والفقهاء بالقرى هو وحدة الأثر، فإن القرية في أصلها من قرأ أي قصد،

يقال قرا فلاناً أي قصده وتتبع أثره ونظر أعماله <sup>(١)</sup>، وأطلقت على الضيعة بهذا الاعتبار، فإن القرية تتميز بثلاث مزايا:

الأولى: أنها موضع اجتماع الناس ومحل أمنهم وسكناهم.

الثانية: أنها موضع الكلاً والماء والانتفاع.

الثالثة: أنها خصبة في إنتاجها سواء كانت زراعية أو حيوانية أو صناعية.

وفي اللغة: القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها من المقيمين والضيوف <sup>(٢)</sup>، وفي مجمع البحرين سميت المدينة والضيعة بالقرية لأن الماء يقرى فيها أي يجمع <sup>(٣)</sup>، فيروى منه والداخل والخارج هذا في الماديات، والإمام ناسب وصفها في المعنويات؛ لأنه محل اجتماع العقول والقلوب، ومصدر النفع والخير والأمن والسكينة.

والعالم الذي يتبع الإمام كذلك، سوى أن الإمام قرية مباركة؛ لأن خيره عام وشامل، ومنه يتبع كل خير، وأما العالم فهو قرية ظاهرة؛ لأنه في متناول الجميع؛ لأن العلماء موزعون في كل بلد ومكان، وهم سفراء الأئمة عليهم السلام.

### علم القرآن عند المعصوم

الخامسة: قوله عليه السلام: ﴿لا أنت ولا أشباهك﴾ لبيان أن علم القرآن لا يؤخذ من القاصرين الجاهلين، ولا يعرف بالآراء والظنون، بل يهتدى إليه بالإمام المعصوم عليه السلام، وأما قوله: ﴿يا جاهل أهل البصرة﴾ فلعله لسبيين:

(١) المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٧٣١، (قرا)؛ مفردات الراغب: ص ٦٦٩، (قري).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٧٨، (قري).

(٣) مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٣٩، (قرا).

الأول: لأنه أقر على نفسه بالجهل، فهو وصف الحال الواقع وليس اتهاماً أو إصافاً.

الثاني: لأن الحسن كان ممن يستحق الذم، فضلاً عن عقيدته الباطلة التي أسس لها جماعة المفوضة التي ضللت الناس فقد ذكروا في أحواله أنه كان يتزهد ويتظاهر به طلباً للرياسة في مقابل الأئمة عليهم السلام.

وذكر ابن أبي الحديد: إن الحسن البصري كان ممن يبغض علياً ويذمه، وكان من المخدلين عن نصرته عليه السلام، وكان ممن دعا عليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «أطال الله حزنك» قال أيوب السجستاني: فما رأينا الحسن قط إلا حزيناً، كأنه رجع عن دفن حميم أو خربندج - مكاري - ضل حماره، فقلت له في ذلك، فقال: عمل فيه دعوة الرجل الصالح عليه السلام <sup>(١)</sup>، ويبدو أن سؤاله كان في زمان تقية لذا لم يصرح باسم الإمام عليه السلام.

والنتيجة: أن النبي والإمام عليه السلام هما الصراط المستقيم حتى للقرآن؛ إذ لا يعرفه على معناه الحقيقي إلا هما، فيجب الرجوع إليهما في التفسير والفقهاء وسائر العلوم.

### التعليم السادس: هل الهداية تنافي الأسباب الطبيعية؟

قد يتساءل البعض عن الهداية الإلهية للبشر وهل تنافي مع الأسباب الطبيعية؟ وبيان ذلك: لا شك أن الباري عزَّ وجلَّ جعل العالم قائماً على نظام

---

(١) انظر البحار: ج ٤٢، ص ١٤٣، ح ٥؛ شرح فروع الكافي: ج ١، ص ١٩٥؛ شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩٥؛ تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٣٠، الهامش (٢).

السببية، فلا يحدث شيء في الوجود صدفةً أو عبثاً وبلا حكمة، وهذا النظام يقتضي أن يختار الإنسان ما يوصله إلى مصالحه بطريق الأسباب، فإن أراد التعليم وجب أن يتعلم، وإن أراد الإيمان وجب أن يعمل لذلك، وإذا أراد الرزق وجب أن يحصله وهكذا.

فنظام السببية يستدعي السعي والعمل الدؤوب للوصول إلى الغايات، والله سبحانه ذكر في كتابه العظيم أن سعادة الإنسان وشقائه باختياره، وأنه سبحانه يجازيه على أعماله واختياراته؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(١)</sup> وقال عز وجل: ﴿أَنْي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن الباري عز وجل هو الهادي للإنسان في كل تفاصيل وجوده بأقسام الهدايات الخمسة المتقدمة، وهو يقتضي إلغاء نظام السببية، وأن الإنسان في كل صغيرة وكبيرة يستعين بالله سبحانه لبلوغ غاياته، فيسأل الله العلم ولا يتعلم، ويسأله الإيمان ولا يبحث عنه، ويسأله الرزق والشفاء ولا يعمل ولا يطلب شفاؤه، فقانون السببية الذي هو من الضرورات التي قامت عليها الأدلة العقلية والنقلية يتنافى مع قانون الهداية الإلهية، وقد نصت الآيات الشريفة أن كل شيء بيد الله سبحانه وهدايته.

والجواب عنه: من وجهين نقضي وحلي

---

(١) سورة النجم: الآية ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

أما النقض فبمثل الدعاء والمناجاة، فإنه قد يبطل قانون السببية، فما يقال في الدعاء يقال في الهداية.  
وأما الحل فمن وجوه:

الوجه الأول: أن نظام السببية هو الآخر جزء من نظام الهداية؛ لأنه الهداية التكوينية التي يهدي بها الله سبحانه عباده إلى مصالحهم، فتوقف التعليم على التعلّم، والرزق على العمل، والشفاء على استعمال الدواء هو بنفسه نظام تكويني، وهداية في الخلق والإيجاد جعلها الباري عزّ وجلّ، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(١)</sup>.

فإنه سبحانه جعل في البشر خاصية العلم والتعلّم، وفي العمل خاصية الرزق، وفي الدواء خاصية الشفاء وهكذا، فلا تنافي بين القانونين.

### الهداية مكملة للسببية

الوجه الثاني: أن قانون الهداية هو الجزء المكمل لنظام السببية، فإن كل سبب حتى يكون سبباً مؤثراً للأثر يجب أن تتوفر فيه سائر أجزاء السببية من وجود المقتضيات وارتفاع الموانع وتوفر الشروط، فمثلاً حتى يشفى الإنسان من مرضه يجب أن تتوفر المقتضيات، وهي وجود المرض والطبيب والدواء المناسب للعلاج، وصحة تشخيص الطبيب وصحة وصفه للدواء، ووجود الخاصية الفاعلة في الدواء لمعالجة المرض، كما يجب أن ترتفع الموانع وتوفر الشروط بأن يرغب المريض

---

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

بالعلاج ويراجع الطبيب، ويستعمل الدواء الذي وصفه الطبيب بمواعيده وضوابطه، ويحْتَنَبُ كل ما يبطل مفعول الدواء، وهذه كلها عمليات يسهل قولها باللسان، لكنها في واقعها عمليات كثيرة تفاعلية بعضها يتعلق بالطبيب وبعضها بالدواء وبعضها بالمريض.

والشفاء لا يحصل بتمامه إلا إذا اجتمعت جميع أجزاء العلة، وهذه لا تتحقق بمفردها ولا بالصدفة ولا بإرادة الطبيب ولا المريض، بل بإرادة الله سبحانه، فهو الذي يوجد المقتضيات، وهو الذي يزيل الموانع، ويعين على تحقيق الشروط، وهذا الإيجاد والرفع هداية تكوينية إلهية، وجميع الحوادث والوقائع خاضعة لهذه المعادلة، فالهداية الإلهية لا تنافي قانون السببية بل تكمله وتعطيه فاعليته؛ لذا يعلم الباري عزَّ وجلَّ عباده في أنهم إذا أرادوا شيئاً أن لا يتوكلوا على الأسباب الطبيعية وحدها، ولا يثقوا بقدراتهم وحدها، بل عليهم أن يسلكوا سبيل الأسباب، ويلجئوا إلى الله سبحانه بالدعاء والتوسل والتقرب لأجل تحصيل النتائج الفاضلة بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> وذلك لأن فعل الإنسان ليس هو العلة التامة لوقوع ما يريد، وإنما جزء العلة، فإذا عمل وهياً المقدمات وأذن الله سبحانه وقع، وإلا لم يقع شيء، وهذا ما تقرره الأخبار الواردة في معنى الآية<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الكهف: الآيتان ٢٢ و ٢٤.

(٢) انظر نفحات الرحمن: ج ٤، ص ١٢١.

## كيف يصل الكفار إلى مصالحتهم؟

إن قلت: هذا يتصور في المؤمنين لكننا نرى أن الكفار والعصاة يسلكون سبيل الأسباب ويصلون إلى غاياتهم.

والجواب: أن هذا أيضاً من الله سبحانه.

أولاً: لأن الهداية التكوينية مقتضى العدل الإلهي، ومقتضى الرحمة واللفظ، وكلاهما من سنن الله سبحانه في الوجود، فلا يظلم ربك أحداً، أي يبخسه حقه أو ما يستحقه.

ثانياً: أنه سبحانه جعل الدنيا دار اختبار وابتلاء، وهذا يقتضي أن يختار الإنسان مصيره بنفسه ويعمل بإرادته.

لكن هناك فروقاً بين المؤمن والكافر في ذلك:

الأول: أن المؤمن حينما يلجأ إلى الله سبحانه ينال السكينة والاطمئنان وراحة النفس والضمير.

الثاني: أنه ينال الثواب والبركة فيما ينال في الدنيا.

والثالث: أنه ينال الأجر الأخروي حتى في صورة عدم التوفيق، أما الكافر ففاقد لهذه الثلاثة، فاللجوء إلى الله سبحانه والاهتداء بهديه يوصل الإنسان إلى أفضل مصالحه مادياً ومعنوياً.

وثالثاً: ليس دائماً غير المؤمنين يبلغون غاياتهم، فهم كسائر الناس لهم نجاح وفشل، وخطأ وصواب، ولعلمهم في موارد الإصابة اتكلوا على الله سبحانه بحسب عقيدتهم، والله سبحانه يعطيهم على حسب ما يعتقدون،

ولا يكافئهم على ما يجهلون، بل بحلمه وحكمته ورحمته، وقد ورد أن لكل امرئ ما نوى<sup>(١)</sup>، وأن الله سبحانه لا يضيع عمل عامل<sup>(٢)</sup>، وأن الإنسان ينال ما إليه<sup>(٣)</sup>؛ لأنه سبحانه يعامله على حسب نيته وقصده لا على صوابه وخطئه إذا لم يقصر، كما أن المؤمن حينما لا يصل بعمله قصر في الاتكال على الله سبحانه، وغفل عن اللجوء إليه، فلا قاعدة كلية لما ذكر، بل الكل خاضع للهداية التكوينية اللطيفة.

### هيمنة قانون الهداية

الوجه الثالث: أن قانون السببية والهداية التكوينية كلاهما قانون إلهي، وبإرادة الله سبحانه يكون الثاني مهيمناً على الأول ومتصرفاً فيه، أو مكماً له بسبب غير معروف، ونلاحظ مثلاً في موارد كثيرة تتدخل الهداية التربوية والتقويمية لإصلاح حال الإنسان، وتتصرف في قانون السببية إما بنحو التعطيل للقانون، أو بإيجاد المانع في تأثيرها، أو باتباع أمر أقوى منه في التأثير، وهذا استثناء من القانون العام يحصل إذا توفر سببه، وهو وأعمال الخير التي وعد الباري عز وجل من يلتزم بها يعطيه أفضل مصالحه، ويدافع عنه، فقانون الهداية مهيمن على قانون الأسباب.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١، الباب ٥ من أبواب مقدمة العبادات، ص ٤٩، ح ٩٢؛  
العناوين الفقهية: ج ١، ص ١٢٤.  
(٢) انظر سورة آل عمران: الآية ١٩٥.  
(٣) انظر سورة النجم: الآية ٣٩.

وقد مرّ أن الهداية التربوية تقوم بإرادة العبد وسعيه إليها، والهداية التقويمية تحصل بالدعاء والتوسل، وتعهد الباري عزّ وجلّ لبني البشر أن التزامهم بأحكامه والأعمال التي قررها لهم ينزل لهم مصالحهم ولو خالفت قانون السببية.

ويمكن توضيح هذه الحقيقة بالنصوص والأمثلة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾<sup>(١)</sup> معناه أن الذي يجاهد نفسه لأجل الله فإن الله سبحانه يهديه لأفضل مصالحه، فيلهمه الحلول عند الشدائد، ويوفر له المنجي في المهالك، ويوصله إلى مقاصده في العمل والفكر والرزق.

و (لام) التأكيد تشير إلى أنه وعد إلهي للمجاهدين، وأنه حتمي الوقوع، لكن هذا ليس هو القاعدة، وإنما الاستثناء الذي يحصل للمجاهدين فيه، وهذا ما يحاكي الحديث الشريف: ﴿صنائع المعروف تقي مصارع السوء﴾<sup>(٢)</sup> أي أن فعل الخير ينجي الإنسان من ميتة السوء، ولو سلك أسبابها فإنه ينجو بإيجاد الموانع منها، وميتة السوء محيطة بالإنسان، فربما يموت الإنسان بدهس سيارة، أو بقتل غادر أو سقوط من شاهق وأمثال ذلك، فالذي يصنع المعروف للناس ينجيه من أمثالها، ونجاته بتدخل الإرادة الإلهية، وهو استثناء لصانعي المعروف.

ومن أسباب الهداية خلوص العمل، فإنه يجعل العبد في أفضل الأحوال،

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٢٩، ح ٣.

وهو ما أشارت إليه الصديقة الطاهرة سلام الله عليها: ﴿من أصدد إلى الله خالص عبادته أهبط الله عزَّ وجلَّ إليه أفضل مصلحته﴾<sup>(١)</sup> وهو استثناء خاص بالمخلصين الذين يصعدون عبادتهم إلى الله تعالى.

### شروط صعود العبادة

وإصعاد العبادة يتم بشروط:

أولها: الولاية لأمر المؤمنين والأئمة عليهم السلام.

وثانيها: صدق النية.

وثالثها: الخلوص في الغاية، فلا يطلب العبد من عبادته نجاة من النار أو دخولاً في الجنة، بل يعبد ربه لأنه أهل للعبادة، فإذا كانت عبادة المؤمن هكذا نزلت إليه أفضل مصالحه، ويتعطل عنده قانون السببية، أو يتسخَّر لخدمته، ونلاحظ أن الهداية الإلهية مهيمنة على قانون السببية ومتصرفة فيه إما بتعطيله، أو بإيجاد المانع من تأثيره، أو يوجد له سبيلاً آخر يغلب السبب الطبيعي، ومعجز الأنبياء وكرامات الأولياء من هذا القبيل.

### تفسير معجزة إبراهيم عليه السلام

فمثلاً: إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار المحرقة لم يحترق، وهو مخالف للقانون العام في النار، لكن الله سبحانه خاطب النار وقال: ﴿كُونِي بَرْدًا

---

(١) عدة الداعب: ص ٢١٨؛ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٧، ح ١٧٧؛ وانظر تنبيه الخواطر: ص ٤٢٧.

وَسَلَامًا<sup>(١)</sup> وبهذا الخطاب إما عطل قانون الإحراق في النار وبدل حقيقة النار إلى برد كما قد يستظهر من توجيه الخطاب إليها بـ (كوني) لتبديل الكينونة، أو أوجد المانع من الإحراق.

### تفسير معجزة عيسى عليه السلام

وفي معجزة عيسى عليه السلام في خلق الطير خرق قانون السببية الطبيعي؛ لأن القانون السببي يقوم على أن الوجود يتم بالتوالد والتكاثر إما عبر الولادة، أو عبر الإباضة، أو الانقسامات ونحوها، والطير من قبيل الثاني، إلا أن عيسى عليه السلام صنع من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فصار طيراً بإذن الله سبحانه، وعمله هذا كان باتباع قانون آخر لا يعرفه الناس في نشوء الحياة في الحيوان يفوق التوليد والتبيض والانقسام، وهو من ضمن قانون السببية لكنه مجهول لعموم الناس.

### تفسير معجزة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام

وفي تكوين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام قهرت الإرادة الإلهية القانون الطبيعي؛ إذ وهب لإبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وزوجته كانت عجوزاً عقيماً، وهو بلغ به الكبر، وقد ورد في بعض الأخبار أنه ولد له إسماعيل عليه السلام وهو في سن أربع وستين، وقيل تسع وتسعين سنة، وقيل لم يولد له إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة<sup>(٢)</sup>، وزوجته سارة التي كانت عقيماً في

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

(٢) نفحات الرحمن: ج ٣، ص ٥٢٤.

شبابها وبلغت من العمر تسعاً وتسعين سنة كما قيل لما بشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بالولد صكت وجهها ولطمته تعجباً كما هي عادة النساء إذا أنكرن وتعجبين من شيء <sup>(١)</sup>، وقالت كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟ أي جمعت مانعين للحمل والولادة، لكن الكبر والعقم ناشئان من وجود المانع، فيرفعهما ببركة الدعاء؛ لذا قال: إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

فالهداية الإلهية حاکمة ومهيمنة على الأسباب الطبيعية ومتصرفة فيها.

### خلاصة البحث

ويتلخص مما ذكرنا أمران:

الأمر الأول: أن الهداية الإلهية لا تنفي قانون السببية؛ لأنها استثناء لبعض العباد الذين يسلكون سبيل الهداية بطلبها بالدعاء أو الأعمال الصالحة.

الأمر الثاني: أن الهداية الإلهية مهيمنة على قانون السببية، فتتصرف فيه بتعطيله، أو إيجاد المانع من تأثيرها، أو تتصرف في المطلوب بإيجاده عبر سبيل آخر من القانون الطبيعي لا يعرفه الناس، أو رفع المانع الطبيعي، ولا تنافي بين الوجوه الأربعة، ويمكن أن تكون الهداية مختلفة بحسب الموارد والحالات، ففي بعضها قد تكون من قبيل الوجه الأول، وفي بعضها من الثاني، والغالب منها ما يكون من الوجه الثالث أو الرابع ويندفع الإشكال.

(١) نفحات الرحمن: ج ٦، ص ٥٤.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٩.

## التعليم السابع: لا يخلو الزمان من هادٍ

إن الصراط المستقيم لا ينفك عن عالم البشر، وهو موجود بالفعل في كل زمان ومكان، وله آثاره الواسعة، وهذا من مقتضى الرحمة الإلهية واللطف الشامل والربوبية العامة؛ إذ لا يخلو زمان أو مكان من وجود هادٍ وهداية ترشدهم إلى مصالحهم، ونبه الباري عزَّ وجلَّ إلى هذه الحقيقة؛ إذ أمر أن يدعون الناس بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بذلك، والهادي هو الإمام المعصوم عليه السلام، وبه تتضح جملة من الروايات التي نصت على أن الأرض لا تخلو من حجة لله ظاهر أو مستور<sup>(١)</sup>، كما تتضح بعض فوائد وجود الإمام عليه السلام بين الناس وإن كان مستوراً.

فقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لا يختص بزمان أو مكان، ولا بأناس دون أناس، بل كل البشر في كل زمان ومكان يقولون: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وهذا معناه أن الصراط المستقيم في كل زمان ومكان موجود، ومع كل فرد فرد، وكل شخص شخص في أي مرتبة من المراتب يكون كبيراً أو صغيراً، عالماً أو جاهلاً، غنياً أو فقيراً، فهو معهم جميعاً، فإن كل من يطلب الهداية إلى الصراط المستقيم يجد الصراط المستقيم معه، وهذا من معاني قولهم إن الأرض لا تخلو من حجة<sup>(٢)</sup>، وإن الحجة مع كل الخليقة

(١) البحار: ج ٥٣، ص ١٩١، ح ١٩، وفيه: ﴿أن الارض لا تخلو من حجة إما ظاهراً وإما مغموراً﴾.

(٢) الكافي: ج ١، ص ١٧٩، ح ٩.

وفي كل الأزمنة والأمكنة والأفراد<sup>(١)</sup>، فالحجة الإلهية محيطة بالبشر، ولكن على البشر أن يرتبطوا بالحجة حتى يحصلوا الفوائد والآثار.

يقول الباري عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> فلا توجد أمة من الأمم لا يوجد فيها من ينذرها، وفي آية أخرة يقول: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(٣)</sup> والإطلاق الزماني والأحوالي يشمل جميع الأقوام في كل زمان ومكان، وفي يوم القيامة عندما يحشر الناس إلى ربهم يحشر كل أناس بإمامهم: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

والروايات المتضاربة بهذا المعنى تنص على أن أهل كل زمان يدعون بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم<sup>(٥)</sup>.

فحينما نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لا بد وأن نعرف أن الصراط المستقيم ليس في زمان دون زمان، ولا في مكان دون مكان، ولا مع شخص دون شخص، بل الكل سواء إلى الصراط المستقيم، والكل إذا طلبوا الصراط المستقيم بلغوه ووصلوه. فالصراط المستقيم محيط ببني البشر، ولا يعدم الناس من هادٍ ومرشدٍ ومصلحٍ وحلالٍ لمشاكلهم ومعالجٍ لأزماتهم

---

(١) عيون أخبار الرضا<sup>عليه السلام</sup>: ج ٢، ص ١٣٠، ح ١.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٣) سورة الرعد: الآية ٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٥) مسند الإمام الرضا<sup>عليه السلام</sup>: ج ١، ص ٣٥٢ - ٣٥٣، ح ١٣٧؛ عيون أخبار

الرضا<sup>عليه السلام</sup>: ج ٢، ص ٣٧، ح ٦١؛ فتح القدير: ج ٣، ص ٢٤٨.

بشرط أن يرتبطوا به.

وهذه هي المشكلة، فإن الناس قد يعرفون هذا المفهوم ولكن قلوبهم غير مرتبطة به، والآثار تترتب على ارتباط القلوب لا على فهم العقول.

### آثار معرفة الصراط

وهنا توجد جملة من الآثار المهمة لمعرفة الصراط المستقيم نشير إلى بعضها:  
الأول: شعور الناس بوجود الدليل والمرشد وهو معهم أينما كانوا لو لجؤوا إليه وطلبوا مساعدته ساعدهم، فهو سندهم وعينهم ونورهم الذي يهديهم لأفضل مصالحهم، لاسيما عند الشدائد، وقد تضافر في النصوص وتواتر في الأخبار أن الناس في زمن الغيبة إذا نادوا يا أبا صالح المهدي أدركني يدرکہم في كل شدة ومصيبة تعيهم الحيل فيها إذا كان النداء من قلبه لا من عقله، وعن يقينه لا عن تجربة واختبار فإنه يجد الإغاثة.

وهذا ورد عن النبي المصطفى ﷺ يقول: ﴿فإذا بلغ منك السيف المذبح - وأوماً بيده إلى حلقة - فاستغث به فإنه يغيثك، وهو غياث وكهف لمن استغاث به﴾<sup>(١)</sup> وحدّ المذبح كناية عن انسداد الأبواب وإعياء السبل بحيث لا تبقى طاقة عند العبد للتحمل.

وهذا الحديث يقوله رسول الله ﷺ في حجة الزمان، فأهل كل زمان إذا لجؤوا إلى صراطهم المستقيم وهو إمام زمانهم نجاهم وخلصهم من المشكلات،

---

(١) انظر الدعوات (للرواندي): ص ١٩٢؛ النجم الثاقب: ج ٢، ص ٤٩٠؛ البحار:

سواء كانت المشكلة ترتبط بالمصلحة العامة أو بالأشخاص والأفراد.

### التحرّي عن إمام الزمان

الثاني: أن يبحثوا عنه ويتبعوا آثاره ووجوده للاتصال به، وهذا الآخر لطف خاص وهداية ربانية تصلحهم وتربّيهم، وتوجه عقولهم وقلوبهم إلى النور، وتجردهم من الظلمة، فلا يكفي بأهل الإيثار أن يعرفوا إمام زمانهم باسمه، بل يجب عليهم أن يبحثوا عنه ويتحرّوا ويفحصوا ويتبعوا آثار إمامهم أينما يحتلمون ووجوده، ويسعون للحقوق به، وهذا يدركه أهل القلوب وإن استصعبه البعض.

ففي ليلة الجمعة لا يخلو حرم الإمام الحسين عليه السلام من حضور أتباع الإمام الذين يبحثون عنه؛ لأنهم يعلمون أنه في هذه الليلة يكون له حضور عند جده الحسين عليه السلام.

### التحرّي عنه في عرفة

وفي عرفة لا يخلو أهل الإيثار الذين يتبعون آثار إمامهم من الحضور في الموسم، وفي كل مكان يحتلمون أن الإمام عليه السلام له عناية وحضور يتبعون ذلك، فالذي يريد الصراط المستقيم لا يمكنه أن يجلس في مكانه ويصله الصراط، بل يجب أن يسعى بنفسه إليه ليصل ويرتبط بإمام زمانه، وهذه من الفوائد المهمة لأهل القلوب.

الثالث: يوائم حياة البشر مع الإرادة الإلهية ويجعلهم دائماً مشدودين إلى الصراط المستقيم يحدوهم الأمل والشعور بالاطمئنان والسعادة والغلبة

على الأزمات والمشاكل والهموم، والبحث عن الصراط المستقيم طريق للتهذيب والتكميل، وأحد طرق التهذيب هو الفحص الدائم عن آثار الإمام، ومطابقة الأعمال مع الإرادة الإلهية.

### أثر التحري عن الإمام عليه السلام

الرابع: يجعل الناس هادفين، وهم طموح يطلبون الوصول إليه، وهذا الأمر من شأنه أن يجعلهم إيجابيين ناجحين يبحثون عن مواطن الخير، وإلا تاهوا وضلوا، وهذا ما يجب أن يلتفت إليه الناس، فإن الهداية يقابلها أمران خطيران. أحدهما: الضلالة.

وثانيهما: الغواية، والهداية تتعلق بالصراط أي الطريق، فالانحراف عن الطريق هو الضلالة كما عرفته مما تقدم.

وأما الهداية في مقابل الغواية فيراد بها افتقار الإنسان إلى الهدف والمقصد الذي يطلبه في حياته، فإذا كان الإنسان هادفاً كان مهتدياً، ولو لم يكن له هدف أو كان هدفاً باطلاً فهو غاوٍ.

وبذلك يتضح أن النسبة بين الضلالة والغواية العموم من وجه؛ إذ قد يكون الإنسان يعرف الطريق ولكنه بلا هدف فهو غاوٍ، وقد يكون له هدف ولكن لا يعرف الطريق إليه فهو ضال، والإمام عليه السلام يهدي الاثنين إلى مصالحتهم، فإنه الصراط الذي ينجي الناس من الضلالة، وهو الهدف الإلهي الذي ينجيهم من الغواية، فإذا التفت المؤمن حينما يدعو بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى هذه المعاني فإنه سيكون في أفضل حال

معتقداً وعملاً ومصيراً، ويتطابق مع سنن الله سبحانه وإرادته.  
وبذلك تتطابق الربوبية الإلهية والرحمة والمالكية والهداية في السورة المباركة، فكما أن ربوبيته عزَّ وجلَّ شاملة وعامة، كذلك رحمته وسعت كل شيء، ومالكيته محيطية بكل شيء، وهدايته كذلك، ومظهر ذلك كله يتجلى في الإمام عليه السلام لأهل كل زمان، وبه يتضح معنى التوحيد الكامل والعبودية الكاملة لله سبحانه، وبلوغ العبد لذلك يتم بالارتباط بالإمام عليه السلام، وهذا ما تضافر في الأخبار، لاسيما في حديث الغدير المتواتر بطرق الفريقين.

ومنها: ما أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً فينا خطيباً بهاء يُدعى حُجَّاماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: ﴿أما بعد، ألا أيها الناس! فإنَّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله - ورغب فيه - ثم قال: وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي<sup>(١)</sup> .

## دلائل حديث مسلم

وتضمن إلفات ثلاثة:

الأول: التأكيد على أنه بشر يقبض إلى ربه، وقابضه رسول من الله سبحانه يرسله له يمنحه هذه القدرة حتى على قبض روح رسوله الخاتم صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد شاء أن يجعل نظام العالم محكوماً بالأسباب والوسائط، فلا

(١) صحيح مسلم: ج ٧، ص ١٢٢ - ١٢٣.

يقول قائل كيف يقولون إن الإمام هو واسطة الربوبية والهداية للبشر؟

**الثاني:** أنه ﷺ كرر قوله: ﴿أذركم الله في أهل بيتي﴾ ثلاثاً للدلالة على مزيد الأهمية والإشارة إلى وقوع قضايا في حقهم يظلمون فيها ويعتدي عليهم، وأن كل ما يتعرضون له هو من سياسة الشيطان وتدبيراته؛ لذا قال: ﴿أذركم الله﴾ لأن ذكر الله سبحانه يبطل نهج الشيطان، والتذكير مقابل النسيان، ومعنى ذلك أنه كان قد أعلمهم بمقامات أهل بيته ﷺ، وفي الغدير ذكرهم بذلك.

**الثالث:** قوله: ﴿أهل بيتي﴾ يشمل كل الأئمة ﷺ، وإطلاقه يشمل هذا الزمان وما يأتي بعده، فلا زال رسول الله ﷺ يذكر الناس بأهل بيته، يدعوهم إلى التمسك بالثقلين وأن لا يخذلوهما، وهو هداية ربانية شاملة، فلا يتصور أن حديث الثقلين خاص بزمان رسول الله ﷺ، بل هو جارٍ في كل زمان ومكان، فعلى المؤمن أن يفكر في موقفه ومنهجه مع كتاب الله وأهل البيت ﷺ؟ وهل عمل بسيرة السابقين حينها هجروا القرآن ما واعتزلوا أهل البيت ﷺ وظلموهم وقتلوهم، أم عمل بما أراد الله سبحانه ورسوله ﷺ من النصر لهم؟

ونصرتهم في هذا الزمان تتم بنصرة وليهم وخاتمهم مولانا حجة الزمان عجل الله فرجه الشريف، فما هو موقفك أيها الإنسان من ذلك؟ ومن قدوتك في هذا الزمان؟ وبماذا انشغالك؟ وما هي همومك؟ وما هي سيرتك؟

## كيف يرتبط المؤمن بإمامه عليه السلام؟

والسؤال كيف يتصل المؤمن بالصراف المستقيم ويرتبط بالإمام عليه السلام؟  
والجواب: أن الوظيفة تتم بالمعرفة، وهى أول الواجبات، ولكن المعرفة لها ثلاث مراحل:

### مراحل المعرفة

الأولى: معرفة شخص الإمام عليه السلام بوجوده العيني بالارتباط المباشر، وهذا متعذر إلا للخواص أو الأوحدي منهم.

الثانية: معرفة مقامات الإمام عليه السلام ومكانته الإلهية في عالمي التكوين والتشريع، وما هو نفعه وأثره في هذا العالم، وهذا أمر ممكن وواقع إذا أراد المؤمن أن يصله فليرجع إلى الروايات الشريفة، فإذا يعطي الإنسان اهتمامه لذلك يدرك هذه الحقيقة، فالمعرفة الشخصية إذا انتفت لا تمتنع المعرفة المقامية عليه.

الثالثة: معرفة الوظيفة تجاه الإمام عليه السلام، فعلى المؤمن أن يبحث عن وظيفته تجاه إمامه، فقد يرتبط بصرافه المستقيم، والكلام في هذا مفصل. أكتفي بذكر وصية السيد ابن طاوس قدس لولده وهو يعلمه آداب المعاملة مع الإمام عليه السلام. قال: ﴿فكن في موالاته والوفاء له وتعلق الخاطر به على قدر مراد الله سبحانه، ومراد رسوله صلى الله عليه وآله، و مراد آبائه عليهم السلام... وقدم حوائجه على حوائجك عند صلاة الحاجات، والصدقة عنه قبل الصدقة عنك وعمّن يعزّ عليك، والدعاء له قبل الدعاء لك، وقدمه عليه السلام في كل خير

يكون وفاءً له ومقتضياً لإقباله عليك وإحسانه إليك<sup>(١)</sup>.

وهذا برنامج عمل يمكن لكل أحد أن يعمل به، ويرتبط بإمام زمانه ولو بأدنى مراتب الارتباط.

(وتعلق خاطر به) يعني قلبك يتعلق به كتعلق الانسان بولده أو تجارته لا يغفل عنه لحظة، ويواظب عليه لكيلا يؤذيه، ولا يسمح بإيذائه من الآخرين. وقد أراد الله سبحانه والرسول ﷺ للمؤمن أن يعرف إمامه ويطيعه، ويهتم بهذه القضية.

### ما هي حوائج الإمام ﷺ؟

(وقدم حوائجه على حوائجك) فما هي حوائج الإمام ﷺ؟ فهل حوائجه مادية كالسيارة والقصر والمال؟ ألا يجب على المؤمن أن يسأل ما هي حوائج إمام زمانه؟ وقد ورد في بعض الأدعية ﴿اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه﴾<sup>(٢)</sup> فهل حجة الزمان ﷺ يحتاج إلى المال والمادة وهو الذي بيده الدنيا والآخرة؟

فماذا يحتاج الإمام ﷺ؟ حاجته تتعلق بالمؤمنين من مواليه وأنصاره بهدايتهم وصلاح أمرهم، فإذا رأيت شخصاً منحرفاً اذهب لهدايته وقدم له النصيحة ولا تقل ما شأنه؟ إذا رأيت فساداً ويمكنك أن تنهى عنه فانه عنه، وإذا رأيت شاباً تائهاً دله على الصراط، فالإمام ﷺ لا يحتاج إلى مالك

(١) البحار: ج ٥٣، ص ٣٠٥؛ كشف المحجة: ص ١٥١.

(٢) مصباح الزائر: ص ٤٥٥؛ البحار: ج ٥٣، ص ٩٦، ح ١١١؛ تحفة الزائر: ص ٥٨٨.

و ثروتك وإنما أنت الذي تحتاجه، وحتى المعنويات هي حاجات لأهل الإيمان. فعلى الإنسان الذي يبحث عن الصراط المستقيم أن يكون هو أيضاً صراطاً مستقيماً لغيره، فينهى عن المنكر، ويأمر بالمعروف، ويصلح في الناس، ويعيش المسؤولية الاجتماعية ولا يفكر بنفسه فقط، فإصلاح رعية الإمام من حوائج الإمام عليه السلام.

فإذا أراد المؤمن الارتباط به عليه السلام عليه أن يعمل ما يجب عليه، ويتقرب إلى الإمام عليه السلام بالأعمال المذكورة، فإنه يوجب إقبال الإمام عليه السلام على المؤمن حتى يتم الارتباط، فربما يقول البعض: هل من الممكن أن يكون الصراط موجوداً معنا في كل حال؟ ومتى ما قال المؤمن: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يهديه إمامه إلى رشده.

والجواب: نعم كل إمام لأهل زمانه هكذا، يشهد لهذا ما رواه الشيخ الكشي والشيخ الصفار في بصائر الدرجات عن رميلة قال: وعكت وعكاً شديداً في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، فوجدت في نفسي خفة يوم الجمعة، فقلت: لا أعرف شيئاً أفضل من أن أفيض على نفسي من الماء وأصلي خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ففعلت ثم جئت المسجد فلما صعد أمير المؤمنين عليه السلام عاد عليّ ذلك الوعك، فلما انصرف أمير المؤمنين عليه السلام ودخل القصر دخلت معه، فقال: ﴿يا رميلة! ما لي رأيتك وأنت متشبك بعضك في بعض؟ فقلت: نعم، وقصصت عليه القصة التي كنت فيها، والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه، فقال: يا رميلة! ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا يحزن إلا حزننا لحزنه، ولا يدعو إلا أمناً له، ولا يسكت إلا دعونا له.

فقلت له: يا أمير المؤمنين! جعلت فداك هذا لمن معك في القصر، رأيت من كان في أطراف الأرض؟ قال: يا رميلة! ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها<sup>(١)</sup>.

هذا هو الصراط، فمن تمسك به في كل زمان ومكان نجا.

### كل الأمور بيده ﷺ

روى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة بسند معتبر عن أبي القاسم بن روح النائب الثالث بإسناده عن الإمام الصادق ﷺ قال: ﴿إذا أراد الله أمراً عرضه على رسول الله ﷺ، ثم أمير المؤمنين ﷺ، ثم الأئمة عليهم السلام إلى أن ينتهي إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، ثم يخرج إلى الدنيا، وإذا أراد الملائكة أن يرفعوا إلى الله عز وجل عملاً عرض على صاحب الزمان ﷺ، ثم على واحد بعد واحد، إلى أن يعرض على رسول الله ﷺ، ثم يعرض على الله عز وجل، فما نزل من الله فعلى أيديهم، وما عرج إلى الله فعلى أيديهم، وما استغنوا عن الله طرفة عين<sup>(٢)</sup>.

### التعليم الثامن: الخالق والمخلوق على ولاية أمير المؤمنين ﷺ

أطلق القرآن الكريم لفظ الصراط المستقيم على الكثير من الحقائق والفضائل، وحتى الباري عز وجل ورد أنه على صراط مستقيم، قال تعالى:

---

(١) انظر بصائر الدرجات: ص ٢٧٩ - ٢٨٠، ح ١؛ رجال الكشي: ص ٩٥؛ النجم

الثاقب: ج ٢، ص ٤٩٠.

(٢) الغيبة (للطوسي): ص ٣٨٧، ح ٣٥١؛ النجم الثاقب: ج ٢، ص ٤٨٩.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> والمعنى أنه على ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام؛ لأنه سبحانه نصبهم للإمامة، وأمر بوجوب محبتهم واتباعهم والتسليم لهم، وجعل ذلك مظهر طاعته وعبادته، وتعهد بمجازاة من آمن وعمل بالجنة، ومن خالف بالنار، كما أن نهج الأنبياء هو صراط مستقيم؛ إذ قال سبحانه: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وحتى سيد الأنبياء وخاتمهم صلى الله عليه وآله وصف بأنه على صراط مستقيم؛ إذ قال سبحانه: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> والعبادة الخالصة لله تعالى وصفها بالصرراط المستقيم؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

كما وصف الثقة بالله سبحانه والتوكل عليه أنها صراط مستقيم؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

والمفرد أن في هذه الآية قال: ﴿هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بصيغة المبني للمجهول مع التعدية بـ (إلى)؛ لأن الاعتصام بالله سبحانه له غاية، وهي الوصول إلى الغايات التي يطلبها الإنسان، فلا بد من التعدية بـ (إلى)، وصيغة المبني للمجهول تشير إلى أن الهداية بالاعتصام تكون نتيجة توليدية لا تفارقه.

(١) سورة هود: الآية ٥٦.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٣) سورة يس: الآيات ١ - ٤.

(٤) سورة يس: الآية ٦١.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠١.

وبضميمة قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup> والروايات المتضاربة الدالة على أن الاعتصام بالله تعالى يكون بالتمسك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام تكون النتيجة في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> أن من يعتصم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام يكون قد هُدي إلى الصراط المستقيم، وبها لا يبقى تردد أو حيرة لمن يسأل ما هو الصراط وأين يجده؟ فإن مجموع الآيات والروايات تتفق على أنه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

### العالم على ولاية علي عليه السلام

فالعالم تكويناً وتشريعاً من مبدئه إلى خاتمه هو على صراط مستقيم، والصراط المستقيم هو ولاية علي عليه السلام، فالكون تكويناً وتشريعاً على هذه الولاية، فكل من تمسك بها كان على صراط مستقيم، وكل من خالفها خرج عن الصراط المستقيم. والفئات التي تطلب الوصول إلى الله سبحانه معنوياً بمدارسهم واتجاهاتهم فإنهم لا يمكنهم أن يصلوا إلى ذلك من دون ولاية علي بن أبي طالب وتوجيهه عليه السلام. محال أن يصل أحد إلى مقصوده إذا خالف علياً عليه السلام؛ لأن الصراط المستقيم واحد، وهو صراط علي عليه السلام، فكل طريق آخر ينهجه السالكون لا يوصلهم، وهذه حقيقة تكوينية وتشريعية، فمن لا يعمل بها لا يصل إلى نتيجة، كالذي يسير في الصحراء دون طريق واضح.

ولا توجد واسطة تقربهم إلى الله سبحانه وتعطيهم استحقاق الإجابة

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠١.

والاستجابة إلا الصراط المستقيم؛ لأن الله سبحانه على صراط مستقيم.  
فالعارف والصوفي والسالك إلى الله يجب أن يعلموا أن الوصول إلى الله سبحانه لا يتم إلا بالتمسك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.  
والعباد والزهاد وأهل التقوى والطاعة طريقهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وأصحاب الحاجات وأهل الطلب والتوسل طريقهم إلى ذلك هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

### تفاوت المراتب بحسب الولاية

وبذلك يتضح معنى طوائف من الأخبار التي وقعت مداراً للبحث والجدل.  
الأولى: الأخبار التي نصت على أن مراتب الناس حتى الأنبياء عليهم السلام تدور على الولاية، فالأسرع قبولاً وإذعاناً يكون أعلى رتبة؛ لأن الباري عز وجل جعل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام محل اختبار العباد في العقائد والأعمال، ولذا ورد في وصفه بأنه مدار الإيمان وميزان الأعمال؛ لأن الله سبحانه جعل الولاية اختباراً للعباد، فبعضهم يذعنون للولاية بعقولهم، وبعضهم يذعنون بمشاعرهم، وبعضهم يذعنون بقلوبهم، وبعضهم يذعنون بألبابهم وبصفتهم ونقائهم، وعلى مرتبة الإذعان يكون المقام في القرب والبعد والمستويات.

والروايات تنص على اختلاف الناس في المعرفة بالولاية، والمعرفة بالولاية هي الأخرى على مراتب، فقله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> يفيد اختلاف الناس بحسب التسليم والإذعان للصراف

المستقيم، فالذي يريد أن يعرف مقامه على أي درجة من الولاية هو، أفي درجة الولاية العقلية أم الاعتقادية أم القلبية أم اللبية فليعرف أين هو؟

### علي عليه السلام مع جميع الأنبياء

الثانية: الأخبار الكثيرة التي نصت على أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان مع جميع الأنبياء عليهم السلام، ولازمهم في محنتهم ونجاهم منها، وفي بعضها أن آدم إنما استوجب أن يخلقه الله تعالى بيده، وينفخ فيه من روحه بولاية علي عليه السلام، وما كلم الله موسى عليه السلام تكليماً إلا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى بن مريم عليهما السلام آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام <sup>(١)</sup>، وأن يونس عليه السلام التقمه الحوت لتردده في بادئ أمره بالقبول بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ذهولاً وتعجباً لا رداً وإنكاراً، وغيرها من الأخبار الكثيرة <sup>(٢)</sup>، فإن البعض تسرع في إنكار هذه الروايات وردها، ولو ردها إلى أهلها كما أمر الأئمة عليهم السلام كان أجدر به، أو البحث عن التفسير الموافق للقواعد، ومثلها تحمل على أحد معان:

الأول: أن الأنبياء عليهم السلام في المحن توسلوا إلى الله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام التي أخذ الله تعالى منهم العهود والمواثيق قبل عالم الدنيا على الإذعان لها أن ينجيهم فنجاهم منها.

الثاني: أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام قد حضرهم ونجّاهم بوجوده

(١) الاختصاص: ص ٢٥٠.

(٢) المناقب: ج ٣، ص ٢٨١؛ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٢، ص ٢٥٦، الرقم ٩١٣.

الروحي الذي سبق كل الموجودات، فأول ما خلق الله نوراً، ثم شقه نصفين نصفاً كَوْن منه روح رسول الله ﷺ، والآخر كَوْن منه روح أمير المؤمنين ﷺ، ثم أنوار الأئمة عليهم السلام، ثم بواسطتهم خلق باقي الموجودات، فوجوده الروحي سابق على كل الموجودات، وبهذا الوجود رافق الأنبياء عليهم السلام في عالم الدنيا.

الثالث: أن بالإقرار بولايته كانوا على الصراط المستقيم، وهو يلزم الهدايات الإلهية الخمس التي توصل العباد إلى مقاصدهم، فيملك الأنبياء عليهم السلام الولاية في التصرف في الأشياء بولايته عليهم السلام، ولا تنافي بين المعاني، ويمكن حملها على الجميع، ومرجع ذلك إلى حقيقة الباء، فإن كانت سببية فتفيد سببية الفعل والغاية، وإن كانت للتوسيط أي لأنهم آمنوا بولايته فقرّبهم الله سبحانه وأعطاهم الخصائص الخاصة، ولا تنافي بين المعنيين لإمكان حمل المعنيين على الطولية لملازمة التوسيط للسبب.

الثالثة: الأخبار الكثيرة التي جعلت مدار قبول الطاعات والعبادات على الولاية، وأن بها تقبل الأعمال وبدونها ترد ولو كانت بقدر الجبال، وأن الجنة والنار يدوران على الولاية، وأن ولايته ﷺ حصن الله الذي من دخله كان آمناً<sup>(١)</sup>.

وفي الخبر الرضوي: ﴿حق على الله تبارك وتعالى أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه، نيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجته. حق على الله أن يجعل ولينا مع

---

(١) انظر البحار: ج ٦٨، ص ٣٣٢.

النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً<sup>(١)</sup> .

ووجه الحقية هو الاشتراك في العلة وهي الولاية، فإن بها بلغ الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون عليهم السلام مراتبهم، فكذلك المؤمن، وتختلف درجات أهل الإيمان بحسب درجات الولاية لديهم.

### خصائص تفاوت المخلوقات بالولاية

والرابعة: الروايات الكثيرة التي نصت على أن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام عرضت على جميع الموجودات حتى النبات والجماد فالذي قبلها أعطاه المكانة والطعم اللذيذ والريح الطيب، والذي رفضها أعطاه الطعم المر والريح الكريه<sup>(٢)</sup>؛ لأن قبولها الولاية يجعلها على الصراط المستقيم، فتنشأ معتدلة الوجود والأثر.

وتجتمع فيه الهدايات الخمس، أما التكوينية فلأن العطاء يكون على قدر الاستعداد والقابلية بالإقرار بالولاية فيستحق أفضل تكوين، وأما التشريعية فلأنه بالقبول بالولاية يطابق النظام الإلهي الذي يوصله إلى أفضل الآثار، وأما التربوية والتقويمية فلأنه بقبوله للولاية يكون قد طلب الصراط المستقيم والدوام عليه حتى يبلغ الغاية، وأما الاصطفائية فلأنها

---

(١) انظر مسند الامام الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٣٥٨؛ البحار: ج ٢٣، ص ٣٠٧، ح ٤؛ تفسير القمي: ج ٢، ص ١٠٥.

(٢) انظر علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٦٤، ح ١٠؛ البحار: ج ٢٧، ص ٢٨١، ح ٣؛ بشارة المصطفى: ص ٢٦٤، ح ٧٥.

تقوم على الإحسان والصلاح والأفضلية في القول والعمل، وكلها تجتمع بقبول الولاية، فلذا يصطفوها الباري عزَّ وجلَّ ويعطيها أفضل آثارها.

فقد روى الصدوق في العلل بسنده عن الإمام الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ﴿إن الله تبارك وتعالى أخذ عقد مودتنا على كل حيوان ونبت، فما قبل الميثاق كان عذباً طيباً، وما لم يقبل الميثاق كان مالحاً زعاقاً﴾<sup>(١)</sup> والزعاق المر الغليظ الذي لا يطاق أكله وشربه<sup>(٢)</sup>.

وفي بشارة المصطفى بسنده عن أبي هريرة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿إن الله تبارك وتعالى طرح حبي على الحجر والمدر والبحار والجبال والشجر، فما أجاب إلى حبي عذب، وما لم إلى حبي خبث ومراً﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي فرحة الغري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: ﴿يا علي! إن الله عزَّ وجلَّ عرض مودتنا أهل البيت على السماوات والأرض، فأول من أجاب منها السماء السابعة فزيّنها بالعرش والكرسي، ثم السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور، ثم السماء الدنيا فزيّنها بالنجوم، ثم أرض الحجاز فشرفها بالبيت الحرام، ثم أرض الشام فزيّنها ببيت المقدس، ثم أرض طيبة فشرفها بقبري، ثم أرض كوفان فشرفها بقبرك يا علي﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٦٤، ح ١٠؛ البحار: ج ٢٧، ص ٢٨٠، ح ٣.

(٢) المعجم الوسيط: ج ١، ص ٣٩٤، (زعق).

(٣) بشارة المصطفى: ص ٢٦٤، ح ٧٥؛ البحار: ج ٢٧، ص ٢٨١، ح ٥.

(٤) فرحة الغري: ص ٥٦، ح ٤؛ البحار: ج ٢٧، ص ٢٨١، ح ٤.

## لا صدفة في الوجود

ومنه يعرف أن كل شيء في هذا العالم وكل صفة ومقام وأثر ناشئ من  
حكمة وسبب، فلا يوجد صدفة أو جزافاً.

ولا يخفى أن الحديث أشار إلى بعض المصاديق، وقد ورد في روايات  
أخرى أن كربلاء هي أشرف أرض خلقها الله سبحانه؛ لذا جعلها مأوى  
دماء أوليائه، وأعلى مقامها على جميع البقاع<sup>(١)</sup>.

## أفضل الأحجار الكريمة

وفي أمالي الطوسي عن بشير الدهان قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت  
فداك أي الفصوص أفضل أركبه على خاتمي؟ فقال: ﴿يا بشير! أين أنت عن  
العقيق الأحمر والعقيق الأصفر والعقيق الأبيض، فإنها ثلاثة جبال في  
الجنة.. إلى أن قال: وإن هذه الجبال تسبح الله وتقده وتحمده، وتستغفر  
لمحبي آل محمد، فمن تختم بشيء منها من شيعة آل محمد عليه السلام لم ير إلا الخير  
والحسنى والسعة في رزقه، والسلامة من جميع أنواع البلاء، وهو أمان من  
السلطان الجائر، ومن كل ما يخافه الإنسان ويحذره<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿أن العقيق جبل في اليمن<sup>(٣)</sup>، ولا تنافي بين

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣٢١ - ٣٢٦، الباب ٥١ باب استحباب  
التبرک بکربلاء.

(٢) الأمالي (للطوسي): ص ٣٨، ح ٤١؛ البحار: ج ٣٧، ص ٤٢، ح ١٧.

(٣) المناقب: ج ٣، ص ٣٠٢؛ مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٢٩٣ - ٢٩٤، ح ٣٦١٢.

الحديثين؛ لأن العقيق اليميني إما نازل من الجنة إلى الأرض أو مآله إلى الجنة، أو هو جزء من ذلك الجبل.

### سر أفضلية العقيق

والسر في نيل العقيق هذه المنزلة والرتبة العالية كشف عنها رسول الله ﷺ؛ إذ قال: ﴿إنه أقر الله عزَّ وجلَّ بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي ﷺ بالوصية، ولولده بالإمامة، ولمحببيهم بالجنة، ولشيعتهم بالفردوس﴾<sup>(١)</sup>.

وبه يظهر أن المحبين يدخلون الجنة، أما الشيعة فينالون الفردوس وهو المقام الأعلى في الجنان، فيدل على أن مقام الشيعة أعلى من مقام المحبين، كما يظهر أن الوجود الإمكانى برمته في ظهوره الملكى والملكوتى يدور على الولاية لمحمد وآل محمد ﷺ، فالموالى لهم يكون على صراط مستقيم، ويكون تكوينه عالياً، وأثره ربيعاً، ونفعه كثيراً بخلاف غيره.

وما يقال في الحجر والأرض والسماء والنبات يقال في الحيوانات، بل فيها تجلت أكثر كما تضافر في الأخبار.

### فقاهاة الحديث وتفسيره

وقد وجهت هذه الروايات بوجوه ذكر بعضها العلامة المجلسي رحمه الله: الأول: ذهب إلى أنها أخبار متشابهة ولا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم، ولا بد في مثلها من التسليم لما ورد في تأويلها وبيان مقاصدها

---

(١) انظر علل الشرائع: ج ١، ص ١٥٨، ح ٣؛ عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ٢، ص ٧٥، ح ٣٢٤.

إليهم عليهم السلام، ومعلوم أن هذا الجواب أصح من التسرع في ردها أو اتهامها بالوضع بسبب قصور الفهم عن درك معناها.

الثاني: ذهب إلى أن الله سبحانه أعطاها شعوراً وإدراكاً لدى عرض الولاية عليها، فلما أظهرت قبولها سلب منها الشعور، وهذا الجواب يقوم على الجمع بين النص وبين الوجدان، فإننا بالوجدان نرى الجمادات والنباتات غير مدركة وغير ناطقة، لكن الأخبار الصادقة تدل على شعورها ونطقها، فالجمع بينها يقتضي حمل الإدراك والشعور على وقت العرض والتكليف، وهو أوجه من الأول.

الثالث: ذهب إلى أن القضية من قبيل الاستعارة التمثيلية غايتها بيان حسن بعض الأشياء وشرافتها، وقبح بعض الأشياء ورداءتها، فإن للأشياء الحسنة والشريفة من جميع الأجناس والأنواع مناسبة من جهة حسنها، وللأشياء القبيحة والرذيلة مناسبة من جهة قبحها، فكل ما له جهة شرافة وفضيلة وحسن فهي منسوبة إلى أشرف الأشراف محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم، فكأنه أخذ ميثاق ولايتهم عنها وقبلها<sup>(١)</sup>، وهو أضعف الوجوه: أولاً: لمخالفته الصريحة للنصوص.

وثانياً: لأن إعطاء صفة الحسن والقبح تدور على الأسباب والمسببات لا الاعتبارات.

الرابع: ذهب إلى واقع الحال، أي أنها لو قدر أن تكون مدركة وذات

---

(١) البحار: ج ٢٧، ص ٢٨٣، بيان.

شعور وتعرض عليها الولاية لقبقتها، وكذا كل ما له جهة خبث ورذالة لو قدر أن تعرض عليها لرفضتها، نظير أولياء آل محمد الذين لم يدركوهم في زمان الحضور وأعدائهم، فأعطى الله سبحانه كل موجود ما عليه واقعه وقبوله ورفضه للولاية<sup>(١)</sup>.

وهو الآخر ضعيف لمخالفته الصريحة للنصوص، ولأن الباري عز وجل لو شاء أن يعمل بعلمه ويعطي كل موجود آثاره وخصائصه استناداً إلى إرادته لا اختباره لم يكن وجه للاختبار وعرض الولاية.

### العرض الحقيقي للولاية

والحق هو أن الولاية عرضت حقيقة على جميع الموجودات، فبعضها قبل وبعضها رد، والذي قبل بعضه بادر وأذعن قبل غيره، وبعضه تردد، كما أن الرد بعضه وقع أسرع من غيره، أو عن شدة عناد، وبعضه عن نفرة وهكذا، وعلى أساسه تمايزت المخلوقات في القرب والبعد، والدليل على هذا وجوه:

الأول: ما ثبت بالآيات والروايات والبراهين العقلية أن كل شيء في العالم حي مدرك له نسبة من العقل والشعور، كما أنه مكلف بالطاعة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وما ورد في وحي الله سبحانه للأرض والنحل، وفي مخاطبة سليمان للنملة والهدهد، وتأويب الجبال مع داود، وفي مكالمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام للجماد

(١) انظر البحار: ج ٢٧، ص ٢٨٣ - ٢٨٤، بيان.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

والنبات والحيوان دليل على ذلك، فعدم دركنا لكيفية تعقل الكائنات وكيفية شعورها ونطقها لا ينفي وجودها، وقد ثبت بالتجربة الحسية أن بعض الحيوانات إذا دربت على النطق والكلام نطقت، كما أنها تدرك أهلها وتعرفهم وتتفاهم معهم بالإشارات والتلميحات، كما أن الحيوانات الوحشية كالأسد والنمر إذا دربا صارا أليفين.

وفي رواية أبي حمزة الثمالي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنه كان يقول: ﴿ما بهمت البهائم عنه فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالرب تبارك وتعالى، ومعرفتها بالموت، ومعرفتها بالأنثى من الذكر، ومعرفتها بالمرعى الخصب﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿مهما أبهم على البهائم من شيء فلا يبهم عليها أربع خصال، معرفة أن لها خالقاً، ومعرفة طلب الرزق، ومعرفة الذكر من الأنثى، ومخافة الموت﴾<sup>(٢)</sup>.

### التسليم للحقائق العجيبة

والخلاصة: أن إنكار مثل هذه الحقيقة ناشئ من توهم أن الجماد والنبات والحيوان لا يدرك ولا يعقل، فإذا ثبت أنه يدرك ويعقل يبطل الإنكار وترتفع الشبهة، سيما وأن الوجدان يشهد بإدراك الحيوان وتعقله.

---

(١) الكافي: ج ٦، ص ٥٣٩، ح ٩؛ الخصال: ص ٢٦٠، ح ١٣٦؛ الأمالي (للطوسي):

ص ٥٩٤، ح ١٢٣٠.

(٢) الكافي: ج ٦، ص ٥٣٩، ح ١١.

**الوجه الثاني:** أن الاستغراب ينشأ من ملاحظة المخلوق في نفسه، وأنه لا يدرك ولا يعقل، فإذا لوحظت بالقياس إلى إرادة الله سبحانه فإنه يمكن أن يلهم الحيوان المعنى والإدراك والعقل، وإذا سأله وعرض عليه الولاية أجابه؛ لأنه الخالق القادر على كل شيء فيرتفع الإشكال.

**الوجه الثالث:** أن العقل والمنطق العلميين يستدعيان الإيمان بالحقائق التي يخبر عنها العالمون الصادقون، وعدم تكذيبها أو التردد فيها من قبل الجاهلين بها.

فلو أخبر الطبيب الخبير الثقة المريض بالمرض وعلائمه وخصائصه فإن رفض المريض الجاهل وتردده مخالف للميزان العلمي والمنطقي؛ لأن الجاهل لا يعرف الواقع، وهكذا في كل علم وفن، ومنه إخبارات الباري عزَّ وجلَّ خالق الأشياء ومكونها وأوليائه الأطهار عليهم السلام الذين هم واسطة الخلق والإيمان، فإنها ناشئة عن كَوْن الخلق وأودع فيه أسراره، فالعقل والمنطق العلمي يقضيان بوجوب التصديق بها وإن لم تكن ندرك كيفية حصول ذلك، والقاعدة تقتضي إيكال ذلك إلى أهل الاختصاص، أو إلى تطور العلم في المستقبل لفهم ذلك لا رده أو استهجانته.

وسوف يرى المنكرون بعد رحيلهم عن الدنيا ودخولهم عالم البرزخ الكثير من الحقائق التي كانوا ينكرونها، وسيعرفون أنها كانت حقاً، وأن من غير المنطقي رد ما جهلوه.

كما أشار القرآن الكريم إلى أن المنكرين للنار سيعرضون عليها ويلقون فيها ليكون ما أنكروه بأوهامهم محسوساً لهم، فيخاطبهم ملائكة الله: ﴿هَذِهِ

جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* اضْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ .

فيتحصل من مجموع ما تقدم: أن الولاية لمحمد وآل محمد عليهم السلام هي مدار عالم الإمكان تكويناً وتشريعاً منها تبدأ الأشياء وإليها تعود، وهي الصراط المستقيم الذي يطلب أن يكون عليه كل مخلوق.

### مناقشة الإشكال السندي

فإن قال قائل: إن الروايات التي تقدمت لا يمكن اعتبارها لضعفها سنداً. فالجواب عليه من جهات:

الأولى: أن أصل الدعوى غير صحيح؛ لأن بعض الروايات معتبرة.

الثانية: على فرض تسليم الضعف السندي لكل رواية لكنها ليست رواية واحدة أو اثنتين، بل روايات كثيرة، والكثرة تحقق الاستفاضة أو التواتر المعنوي، وضعف رواية واحدة أو أكثر لا يضر؛ لأن تعاضدها بغيرها يفيد الوثوق بالصدور كما حققناه في مباحث فقه الحديث <sup>(٢)</sup> .

الثالثة: أن القرائن الوثوقية شاهدة على صحتها؛ لأنها موافقة لآيات القرآن التي تحدثت عن إدراك الحيوانات ونطقها وإيمانها وإخباراتها، كما في قضية النملة والهدهد مع سليمان عليه السلام، والغراب الذي جاء يفحص في الأرض ليعلم قابيل كيف يدفن أخاه، فضلاً عن موافقتها لمتواتر السنة الشريفة، بل والعلوم التجريبية التي أثبتت أن للكائنات - خاصة الحية منها

(١) سورة يس: الآيتان ٦٣ و ٦٤ .

(٢) فقه الحديث: ج ٢، ص ٤٥٤ .

— دركاً وشعوراً وإرادة، وما ثبت بالتجربة أن بعض أصناف البيغاء يحفظ الكلمات وينطق بها وربما تكلم بجملته مفيدة.

### الضعف السندي لا يمنع من العمل

الرابعة: أن الضعف السندي في نفسه لا يصلح أن يكون مبرراً لترك العمل بالرواية إذا وردت بكتاب معتبر، أو رواها عالم ثقة، أو عضدته التجربة أو القرائن الوثوقية، فالخبر الضعيف ليس بأدنى من الخبر أو التقرير الذي يرويه إعلامي فاسق أو خبير غير محرز الوثاقة في وسائل الإعلام اليوم، بل السيرة العقلانية قائمة على تصديقه ما لم تقم الشواهد على كذبه، وهذا ما يستفاد من نهج القرآن الكريم؛ إذ أمر بالتبين من الخبر الذي يرويه الفاسق وعدم التسرع في رده أو قبوله؛ إذا قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهي صريحة في عدم صحة التسرع في رد الخبر الذي يرويه الفاسق، بل التبين منه؛ لأن الكاذب قد يصدق في بعض إخباراته، وفي التبين تعضيد الخبر بالقرائن الوثوقية، ومن أقوى القرائن هي التجربة والعلوم التجريبية، وهذه الطوائف من الأخبار تعاضد على صدقها القرائن، فلا داعي لردها أو التوقف فيها؛ لأنه تضييع للعلم والمنافع.

والخلاصة: أن الأخبار التي نصت على عرض ولاية آل محمد ﷺ على

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.

المخلوقات ليست ضعيفة في نفسها؛ لأنها مستفيضة أو متواترة، وعلى فرض ضعف سندها فإنها معتزدة بالقرائن الاعتبارية فلا داعي للتوقف فيها.

### التعليم التاسع: صراط الله واحد لا متعدد

إن الصراط المستقيم واحد، وهو سبيل الله تعالى ومنهجه الذي وضعه للبشر، وقد علمنا الباري عزَّ وجلَّ أن نطلب الصراط المستقيم دائماً، وقد ضرب لنا مثلاً فجعل الكون يقوم على هذا الصراط وتشريعاته، ونصب القادة والأئمة لذلك، والإنسان هو الذي ينحرف عنه فيجعل لنفسه طرقاً عديدة تبعاً للأهواء، فالهدى والنور والاستقامة من الله تعالى، والانحرافات والضلالات تأتي من الإنسان. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد دلت على أن سبيل الله تعالى واحد لا متعدد، وأهل الدنيا يطلبون اعوجاج الطريق، وكلما ابتعدوا عن الصراط زاد انحرافهم؛ لذا وصف ضلالهم بالبعيد؛ لأنهم يذهبون بعيداً عن الاستقامة.

فالله سبحانه جعل العالم يقوم على صراط مستقيم في التكوين، وكلُّ في الوجود ميسر لما خلق، فله غاية وخصائص وآثار ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فالكتاب التكويني واحد في نظامه وسننه، وواحد في مصيره.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

وكذلك في كتاب التشريع؛ إذا قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾<sup>(١)</sup> فكتاب التشريع واحد مستقيم لا عوج فيه، وهو مما يستدعي الحمد؛ إذ لو كان في الكتاب عوج لم يصل أحد من العباد إلى غاية، كما أن كتاب التكوين مستقيم لا إفراط فيه ولا تفريط، بل قائم بالقسط، وهذا أحد معاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> إذ لا عوج ولا خلل ولا اضطراب في خلقه وتكوينه، ولا في منهجه وأحكامه، ولا في جزائه وحسابه.

وقال: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني جميع الأمم، فينتصف للمظلوم من الظالم، وفي من لا يحضره الفقيه قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿أي بعير حُج عليه ثلاث سنين جعل من نعم الجنة﴾<sup>(٣)</sup> أي أنعام الجنة، وروي سبع سنين<sup>(٤)</sup>، ولعل هذا من باب العدالة والمكافأة؛ لأنه أجهد في طريق حج بيته، وكل من يقوم لله سبحانه لا يضيع عمله.

وروى الصدوق قدس سره عن السكوني بإسناده، أن النبي صلَّى الله عليه وآله أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال: ﴿أين صاحبها، مروه فليستعد غداً للخصومة﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي مجمع البيان عن أبي ذر قال: ﴿بيننا أنا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله إذ انتطحت

(١) سورة الكهف: الآية ١.

(٢) سورة هود: الآية ٥٦.

(٣) الفقيه: ج ٢، ص ٢٩٣، ح ٢٤٩٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الفقيه: ج ٢، ص ١٩٢، ح ٢٤٩٠.

عزان، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون فيما انتطحا؟ فقالوا: لا ندري. قال: لا، ولكن الله يدري وسيقضي بينهما<sup>(١)</sup>.

فالعادل صراط الله المستقيم إذا وقع ظلم بين الحيوانات، فما بالك بظلم الإنسان.

الإنسان هو الذي يخرج عن الصراط فيخل بنظام التكوين والتشريع بسبب تماديه وجحوده. أخبر عن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّراطِ لَنَّاَكِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup> والنكوب الميل والانحراف، والصراط الذي يدعوهم إليه ونكبوا عنه هو ولاية علي والأئمة عليهم السلام كما في الأخبار، وفي أصول الكافي عن صفوان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله، فإنهم عن الصراط لناكبون﴾<sup>(٣)</sup>.

### لماذا لا يعرف الله نفسه؟

فالله سبحانه لا يعجزه أن يعرف العباد نفسه، لكن العباد قاصرون عن معرفته إلا بواسطة تتجلى فيها آيات الله سبحانه، ومظاهر جماله وجلاله، وهم محمد وآل محمد عليهم السلام الذين يبينون للناس ما ينفعهم ويضرهم من أمر دينهم ودنياهم، لكن الناس إذا تخلفوا عنهم نكبوا عن الصراط، ومن

(١) مجمع البيان: ج ٤، ص ٥٠؛ تفسير كنز الدقائق: ج ٤، ص ٣٢٣.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٧٤.

(٣) الكافي: ج ١، ص ١٨٤، ح ٩.

نكوبهم عن الصراط تغيير خلق الله سبحانه، كما يلحظ في تحويل الجنس أو العلاقات الشاذة، أو استعمال الهرمونات والأدوية للتأثير على النبات والحيوان وتغيير أحكامه وحدوده، وانحرافهم في ذلك له شكلان:  
الأول: التقنين والعمل المخالف.

الثاني: تغيير الأسماء والعناوين، والغاية من ذلك خداع الناس وتبرير العصيان.

### شذوذ الفكر وتحريف المصطلحات

فمثلاً: جعل الله عزَّ وجلَّ العلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على عقد الزوجية، ووضع لها آدابها وأحكامها ولوازمها، فالصراط المستقيم التكويني والتشريعي لذلك هو المجامعة عن عقد زوجي، لكن أهل الدنيا صنعوا لأنفسهم طريقاً آخر للعلاقة وبنوها على مجرد التراضي ولو بدون عقد، ولم يكتفوا بل أباحوا العلاقة بين المرأة والمرأة والرجل والرجل، وأسموه العلاقة المثلية تمويهاً وتزييفاً لقبحها، وأدرجوها في الاختيار والحرية، وجعلوا لها صوتاً وقانوناً وحماة.

والغناء يسميه الباري عزَّ وجلَّ هو الحديث<sup>(١)</sup>، وقيل: الكلام سوى

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، سورة لقمان: الآية ٦؛ وانظر تفسير القمي: ج ٢، ص ١٦١؛ الكافي: ج ٥، ص ١١٩، الهامش؛ معاني الأخبار: ص ٣٤٩، ح ١؛ معاني القرآن: ج ٥، ص ٢٧٧.

كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرة الصالحين فهو لهو<sup>(١)</sup>، وهم أباحوه ووصفوه بالفن، والمسكر حرمه البارى عزَّ وجلَّ ووصفه بالخمير، وهم أباحوه ووصفوها بالمشروبات الروحية، والزيادة على الدين ونحوه حرمها البارى عزَّ وجلَّ ووصفها بالربا، وهم أباحوها ووصفوها بالربح، والاحتشام أوجه البارى عزَّ وجلَّ على النساء والرجال، لاسيما ستر المرأة، وهم أباحوه ووصفوه بالانفتاح والحرية، وبعضهم يقول لا يهم أن تستر المرأة بدنها، المهم أن يكون قلبها أبيض، وهكذا نلاحظ كل هذه الانحرافات عن الصراط المستقيم يصنعها البشر لنفسه ويضفي عليها أسماء وعناوين كاذبة لإخراجها من عنوان القباحة؛ لذلك صارت الحياة كئيبة، وحتى في الممارسات السياسية فإن الحاكم يقتل مخالفه ويسميه بالمصلحة الأمنية، أو الدفاع عن النفس.

ففي المنظومة الإلهية لا يوجد انحراف أو فساد أو زيف، والتكوين والتشريع يقومان على صراط مستقيم، إلا أن طموحات البشر اللامشروعة وشهواتهم تخرجهم عن الصراط، وهذا ما ينبغي أن يلتفت إليه الناس، فإن الخير كله من الله سبحانه، والشر كله من أيدي البشر أنفسهم، ولأجل التخلص من ذلك لا بد من الالتجاء إلى الله تعالى والتمسك به، وطلب العون للتخلص من شرور النفس والهداية إلى الصراط المستقيم، والتمسك بمحمد وآل محمد ﷺ وهو الطريق الوسط.

(١) عيون التفاسير: ج ٣، ص ٢٧٦.

## الوسطية في الأفكار والأعمال

الصراط المستقيم الذي يطلبه العبد بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عام وشامل لكل شيء، سواء في التكوين أو في التشريع أو السلوك العملي، لكن الأول والثاني يتعلقان بفعل الله سبحانه، والثالث يتعلق بفعل العبد، والذي يحقق للإنسان أهدافه ويسعده في دنياه وآخرته هو أن يكون معتدلاً مستقيماً في معتقداته وأفكاره ومشاعره وأعماله ونطقه وبيانه، وهو ما أمر به الباري عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وَأَقِمْ فِي مَشْيِكَ﴾<sup>(١)</sup> والمراد بالمشي مطلق السير والاتجاه في الفكر والعمل، وأشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ﴿اليمين والشمال مَضَلَّةٌ، والطريق الوسطى هي الجادة﴾<sup>(٢)</sup> ويتمثل اليمين والشمال بالإفراط والتفريط في الأمور، والطريق الوسطى المتميزة بالاستقامة.

فمثلاً: في عقيدة التوحيد الأمر بين الأمرين هو الاعتدال والطريق الوسطى، ويقابله الجبر والتفويض يمين وشمال، فالجبري يسلب الإنسان اختياره ويخليه من مسؤولياته ويصيِّره آلة، ولازمه أن يكون ما يفعله الإنسان من القبائح منسوباً لله تعالى، والمفوض يعطيه كل الاختيار ويجرده عن حكومة الخالق وإرادته وتأثيره، فيجعله فاعلاً مختاراً في عرض فعل الله تعالى، فالأول يجرد الباري عزَّ وجلَّ من الجلال، والثاني يجرده من الجمال، وكلاهما انحراف.

(١) سورة لقمان: الآية ١٩.

(٢) نهج البلاغة: ج ١، ص ٥٠، الرقم ١٦؛ البحار: ج ٦٧، ص ١٢، ح ١٤.

وفي النبوة يرى البعض أن الأنبياء بشر عاديون لا يملكون تمييزاً معنوياً في العلم والقدرة، وربما فسّر ما يظهر على أيديهم من آيات وكرامات بأنها من السحر، وبعض الكلام العميق الذي لا يدركه هو بالجنون، وفي مقابله قد ينسب البعض لهم صفات الله سبحانه الخاصة، ويجعلهم أرباباً مع الله، كما فعلته اليهودية في عزير إذ قالت هو ابن الله، والنصرانية إذ قالت المسيح ابن الله<sup>(١)</sup>، والطريقة الوسطى هو أنهم بشر جعلهم الله سبحانه مظاهر علمه وقدرته وحكمته.

وفي الإمامة كذلك بعضهم ينصبون العداة ويقصرون من مقامات الأئمة عليهم السلام المعنوية، وبعضهم يغالون فيهم فيجعلونهم أنبياء أو أرباباً، والطريقة الوسطى هو ما قالوه: ﴿نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا﴾<sup>(٢)</sup>.

### الاعتدال في طلب الدنيا

أما العلاقة بالمال والدنيا، فإن البعض يتخذها رباً يعبدونها من دون الله تعالى، فلا يهتم بشيء كما يهتم لكسب المال من أي طريق، ولا يشغله شيء أكثر من تحصيل نعيم الدنيا، والبعض في مقابله يزهد بهما زهداً كبيراً بحيث لا يبالي بشيء، وربما يعرض نفسه للذل، والطريق الوسطى ما قاله عزّ

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ

اللَّهِ﴾ سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٢) الأنوار الساطعة: ج ٤، ص ٣٧٠.

وجَلَّ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَابْتَغِ﴾ ولم يقل (اطلب) لأن الابتغاء هو الاجتهاد في الطلب، وهذا لا يليق إلا بأعمال الآخرة؛ لاحتياجها إلى مجاهدات، وأما الدنيا فلكل إنسان فيها نصيب مكفول من قبل ربه، فلا ينبغي أن يبالغ في طلبه، بل يهتم له بعض الاهتمام ولا ينساه، وفي ذلك يجب أن يكون محسناً في التصرف بتوظيفه للآخرة أيضاً.

وقد ورد عنهم أن المال يستحب كسبه لأجل إنفاقه ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وإقامة الصدقات الجارية، والزهد الذي ينتهي إلى الفقر والمذلة حرام، فالمطلوب في الزهد التحرر من إسارة المال والدنيا، لا عدم التمتع بهما، وقد ورد عنهم عليه السلام: ﴿ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، وإنما هو أن لا يملكك شيء﴾<sup>(٢)</sup>.

### الاعتدال في تدبير الأسرة

وفي السلوك الاجتماعي قد ترى البعض لا يبالي بالحرام والحلال، ويطلق لزوجته العنان لتسرح وتمرح في الطرقات والأسواق دون مراعاة للموازن الشرعية أو الحشمة والعفة، والبعض الآخر في مقابله يجبسها ويضيّق عليها معيشتها بداعي الحجاب والعفة، وكلاهما خروج عن الصراط المستقيم، والاستقامة في ذلك الاعتدال، بأن تملك المرأة الحرية

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٢) الفوائد الرجالية: ج ١ ص ٣٨.

في إطار الشرع، وتكون محجبة بالحجاب الشرعي، وترعى الموازين وتمارس دورها في الحياة بشكل طبيعي.

ومثله يقال في التصرفات المالية، فالبعض يبتلى بالبخل، والبعض بالإفراط في الإنفاق، وكلاهما قبيح ومحرم، والاعتدال ما قاله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>(١)</sup> وحتى في الملكية والحرية جعلها الله سبحانه في الجادة الوسطى، فمن جهة يقول عز وجل: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> وفي الخبر: ﴿الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم﴾<sup>(٣)</sup> ويضاف لهم حقوقهم، ولكن من جهة أخرى قال: ﴿لا ضرر ولا ضرار﴾ فالحد الوسط بينهما هو أن حرية التصرف بالمال والنفس تنقيد بعدم الضرر والإضرار - خاصة - بالغير.

وفي حب الوالدين يقول عز وجل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٤)</sup> وفي مقابل ذلك يقول: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٥)</sup> فالطريق الوسطى هي إطاعة الوالدين والبر بهما في غير الحرام والقبيح، وفي الأكل والشرب يقول عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٣) الوصائل إلى الرسائل: ج ١، ص ٣٨٩، الهامش؛ نتائج الأفكار: ج ٣، ص ٢٩٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٥) سورة لقمان: الآية ١٥.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٣١.

فالشرع حث أهله على الاعتدال والاستقامة في كل شيء في العمل والدرس والأكل والإنفاق والغضب والصلح وحب الأهل والأولاد، وفي مقابل ذلك نهاهم عن الإفراط والتفريط، وجعلها من علائم الحمق في الإنسان وقلة العقل، وهو مقعد إبليس لبني آدم؛ إذ تعهد بأنه يقعد لهم الصراط المستقيم قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعليم العاشر: الصراط العمودي والأفقي

إن الصراط المستقيم له حالتان:

الأولى: عمودية، بأن يرتقي الإنسان في الدرجات ويصعد في كمالاته وأعماله حتى يبلغ غاية القرب.

### صراط المعارف والأعمال

والثانية: أفقية، ولكلٍّ منهما صراط واستقامة، صراط الأولى متعلق بالمعارف والعقائد الصحيحة، وصراط الثانية بالأعمال الصالحة والعبادات ومعاشرة الناس بالحسنى، والاستقامة في الأولى أن تؤخذ المعارف من المعصوم عليه السلام فلا تؤخذ من غيره، والاستقامة الثانية تؤخذ من اتباع المعصوم قولاً وعملاً وهم العلماء الربانيون، ويقابل ذلك الانحراف عن الصراط، فإنه أيضاً له حالتان:

الأولى: الانحراف العمودي وسبيل العقائد الفاسدة، ومصيره الهوي والسقوط.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦.

## انحراف الاخلاق والأعمال

والثانية: الانحراف الأفقي، وهو الشطوط والخروج عن الصراط يميناً أو شمالاً بالأعمال والأخلاق، والأولى تشمل أصنافاً من الناس هم القادة والزعماء والعلماء غير الأتقياء، فإن خروجهم عن الصراط يتحقق بالهوي والسقوط؛ لأنهم يسقطون من مكانتهم العالية في الحكم والقدرة، أو عن مكانتهم العالية في العلم، وقد ضرب الله سبحانه لهذا مثلاً في بلعم بن باعورا. قال سبحانه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: ﴿أنه أعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم، فكان يدعو به فيستجاب له، فمال إلى فرعون، فلما مرَّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادعُ الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرَّ في طلب موسى عليه السلام وأصحابه، فامتنت عليه حمارته، فأقبل يضربها، فأنطقها الله عزَّ وجلَّ فقالت: ويلك علامَ تضربني؟ أتريد أن أجيء معك لتدعو على موسى نبي الله وقوم مؤمنين؟! فلم يزل يضربها حتى قتلها، وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه، وهو قوله: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ولم يعمل بعمله<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الأعراف: الآيتان ١٧٥ و ١٧٦.

(٢) انظر تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨؛ مسند الإمام الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٣٣٥، ح ٨٣.

وفي الآية إشارتان هامتان:

### معنى الانسلاخ

أولاهما: أنه وصف عدم عمله بعلمه بالانسلاخ، وهو الخروج من الجلد والثوب الذي به تظهر شخصية الإنسان، وهذا شأن العلم، فإنه يتحد بشخص العالم، فيكون له كالثوب يزيّنه، فإذا لم يعمل به يكون كأنه قد خلعه من نفسه؛ لذا يصبح مفضوحاً مذموماً كالشخص الذي يخرج للناس بلا ثوب ولا ستار، وهذا هو شأن العالم غير المتقي.

### مصير علماء الظلمة

ثانيتها: أن الباري عزّ وجلّ ضرب بيلعم مثلاً لكل عالم وباحث ومفكر وإعلامي يضع علمه وفكره لخدمة الظالم أو إضلال الناس وإبعادهم عن الصراط المستقيم، بأن مصيرهم هو انتزاع العلم منهم وسقوطهم بين الناس، وفي الآخرة يحاسبون أشد الحسَاب.

والثانية تضيف لهم فئة ثالثة هم أتباعهم الذين يخدعون بهم، وفئة رابعة الذين يغويهم الشيطان فيخرجهم من النور إلى الظلمات.

الشاهد على هذا التقسيم القرآن نفسه في آيات عديدة، ففي الأولى قال سبحانه: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾<sup>(١)</sup> وقد جعل الغضب ملازماً للطغيان، والهوى ملازماً

(١) سورة طه: الآية ٨١.

للغضب، ولكن سبب ذلك كله هو الطغيان.

وفي الآية دلائل هامة:

الأولى: أن الباري عزَّ وجلَّ لا يعفو عن الطغاة؛ لأن الطغيان ظلم عظيم وتجرؤ على الله سبحانه.

الثانية: أن عاقبة الطغيان الهوي، وهو السقوط من الأعلى إلى الأسفل؛ للإشارة إلى الهلكة الحتمية التي فيها فقدان عناصر القوة والطغيان من مال وسلطان وعلم ونحوها في الدنيا، والسقوط في جهنم في الآخرة. إشارة إلى أنهم لا يمرون بفترة حساب ومساءلة؛ لأنهم مجرمون، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون<sup>(١)</sup>.

### الطغيان الجماعي

الثالثة: أن الطغيان قد يكون فردياً كفرعون وهامان وأمثالهما في كل زمان ومكان، وقد يكون جماعياً كما وقع لبني إسرائيل؛ إذ نزلت الآية الكريمة فيهم؛ إذ قال سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى \* كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْتَلُّ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ سورة القصص الآية ٧٨.

(٢) سورة طه: الآيتان ٨٠ و ٨١.

وكان طغيانهم بالسرف والبطر ومنع المستحق والحرص على جمع المال وعدم الشكر للنعم، وهذا مصير كل مجتمع يتمرّد على نعم الله تعالى وأحكامه، ويبدل النعم بالكفر، فإنه تنزل به النقمات التي لا تبقي لهم عالياً وعزاً.

وفي الثانية قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> والنكب الميل والانحراف. يقال نكب فلان أي مال واعتزل<sup>(٢)</sup>، والنكوب عن الصراط الخروج عنه انحرافاً.

### رسول الله ﷺ يدعو للولاية

والآية تشهد لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه يدعو الناس إلى ولاية أمير المؤمنين ﷺ، وأن في الأمة من لا يؤمن بذلك، وصفته أنه لا يؤمن بالآخرة؛ لأن الذي يؤمن بالآخرة يخاف ربه، ويستمع لنداء النبي ﷺ، وبه يكشف الباري عز وجل عن وجود ملازمة بين إنكار ولاية أمير المؤمنين ﷺ وبين عدم الإيمان بالآخرة عند من يعرفها ويتمرد عليها، وقد ورد هذا المعنى في الأخبار<sup>(٣)</sup>.

ومن ينكب عن الصراط يبتلى بالفساد والظلم والشقاء في الدنيا فضلاً عن الآخرة، والفساد والظلم من أكثر أسباب الشقاء الروحي الذي تزول

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٧٣ و ٧٤.

(٢) المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٥٠، (نكب).

(٣) الكافي: ج ١، ص ١٨٤، ح ٩؛ التفسير الصافي: ج ٣، ص ٤٠٦.

أمامه النعم المادية، فربما يلاحظ الإنسان بعض المنحرفين عن الصراط في ثراء مادي أو نعومة في العيش، لكنهم في أرواحهم وضمايرهم في عناء وشقاء، والسعادة والسرور بالأرواح لا بالأموال والقصور، وألفت الأنظار إلى أمرين:

### النكوب والهوي

الأمر الأول: أن النكوب عن الصراط المستقيم ليس كالهوي، فإن الهوي قد يقع دفعة وفجأة، أما النكوب فيقع تدريجياً، ويبدأ باعوجاج بسيط، فإذا أهمله الإنسان ولم يقومه اتسع أكثر، وإذا استمر عليه ولم يعد يتعد كثيراً ويضيع، ولذا وصفه الباري عزَّ وجلَّ في آيات عديدة بالضلال البعيد.

منها: قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>.

### سبيان للضلال البعيد

وتدل الآية المباركة على أن ضلالهم البعيد ناشئ من سبين:

الأول: حبههم للدنيا ولذائدها وتفضيلها على الآخرة، وحب الدنيا يعمي ويصم، ويبدأ صغيراً، فإذا لم يعالجه الإنسان يزداد ويكبر معه، فكلما كبر سنّه أو كبرت مزاياه يطلب المزيد.

الثاني: أن غايتهم الدنيوية التي يطلبونها تجعلهم يحاربون كل هداية

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣.

ونور، ويمنعون اهتداء الناس إليه؛ لذا يصدون عن سبيله ويبغونها عوجاً. فلاحظ أن انحرافهم يبدأ من أنفسهم أولاً بسبب حبهم للدنيا، ولما لم يعالجوا ذلك يصبحون قادة وزعماء لنشر الفساد والانحراف والمنع من سبيل الله سبحانه، وأكثر المجرمين والفاستدين يبدأ فسادهم صغيراً، فلما لا يعالجونه يتمادون فيه، فيتعدون عن الصراط المستقيم جداً بحيث لا يرجى عودهم، ولذا وصفهم بالضلال البعيد<sup>(١)</sup>.

### معالجة الفساد في مهده

الأمر الثاني: أن الإصلاح في الأفكار والأعمال والأوضاع الاجتماعية والسياسية تارة يتم برفع الفساد، كالشخص الذي يهدم الدار الفاسد ليبنى مكانه الصالح، وتارة بصد الانحراف والفساد من أوله، وهذا الثاني أهم وأسلم طريق لمعالجة الفساد؛ لأن الفساد إذا استشرى يصعب تغييره، وإذا أمكن تغييره فإنه لا يكون جذرياً؛ لأن بقاياها تبقى في النفوس وفي العلاقات، فإذا تصدى المصلحون للفساد منذ أوانه الأول ومنعوا من استفحاله تمكنوا منه؛ لأن الفساد مثله مثل السرطان ما دام صغيراً يمكن تطويقه واجتثاثه، فإذا أهمل وترك استفحل وقضى على صاحبه، وهذا قانون واحد في الأفراد والأسر والمجتمعات والدول، ولذا قرر الشرع قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرّم على الناس إذا رأوا منكراً أو فساداً أن يسكتوا عليه.

---

(١) انظر نفحات الرحمن: ج ٣، ص ٥٠٠.

## تكليفان في معالجة الفساد

ومن هنا يظهر تكليفان على الناس:

**الأول:** تكليف شخصي على كل إنسان إذا أخطأ أو اشتبه أو وجد نفسه أنه يخرج عن الصراط في أفكاره ومعتقداته، أو في أخلاقه وعلاقاته الاجتماعية، أو في وظائفه ومهامه الإدارية أن يتراجع عنه فوراً، فالعيب كل العيب أن يتماذى الإنسان في الخطأ، والفضل كل الفضل أن يكون شجاعاً صادقاً يعالج الخطأ من أوله.

## التكليف الاجتماعي وكثرة الطلاق

**الثاني:** تكليف اجتماعي عام، فإن الإصلاح في المجتمع لا يكون إلا بتصدي الجميع لمعالجة الانحراف والخطأ، ولو راعى الناس هذه القيمة الأخلاقية لأمكن الوقوف أمام الكثير من الظلمات التي تقع في الأسر والعوائل؛ فمثلاً يكثر الطلاق بسبب تماذي الزوجين وربما أهلها بالخطأ وعدم الوقوف أمامه من أوله.

كما أمكن الوقوف أمام الكثير من الانشقاقات والانقسامات التي تحصل في التجمعات والمؤسسات، كما أمكن الوقوف أمام الكثير من الظلمات والفساد التي تعملها الأجهزة الحاكمة، فالصراط المستقيم في كل شيء يقتضي المراقبة والمحاسبة والمعالجة، وإلا وقع الانحراف واستشرى.

فإذا لا يراعى ذلك ولا يعمل لأجله كانت النتيجة وخيمة على كبار المجتمع من قادة وعلماء وزعماء، فإنهم يتلون بالسقوط، أو ينأى بهم المسير

ويقعون في ضلال بعيد، ولا يرجى لهم حياة طيبة بعد ذلك، ولذا قرر الشرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرم على الناس إذا رأوا منكراً أو فساداً أن يسكتوا عليه، ولو سكتوا لاستشرى فيهم وغلب.

فعن النبي ﷺ: ﴿لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء﴾<sup>(١)</sup> ونزع البركات أخطر ما يواجهه البشر، وهي لا تعني أن يعيش الناس الفقر لا يملكون مالاً ولا رفاهاً، بل قد يملكون كل شيء ولكن يفقدون الهناء والعافية والسعادة.

### آثار نزع البركات

ومن آثار نزع البركات أن يتسلط الأقوياء على الضعفاء فيسلبوا راحتهم وكرامتهم، ومن آثاره قساوة القلوب، فلا يجد الضعيف من يستنجد به لأخذ حقه، ولا يجد ناصرًا له في الأرض، ويصرف الله سبحانه عنهم عنايته ولطفه فلا ينصرهم لأنهم تردوا، وبأيديهم صنعوا مصيرهم بتخليهم، فلم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر.

يشهد لهذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بصيغة الجمع؛ لأن الهداية الحقيقية تقوم على ثلاثة شروط:

---

(١) الوسائل: ج ١٦، الباب ١ من أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، ص ١٢٣، ح ٢١١٤٤؛ مشكاة الأنوار: ص ١٠٥، ح ٢٣٩.

## شروط الهداية

الأول: العمل الجمعي الذي يقوم به عموم أبناء المجتمع باتجاه هدف واحد وغاية، فلا هداية مع تعدد المقاصد والغايات؛ لأن تعدد الغايات يوجب تفرق السبل وتزاحمها، وربما تصادمها، ولذا يقول عز وجل: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> فإن لفظ الأمة يقتضي وجود وحدة في الأهداف والطرق، ثم جامع مشترك يضم الجميع تحت خيمة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الثلاثة أي الخير والمعروف والمنكر مما لا يختلف عليها أحد، ولذا تكون عاقبتهم الفلاح.

## صناعة الأجواء الصالحة

الثاني: صناعة الأجواء الإيجابية للصلاح، ويبدأ ذلك من إصلاح النفس، فإن المصلح يجب أن يكون صالحاً؛ إذ لا يمكن أن يأمر الناس بالمعروف وهو لا يفعله؛ لأن التغيير والإصلاح لا يكون في الأجواء الفاسدة، فحفظ المظاهر الصالحة في الحياة العامة ركن أساس في كل إصلاح، والتأثير في الرأي العام يبدأ بالنفوس ثم المجتمع، ولذا أمر الباري عز وجل بإقامة الدين، ونهى عن التفرق فيه بقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١﴾ .

وإقامة الدين تعني جعله قائماً مشهوداً للجميع في الأجواء العامة، ووصفه بالقيام لأن حالة القيام هي أفضل حالات الشيء بحيث يؤدي دوره ويظهر أثره، فالإنسان حينما يعمل وهو قائم أقدر على إنجاز المهمة منه وهو نائم أو جالس، والحاكم والحكم إنما يكون قوياً نافذاً إذا كان قائماً، والدار يظهر أمره إذا كان قائماً، والشجرة تعطي ثمارها وهي واقفة، فإذا صار الدين قائماً معناه أن يحكم في الأجواء العامة ولا ينحصر بالبيت أو المسجد.

### معنى قيام الدين

وقيام الدين يعني ظهوره في أعمال الناس وتصرفاتهم في الشارع والدائرة والمدرسة والجامعة والسوق، وفي كل مكان ومجال يكون هو الحاكم في الأنظمة والتعاليم والقرارات الرسمية وغير الرسمية.

والملفت أن الآية ذكرت التوصية بخمسة من أولي العزم من الرسل، وأن جميع الرسل وأتباعهم مكلفون بأمر واحد هو جعل الدين قائماً في الحياة الاجتماعية، وخصائصه وآثاره ظاهرة في العلاقات والأعمال والأفكار والنظم العامة، ولا يخفى ما في ذلك من دلالة على أن دين الله تعالى واحد منذ أول الخليفة، وهو الإسلام المكتمل بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، واختلاف الأديان باختلاف الشرائع وبعض الأحكام لا أصل الدين؛ لذلك اتفق جميع الأنبياء على التوحيد والإقرار بنبوة الرسول الخاتم صلوات الله

وولاية أمير المؤمنين عليه السلام لأنها أصول الاعتقادات، ومنشأ الوجود تكويناً وتشريعاً، وهو ما ورد عن الباقر <sup>(١)</sup> والصادق <sup>(٢)</sup> والرضا عليهم السلام <sup>(٣)</sup>.

ودين الله سبحانه هو دين محمد وآل محمد عليهم السلام، أما المسيحية واليهودية والإبراهيمية وكل ما يسمى أنه دين سماوي فهو ممهد لخاتم الأديان وخاتم الرسل صلوات الله عليهم، فاليهودية الصحيحة تؤمن بالإسلام وليس في عرضه، والمسيحية كذلك، وما يسمى اليوم بالديانة الإبراهيمية فليس لإبراهيم عليه السلام دين غير دين محمد وآل محمد عليهم السلام. هذه الحقيقة التي يجب أن يلتفت إليها أهل الإيمان.

الثالث: إيجاد الأجهزة الرقابية التي تراقب وتطالب وتحاسب لتقويم الاعوجاج والمساعدة على معالجته، وهذه نتيجة منطقية لكل إصلاح واستقامة على الصراط، ولولاها ينتقض الغرض من الشرط الأول والثاني. ويتحصل: أن ضمير الجمع في الآية المباركة يشعر بوجود سعي المجتمع والأمة برمتها لطلب الهداية في صلواتها ودعواتها لتكون حالة عامة في المرافق العامة بأنواعها وأصنافها، ووضع الأسس واللبنيات التي تحمي ذلك وتقدمه، فإذا لا يعمل الناس بهذه القيمة لا يكونون على صراط ويغزوهم الفساد، وينتشر فيهم الظلم، ويكبر حتى يهوي بهم ويوقعهم في الضلال البعيد.

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٨، ح ١؛ البحار: ج ٦٤، ص ١١٣-١١٤، ح ٢٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٠٧-١٠٨؛ تأويل الآيات الظاهرة: ج ١، ص ٣١٦، ح ١٧.

(٣) بصائر الدرجات: ص ١٣٩، ح ١؛ الكافي: ج ١، ص ٢٢٣، ح ١.



صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ  
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

الحمد / ٧



## تعريف الصراط وغاياته

الآية وصف للصراط المستقيم، فهي عطف بيان أو بدل عن الصراط لبيان مصداقه، فبعد أن يطلب المؤمن الهداية إلى الصراط المستقيم يحضر في الذهن: ما هو الصراط المستقيم؟ وهذه قضية منطقية تتعلق بتعريف الأشياء، فأحياناً ذكر الشيء بإطلاقه لا يعرفه بالتعريف الكامل، فلا بد من التوصيف وذكر الخصائص، ومن هنا جاءت هذه الآية عطفاً على الآية السابقة، إما من باب عطف البيان أو البدل، والغاية منه تعود إلى ثلاثة وجوه:

الأول: رفع الإبهام والغموض في معنى الصراط؛ لأن البشر غالباً ما يحصل لديهم التباس في تحديد المعاني الدقيقة.

الثاني: حصر المعنى لنفي ما عداه، فإن الصراط المستقيم في مفهومه العام يمكن أن ينطبق على مصاديق كثيرة، لكن الآية حددته ببعض المصاديق لنفي ما عداه، لا سيما وأن الناس عادة يدعون أنهم على صراط مستقيم إما جهلاً منهم بالحقيقة، أو تعامياً عنها، فالذين يقرّون بالانحراف قلة.

والآية المباركة دفعت المشتركات لينحصر المعنى بصراط الذين أنعم الله سبحانه عليهم، وكانوا مرضيين عنده ولا ضالين في منهجهم، وليسوا إلا النبي والأئمة عليهم السلام، ومن يتبعهم من الأنبياء والأولياء.

فالكثير من العباد يدعون بالحقيقة إما جهلاً أو تعامياً، حتى فرعون الذي يضرب به المثل في الظلم والطغيان قال لبني إسرائيل: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾<sup>(١)</sup> لماذا برر هذا المدعى؟ فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٦.

أَوْ أَنَّ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ﴿١﴾ .

### تبرير المفسدين

نلاحظ أن أكبر مفسد في الأرض ينسب لولي الله سبحانه أنه يريد أن يظهر الفساد، وكأنه ينسب نفسه إلى الصراط المستقيم وموسى عليه السلام ليس على صراط مستقيم.

فإطلاق المعنى غير كافٍ لنفي ما عداه؛ لأن الكثير من الناس يدعون أنهم على صراط مستقيم، وأصحاب الفرق التي تشعبت أمة الإسلام إليها كل يدعي أنه على صراط مستقيم، فمن منهم يقول أنا منحرف؟ وحتى التيارات الضالة تدّعي أنها على صراط مستقيم.

فقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ غير كافٍ لبيان الحقيقة، فلا بد من بيان وصف الصراط، فيقول: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وبهذا تتضح الحقيقة، ويتبين الضال من المهتدي.

والذين أنعم الله عليهم هم أنبياء الله وأولياؤه عليهم السلام، فمن كان معهم كان على صراط مستقيم، ومن خالفهم فهو على ضلالة، فالعطف بين الآيتين من حكمته أنه ينفي الاحتمالات المشابهة التي يتقمصها البعض ويدعي ما ليس له.

الثالث: استدرار الرحمة الإلهية والعطف الإلهي في بلوغ المطلوب، فإن هذا من الأسرار في فتح الخزائن الإلهية وأدب الدعاء وحكمة السؤال؛ لأن الرحيم

---

(١) المصدر نفسه.

الكريم إذا سأله العبد بالإطلاق دون تحديد كان اتكالاً منه على حكمته، فيعطي العبد ما تقتضيه حكمته زيادة أو نقيصة، فإذا قال: اللهم ارزقني بحلالك الطيب، فإن الطيب الموكول إلى حكمة الرب ربما يكون أقل مما يطلبه العبد ويتمناه؛ لعلم الباري عز وجل بأن الزائد لا ينفعه، وإذا سأله بالتحديد والتحديد كان اتكالاً على كرمه ورحمته، فيعطيه ما يتمناه، فيقول مثلاً: ارزقني بحلالك الطيب كما رزقت فلاناً، فيكون العطاء بقدر ما رزق فلاناً.

### توازن مفاتيح الغيب ومفاتيحه

ولعل منه قولهم: ﴿اللهم صل على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وآل محمد، وترحم على محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم. إنك حميد مجيد﴾<sup>(١)</sup>.

فإن الصلاة على محمد وآله عليهم السلام وحدها كافية في إجابة الدعاء وترتيب الأثر عليه في رفع درجاتهم وإدخال السرور على قلوبهم، ولكن إجابة الصلاة وحدها موكولة إلى حكمة الخالق، والصلاة مع التشبيه بالصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم عليهم السلام موكولة إلى رحمة الخالق وكرمه، فيكون العطاء بالهداية أوضح في مقصود العبد وفي الإجابة له.

فقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ دعاء بالهداية مطلق موكول إلى الحكمة الإلهية، والحكمة تلاحظ في العبد الاستحقاق والمنفعة معاً فتوازن بينهما؛ لأنها تعني وضع الشيء في موضعه، وبقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

(١) مصباح المتهجد: ٤٤٦.

عَلَيْهِمْ ﴿ حدّد الدعاء وأوكله إلى الرحمة الإلهية، والرحمة تلاحظ في العبد ما يطلبه العبد ويرضيه بالفضل والإحسان، والإحسان فوق الحكمة؛ لأن الحكمة من العدل، والرحمة فوق العدل لأنها فضل، والعبد بما أنه قاصر جاهل مذنب لا يستحق الهداية الكاملة؛ لأن الذنوب موانع الفضل والتوفيق، فلو أوكل السؤال إلى حكمة الباري عزّ وجلّ فإن الحكمة قد تنظر إلى المانع ولا تعطيه إلاّ بمقدار الاستحقاق وهو العدل، بخلاف ما لو أوكله إلى رحمته، فإن الرحمة لا تنظر إلى الموانع في العبد، بل إلى رحمة الرب وكرمه، فيعطيه ما يطلبه ويريده إحساناً منه وفضلاً، وفي ذلك تعليم عظيم يهديننا إليه الباري عزّ وجلّ في الدعاء والمسألة، ويعرفنا توازن مفاتيح الغيب ومفاتيحه، وبذلك يظهر وجه الترابط بين هذه الآية والآية السابقة عليها.

والملفت في الآية المباركة أمور:

### مزايا التعريف بالمصداق

الأمر الأول: أنها عرّفت الصراط المستقيم بالأفراد والأشخاص ليكون من قبيل تعريف المفهوم بالمصداق، وهو من أقوى التعاريف وأظهرها وأبعدها عن الشبهات والالتباسات، وله آثار هامة، ويمكن توضيح ذلك بنحوين:

النحو الأول: أن تعريف الأشياء يمكن أن يقع على أنحاء:

### أنحاء التعريف

منها: التعريف بالمعنى كالتعاريف اللغوية، فإن أهل اللغة يعرفون الألفاظ بمعانيها، كتعريف الأسد بالحيوان المفترس.

ومنها: التعريف بالصفات، فإذا سئل عن إبليس وصفه بأنه كان من الجن، ووصف الجن بأنه مارد من نار، فعرف حقيقة إبليس والجن بأنهما من نار.

ومنها: التعريف بالضد، كما في قولهم: الحياة ضد الموت؛ لعدم إمكان إيجاد تعريف تدرك فيه الحياة، وتتعرف بضدها لأنه مدرك، وهذه التعاريف شرط وهو أن يعرف السامع المعنى الذي به يعرفه وإلا بطل التعريف، فما لم يعرف السامع معنى الحيوان المفترس لا يصح تعريف الأسد به، وكذا ما لم يعرف الجن والنار لا يصح تعريف إبليس به، وهكذا الحياة والموت.

ومنها: التعريف بالمصداق، وهو على ثلاثة أصناف؛ لأنه تارة يكون بالأشبه والنظائر، كالذي يريد أن يشتري سيارة أو قماشاً فيأتيه بنموذج من أمثاله فيعرفه به، وتارة بالإشارة الحسية، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> وتارة ببيان المصداق، فإذا سئل ما هو الإنسان؟ فيأتيه برجل مثلاً ويقول هذا هو الإنسان، وهذا هو أقوى التعاريف؛ لانحصار المفهوم به وزوال اللبس والغموض منه.

### أثر المثال في المعاني

النحو الثاني: أن المعاني لا تدرك إلا بحضور صورها في الذهن، والمتكلم إذا ذكر المعنى قبل رؤيته في الخارج كما لو قال طائرة أو قطار، وليس له مصداق في الخارج، فإن كل واحد من السامعين يصنع له صورة ذهنية له بحسب خلفياته ومداركه، فلو قيل (طائرة) في ضمن مائة شخص لم

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

يعرفوها من قبل فإن كل واحد منهم سيضع صورة خاصة به لأجل أن يدرك معناها، والنتيجة هو الجهل بالطائفة وعدم معرفتها، وأما إذا ذكره وله مصداق في الخارج يمثله فإنه يفهم كما هو ولا يقع فيه لبس ولا التباس.

ولذا درج أهل البلاغة والأدب على تشبيه غير المحسوس بالمحسوس، والتشبيه لا يطابق بين المعنيين، بل يقرب المعنى البعيد عن الأذهان إليها بالصورة المقاربة؛ لذا نجد أن الباري عز وجل حينما تحدث عن نعم الجنة ذكرها بالتشبيه والتمثيل، فقال عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآية تقرب حقيقة الجنة وما فيها من نعم بالتمثيل لتدركها الأذهان؛ لقصور اللغة والعقول عن درك واقع الجنة؛ إذ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر<sup>(٢)</sup>، وهذا نهج عام في الاستعمالات العرفية وفي التعبير القرآني؛ لأن البشر لا يعرف الأشياء إلا إذا تصورهما، ولا يفهمها إلا بطريقتين:

الأول: بالتشبيه والتقريب، وهو ليس تعريفاً حقيقياً، وإنما تقريباً.

والثاني: ببيان المصداق في الخارج، وهذا التعريف حقيقي يدفع عنه

---

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) الأمالي (للصدوق): ص ٦٣٥، ح ٨٥١؛ الفقيه: ج ٤، ص ١٧، ح ٤٩٦٨.

الالتباس والغموض، وهذا ما تناولته الآية المباركة؛ إذ عرفت الصراط المستقيم بمصاديقه الخارجية ليرتفع اللبس وتتم المعرفة، وقد قرره القرآن في آيات عديدة.

منها: قوله تعالى: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> فعرفهم بأن العبودية لله سبحانه تتم باتباع الصراط المستقيم الذي أشار إليه، وهو ولاية علي عليه السلام، وبه يكون قد طرد كل الاحتمالات المخالفة.

### وجوه القرآن الثلاثة

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(٢)</sup> فأراد بيان الحقيقة ببيان مصداقها، ولو اكتفى بقوله: (إن قومي اتخذوا القرآن مهجوراً) كان منقوضاً؛ لأن للقرآن وجوهاً ثلاثة: وجهاً لم يهجروه وهو الكتاب العزيز بوجوده الكتبي المقروء، ووجهاً آخر معناه ومضمونه، والأمة قد هجرته وأخذت بما يخالفه من أفكار وقوانين وأنظمة علمانية، ووجهاً ثالثاً مصداقه وتجسد معانيه في الخارج بشخص الإمام عليه السلام، وقد هجرته الأمة في شخصه ومضمونه، وهذا المعنى لم يفهم من قوله: (اتخذوا القرآن) ويفهم من اسم الإشارة في قوله (هذا القرآن) فيكون تعريفاً بالمصداق للمهجور، ومنه يتضح السر في الكثير من الأحاديث التي عرّف بها النبي علياً عليه السلام ومقامه، بقوله: ﴿خليفتي خاصف

(١) سورة يس: الآية ٦١.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

النعل<sup>(١)</sup> وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟، قال لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل﴾ وكان علي يخصف نعل رسول الله ﷺ في الحجرة<sup>(٢)</sup>، ومضمونه متواتر<sup>(٣)</sup>.

### لماذا عرفه النبي بخاصف النعل؟

ونلاحظ أنه عرفه بخاصف النعل ولم يعرفه باسمه وهو (علي) ونحو ذلك؛ لأن التعريف باسم علي كان يمكن أن يقع الالتباس فيه، وقد يدعى أن المراد به علي آخر غير علي بن أبي طالب ﷺ، ولكن بقوله: ﴿خاصف النعل﴾ قطع هذا العذر.

وقوله: ﴿من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه وإلى نوح في حكمه فليُنظر إلى علي بن أبي طالب﴾<sup>(٤)</sup>.

وكان يقف على باب داره ويطلق الباب، ويقر له ولأهل داره بالطهارة، وفي الغدير أخذ بيده ورفعها إلى الأعلى وقال: ﴿من كنت مولاه فهذا علي مولاه﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) رسائل الشريف المرتضى: ج ٤، ص ٦٨؛ الاحتجاج: ج ١، ص ٢٤٤.

(٢) مسند أحمد: ج ٣، ص ٣٣.

(٣) المستدرک (للحاكم): ج ٣، ص ١٢٢؛ الخصائص (للنسائي): ص ٩٠؛ أسد

الغابة: ج ٤، ص ٢٦؛ كنز العمال ج ٣، ص ١٠٧؛ الإصابة: ج ٤، ص ٢٤٦.

(٤) ذخائر العقبى: ص ٩٤.

(٥) الكافي: ج ١، ص ٤٢٠، ح ٤٢؛ تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٤؛ الولاية: ص ٢٣١.

وقد سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام قال: أخبرني لماذا رفع النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على كتفه؟ قال: ﴿ ليعرف الناس مقامه ورفعته فقال: زدني يا بن رسول الله، فقال: ليعلم الناس أنه أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: زدني، فقال عليه السلام: ليعلم الناس أنه إمام بعده والعلم المرفوع <sup>(١)</sup> .

ووصفه بالعلم المرفوع لأن شأن العلم أن يكون مجمع الناس ووحدة كلمتهم ورمز عزهم ومجدهم وعلو أمرهم، وعرف رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه حقيقة الولي بالإشارة الحسية، فقال له: ﴿ يا عبد الله! أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله تعالى إلا بذلك، ولا يجد الرجل طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه حتى يكون كذلك... فقال الرجل: يا رسول الله! وكيف لي أن أعلم أيّ قد واليت وعاديت في الله؟ ومن وليّ الله حتى أوليه؟ ومن عدوّ الله حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: (أترى هذا) فقال: بلى. قال: فإن وليّ هذا وليّ الله فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده، ووال وليّ هذا ولو أنه قاتل أهلك وولدك، وعاد عدوّ هذا ولو أنه أبوك وولدك <sup>(٢)</sup> .

وسؤال الصحابي كاشف عن معرفته؛ لأنه لم يكتفٍ بالتعريف المفهومي، بل طلب تحديد المصداق ليرتفع عنه كل لبس، وفيه دلالة أيضاً على نبذ العصبية، وجعل الإيمان هو مدار المواقف لا النسب والمحبة للقربة

(١) مشارق أنوار اليقين: ص ١٧؛ القطرة: ج ١، ص ١٥٠، ح ١٢٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٩، ح ٢٢؛ معاني الأخبار: ص ٣٦ - ٣٧، ح ٩؛

عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٢، ح ٤١؛ البحار: ج ٦٥، ص ٧٨، ح ١٤٠.

والمصالح، فإن قرابة الدين والولاية أعظم وأهم من أي قرابة أخرى.

### سر التعريف بالمصداق

وبه أبطل رسول الله ﷺ منهج قريش وبني أمية وأتباعهم الذي قام على العصية للأباء والأجداد في حقدهم على أمير المؤمنين ﷺ وإنكارهم لولايته؛ لأنه قتل آباءهم وهم على الكفر، فالتعريف بالمصداق أتم التعاريف التي تزيل اللبس والاشتباه، وتكون حجة تامة على الناس، وهو ما وردت به الآية المباركة في تعريف الصراط، فلم تكتف بذكر (الصراط المستقيم) لإمكان أن يدعيه الكثير حتى أهل الباطل يزعمون أنهم على صراط مستقيم، ولكن بتعيينه وتحديدده قطع هذه المزاعم؛ لأن جميع الخلق يعلمون أن الذين أنعم الله عليهم هم أنبياء الله وأوليائه، وأعلامهم درجة محمد وآل محمد ﷺ.

### صفات أهل الصراط المستقيم

الأمر الثاني: أنها عرّفت أصحاب الصراط المستقيم بثلاث صفات، واحدة جامعة لكل صفات الكمال، ووصفتان جامعتان لصفات الجلال:

الأولى: أنهم أهل النعمة الإلهية، وإطلاق النعمة وتخصيصها بهم يدل على أنها نعمة تفوق سائر النعم وتختص بهم، فلا يشاركهم فيها سائر الناس؛ بداهة أن النعمة الإلهية عامة تشمل الجميع كالوجود والحياة والرزق، وخاصة تختص بأوليائه وأنبيائه ﷺ، وهي الهداية الإلهية، وأعلى درجاتها هي ولاية أمير المؤمنين ﷺ بشهادة قوله تعالى: ﴿وَأَثَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي ﴿١﴾ والنعمة اليد والصنيعة والمنة <sup>(٢)</sup> ، والنعمة التامة كانت في يوم الغدير، وإضافة النعمة إلى الرب يدل على خصوصيتها وعلو درجتها.

### النعمة الجامعة

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِنُسْئِلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ التَّعِيمِ﴾ <sup>(٣)</sup> تضافر في الأخبار أن أعظم نعمة وأولها التي يسأل عنها الناس يوم القيامة هي ولاية علي عليه السلام، والنعمة الخاصة جامعة لكل صفات الجمال لسببين:

الأول: أن الولاية الكاملة لأمر المؤمنين عليهم السلام جامعة للمعرفة الكاملة والأخلاق المماثلة له والطاعة والانقياد له.

الثاني: أن دوام الولاية ملازم لدوام النعمة، وبهذه الملازمة يعتصم الإنسان ويرفع عن الذنوب والقبائح.

الثانية: أنهم غير مغضوب عليهم، والنفي المطلق يلازم الرضا الإلهي الدائم لهم، وهذا لا يكون إلا للأنبياء والأولياء وخواصهم الذين يكونون على شاكلتهم.

الثالثة: أنهم غير ضالين، ونفي الضلالة عنهم يشير إلى أنهم على صواب وهدى دائم، فلم يشتبهوا في قول أو فعل، ولم يستطع الشيطان أن يضلهم ويغويهم بعد الهدى، فهدايتهم واستقامتهم حدوثية وبقائية،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٧٩، (نعم).

(٣) سورة التكاثر: الآية ٨.

وهذه صفة المعصومين عليهم السلام.

### اتفاق البشرية عليهم عليهم السلام

وقد اتفقت البشرية بأديانها ومذاهبها ومشاربها على أن في البشر طبقة من الصالحين هداة أصفياء معصومين من كل رذيلة وذنوب، وهم الأنبياء والأولياء، وأعلاهم رتبة محمد وآل محمد عليهم السلام، ولا يختلف على ذلك أحد سواء صرح بقوله أو أقر بعمله أو قلبه، وكل من سواهم من مخالفيهم والمنافسين لهم كانوا من المغضوب عليهم وضالاً في برهة من الزمن قبل الإسلام وبعد الإسلام.

فالآية تلفت المؤمنين إلى أن يطلبوا من الله سبحانه الكون مع محمد وآل محمد عليهم السلام في صلواتهم ولدى تلاوة سورة الحمد، أي أن يكونوا شيعة اثني عشرية لهم، سالكين نهجهم وصراطهم، بعيدين عن سبيل المغضوب عليهم والضالين، وكل من خالفهم كان مغضوباً عليه وضالاً، وهذا أثر الترابط التكويني والروحي بين الموالين وأهل الولاية.

### الترابط الروحي بين الشيعة والأئمة عليهم السلام

ففي رواية أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ومعني رجل من أصحابنا، فقلت له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني لأغتم وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً! فقال عليه السلام: ﴿إن ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منا؛ لأننا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم، ولأننا وإياكم من نور الله عز وجل، فجعلنا طينتنا وطيتكم واحدة، ولو تركت

طيتتكم كما أخذت لكننا وأنتم سواء، ولكن مزجت طيتتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً واحداً).

قال أبو بصير: جُعلت فداك.. أفتعود طيتتنا ونورنا كما بدأ؟ فقال: إي والله يا عبد الله، أخبرني عن هذا الشعاع الزاهر من القرص<sup>(١)</sup>

إذا طلع أهو متصل به أو بائن منه؟ فقلت له: جعلت فداك بل هو بائن منه، فقال: أليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتصل به كما بدأ منه؟ فقلت له: نعم، فقال: كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنكم للمحقون بنا يوم القيامة، وإنا لنشفع فنشفع، ووالله إنكم لتشفعون فتشفعون، وما من رجل منكم إلا وستُرفع له نار عن شماله وجنة عن يمينه، فيدخل أحباءه الجنة وأعداءه النار<sup>(٢)</sup>.

وتضمنت دلائل عديدة:

### طينة الأئمة وشيعتهم

منها: أن طينة الأئمة عليهم السلام وشيعتهم واحدة، ولذا يجن بعضهم لبعض، ويعود الشيعة إليهم، وقرينة الحال تقضي بأن يكون المراد الشيعة الخالص لهم الذين يتوقفون عليهم ولا يرجعون إلى غيرهم.

ومنها: أن طينة الشيعة وأرواحهم معصومة؛ لأن منشأها من الجنة، والذنوب والمعاصي تأتي من الخليط الحاصل، وهذا معنى قول الإمام

(١) من تشبيه غير المحسوس بالمحسوس.

(٢) البحار: ج ٥٨، ص ١٤٦، ح ٢٢؛ علل الشرائع: ج ١، ص ٩٣-٩٤، ح ٢.

الصادق عليه السلام: ﴿نحن أصل كل خير وعدونا أصل كل شر﴾<sup>(١)</sup>  
فما يصدر من الشر من الشيعة ناشئ من هذا المزيج، ولولاه لعصمتهم  
طيبتهم؛ لميلها نحو الخير.

### جماعة لا يمثلون الصراط

الأمر الثالث: أن الآية المباركة دلت على أن أصحاب الأوصاف  
الثلاثة يتصفون بها دائماً وفي جميع الأزمنة والحالات كما يفيد الإطلاق  
والإضافة، فيدل على أن العصمة الذاتية لهم ملازمة لوجودهم، ولا  
يصدق هذا إلا في محمد وآل محمد عليهم السلام، فيخرج منهم بالخروج  
الموضوعي ثلاث فئات من الناس:

الأولى: الذين كانوا في جميع الأزمنة كفاراً أو عصاة فاسقين.

الثانية: الذين كانوا في برهة من الزمان كفاراً أو عصاة ثم تابوا.

الثالثة: الذين كانوا صالحين ثم كفروا أو عصوا.

فإن مثلهم لا يصح أن يدعو العبد أن يكون معهم ويقتدي بهم.

أولاً: لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

وثانياً: لحكم العقل بأن الذي يليق بالافتداء والاتباع هو الأفضل والأكمل  
المهتدي بنفسه والهادي لغيره، وهو ما دلت عليه الآيات الكثيرة التي نصت  
على أن العهد الإلهي لا ينال الظالمين<sup>(٢)</sup>، وإطلاقها يشمل كل من ظلم نفسه

(١) الكافي: ج ٨، ص ٢٤٣، ح ٣٣٦.

(٢) انظر سورة البقرة: الآية ١٢٤.

ولو أنا ما؛ لأن العهد الإلهي زكي معصوم من الخطأ فلا يليق إلا بمعصوم، والآيات التي نصت على أن الهادي هو الذي يستحق أن يتبع لا المهتدي<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ فإنه بيان لصغرى أصحاب الصراط الذين أنعم الله عليهم، وهم الصديقون والشهداء، وكلاهما وصفان لمحمد وآل محمد ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٢)</sup> دلّ على أن المهتدين هم من يطيعون الله ورسوله، وكل الأوصاف بمستواها الأعلى مجتمعة في محمد وآل محمد ﷺ، فرسول الله ﷺ مجمع الأنبياء، وآله ﷺ هم الصديقون والشهداء وشيعتهم الصالحون، كما ورد عن الإمام الصادق ﷺ<sup>(٣)</sup>.

### معنى الصديقين

وللصديقين معنيان:

أحدهما: وصف خاص لمحمد وآل محمد ﷺ ومن يتبعهم من الأنبياء والأولياء ﷺ.

ثانيهما: جمع ومبالغة من الصديق، وهو من يصدق قوله فعله، وبين

(١) انظر سورة يونس: الآية ٣٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٣) الكافي: ج ٨، ص ٣٥، ح ٦.

المعنيين ترابط<sup>(١)</sup>، والشهداء هم الحجج على الخلق الذين يبينون لهم الحق، والذين يلازمون البشر ويحضرونهم في مختلف الأحوال<sup>(٢)</sup>، ومقتضى الجمع بين الأدلة هو إطاعة الله تعالى ورسوله الله ﷺ في ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، فيكون معنى الآية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأكون شيعياً متبعاً لمحمد وآل محمد عليهم السلام، أما الذين خالفوا الله ورسوله في الولاية والخلافة، وامتنعوا من تنفيذ جيش أسامة، ومنعوا تدوين الحديث، ونقضوا بيعة علي عليه السلام فليسوا ممن أنعم الله عليهم.

وبذلك تتضح حقائق:

الأولى: الترابط بين الآيات السابقة والآية الخاتمة للسورة الواحدة، فإن السورة من مبدئها إلى ختامها تدرّجت في مقام العبودية من الابتداء والاستعانة والإقرار بالربوبية والمملوكية والعبودية لله سبحانه وطلب الهداية، وجمعت كل ذلك في حقيقة واحدة هي اتباع الصراط المستقيم الذي هو صراط محمد وآل محمد عليهم السلام.

### أعظم سورة وأعظم نعمة

والثانية: أن أعظم سورة في القرآن دلت على أعظم نعمة إلهية في العالم، وهي ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، وأن الباري عز وجل يستحق الحمد على كل ما أنعم، وأعظم الاستحقاق على وجود محمد وآل محمد عليهم السلام وولايتهم.

(١) مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٩٩، (صدق).

(٢) مجمع البحرين: ج ٣، ص ٧٧-٧٨، (شهد).

والثالثة: أن دلالة السورة المباركة موافقة للكثير من الروايات التي يصعب عدّها وحصرها الدالة على وجوب محبة محمد وآل محمد عليهم السلام وولايتهم واتباعهم، وأن ولايتهم هي مدار الإيمان والكفر، ومدار الثواب والعقاب والجنة والنار وطهارة الولادات والنفوس وخبثها.

### لماذا لم يصرح القرآن بالولاية؟

الرابعة: أن ولاية محمد وآل محمد عليهن السلام وردت في القرآن الكريم بالدلالة التضمنية والتلازمية، وبلغة الإشارة والتلميح دون التصريح لغايتين:

إحدهما: امتحان الناس واختبارهم للنظر فيمن يتبع الرسول ومن ينقلب على عقبيه، فإن صادق الإيمان تكفيه الدلالة بأي طريق حصلت ولا يحتاج إلى الدلالة الصريحة، فإن المجرد من التعصب والعناد تكفيه الإشارة.

ثانيتها: لسد باب التحريف عن القرآن، فإنه لو صرح بالولاية وبالأسماء الواضحة لكان داعياً لدى الخصوم والمعاندين للتلاعب بنصوصه وتحريف آياته، كما حدث ذلك في السنة الشريفة، فإنها جاءت صريحة الألفاظ والمعاني في النص على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ووجوب اتباعه وحرمة مخالفته، فتعاهد المخالفون وأصروا على مخالفته وغصب حقه، ولما أعوزهم ذلك الدليل قاموا بثلاث خطوات.

الأولى: منع تدوين السنة.

الثانية: تحريف السنة وتغيير ألفاظها.

الثالثة: وضع الأحاديث الكاذبة ونسبتها إلى السنة.

وحيث إن الباري عزَّ وجلَّ تكفل بحفظ القرآن من التحريف أراد أن يكون الحفظ بالأسباب الطبيعية لا الغيبية، ومن الأسباب الطبيعية أن لا ينص على الولاية وذكر أسماء الأئمة عليهم السلام بالنص الصريح فيه،.

فالذين آمنوا يتبعون المحكم من القرآن، وهو ما ثبت بدليل قطعي نصي أو ظهوري أو محرز بشواهد عقلية ونقلية ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup>

والأحداث الجارية في تأريخ المسلمين شاهدة على كل ذلك، وبيان ذلك يأتي في التعاليم. هذا كله من حيث دلالة السياق، وأما تفاصيل الدلالة فتقع في مباحث.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

## المبحث الأول: في مفردات الآية المباركة



وهي عديدة:

### المفردة الأولى: ﴿أَنْعَمْتَ﴾

في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قرئت (عليهم) بقراءات عديدة أحصاها بعضهم إلى عشرة، وكلها غير صحيحة، إلا ما ورد في نص الآية بفتح العين وكسر الهاء وسكون الميم، و (أنعمت) من الإنعام، وهو إعطاء النعمة وإيصالها إلى الغير، وهو قسمان:

الأول: الإنعام الإفاضي الوهبي كالعلم الرباني والإلهامات تخصيصاً ببعض العباد.

الثاني: التوسيطي بواسطة الأسباب والمسببات كالرزق والعلوم التحصيلية التي يحصلها الطلبة في المدارس.

والآية في مقام بيان النعمة الخاصة التي هي من أعظم النعم الإلهية. يخرج منها الإنعام التوسيطي لأنه مما يشترك فيه جميع الخلق، وكل من يسلك الأسباب لمطلوبه يصل، فتختص بالإنعام الإفاضي الذي يختص بالمصطفى من العباد وأعلامهم رتبة، وهم محمد وآل محمد عليهم السلام.

## القدوة الروحية للبشر

فالآية في مقام بيان القدوة الروحية للبشر وإرشادهم إلى مناهل الهداية والعلم، وحث الجميع على الكون معهم والانضمام إليهم؛ لأن البشر من أنفسهم لا يعلمون ولا يهتدون إلا من مصدر، وهم الذين اختصوا بالعلم والهداية، وقد بينّ الباري عزّ وجلّ ذلك، وقد أتم لطفه ورحمته بعباده بأن أنعم عليهم وهداهم إلى صراطه المستقيم، وبيّن لهم القيادة التي تقودهم في ذلك<sup>(١)</sup>.

والنعمة كل عطاء إلهي مادي أو معنوي، وفي اللغة والعرف والاستعمال القرآني أطلقت النعمة على حسن الحال، ولا يقال للعطاء نعمة إلا إذا كان المنعم عليه من جنس الناطقين، فالعطاء للحيوان لا يقال له أنعم عليه<sup>(٢)</sup>.

## النَّعْمَةُ وَالنِّعْمَةُ

والنَّعْمَةُ بفتح النون الرفاهة وطيب العيش، وتختص بالماديات، فهي أخص من النَّعْمَةِ بكسر النون. قال تعالى: ﴿وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ومنها النعمومة، فكل ما يصل إلى الإنسان فإنه يصبح به ناعماً في جسمه أو في روحه فهو نعمة، وكل ما يخالفه فهو نقمة، وصارت الولاية أعظم النعم لأنها تنعم الروح والجسد في أحسن صورته<sup>(٣)</sup> فإن الباري عزّ وجلّ لما أهلك

(١) التبيان: ج ١، ص ٤٢؛ مجمع البيان: ج ١، ص ١٠٤؛ الجامع لأحكام القرآن: ج ١، ص ١٥٠.

(٢) مفردات الراغب: ص ٤٩٩ (نعم)؛ المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٣٥-٩٣٦، (نعم).

(٣) خواطري عن القرآن: ج ١، ص ٧٣.

آل فرعون وأسقط دولتهم وحضارتهم ذكر جملة من الأوضاع التي كانوا عليها، فقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾<sup>(١)</sup> وسماها نعمة لأن أوضاعهم الاقتصادية والثروات المادية كانت في درجة عالية، وحضارة الفراعنة في مصر كانت مدعومة بنهر عظيم، ووجود الماء في البلد من أهم مصادر القوة والثروة الاقتصادية، وفي عين الحال كانت لهم قدرة كبيرة في السياسة والنظام الإداري، وهي دولة وحضارة كبيرة، ولا زالت آثار الفراعنة مبهرة للعالم ومثار إعجاب، ولها خفايا غير مكشوفة.

والباري عزَّ وجلَّ بعد أن أهلكهم شهد لهم بأنهم كانوا في نعمة فاكهين، والفاكهين أي لهم وسائل تلهية وتلذذ لنفوسهم وأرواحهم منها الفكاهة، وهي ما يدخل السرور ويؤنس النفوس، ولذا يعبر عن المزاح فكاهة؛ لأن الضحك يخرج الهموم والغموم من النفس، والشمرة يقال لها فكاهة؛ لأن من شأنها أن تلذ وتطيب النفس والبدن، ولا يوجد فيها أضرار كما موجود في الأطعمة الأخرى.

فالباري عزَّ وجلَّ يشهد لآل فرعون أنهم كانوا في نعمة وليس في نعمة؛ لأنهم مادياً كانوا مرفهين، ولكن معنوياً خاوين. شبيه الحضارة الغربية اليوم من بعض الجهات، فإنها متطورة مادياً واقتصادياً ولكنها معنوياً خاوية فارغة.

(١) سورة الدخان: الآيات ٢٥ - ٢٧.

## ولاية آل محمد ﷺ أعظم النعم الإلهية

وأعظم النعم الإلهية التي فيها حسن الحال عقلاً وقلباً وروحاً وبدناً في الدنيا والآخرة ولاية محمد وآل محمد ﷺ، وهي أعظم نعمة تستحق أعظم الحمد في أعظم سورة وهي سورة الحمد، وفيها حسن الحال أي حسن حال العقول والقلوب والأرواح والنفوس، وطيب العيش، وطهارة العيش طهارة في التكوين وطهارة في الأرزاق وطهارة في يوميات الناس، فإن الولاية تنعكس على طهارة الناس، وعدمها ينعكس على سوء أحوالهم ومصيرهم.

### النعمة والرحمة

والنعمة غير الرحمة؛ لأن الرحمة تعني الإنعام على المحتاج إليه، بخلاف النعمة فإنها أعم<sup>(١)</sup>، فالنعمة أعم من الرحمة وأخص من الهبة؛ لأن النعمة تستبطن بالشكر؛ لأنها لا تكون إلا إذا كان المتلقي للنعمة شاعراً بها، ولا تكون إلا حسنة، أما الهبة فقد تكون قبيحة، كما إذا وهب الأمير ما لا يملك<sup>(٢)</sup>، كما أنها أخص من المنفعة؛ لأن المنفعة حسنة وقبيحة كالتعامل بالربا، فإنه منفعة لكنها قبيحة، كما أن المنفعة تقال للفائدة الواصلة للغير أو للنفس، فيقال نفع نفسه ولا يقال أنعم على نفسه لاختصاصها بالنفع الواصل إلى الغير، وانحصاره بالنفع الحسن<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر معجم الفروق اللغوية: ص ٢٥٣، (٩٩٢).

(٢) معجم الفروق اللغوية: ص ٥٤٦، (٢٢٠٥).

(٣) معجم الفروق اللغوية: ص ٥١٨، (٢٠٩٦).

## شروط حسن النعمة

ولا تكون النعمة حسنة إلا بشروط:

الأول: أن تكون من جواد محسن، فلو كانت من بخيل صارت منة.

الثاني: أن تكون عن محبة وطيب خاطر لا من خوف أو ألم أو أمر.

الثالث: أن تكون صافية من الكدورات والمنغصات.

الرابع: أن تكون فيها لذة تناسب الحواس الظاهرة أو الحواس الباطنة.

كما أن النعمة منها ما ظاهرة كالرزق، ومنها ما هي باطنة كالعافية، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>(١)</sup>

والنعم الظاهرة كل الناس يدركونها، فإن الله سبحانه أعطاهم الحياة، فهذه نعمة ظاهرة لا تخفى على أحد، وأعطاهم بدنًا سالمًا فيه عينان يبصر بهما، وأذنان يسمع بهما، وأنف يشم به، وفم ولسان يتكلم بهما، وأسنان يمضغ بها وهكذا، والجميع يدرك أنها نعم ليست منة، وأن هناك خالقًا كوّنهم وسوّاهم وأعطاهم هذه النعم.

## أثر النعمة الباطنة

والقسم الثاني النعم الباطنة وقد لا يلتفت إليها الجميع؛ ولا تدرك إلا بتدبر وتفكر والتفات مثل العافية، فإنها غير الصحة والسلامة هي أعلى من الصحة؛ إذ يمكن أن يكون الإنسان صحيحاً بدنًا ولكنه لا يلتذ بالحياة،

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٠.

فهذا فاقد للعافية؛ لذلك تضافر في الأدعية طلب العافية لا الصحة ﴿عافية الدين والدنيا﴾<sup>(١)</sup> هذا ما ينبغي أن يطلبه المؤمن ويسعى إليه؛ لأن الصحة مع المنغصات والضلالات ليست بعافية.

فالآية صنفت النعم الإلهية إلى ظاهرة وباطنة، ومن النعم الباطنة الهداية، أي أن يكون الإنسان مهتدياً للحق وليس ضالاً، فإن الشعور بالضلالة يقتل صاحبه، ويغلق عليه منافذ الحياة، وشعور الإنسان بأن لا ثمرة لحياته ولا فائدة من وجوده قد يقوده إلى الهلاك، وهذا أحد أسباب الانتحار، ويزول من قلبه الأمل، ومن شعوره الراحة والسكينة، فيضحى الإنسان بالحياة لأنها عنده تكون بلا قيمة وطعم، وفي مقابل ذلك شعور الإنسان بأن الحياة لا زالت بخير، وأنه يحمل طموحاً يحثه نحو الأفضل وتحقيق الإنجازات بتفانٍ فإنه نعمة عظيمة.

### نعمة الشعور

وهذا الأمل والشعور في نفسه من أين يحصل لدى الإنسان؟ هل هو الذي يولده في نفسه؟ أم يدرسه في الجامعة؟ أو يشتريه من العطار؟ كلا. إن هذا الشعور عطاء من الله تعالى، وهو نعمة باطنة لا يشعر بها الإنسان غير الملتفت، ولكن إذا التفت سيعرف، ولذا ينعكس على مراتب الناس، فتجد فيهم من يحمل الطموح، ومنهم من مات فيه الطموح، ومنهم من يكون همياً ساعياً للنجاح، والآخر قانعاً بالقليل، فالفرق بينهم هو النعمة

(١) إقبال الأعمال: ص ٢٠٣.

الباطنة، فالله سبحانه يعطيه نعمة باطنة تحرك فيه الأمل والشعور نحو الأفضل، وكذا قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾<sup>(١)</sup> لا نعمكم ولا أموالكم ولا أعمالكم، وإنما نعمه ظاهرة وباطنة، والإسباغ لنعمه أي الإغمار بها بحيث غطتكم، كما يحيط الثوب بالبدن.

### أعظم النعم الظاهرة والباطنة

وللنعم الظاهرة مصاديق ومعان كثيرة: منها الوجود، ومنها البدن، ومنها الروح والقلب والعقل، ومنها العلم والمعرفة والإيمان والهداية والرزق والصحة والعافية. هذه كلها نعم بعضها ظاهرة وبعضها باطنة.

وفي الروايات وردت روايتان تدلان على مصداقين عظيمين للنعم:

الأولى: في مجمع البيان عن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن معنى الآية فقال: ﴿يا بن عباس! أما ما ظهر للإسلام، وما سوى الله من خلقك، وما أفاض عليك من الرزق، وأما ما بطن فستر مساوئ عمّلك ولم يفضحك به.

يا بن عباس! إن الله تعالى يقول: ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له: صلاة المؤمنين عليه بعد انقطاع عمله<sup>(٢)</sup>، وجعلت له ثلث ماله يُكفّر به عن خطاياهم، والثالثة سترت مساوئ عمله ولم أفضحه بشيء منه، ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا كله يتعلق بشخص الإنسان.

(١) سورة لقمان: الآية ٢٠.

(٢) أي الدعاء له.

(٣) مجمع البيان: ج ٨، ص ٥٠١؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١٠، ص ٢٦٢.

الثانية: تتعلق بمعتقده، فقد ورد في روايات عديدة عن الباقر والكاظم عليهما السلام أن النعمة الظاهرة هي النبي صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة الله عز وجل وتوحيده، وأما النعمة الباطنة فهي ولاية أهل البيت وعقد مودتهم <sup>(١)</sup>.

وفي أخرى أن النعمة الظاهرة هو الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب <sup>(٢)</sup>، وهذا كله من باب بيان المصدق، وهذا ما يجب أن يطلبه المؤمن ليكون مع الإمام الظاهر والغائب دائماً.

و(التاء) في أنعمت للفاعل، وهي تطابق ضمير المخاطب في الآيتين السابقتين، سوى أنه في الأولى ظاهر (إياك) وفي الثانية مقدر (اهدنا) وفيها دلالة على أن مستحق العبادة وفاعل الهداية ومفيض النعم واحد، وهو رب العالمين الرحمن الرحيم، وهو الوحيد الذي يستحق الحمد، وبه تتطابق الآيات في المدلول والمقصد.

وإطلاق الآية يشمل الأفراد الذين تميزوا عن غيرهم بنعمة إلهية خاصة أنعم الله تعالى عليهم بها، وأعظم نعمة هي نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم، وهي ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام؛ لذا جاءت هذه الآية عطفاً على الآية السابقة، وهي المطابقة لمعنى الصراط المستقيم المسهلة لعبوره، وهو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وإليها تعود سائر النعم المادية والمعنوية

---

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٦٥ - ١٦٦؛ مجمع البيان: ج ٤، ص ٣٢٠، تفسير كنز

الدقائق: ج ١٠، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٢) المناقب: ج ٣، ص ٣١٤.

والكسبية والوهبية والروحية والجسدية. هذا وقد ذكر البعض لأنواع النعم نماذج لا تتم غرض الآية<sup>(١)</sup>.

### مقاصد الآية المباركة

وتضمنت الآية بيان أمور:

الأول: الأشخاص الذين أنعم الله عليهم وهم محمد وآل محمد عليهم السلام.

الثاني: حث الناس على الكون معهم واتباعهم والافتداء بهم.

الثالث: بيان أنهم الوحيدون الذين يهدون إلى الصراط المستقيم، وغيرهم فاقد لذلك.

الرابع: بيان أنهم معصومون لا يفعلون قبيحاً، ولا يقعون في خطأ، وقد تضافر في الأخبار أن المقصود هم محمد وآل محمد عليهم السلام وشيعتهم، وأن المراد بالنعمة التي أنعمها الله عليهم هي النعم المعنوية لأنها خاصة، لا النعم المادية لأنها عامة.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عز وجل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: ﴿شيعه علي عليه السلام الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لم يغضب عليهم ولم يضلوا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال عليه السلام: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

(١) انظر مجد البيان ص ٣٣٣ - ٣٣٦؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ١٠٤.

(٢) معاني الأخبار: ص ٣٦، ح ٨؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ٧٦.

عَلَيْهِمْ ﴿ أَي قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ <sup>(١)</sup> ... وليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله تعالى ظاهرة، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فساقاً؟

فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن تُرشدوا إلى صراطهم، وإنما أمرتم بالدعاء لأن تُرشدوا إلى صراط الذين أنعم الله عليهم بالإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ وبالولاية لمحمد وآله الطيبين الطيبين وأصحابه الخيرين المتجبين، وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شر عباد الله، ومن الزيادة في أيام أعداء الله وكفرهم بأن تداريهم فلا تغريهم بأذاك ولا أذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين، فإنه ما من عبد ولا أمة والى محمداً وآل محمد وعادى من عاداهم إلا كان قد اتخذ من عذاب الله حصناً منيعاً وجنّة حصينة ﴿ <sup>(٢)</sup> .

### من هم شيعتهم ﷺ؟

والأصحاب والشيعه يشمل جميع الأنبياء والمرسلين ومن اقتدى بهم في كل زمان ومكان، فإن الباري عزّ وجلّ تولّى تربيتهم وتكميلهم بنعمه.  
١. فأنعم على ضمايرهم وأرواحهم فطهرها من القبائح وظلمات الجهل.

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٤٧ - ٤٨، ح ٢٢؛ وانظر تأويل الآيات الظاهرة: ج ١، ص ٢٩؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ٧٧ - ٧٨.

٢. وعلى نفوسهم وطباعهم بالاعتدال ومجانبة الهوى والغلبة على الشيطان ومكايده.

٣. وأنعم على أعمالهم بأنوار الهداية والتسديد.

٤. وأنعم على قلوبهم بأنوار الولاية والتصديق والتسليم.

فإذا طلب العبد أن يكون معهم ومقتدياً بهم بلغ الكمال والسعادة الروحية، ولو اقترب منهم أكثر وتشبه بصفاتهم عصم من القبائح والذنوب بحسب مرتبته، وهي أعظم النعم الظاهرة والباطنة.

### المفردة الثانية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾

﴿غَيْرِ﴾ قيل تأتي على ثلاثة أوجه:

#### معاني غير

أحدها: المغايرة، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَقْفِرَنِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ﴾<sup>(١)</sup>.

ثانيها: بمعنى (لا) النافية، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾<sup>(٢)</sup> أي لا باغ ولا عادٍ.

ثالثها: بمعنى (إلا) الاستثنائية، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> أي إلا بيتاً واحداً<sup>(٤)</sup>، وقد أشارت الآية إلى الاستثناء

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٣٦.

(٤) انظر روح البيان: ج ١، ص ٢٦.

من العموم الواقع في قوم لوط في الأفعال، فما هي أفعالهم التي كانت منتشرة فيهم؟

والجواب: في رواية أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام ﴿أن رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟ فقال: إن قوم لوط كانوا أهل قرية لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهرون من الجنابة، بخلاء أشحاء على الطعام، وإن لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة... ودعاهم إلى الله وإلى الإيمان واتباعه، ونهاهم عن الفواحش، وحثهم على طاعة الله فلم يجيبوه ولم يطيعوه.

وإن الله عزَّ وجلَّ لما أراد عذابهم بعث إليهم رسلاً منذرين... فلما عتوا عن أمره بعث إليهم ملائكة ليُخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين، فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين فأخرجوهم منها... فقلبها عليهم حتى صار أسفلها أعلاها<sup>(١)</sup>.

وكان من أشد الفواحش التي يعملونها هو الشذوذ الجنسي، وفي ذلك تنبيه إلى أن هذا الفعل لو ساد في مجتمع قلب عاليه سافله، واليوم وقعت فيه الحضارة الحديثة، وصارت تفرضه على الناس، وأعطوه تسميات تخفف خطورته في الأنظار، لكن الواقع غير ذلك، وأنه مما يهدد بانقراض هذه الحضارة.

### الحق في معنى ﴿عَبْرٌ﴾

والحق أن (غير) تفيد المغايرة وهو الأصل فيها، وتتضمن نفى التشارك بين أمرين، فتدل على أن ما بعدها يختلف عما قبلها، كقوله تعالى في

(١) علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٥٠ - ٥٥١، ح ٥؛ تفسير كنز الدقائق: ج ٦، ص ٢٢٠.

الأصنام: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(١)</sup> والفرق بين الحياة والموت كبير، وقال ذلك ليبين أن الخالق المعبود يجب أن يكون حياً بذاته لا ميتاً، وحياته من ذاته لا من الغير، وإلا كان محتاجاً.

و ﴿غَيْرٌ﴾ في هذه الآية بدل أو صفة للذين أنعم عليهم، وتكون مجردة من الألف واللام دائماً أو غالباً؛ لأنها في موضع التعريف بين أمرين معروفين، فتكون معرفة، وقد ذكر النحاة وأهل اللغة في خصائصها كلاماً كثيراً، وما ذكرناه يكفي.

وفي الآية الشريفة وردت معرفة للذين أنعم الله عليهم لبيان صفة جلالهم؛ لنفي ما لا يليق بهم وهو الغضب الإلهي والضلالة، فتبين أن المراد بالذين أنعم الله عليهم هم المعصومون من الذنوب والضلالات بشهادة عدم غضب

الرب عليهم، وصيغة اسم المفعول (المغضوب) تدل على الدوام والاستمرار، فتكشف عن العصمة الملازمة لهم.

### معنى الغضب

والغضب السخط المقترن بإرادة الانتقام، ويلتزم ثوران دم القلب واحمرار الوجه، وبه وردت بعض الأخبار<sup>(٢)</sup>، فعن أبي جعفر عليه السلام: ﴿إن هذا الغضب جرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإن أحدكم إذا

(١) سورة النحل: الآية ٢١.

(٢) مفردات الراغب: ص ٦٠٨، (غضب)؛ المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٦٥٤، (غضب).

غضب احمّرت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه<sup>(١)</sup> وفيه إشارة إلى أن شيطان الجن هو الذي يخترقه لتناسبه التكويني مع نار الغضب، والجن كذلك، وأن اختراق الشيطان لبني البشر وتحكّمه فيه لدى الغضب؛ لأن الغضوب يفقد المناعة الروحية وحصانة العقل وسكون النفس، فيخترقه الجرثوم الروحي، كما هو الحال لدى ضعف مناعة البدن تخترقه جراثيم الأمراض.

هذا كله في البشر، وأما غضب الله سبحانه على العبد فهو من صفات الفعل، ويكون باعتبار النتيجة والأثر، وهو المعاقبة والانتقام لتنزهه سبحانه عن الحوادث والانفعالات حسب قاعدة خذ الغايات واترك المبادئ.

### الغضب والسخط

ويفترق الغضب عن السخط في العموم والخصوص، فإن الغضب يكون من الصغير والكبير، بخلاف السخط فإنه يكون من الكبير على الصغير؛ لذا يقال سخط الأمير على الجندي، ولا يقال سخط الجندي على الأمير، ويصح أن يقال غضب، فالغضب أعم، ولا مانع من إطلاق أحدهما مكان الآخر، لكن السخط قد يأتي متعدياً بنفسه، يقال رضاه وسخطه، وإذا عُدّي بـ (على) فيقال (سخط عليه) يكون بمعنى الغضب، فيقال سخط الله عليه إذا أراد عقابه<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٠٤، ح ١٢؛ البحار: ج ٧٠، ص ٢٧٨، ح ٣٢.

(٢) معجم الفروق اللغوية: ص ٣٨٦، (١٥٥٠).

## دلائل الغضب

والغضب بصيغة المفعول في الآية يدل على أمور:

الأمر الأول: أن الغضب عليهم عام، فليس الله سبحانه وحده غاضب عليهم، بل الذين أنعم الله عليهم، والذين يكونون معهم كذلك غاضبون عليهم، وغضب الله عليهم يتحقق بإظهار أثر ذلك عليهم بالنقمة والعذاب وسوء المصير، ومن آثاره إظهار غضبه في قلوب ونفوس أوليائه؛ لأنهم مجلّى صفات الله تعالى.

والحث على إظهار ذلك عند المؤمنين، ولذا تضافر في الأدلة وجوب التبري من أعداء الله ولعنهم، والملفت أن المغضوب عليهم ورد بشكل مطلق ومضاف إليهم، بخلاف النعمة فإنه نسبها إلى نفسه قال: (أنعمت عليهم) ليدل على أن المغضوب عليهم في ذواتهم خبث خاص يستحقّ الغضب، وكذلك في صفاتهم وأعمالهم، أي لم يجهدوا أنفسهم لإصلاح نفوسهم وأعمالهم لينجوا من الغضب.

وهذا ما أكدته الروايات التي نصت على أن لولاية آل محمد عليهم السلام أثراً يظهر في طهارة النطفة والتكوين، وللنصب أثراً خبيثاً يظهر في النطفة والتكوين أيضاً، كما أن صيغة اسم المفعول تتضمن تحقير المغضوب عليهم لكي يتبرأ منهم الناس ولا يتخذوهم قدوة بخلاف الذين أنعم الله عليهم فإن النعمة تدل على لزوم اتخاذهم قدوة وأسوة.

## من هم المغضوب عليهم؟

الأمر الثاني: أن القوم الذين غضب الله سبحانه عليهم ممن يريد الانتقام منهم ويعاقبهم دائماً وليسوا إلا من لازم المخالفة والعصيان، وله ثلاثة مصاديق:

الأول: المخالفون لولاية محمد وآل محمد عليهم السلام بإنكارها، فإنه ظلم ملازم يستحق صاحبه العقاب.

الثاني: المخالفون لمحمد وآل محمد عليهم السلام بالغلو فيهم بالزيادة والتقصير، وهو ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: ﴿إن من تجاوز بأمر المؤمنين عليهم السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين﴾<sup>(١)</sup>.

## التجاوز في علي عليه السلام

وتجاوز العبودية فيه عليه السلام يقع بأنحاء:

أحدها: بأن يرفعه عن مقام العبودية لله سبحانه ويدرجه في مقام الألوهية بأن يجعله إلهاً.

ثانيها: أن يطلق عليه أسماء الله سبحانه الخاصة مثل (الله) و (الخالق) و (الرب) و (الرازق) ونحو ذلك، فإنه من الممنوع منه شرعاً وعقلاً، وإن ثبت لهم القدرة على الخلق والرزق بإذن الله تعالى كما ثبت لعيسى عليه السلام.

ثالثها: بأن ينتقص منه وينفى عنه مقام العبودية ويدرجه في غير العباد الصالحين، كما فعل الخوارج والنواصب.

---

(١) الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٣٣؛ البحار: ج ٨٩، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ح ٤٨.

والأول والثاني هما اللذان ورد بهما النص، والثالث يستفاد من الأدلة الأخرى، كقوله ﷺ: ﴿هَلِكُ فِي رَجُلَانِ مَحْبُورٌ غَالٌ وَمَبْغُضٌ قَالَ﴾<sup>(١)</sup> وقد حققنا في فقه الحديث أن الغلو يشمل الارتفاع في القول، كما يشمل التقصير؛ لأن الاثنين من تجاوز الحد<sup>(٢)</sup>.

### المخالفون لآل محمد ﷺ

الثالث: المخالفون لطاعة محمد وآل محمد ﷺ، وهم الفساق، فكلاهما يستحقان الغضب والعقاب، لكن الثاني إن كان موالياً ينجو من الغضب الدائم بشفاعتهم؛ لأنهم ادخروا شفاعتهم لأهل الكبائر<sup>(٣)</sup>، وأما الأول فلا ينجو إلا بالتوبة والرجوع عن ضلالتة، فإن مات ولم يتب فهو مغضوب عليه، والعقاب حاصل له، وهو المعني في الآية المباركة.

وبقرينة المقابلة مع ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعرف أن المقصود بالمغضوب عليهم دائماً هم أعداء آل محمد ﷺ ومخالفوهم في كل زمان ومكان، وتعززها أحاديث الطينة المتواترة الدالة على أن طينة أعدائهم خبيثة وعقائدهم وأعمالهم فاسدة، فهم في غضب الله سبحانه وسخطه دائماً.

ومن مصاديقهم اليهود المعاندون؛ إذ أخبر البارئ عز وجل أنه غضب عليهم وجعل فيهم القردة والخنازير<sup>(٤)</sup>، وفي الأخبار إضافة

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٢٨، قصار الحكم ٨١٧.

(٢) فقه الحديث: ج ٢، ص ٢٢.

(٣) التبيان: ج ١، ص ٦٢، المقدمة.

(٤) التبيان: ج ١، ص ١١٦؛ مجمع البيان: ج ١، ص ٧٠-٧١.

النواصب<sup>(١)</sup> ، وفي تفسير العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام إضافة النصارى<sup>(٢)</sup> ، وبعضهم أضاف أهل البدع والمرتابين في دينهم والشاكين في الإمام<sup>(٣)</sup> والغلاة<sup>(٤)</sup> .

وكل ذلك من باب بيان المصاديق البارزة، ومرجع الجميع إلى تشابههم في الصفات والأفكار والأعمال، وهو عداؤهم لمحمد وآل محمد عليهم السلام .

الأمر الثالث: أن المغضوب عليهم هم الذين اختاروا فعل القبائح، وإلا كان الغضب عليهم ظلماً، وهو كاشف عن أن العناد من سجايهم، فتدل الآية على صحة قول العدلية بأن العقاب على الأفعال الاختيارية، وتبطل نظرية الأشاعرة القائلين بالجبر، وأن الله سبحانه يغضب عليهم وإن كانوا مجبرين<sup>(٥)</sup> .

### النعيم محبة علي عليه السلام

ويتحصل: أن المغضوب عليهم هم أعداء محمد وآل محمد عليهم السلام ، والمنعم عليهم هم أولياء محمد وآل محمد عليهم السلام ، ويستفاد منه أن الولاية لهم والعداوة لهم هما أساس النعيم والجحيم، وأساس النعيم عند الله سبحانه ورسول صلوات الله عليهم محبة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد تواتر هذا المعنى في الأخبار المعتبرة.

(١) تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩؛ نفحات الرحمن: ج ١، ص ١٩١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤.

(٣) مقتنيات الدرر: ج ١، ص ٢٤؛ تفسير مناهج البيان: ج ١، ص ١٣٠؛ بيان السعادة: ج ١، ص ٣٤.

(٤) الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٣٣؛ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٠، ح ٢٤.

(٥) انظر تفسير الرازي: ج ١، ص ٢٢٣.

## قصة رياح وولايته

ومنها: ما رواه الصدوق قَدَسَ سِرُّهُ بسنده عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ملاء من أصحابه، وإذا أسود على جنازة تحمله أربعة من الزنوج ملفوف في كساء يمشون به إلى قبره.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عليّ بالأسود، فوضع بين يديه فكشف عن وجهه، ثم قال لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا علي! هذا رياح غلام آل النجّار، فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: والله ما رأي قط إلا حجل<sup>(١)</sup>، وقال يا علي! إني أحبك. قال: فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغسله وكفنه في ثوب من ثيابه وصلّى عليه وشيّعه والمسلمون إلى قبره، وسمع الناس دويّاً شديداً في السماء، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه قد شيّعه سبعون ألف قبيل من الملائكة، كل قبيل سبعون ألف ملك، والله ما نال ذلك إلا بمحبتك يا علي.

قال: ونزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في لحدّه، ثم أعرض عنه، ثم سوّى عليه التراب، فقال له أصحابه: يا رسول الله! رأيناك قد أعرضت عن الأسود ساعةً ثم سوّيت عليه التراب، فقال: نعم، إنّ ولي الله خرج من الدنيا عطشاً، فتبادرت إليه أزواجه من الحور العين بشراب من الجنة، ووليّ الله غيور، فكرهت أن أحزنه بالنظر إلى أزواجه، فأعرضت عنه حتى شرب<sup>(٢)</sup>.

(١) أي من شدة الفرح أخذ يشب على الأرض ويرفع رجلاً ويمشي على الأخرى، ويطلق الحجل على مشي التبخر.

(٢) المحاسن: ج ١، ص ١٥٠، ح ٧٠؛ تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢، ص ٨٦٨، ح ٦؛ البحار: ج ٣٩، ص ٢٨٩، ح ٨٤، مع اختلاف يسير.

وفيه دلالات:

الأولى: أن محبة أمير المؤمنين عليه السلام الصادقة الصافية هي نعيم الدنيا والآخرة، وبها الكرامة العظيمة عند الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله.

الثانية: أن المؤمن غيور في الدنيا وغيور في الآخرة؛ لأن الإنسان يحشر على حسب ملكاته وسجاياه، فالغيور في الدنيا غيور في الآخرة.

الثالثة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله يحترم مشاعر الناس حتى بعد موتهم، ويتنزه عن التصرف بما يوجب الحرج.

### الجحيم غضب فاطمة عليها السلام

وأما الجحيم وغضب الله تعالى فيدور على غضب فاطمة عليها السلام؛ لأن الله سبحانه يغضب لغضبها، وغضب فاطمة على من عاداها ومن اتبعهم وصيرهم أئمة وسادة.

وقد ورد بطرق الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله: ﴿فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني﴾<sup>(١)</sup> ومن أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أغضب الله تعالى، وصار من المغضوب عليهم، وهذه الحقيقة كانت معروفة بين الناس لا ينكرها أحد.

وقد روى ابن قتيبة: أن فاطمة قالت لأبي بكر وعمر: ﴿نشدتكما الله تعالى ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني، ومن أَرْضَى فاطمة فقد

---

(١) المناقب: ج ٣، ص ٣٣٢؛ صحيح البخاري: ج ٤، ص ٢١٠.

أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله، فقالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه<sup>(١)</sup>.

وفي حوارها حكمة بالغة؛ إذ انتزعت منها الاعتراف على أنفسهما، والإقرار بأنهما من المغضوب عليهم، ثم أبانت غضبها عليهما، وفي ذلك حجة بالغة على أهل الإسلام.

### المفردة الثالثة: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾

الواو عاطفة تفيد وصفاً آخر للمغضوب عليهم، والاسم بدل عن (غير) لتأكيد النفي والتنزه من الدخول في المغضوب عليهم والضالين.

### الفرق بين (غير) و (لا)

والفرق بين (غير) و (لا) من وجوه:

الأول: أن (غير) تأتي لبيان المغايرة في الصفات مع انحفاظ الجوهر، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾<sup>(٢)</sup> فجوهر الجلود واحد، لكن الصفات تتبدل.

الثاني: بيان المغايرة في الذات كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup> وغير الحق هو الباطل، وبينهما

(١) الإمامة والسياسة: ج ١، ص ٢٠.

(٢) النساء: الآية ٥٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

مغايرة في الذات، وكذا قوله: ﴿أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا﴾<sup>(١)</sup>.

الثالث: بيان المباينة في الأفكار والأعمال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن الضلالة تغاير الهدى في الأفكار والأعمال.

### معاني (لا)

وأما (لا) فتأتي نافية وناهية، وتأتي بمعان أخرى<sup>(٣)</sup>.

منها: إثبات حالة ثالثة بين أمرين متضادين، كما يقال القماش لا أسود ولا أبيض، وقوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾<sup>(٤)</sup> أي معتدلة مصونة عن الإفراط والتفريط<sup>(٥)</sup>.

وهذا المعنى أوفق بغرض الآية في قوله تعالى: ﴿عَنِّي الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ لأن المهتدين طرف ثالث ليس من المغضوب عليهم ولا الضالين.

وهذا المعنى تفيده (لا) بالمنطوق، وتفيده (غير) بالملازمة؛ لأن (غير) تأتي لبيان مطلق المباينة، فإذا طلب الداعي أن يهديه صراط الذين أنعم عليهم يفيد بالملازمة مغايرته لسبيل المغضوب عليهم والضالين.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٠.

(٣) انظر: مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٦٩ (لا)؛ المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٨١٠، (لا).

(٤) سورة النور: الآية ٣٥.

(٥) مفردات الراغب: ص ٤٥٩، (لا).

وإنما عبر بغير في ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لبيان المغايرة في الصفات والأفكار والأفعال معهم، ولا يريد المغايرة في الذوات لأنهم منهم في الجنس والصفة؛ لكونهم من العرب ومن قريش، وقد شهد القرآن بأن رسول الله ﷺ منهم؛ إذ قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وعبر بـ(لا) عن الضالين للإشارة إلى أن المهتدين فئة ثالثة متميزة عن المغضوب عليهم والضالين في العقيدة والعمل.

### معنى الضالين

والضالون جمع ومفرده ضال، مأخوذ من الضلال، وهو العدول عن الصراط المستقيم عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، ويضاده الهدى، ويقابل الهداية الضلالة<sup>(٢)</sup>.

وحيث أن الصراط المستقيم يشمل الأفكار والعقائد والأعمال والأخلاق والآداب يكون الضلال كذلك، ولذا أطلق القرآن الضلالة على فعل زليخا لما شغفت بيوسف ﷺ قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> نسب الشغف إلى زليخا وليس إلى الحب؛ لأنها خالفت أمانة الزوجية وعدلت عن رسوم الأخلاق والأدب بسبب استيلاء الحب على قلبها.

كما أطلقت الضلالة على نسيان المرأة أو قلة الضبط والدقة في الشهادة؛

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢) مفردات الراغب: ص ٥٠٩، (ضل)؛ مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٠٩ - ٤١٠، (ضل).

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٠.

إذ قال سبحانه: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾<sup>(١)</sup> أي تغفل وتسهو، وهي ضلالة العمل، والسبب في ذلك أن النساء يقعن في قلة الضبط في الأمور المالية والمعاملات لشدة عاطفتهن، فيتأثرن بالمؤثرات الخارجية أو قلة العناية والاهتمام، وهن عكس الرجال من هذه الجهة، فإنهم يركزون ويهتمون أكثر، فضبطهم عالٍ، وبخلاف ذلك في الشؤون النسائية والمنزلية، فإن النساء أشد ضبطاً من الرجال، وبما أن الشهادة متعلقة بالأمور المالية والديون وغالباً لا تحضرها النساء أو تقلل الاهتمام فيها يقل الضبط، فلا بد من انضمام امرأتين لتكون شهادة.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أي يبين لهم ما يرضيه ويسخطه في الأعمال.

### معنى وجدك ضالاً فهدي

وبهذا الاعتبار يرد الضلال بمعنى الضياع، يقال هو ضال في قومه أي ضائع، ومنه قوله تعالى في وصف رسول الله ﷺ:

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾<sup>(٣)</sup> أي ضائعاً في قومك لا يعرفون منزلتك، فيتعاملون معك كما يتعاملون مع بعضهم، ومنه الحديث: ﴿ارحموا عالماً ضاع بين جهال﴾<sup>(٤)</sup> ويجوز أن يكون ضالاً من جهة وصف القوم، أي في

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٥.

(٣) سورة الضحى: الآية ٧.

(٤) ربيع الأبرار: ج ٢، ص ٣٣٩، ح ١؛ زهر الربيع: ص ١٤٥؛ جامع بيان العلم: ج ١

قوم ضالين؛ لأن من أقام في قوم نسب إليهم، كما قيل خالد الحداء لنزوله بين الحدائين<sup>(١)</sup>، ويجوز أن يكون المعنى أن قومه كانوا يعدونه ضالاً؛ لأنه خرج عن طريقتهم ومعتقداتهم.

### أعلى مراتب الضلالة

وأما ضلالة العقيدة فهي أعلى مراتب الضلالة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> وإطلاق الكفر يشمل الشك والريب العقلي والقلبي في مقابل الإيمان، والرسول جمع رسول وهو كل سفير بين الله تعالى وبين خلقه، سواء كان مبعوثاً كالنبي ﷺ، أو منصوباً كالإمام علي عليه السلام، ومفاد الآية المباركة أن الكفر بكل أصل من أصول العقيدة هو ضلال، وهي التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، وكلها تجتمع تحت عنوان الصراط المستقيم، وجوهره محمد وآل محمد عليهم السلام؛ لأن الإيمان بهم إيمان بكل أصول الدين، وجحودهم أو الشك فيهم هو شك بكل أصول الدين، ولذا نصت الأخبار على أن من مات لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وهي ميتة الكفر والنفاق كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

→

١، ص ١٣٥.

(١) معجم الفروق اللغوية: ص ٣٩٣، (١٥٧٧).

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٣؛ المحاسن (للبرقي): ج ١، ص ١٥٤، ح ٨٠.

## النص على أصول الدين

ومن ذلك يعرف أن التسلسل الرتبي لأصول الدين مما قرره القرآن في مثل الآية المذكورة، وليس كما يزعمه البعض بأنه من وضع العلماء، وصيغة اسم الفاعل في ﴿الضَّالِّينَ﴾ تنفيذ ثلاث خصائص فيهم:

الأولى: أنهم ضالون في عقائدهم وأعمالهم وأخلاقهم.

الثانية: أن ضلالهم عن اختيار منهم.

الثالثة: أنهم مستمررون على الضلالة لا يفارقونها.

وهذه كلها تنطبق على الذين خالفوا محمداً وآل محمد ﷺ، ونصبوا لهم العدا، فتكون مكملة لوصفهم بالمغضوب عليهم، سوى أن ﴿الضَّالِّينَ﴾ ناظر إلى ذواتهم وأفكارهم وأعمالهم في الدنيا، و﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ناظر إلى مصيرهم وجزائهم في الآخرة. فيكون ذلك دليلاً آخر على أن المراد من ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هم محمد وآل محمد ﷺ، وقد وردت الضلالة في القرآن في موارد كثيرة،، ربما بلغت حوالي مئتي مرة، وقد أطلقت تارة على الأعمال، وتارة على الصفات، وتارة على الأشخاص والجماعات كالكفار الذين بدلوا إيمانهم كفراً. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup> والمشركين؛ إذ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> والعصاة إذ قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٨.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٦.

﴿ضَلَّ﴾<sup>(١)</sup> والذين يتخذون أعداء الله وأعداء المؤمنين أولياء؛ إذ قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ... وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(٢)</sup>.

### مجالس الهدى والضلال

ومنه يعرف أن الضلال شخصي وقيادي، فيضل القائد والزعيم أتباعه سواء كان حاكماً، وربما يكون عالماً، ولهذا رموز كثيرة مثل إبليس وفرعون والسامري وجليس السوء والزعماء بالباطل؛ لأنهم رموز للضلالة، وفي الأخبار ما يفيد أن الصديق قد يضل الإنسان، والمجلس الذي يحله كذلك.

وفي الكافي: قال لقمان لابنه: (يا بني! اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله جلّ وعزّ فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علّموك، ولعل الله أن يظلمهم برحمته فيعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله أن يظلمهم بعقوبة فيعمك معهم)<sup>(٣)</sup>.

ومنه يعرف أن الصديق والمجالس التي يحل فيها الإنسان فيها هداية وضلال، ومجالس مرضية ومجالس مغضوب عليها، ففي رواية أبي بصير

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٣٩، ح ١.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عزَّ وجلَّ ولم يذكرونا إلاَّ كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة ثم قال عليه السلام: إنَّ ذكرنا من ذكر الله، وذكر عدونا من ذكر الشيطان﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يجب أن يتبته له الناس، لا سيما الشباب، فيفكرون في مجالسهم مع من يجلسون وفي أي مجالس يكونون.

والقاسم المشترك بين جميع هذه الإطلاقات هو الضلالة الفكرية والاعتقادية؛ لرجوع الضلالة العملية والأخلاقية إليها.

### مراتب الضلال أربع

للضلال أربع مراتب:

الأولى: الحيرة وفقدان الصواب، وهي قابلة للهداية.

والثانية: الختم على القلب، ويتحقق بالامتناع عن قبول الحق، وهو مأخوذ من ختم الكتاب إذا وقع الفراغ منه، وهكذا الهداية إذا صارت ممتنعة في القلب يقال ختم على قلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

والثالثة: الطبع على القلوب، وهو أعمق من الختم؛ لبقاء أثر المطبوع في الشيء ويلزمه، ففي الطبع ثبات ولزوم أشد وأقوى من الختم، ولهذا قيل طبع الدرهم طبعاً، وهو الأثر الذي يؤثره فيه فلا يزول عنه، والطبع منه.

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٦، ح ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧.

يقال طبع الإنسان؛ لأنه ثابت فيه غير زائل<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٢)</sup> يشير إلى أن الضلالة صارت من سجايهم، فتمنعهم عن الفهم والاتعاظ، وهي من أبرز صفات المنافقين والشاكين. قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ومنه يعرف أن الضلال بالحثم فيه رجاء التوبة، أما المطبوع عليه فلا.

والرابعة: الأكنة، وهي أعلى المراتب، وتتم باختراق الضلال جدار القلب واستقراره في القلب، ولا يرجى عودهم لسبيين:

أحدهما: أن ما سكن في قلوبهم من الضلال صار حاجباً عن رؤية الحق. ثانيهما: سلب التوفيق الإلهي منهم، فيطردهم الله سبحانه من رحمته، ولذا قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهَا﴾<sup>(٤)</sup> والأكنة جمع كنان، وهو الستر والغطاء والحاجب، والوقر: الثقل في الأذن المانع من السماع، وبسبب ما هم فيه من العناد والمكابرة يتركهم ربهم بلا توفيق للهداية، واليه يشير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) معجم الفروق اللغوية: ص ٣٣٦، (١٣٣٩).

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٧.

(٣) سورة المنافقون: الآية ٣.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٥.

بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا<sup>(١)</sup> وهم رموز من مشركي قريش كالنضر بن الحارث وأبي سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وغيرهم جلسوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن لأجل التدبير لإبطاله<sup>(٢)</sup>، وجعل الستر لكيلا يفقهوه عقوبة على فعلهم وإصرارهم على الكفر؛ لأنهم ﴿وَأِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾<sup>(٣)</sup> فجعل الكنان على قلوبهم، والوقر في أسماعهم كان نتيجة لأفعالهم؛ لأنهم ما كانوا يريدون الإيمان، فلا يرد الإشكال بأنهم مجبورون على الكفر؛ لأن النتيجة تكون اختيارية إذا كانت مقدماتها اختيارية، وهؤلاء اختاروا الكفر، ولما كانت تصلهم الحجة كانوا يعرضون عنها؛ لذا قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾<sup>(٤)</sup> فهم الذين وضعوا الكنان والوقر بإصرارهم، فتركهم الباري عزَّ وجلَّ في ظلماتهم يعمهون، فإن المعرضين على أصناف: بعضهم لا يستجيب للحق طمعاً بالدنيا وتلبية لمصالحه، وبعضهم لتكبره وغروره يتمرد على الله سبحانه، وأسلوبه في ذلك هو الإعراض وعدم الاستماع، وفي مقابل ذلك يشترى هو الحديث ويتخذه طريقاً لضلالته، وللهو الحديث مصاديق كثيرة من أشهرها الغناء.

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٥.

(٢) انظر مجمع البيان: ج ٤، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٥.

(٤) سورة لقمان: الآية ٧.

## أثر استماع الغناء

وفي تفسير كنز الدقائق في معنى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(١)</sup> هو النضر بن حارث كان ذا رواية لأحاديث الناس وأشعارهم، ويجعلها في مقابل آيات الله سبحانه.

وأيضاً نزلت في رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً، وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام لإغرائه ومنعه عنه<sup>(٢)</sup>، وتضافرت الأدلة على أن الآية صريحة في حرمة الغناء.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة. قيل: وما الروحانيون يا رسول الله؟ قال: قراء أهل الجنة﴾<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن قراء أهل الجنة يملكون أعذب الأصوات والألحان والكلام، ولذات السماع لهم تنعش الأبدان والأرواح بما لا يقبل الوصف، وهذا جزاء وفاق للعمل، فإن من يملأ سمعه بالحرام يجرم من الحلال الطيب.

## الغناء سبيل الضلال

والسؤال كيف يضل الغناء عن سبيل الله سبحانه؟

الأول: أنه يحضر الشيطان وينسي الرحمن، وقد ورد في الأخبار أن إبليس

(١) سورة لقمان: الآية ٦.

(٢) تفسير كنز الدقائق: ج ١٠، ص ٢٢٨؛ وانظر تفسير القمي: ج ٢، ص ١٦١.

(٣) مجمع البيان: ج ٨، ص ٧٧؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١٠، ص ٢٣٠.

أول من تغنى<sup>(١)</sup> ، وأن بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا تدخله الملائكة<sup>(٢)</sup> ، وإطلاقه يشمل البيت الذي يقام فيه الغناء، أو الذي يستمع فيه الغناء.

الثاني: أنه يورث النفاق<sup>(٣)</sup> ؛ لأن ما يقوله المغني مشاعر كاذبة لأجل استحسان أهل الشهوة.

الثالث: أنه يورث الفقر<sup>(٤)</sup> .

الرابع: الإضرار العصبي والنفسي، وقد ورد في بعض التقارير أن سيرة مشاهير الموسيقى والغناء قد واجهوا مصاعب وصدمات نفسية، وجماعة فقدوا مشاعرهم وصاروا إلى دار المجانين، وبعضهم أصيبوا بالشلل والعجز، وبعضهم بالسكتات، وبعض التقارير تحدثت عن جماعة منهم ماتوا في مجلس الغناء والموسيقى. هذا فضلاً عن كونه واحدة من أساليب الطغاة والجبابة التي تموع الشعوب لأجل السيطرة عليهم، وهذا كله ضلالة عن سبيل الله سبحانه، وإذا اعتاد الإنسان على الغناء صار في قلبه كنان.

ومعنى ذلك أن عقولهم تقبل الحق لكن قلوبهم لا تسلم ولا تدعن، وإذا بلغ العبد هذا كان معانداً لا يخشع لذكر الله تعالى، ولا يهتز لما يسمع من

---

(١) الوسائل: ج ١٧، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، ص ٣١٠، ح ٢٢٦٢١.  
(٢) الوسائل: ج ١٧، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، ص ٣٠٣، ح ٢٢٥٩٣.  
(٣) الوسائل: ج ١٧، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، ص ٣٠٩، ح ٢٢٦١٦.  
(٤) الوسائل: ج ١٥، الباب ٤٩ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ص ٣٤٧، ح ٢٠٧٠٤.

النصح والإرشاد، وهذا هو حال أعداء أمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا يقرون بفضله ويحاربونه ويعادونه وينصبون له الحرب.

ويتحصل من مجموع المفردات: أن العبد يسأل الله سبحانه أن يهديه صراط محمد وآل محمد عليهم السلام، وينزهه من أعدائهم ومخالفهم المغضوب عليهم والضالين.



## المبحث الثاني: في لطائف الآية المباركة



وهي عديدة:

### اللطفية الأولى: من هم المنعمون والمغضوب عليهم؟

إن الآية المباركة ذكرت الذين أنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين بضمير الغائب، ولم تذكرهم بالأسماء لأسباب:

الأول: لأن الكناية أبلغ من التصريح؛ إذ تنبه السامع وتدعوه إلى التفكير والتأمل.

الثاني: سيما وأن الآية السابقة ذكرت الصراط المستقيم، وفي هذه الآية بينت أصحاب الصراط المستقيم، وهم معروفون لدى كل مسلم يعرف الإسلام والقرآن، وهم النبي وعترته عليه السلام الذين أمر الله سبحانه بمودتهم واتباعهم، واتفق المسلمون عليهم، فليس من المعقول أن يأمر الباري عز وجل بمودتهم إلا لأنهم صراط مستقيم، كما يعرف أن المغضوب عليهم والضالين هم الذين نكبوا عن الصراط المستقيم وخالفوه.

الثالث: لقاعدة الجري القاضية بتطبيق الآية على المصاديق الجديدة التي تنطبق عليها في كل زمان ومكان.

الرابع: لحفظ القرآن من التحريف، فإنه لو ذكر أسماء الذين أنعم عليهم وأسماء المغضوب عليهم لأوجد الداعي عند المخالفين المعاندين إما إلى تحريف

القرآن أو إنكاره، وهو خلاف الحكمة، وسيأتي في التعاليم تفصيل ذلك.

### اللطفة الثانية: لماذا أنعمت لا هديت؟

الآية ذكرت النعمة ووصفت أولياء الله سبحانه بها، مع أن الآية التي قبلها ذكرت الهداية ومنطوقها دعاء؛ إذ قالت: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾  
فربما يكون الأولى أن تكون هذه الآية بمنطوق (صراط الذين هديتهم).

والجواب:

أولاً: لأن النعمة هي الولاية لمحمد وآل محمد ﷺ، وهي أعظم نعمة إلهية على البشر بعد إيجاد الخلق وتكوينه، وأعظم الحمد لله تعالى يدور على الولاية، فأعظم الحمد لأعظم نعمة وهي علة الهداية؛ إذ لا هداية بلا ولاية، والهداية هي الكون على الصراط المستقيم، وهو صراط علي والأئمة من ذريته ﷺ، والولاية هي مدار الهداية، فالهداية أقل رتبة من الولاية، وهذا يستدعي أن تؤخذ الولاية في التعبير.

### الاصطفاء التكويني لآل محمد ﷺ

وثانياً: لأن محمداً وآل محمد ﷺ مهتدون بالاصطفاء التكويني، وهم الصراط المستقيم، فالهداية ملازمة لهم ذاتاً، وهم الذين جعلهم الله تعالى أئمة يهدون بأمره، فتكرار وصفهم بقوله: (صراط الذين هديتهم) يكون لغواً وبلا أثر، والله تعالى جعلهم منابع للهداية ورموزاً للمهتدين، فالقاعدة تقتضي التدرج بعد أن ذكر أنهم رموز الهداية في الآية السابقة تعين أن يرجع الهداية إلى ما هو أعلى رتبة وهي الولاية، وهو من الاصطفاء التكويني؛

ليكونوا منار هدى للناس لا ينفك عنهم الهدى والصراط المستقيم، فلو سأل سائل لماذا اصطفاهم الباري عز وجل للهدى؟

والجواب ذكره الباري عز وجل في القرآن؛ إذ قال تعالى في وصفهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> وهم محمد وآل محمد عليهم السلام، والآية تجيب عن علة الاصطفاء الإلهي لبعض البشر، فيخصهم بالعصمة والعلم وعلو الرتبة.

### أركان الإمامة الإلهية

وقد نص الباري عز وجل بها على أن الإمامة على الخلق تقوم على ثلاثة أركان:

الأول: اليقين بآيات الله تعالى، وهذا هو أعلى ما يبلغه العبد في المعرفة، وهو غير العمل والطاعة، و(كانوا) لا يراد بها الزمان الماضي، بل التحقق والثبوت، أي هم أهل يقين بآيات الله تعالى، والملفت أن الآية قالت ﴿بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ولم تقل: (بنا يوقنون)؛ لأن الخلق مفطور على اليقين بالله سبحانه، فلا أحد من الخلق إذا سلمت فطرته من الشبهات وعقله من الأوهام والشكوك الشيطانية يشك في الله سبحانه، حتى أهل الجاهلية حينما يسألون من خلق السماوات والأرض؟ يقولون الله<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة السجدة: الآية ٢٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ سورة العنكبوت: الآية ٦١.

فاليقين بالله تعالى موجود عند الكل، ولكن اليقين بآيات الله تعالى هو المقصود، والآيات أي كل الدلائل التي تقود إلى الله تعالى، وكل ما يدل على الله تعالى هداية، والجملة الشريفة في القرآن يقال لها آية لأنها تدل على الله تعالى.

وهذا اليقين غاية ما يطلبه الطالبون، ولا يراد به العمل والطاعة، بل مرحلة أعلى، فإن الكثير من الناس يطيعون ويسلمون في العمل، لكن يبقى الشك والوهم يساور قلوبهم، حتى أهل الطاعة لا يفارقهم الشك. نعم يختلف من شخص لآخر، فبعضهم ظنه أقوى، وبعضهم ظنه ضعيف ينجذب لإغراءات الشيطان بأدنى شبهة.

الثاني: الصبر والاستقامة على هذا اليقين، فلا يشكّون أو يتذبذبون، ولا يضعفون، ولا يعصون، ولا يفعلون القبائح.

الثالث: أنهم يهدون الخلق إلى الله سبحانه، فلا يدعون لأنفسهم ويميلون إلى مصالحهم، وإنما يتفانون لأجل الله سبحانه، وعملهم مجرد من الأنانية والشخصية. هذه أركان الإمامة، وصيغة المضارع (يهدون) تفيد الدوام والاستمرار على هذا النهج بقلوب حاضرة دائماً وهمة عالية.

وهذا ما يتطلبه أمر الإمامة والقيادة، فإن القيادة تستدعي يقيناً بالمبدأ وثبات قدم عليه، وتفانياً في سبيل الله سبحانه خالياً من الدعوة إلى النفس، فإذا دعا القائد لنفسه فقد الخلوص، ولا يهدي إلى الله سبحانه بل إلى النار.

والملفت أن الآية قالت يهدون (بأمرنا) لا (إلى أمرنا)، ومعنى ذلك أنهم سبب للهداية لمكان باء السببية، ومعنى ذلك أنهم من الله سبحانه منصوبون لا من الناس، وأن ما يدعون إليه هو من الله سبحانه لا من عند الناس،

وهي عبارة ثانية عن شدة القرب والعصمة، وأن الهداية تكون منهم إذا تقرب العبد إليهم وتوسل بهم.

### هداية آل محمد ﷺ للخلق

وكيفية هدايتهم للخلق طريقان:

الأول: الهداية الإرادية، وتتحقق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الأحكام، وهي الهداية التشريعية، وهي عامة لكل من يريد.

الثاني: الهداية الإيصالية إلى المطلوب، وهي تكوينية خاصة بخواصهم، وبها يخترقون القلوب والعقول ليغيروا فيها وينوروها بالحقائق، ويشدوها إلى المعرفة، وهو لطف خاص واصطفاء إلهي لا يناله إلا ذو حظ عظيم، فلا توجد هداية إلا بواسطتهم، وهدايتهم العامة بالشرعية، أما الهداية الخاصة لبعض الناس فمشروطة بشروط:

### شروط الهداية الخاصة

الأول: شدة المحبة لهم، وعلى شدة المحبة والولاية تكون الهداية.

والثاني: قوة الارتباط بهم والتمسك بنهجهم دون غيرهم في الفكر والعقيدة والعمل.

الثالث: التبري الشديد من أعدائهم بالتزهر من صفاتهم، وهذه هي البراءة الحقيقية، فلو تبرأ المؤمن بلسانه واتصف بصفات أعدائهم ما كانت براءته حقيقية، فالبراءة العالية هي براءة الصفات والملكات بأن يتبرأ المؤمن نفسه من أوصاف أعدائهم، وكل شر وقبيح هي صفات أعدائهم، فإذا فعل

القبائح حرم نفسه من الهداية التكوينية.

وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إِنَّ الْأئِمَّةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِمَامَانٌ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(١)</sup>

لا بأمر الناس، يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> يقدّمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزَّ وجلَّ<sup>(٣)</sup>.

### فرق الإمام عن قادة البشر

وفي هذا بيان للميزان الذي يجب أن ينظر فيه الناس فيميّزوا قاداتهم وزعماءهم من أي قبيل هم.

هذه هداية الأئمة عليهم السلام للناس، ونلاحظ أنها تدور مدار الولاية، فلولا الولاية لا هداية، فالإمامة الإلهية ليست بانتخاب الأمة أو بيعة الصحابة، فإن بايعوه صار إماماً للمسلمين، والإمام يقدم أمر الله تعالى قبل أمرهم، وحكم الله تعالى قبل حكمهم، والقائد الإلهي كذلك.

أما إذا تعارض حكم الله تعالى مع أحكام القائد وأتباعه تجاوزوا حكم الله تعالى لأجل حكم القائد، أو يعللون ذلك أن هذا قانون وقد صوّبه المجلس أو

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٢) سورة القصص: الآية ٤١.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٢١٦، ح ٢.

الهيئة القانونية، وهي حجج وأعاذير يتجاوزون بها حكم الله سبحانه. فإن أمثال هؤلاء القادة يدعون إلى النار وأتباعهم كذلك، فلا بد أن يعرف الناس أن للنار أئمة وقادة، وأن لهم أتباعاً يقدمون أمرهم على أمر الله تعالى، وربما يكون المسؤول والحاكم والمدير والقائد إماماً يدعو إلى النار، وهو عابد سلطة ووظيفة، فإذا تقتضى السلطة يعمل ولو خالف كتاب الله سبحانه وحكمه، وفي هذا بيان للناس حتى ينظر كل شخص في الزعامة التي يتبعها، وأنه في أي طريق ماضٍ، فهداية الأئمة للناس تدور على الولاية، ولذا لا تقبل عبادة فاقد الولاية، وإن كان يتصورها هداية لكن الهداية بلا ولاية آل محمد ﷺ هو اتباع لأئمة النار.

### الولاية والهداية

وثالثاً: أن الولاية أعظم وأعم من الهداية؛ لأن الهداية تختص بعالم الدنيا والاختبار بخلاف الولاية فإنها تشمل الدنيا والآخرة، وأهل الولاية هم سادة الدنيا وسادة الآخرة، وما يطلبه العبد أن يكون في الدنيا مهتدياً إلى ولايتهم وفي الآخرة يكون معهم في الجنة ورضوان الله سبحانه.

وبذلك يبطل السؤال بأن المصلي والتالي للآية من أين عرف الذين أنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين؟ لأن السورة من مبدئها وختامها تحاكي وجدان الإنسان، وتشعره بالنعمة، وتنتقل بوجدانه من نعمة لأخرى حتى توصله إلى أعظم نعمة وهي محمد وآل محمد ﷺ.

وبيان ذلك: أن الإنسان يحتاج الهداية في عالم الدنيا لأنها ساحة اختبار، ومن مقتضيات الاختبار أن يكون الإنسان مهتدياً على صراط

مستقيم، وإذا فقد الإنسان الهداية في الدنيا ربما يهتدي لها مرة أخرى من عمره إذا كان عنده ولاية.

أما الولاية فيحتاجها الإنسان في كل العوالم – أي في الدنيا والبرزخ والآخرة – فأعماله في الدنيا بلا ولاية تكون هباء منثوراً، والأدلة العقلية والنقلية فوق القطعية مثبتة لذلك.

### نعيم أهل البرزخ

وفي البرزخ لا يتنعم أهل البرزخ بالنعيم إلا بالولاية.

وفي الآخرة هي منجاة من النار، حتى الأنبياء في الآخرة يستشفعون برسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، ويطلبون السقي من ماء الكوثر من يد أمير المؤمنين عليهما السلام<sup>(٢)</sup>، فالولاية هي المدار في كل العوالم، كما هي المدار في عوالم قبل الدنيا: عالم الأرواح وعالم الأشباح وعالم الذر.

أما الهداية يحتاجها الإنسان في الدنيا، فالباري عز وجلّ يختم أعظم سورة في أعظم كتبه بالولاية لا بالهداية، وبهذا يفتح الطريق أمام العباد من البسمة وهي مفتاح الكتاب العزيز وخاتمة السورة التي هي أعظم سور القرآن يعلم الإنسان محطات الهداية ويختمها بالولاية، ومعناه أن المسير كله يجب أن ينتهي إلى الولاية.

---

(١) جامع البيان: ج ٥، ص ١٨٣، ح ١٧٠٧٥؛ التفسير الكبير (للطبراني): ج ٤، ص ٤٠.

(٢) جامع البيان: ج ١٥، ص ١٦٩.

## آل محمد ﷺ بسملة الوجود

وكل عاقل يدرك بوجدانه أن كل ما في الوجود من نعم لم تحدث صدفة، بل لا بد وأن أحدثها محدث، وحيث ليس هو فإذن غيره، وهذا الغير منعم مفضل محسن حكيم عليم قادر رحمان رحيم؛ إذ لولا صفات الكمال والجمال لما كان العالم موجوداً حياً ومنتظماً ومتكاملاً.

ومعنى ذلك أن به ابتداء حدوث الأشياء، فإذا أراد أن يتبدى بشيء يتبدى باسمه، وليس غير الله سبحانه جامعاً لهذه الصفات، فبالبسملة يقر لربه المنعم، ويدعن لقدرته ورحمته، ومنه يستمد العون والفلاح.

وآل محمد عليهم هم بسملة الوجود؛ لأنهم أول من خلق وأعظم من وجد، وبواسطتهم وجدت الأشياء ودامت، وهي أعظم نعمة يستحق عليها الحمد، وهم واسطة الربط بين مقام الربوبية والعبودية؛ إذ لا بد من واسطة تنجذب لها القلوب توصف بالرحمة كما في البسملة، وهم الرحمة..

ومن كان كذلك يستحق الشكر والحمد؛ لذا يثني عليه بقوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ووصفه برب العالمين؛ لأنه لما شاهد وحدة العالم ونظمه ودوامه وتواتر الأنبياء والرسل ﷺ عن إله واحد ولم تأت مدعيات منافية صادقة أقر بواحدنيته في الربوبية.

ولما أدرك أن العباد ليسوا على الشكر والحمد وأداء حق الرب عز وجل أدرك استحقاقهم للعذاب، ولكنه يرى أنه سبحانه لا يعجل بالعقوبة، بل يوصل إليهم نعمه ولا يجرمهم من نعمه وخيره يدرك أنه (رحمان رحيم).

ولما شاهد أن العباد بعضهم يظلم بعضاً يحكم عقله بضرورة وجود

٢٧٦ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

يوم يحاسب فيه الجميع، فيأخذ الظالم جزاءه والمظلوم حقه. يقول:  
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وحيث إن بلوغ النعم في الدنيا والآخرة والنجاة من الحساب متوقف على الشكر والطاعة يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وحيث إن هذه الحقيقة متوقفة على الهداية والاستعانة على الطريق الذي يرضيه الرب تبارك وتعالى يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وفي مقابل ذلك يدرك وجود صراط آخر غير مستقيم، وللصراط المستقيم من يمثله وغير المستقيم من يمثله سأل أن يكون منهجه ومصيره وعبادته واستعانته مع الذين خصهم الله سبحانه بالصراط المستقيم؛ لذا خصص طلب الهداية للصراط المستقيم بأن يكون صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

ونلاحظ أن العبد إذا التفت إلى وجدانه فإنه يدرك هذه الحقائق المترابطة المتسلسلة التي توصله إلى مقام العبودية والالتحاق بمحمد وآل محمد ﷺ.

ويعززه ما ورد عنهم ﷺ من استحباب قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بعد قراءة الحمد، لا سيما في صلاة الجماعة، ففي الخبر الصحيح عن أبي عبد الله ﷺ قال: ﴿إِذَا كُنْتَ خَلْفَ إِمَامٍ فَقْرَأْ (الْحَمْدَ) وَفَرِّغْ مِنْ قَرَأَتِهَا فَقُلْ أَنْتَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴾<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي: ج ٣، ص ٣١٣، ح ٥٥؛ التهذيب: ج ٢، ص ٧٤، ح ٢٧٥.

وفي عيون الأخبار في وصف عبادة الإمام الرضا عليه السلام ورد: وكان إذا فرغ من الفاتحة قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وهو ظاهر في صلاة الفرادى، بل في رواية الفضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إذا قرأت الفاتحة ففرغت من قراءتها فقل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما قول (أمين) الذي التزم به العامة ومعناه استجب فهو ليس من القرآن، بل مردوع عنه، وقوله مبطل للصلاة عند أهل البيت عليهم السلام<sup>(٣)</sup>.

وقد أورد العامة بعض الروايات في استحبابه وقد وصفت بأنها موضوعة<sup>(٤)</sup>.

### اللطفة الثالثة: النعمة بالفضل والغضب بالعدل

إن قوله: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ نسب النعمة إلى الباري عزَّ وجلَّ دون الغضب؛ إذ نسبه لضمير الغائب فقال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ مع أن المقابلة وقرينة العقل تقتضيان أن ينسب الغضب إلى نفسه أيضاً، فإن الرضا والغضب منه سبحانه، فالاختلاف في النسبة قد يتلى بالمانع البلاغي؛ لأن السياق يقتضي نسبة النعمة والغضب إلى الله سبحانه؛ لأنه الغاضب عليهم، والعقل هكذا يقضي؛ لأن الرضا والغضب بيد الله سبحانه، فلماذا الآية نسبت النعمة إلى الله تعالى ونسبت الغضب إليهم؟

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ١٩٦، ح ٥.

(٢) مجمع البيان: ج ١، ص ٧٢.

(٣) انظر التهذيب: ج ٢، ص ٧٤، ح ٢٧٦.

(٤) انظر تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ٨٧؛ روح البيان: ج ١، ص ٢٨.

وهي قضية مهمة جداً تتعلق بعلم الكلام وداخلة في حياة الناس اليومية، ولعل السر يعود إلى أن النعمة مقتضى الفضل الإلهي وهو بالرحمة، بينما الغضب مقتضى العدل وهو بالاستحقاق، فالإنعام منه لا غير وابتدئ به من غير استحقاق، بخلاف الغضب فإنه متأخر عن فضل العبد؛ لذا ينسب إلى العباد أنفسهم، وإلا كان ظلماً.

والفضل منشؤه الرحمة الإلهية، فهو يبتدئ بالنعمة قبل استحقاقها؛ لأن النعم لا تتعلق بالاستحقاق بل باللطف، وإنما العقوبات تتعلق بالاستحقاقات، فالغضب يتعلق باستحقاق المغضوب عليهم، أما النعم فتتعلق بفضل الله تعالى، والله سبحانه في بعض الموارد قد يرى المصلحة أن ينزل لطفه ورحمته حتى لغير المستحق، أما الغضب والعقاب فلا يكون إلا بالاستحقاق، ومن هنا ينشأ الكلام في أن الغضب الإلهي مبدؤه فعل البشر، وهو متأخر رتبة عن فعلهم، فهم يفعلون ما يستحق الغضب فيغضب عليهم، أما النعم فابتدائية أي فعلوا أو لم يفعلوا تشملهم رحمة الله عز وجل، فإن رحمته وسعت كل شيء.

وهذا العالم أوجده وأفاض عليه نعمه ظاهرة وباطنة من غير استحقاق من أحد، فإذا لم يخلق العالم أو لم يخلق البشر في هذا العالم فما هو الأثر المترتب على ذلك؟ إذا لا يخلق الشمس والقمر والكواكب والنجوم والسماء والأرضين فما هو الأثر المترتب على ذلك؟ ما قدر المخلوق مقابل الخالق؟ لكنه لطيف بعباده يرحم كل من يطلب الوجود بمتقضى فقره واحتياجه الذاتي، ويعطيه الحياة والقدرة، ويفيض عليه بالنعمة.

إذاً النعم الإلهية باللطف والرحمة لا بالاستحقاق، وإنما العقوبات بالاستحقاق، فالغضب مقتضى العدل والنعمة مقتضى الفضل.  
فلذا نسب الباري عزَّ وجلَّ النعمة إليه بينما نسب الغضب إليهم؛ لأنهم السبب فيه، وهذه قضية عامة جارية في كل جوانب حياة البشر.

### الخير من الله والشر من الناس

إن الشرور ليست من الله تعالى، وإنما من البشر أنفسهم، فهم يختارون الأسباب فتترتب عليها النتائج، ومن هنا قالوا إن الخير مقتضى ذاته، أما الشر فبمقتضى أسبابه؛ لأن سبب وقوع الشر هو العبد نفسه، ولذا ورد في الدعاء: ﴿الخير في يديك والشر ليس إليك﴾<sup>(١)</sup>.

لأن الله جعل نظام الوجود يقوم على الأسباب والمسببات، فكل من يختار السبب يترتب عليه الأثر قهراً، حتى التقي إذا لا يراعي السلامة يمرض ويبتلى بالآفات، ولو يطلب الإنسان الرزق لا بد أن يسلك أسبابه حتى يحصل عليه، وأما إذا توجه للصلاة والصيام فإن الله سبحانه لا يرزقه بهذه الكيفية. نعم إذا صلَّى وطلب الرزق فإن الله سبحانه يبارك في رزقه.

فمن يريد الرزق عليه أن يطلبه، والذي يريد العلم عليه أن يطلبه، فإن الرزق والعلم لا يأتیان بالصلاة والصوم، وإنما بالأخذ بالأسباب. يقول عزَّ وجلَّ تأييداً لهذه الحقيقة: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ

---

(١) رسائل الشريف المرتضى: ج ٢، ص ٢٠٣.

سَيِّئَةٌ فَمِنْ نَفْسِكَ<sup>(١)</sup> والحسنة كل نعمة وسعة رزق وعمل خير، والسيئة كل ما يسوء الإنسان، وأحياناً المال يكون سيئة، وأحياناً العلم الذي يضره سيئة، وأحياناً الصديق، وكذا المرض والمصائب والآلام.

ومنها المشاكل الاجتماعية، فإن الله سبحانه حث الرجال والنساء على الزواج، وجعل في الزواج خيرات وبركات عظيمة، واعتبره جزءاً من العبادة، بل في الروايات: ﴿ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله من التزويج﴾<sup>(٢)</sup> ففي الزواج رحمة إلهية عظيمة، والباري عز وجل يحث على الزواج، ولكن البشر وقع في مشكلة الطلاق حتى صار أزمة كبيرة في المجتمعات الإسلامية التي تعتبر الطلاق مما يهتز له العرش.

فما هو السبب في كثرة الطلاق؟ إنه سوء تصرف وأعمال البشر، والله سبحانه في مثل هكذا أمور لا يتدخل بالتصرف التكويني الإعجازي ويغيّر الأمور من حال إلى حال؛ لأن الدنيا للاختبار، وتقوم على نظام الأسباب والمسببات، فالذين يختارون طريق الطلاق ينتهون إلى الطلاق حتى لو كانوا أتقياء صالحين، والذين يختارون طريق الألفة والمحبة تكون حياتهم الأسرية طيبة، فالمساوي التي يبتلى بها البشر والشروع ناشئة من أفعالهم، ككثرة الجهل والأمراض والخوف هذه من سوء فعل البشر وليست من الله تعالى.

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٩.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٤، ص ١٥٣ - ١٥٤، ح ١٦٣٥٠.

وليس في فعل الله سبحانه إلا الخير، لكن البشر يختار أسباب السوء فيقع فيه؛ لذا تقول الآية: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد يقال: في الآية السابقة عليها نسب الباري عز وجل الحسنة والسيئة إليه؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَئِنْ يَكَادُونَ يَقْفَهُونَ حَدِيثًا﴾<sup>(٢)</sup> فإن اليهود والمنافقين كانوا يزعمون هذا الزعم، وزعمهم سياسي، ولذا ذمهم شديداً؛ لأنهم أصيبوا ببلادة في الأذهان بحيث لا يميزون بين الأمور، فكانوا يزعمون أنهم أصحاب كرامة عند الله سبحانه، فالحسنات تأتيهم بسبب كرامتهم عليه، وأما السيئات فمن النبي ﷺ، وهو لون من التشاؤم، فكانوا يتشاءمون بأهل الإيمان، وينسبون إليهم المساوي، وهذه الفتنة في هذا الزمان كثيرة، ويزعم البعض بأن المشاكل راجعة إلى أهل الإيمان، والحال أنها ليست من أهل الإيمان، بل من التخلي عن الإيمان، والباري عز وجل يجمعهم جميعاً بقاعدة واحدة، يقول عنهم: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> لأن فكرهم واحد، ومنهجهم ونظرتهم للأمر واحدة، فكيف يحل هذا التنافي؟

(١) سورة النساء: الآية ٧٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٨.

## حل التنافي بين آيتين

والجواب من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه الآية ناظرة إلى السببية والتقدير والقضاء الإلهي، فإن كل حدث في الوجود يعود إليه سبحانه وحتى أعمال الإنسان، باعتبار أنه أوجده ومنحه القدرة على الفعل، وسخر الأشياء له، والأشياء تنسب إلى سببها الأقوى، وهذا لا ينفي أن تنسب السيئات للبشر باعتبار اختيارهم لها، فهو نظير الأب الذي يعطي للولد مالاً كثيراً فينفقه في الحرام، فإن الحرام يمكن أن ينسب إلى الوالد باعتباره السبب، وينسب إلى الولد باعتباره المباشر، وإليه يشير قول الإمام الرضا عليه السلام: ﴿قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم! بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء وتقول، وبقوتي أدت إليّ فريضتي، وبنعمتي قويت على معصيتي﴾<sup>(١)</sup>.

فلو جعل البارئ عزَّ وجلَّ الإنسان فاعلاً مجبوراً كالنار ما الضير فيه؟ فالبارئ عزَّ وجلَّ كرّم الإنسان وجعله فاعلاً مختاراً، هو الذي يعطيه القوة والشهوة والإرادة والميل كله منه، لكن الإنسان يصرفه في المعصية، فشان الله سبحانه أن يجعل الإنسان مختاراً ولا يتدخل في منعه، ولا يقول أعطيتك القوة فاصرفها في العمل الصالح، بل يبين له الصالح والطالح، ويجعله مختاراً، وإذا اختار العصيان لا يمنعه، حتى الذين ينكرون وجود الله سبحانه فإنه لا يفنيهم من الوجود، ولو سلب عنهم إرادته بأقل من لحظة

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٨، ح ٢٠٠؛ وانظر الكافي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٦.

يتحولون إلى عدم ولا شيء، لكنه سبحانه حتى الذين ينكرونه يمدهم بفضله وخيره وإحسانه، فبقوته تعالى يقوم الإنسان ويفعل، وبهذه القوة يعصيه، فالفرق بين السبب والمباشر كبير، فالسيئات بمباشرة الإنسان، ومن عند الله تعالى باعتبار السبب، وهذا هو مفاد الآيتين، فالأولى ناظرة إلى المباشرة، والثانية إلى السبب.

### الأسباب والتتائج

الوجه الثاني: باعتبار التتائج، فإن الإنسان بيده فعل الأسباب، أما النتائج فليست بيده، فطالب العلم بيده أن يقرأ ويبحث، ولكن درك المعلومة وبقائها في ذهنه وفهم الترابط بين الأشياء من أين؟ هل من عنده؟ والفلاح بيده أن يعمل المقدمات ويحراث الأرض ويسقيها ويذر، ولكن هل نمو الحياة في البذور بيده؟ وصاحب المحل يخرج إلى رزقه ويجلس في محله، فهل الزبائن الذين يأتونه ويشترون منه بيده؟ من الذي يستطيع أن يقول بيدي؟ أحد الباعة يربح في اليوم الملايين، والآخر أقل، والآخر ربما لا يحصل على شيء.

لأن المقدمات بيد الإنسان، أما النتائج فبيد الله سبحانه، وهنا يظهر أثر الدعاء والعبادة في تحصيل النتائج والأرزاق، والآية تقول: ﴿قُلْ كُلُّ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>

بلحاظ النتيجة لا المقدمات والأسباب، والإنسان إذا مشى في طريق

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.

الخير تترتب النتائج الحسنة، ولو مشى في طريق الشر تترتب النتائج السيئة، وهذا الترتب يجعله الله سبحانه على الأسباب، فالأسباب بيد البشر، ومن يختار السبب يختار المسبب.

فموضوع الآيتين الإصابتة للحسنة وللسيئة وهي النتيجة، والحسنات نتائجها من الله سبحانه؛ لأنه الذي جعلها وأمر بها، وجعل عليها الثواب والآثار الإيجابية.

وكذا السيئات فتتائجها من الله سبحانه؛ لأنه جعل عليها العقوبات، ويؤاخذ عليها أهلها، أما وقوعها فليست منه، بل من العباد؛ لذلك تنسب إلى الله سبحانه بلحاظ النتائج والآثار، وتنسب إلى العباد باعتبار المبادئ والأسباب، وكلا النسبتين صحيحة، كما يقال في العقوبة القضائية، كما لو قتل القاتل قصاصاً، فيجوز أن يقال إن القاتل هو سبب القتل؛ لأنه اختار فعله، ويجوز أن يقال إن القاضي هو القاتل لأنه أصدر الحكم بحقه، ومن هنا قلنا إن نسبة الحسنات إليه سبحانه لأنها فضله، والسيئات تنسب إليه باعتبار عدله.

### كل بإذنه سبحانه تكويناً

الوجه الثالث: باعتبار الإذن التكويني في الأشياء، والباري عز وجل لا يتدخل في حدوث الأشياء إذا تحققت أسبابها، فالشخص الذي يتلفظ التوحيد لا يمنعه، والذي يتلفظ بكلمة الكفر لا يمنعه، والذي يريد أن يعبد الله تعالى لا يمنعه، والذي يريد أن تعالى لا يمنعه؛ لأنه أذن تكويناً أن كل من يريد فعلاً ويجد سببه يصل إليه، والحسنة والسيئة هكذا، فالباري

عَزَّ وَجَلَّ لا يَمْنَعُ مِنْ وَقُوعِ الْحَسَنَاتِ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ وَقُوعِ السَّيِّئَاتِ بِالِإِذْنِ التَّكْوِينِيِّ، فَالآيَةُ الَّتِي تَقُولُ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَذِنَ بِذَلِكَ، وَلَا يَعْنِي أَنَّهُ يَفْعَلُ السَّيِّئَاتِ، تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَإِنَّمَا لَا يَمْنَعُ مِنْ وَقُوعِ السَّيِّئَاتِ.

فَالِإِصَابَةُ لِلْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ تَنْسَبُ إِلَيْهِ مَعًا بِاعْتِبَارِ إِذْنِهِ فِي وَقُوعِهَا بِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ؛ لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أُعْطِيَ الْأَسْبَابَ وَأَعْطَى الْإِذْنَ التَّكْوِينِيَّ فِي وَقُوعِهَا، فَلَا يَمْنَعُ مِنْ فِعْلِ الْبَشَرِ مَانِعٍ، وَالْفِعْلُ يَنْسَبُ إِلَى الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنَ الْعِلَّةِ التَّامَّةِ، كَمَا يَقَالُ إِنْ الْقَائِدُ هُوَ الَّذِي فَتَحَ الْبَلَدَ، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يَمْلِكُ الْأَمْرَ الْأَخِيرَ فِي الْاِقْتِحَامِ، مَعَ أَنَّ الَّذِي بَاشَرَ الْفَتْحَ هُوَ الْجَيْشُ، وَكَذَا لَوْ انْهَزَمَ تَنْسَبُ الْهَزِيمَةُ إِلَيْهِ، مَعَ أَنَّ الْجَيْشَ هُوَ الْمَتْرَاجِعُ، وَهَكَذَا الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ، وَهَذَا لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ تَنْسَبَ الْحَسَنَةُ إِلَى الْعَبْدِ بِاعْتِبَارِ مَبَاشَرَتِهَا، وَكَذَلِكَ السَّيِّئَةُ.

### تبرير أهل العناد

الوجه الرابع: الآية المباركة تحيب عن توهم لليهود والمنافقين، فإنهم كانوا يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم مكرمون، ولأجل هذا التكريم ينزل عليهم الخيرات والبركات، فالسيئات ينسبونها لموسى عليه السلام وأتباعه. والمنافقون في المدينة أخذوا هذه الثقافة من اليهود، فكانوا ينسبون المحاسن إليهم من الله تعالى والله تعالى يحبهم، أما السيئات فمن عند المؤمنين، ويتشاءمون بأهل الإيمان، وهذا ابتلاء، فأحياناً البارئ عزَّ وجلَّ يمد الكافر

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.

والعاصي ويعطيه ويمهله حتى يمتحنه أكثر.

وقد ذكر بعض المفسرين: أن المدينة كانت مملوءة بالنعم حينما قدم عليها رسول الله ﷺ، فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين منع الله تعالى عنهم بعض النعم، لكن الإنسان أحياناً يغتر ويبرر مساوئه، فإن الله تعالى حرّمهم النعم عنادهم وجحودهم، ولكنهم يقولون بسبب كون رسول الله ﷺ بينهم، وهذه قضية مفرجة في بني البشر؛ إذ ينسب المساوئ لغيره ولا ينظر إلى نفسه، ويغفل عن دوره في هذه المساوئ.

وهذه سنة إلهية جرت في المعاندين للأنبياء، فإن العناد أحد أسباب نقصان النعم والبركات، بل وأحد أسباب الحرمان من بعض النعم، وربما المجتمع برمته تنقطع عليه الخيرات بسبب بعض المساوئ؛ إذ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾<sup>(١)</sup> فدل على أن البؤس والضر ينال الأمم بسبب جحودهم، فيبتليهم الله سبحانه لأجل تأديبهم وإصلاحهم، والغاية لعلهم يضرعون؛ لأن الإنسان إذا توفرت عنده النعمة ولم يكن قد ربّى نفسه تنسيه، ولا يتذكر إلا إذا أصيب بالبأساء والضرراء، ولذلك تقول الآية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ فتدل على أن الضر والبؤس ملازم للعناد، فيبتليهم الله تعالى بذلك حتى يصحّحهم من نومة الغافلين.

وبهذا الاعتبار تنسب الحسنة والسيئة إليه سبحانه، لكن اليهود

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٤.

والمنافقين قالوا: ما رأينا أعظم شؤماً من هذا الرجل، نفقت ثمارنا وغلت أسعارنا منذ أن قدم، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ﴾<sup>(١)</sup> أي الخصب ورخص الأسعار وهطول الأمطار قالوا: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> من الجذب وغلاء الأسعار قالوا هذا من شؤم الرسول<sup>(٤)</sup>. وهذه هي سيرة التبشير عند أهل العناد؛ إذ يلقون باللوم على غيرهم، وينسبون الشر للغير، ولا يرون لأنفسهم سبباً فيما يصيبهم.

ومثله قال قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾<sup>(٥)</sup> وكذا قوم صالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾<sup>(٦)</sup>.

فأبطل الله سبحانه مزعمهم بقوله: ﴿قُلْ كُلُّ﴾<sup>(٧)</sup> أي الحسنات والسيئات ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(٨)</sup> باعتبارين:

الأول: السببية.

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٤) انظر نفحات الرحمن: ج ٢، ص ٢٥٠؛ تفسير الرازي: ج ١٠، ص ١٨٨.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٣١.

(٦) سورة النمل: الآية ٤٦.

(٧) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٨) سورة النساء: الآية ٧٨.

والثاني: باعتبار أن كل ما يفعله النبي ﷺ هو فعل الله تعالى يده يد الله تعالى وقوله قوله، وأثره أثره، فإن أصابكم بشيء أساءكم فهو من الله تعالى وليس من نفسه، ولأن هذا معنى دقيق قال تعالى في مقام الاستفهام الاستنكاري: ﴿فَمَا لَهُوْلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾<sup>(١)</sup>.

وإنما قال: ﴿لَا يَكَادُونَ﴾ ولم يقل: (لا يفقهون) للإشارة إلى أنهم غير مستعدين للفهم؛ لأن جهلهم مركب، ويتصورون أنهم على حق، وهو مأخوذ من كاد، وهو من أفعال المقاربة سواء وقع الفعل أو لم يقع، وتطلق على نفي المهمة<sup>(٢)</sup>، وإن نفي الكود عنهم يفيد البعد الكبير بينهم وبين الفهم لفقدانهم المهمة على ذلك، بخلاف نفي الفقاهاة، فإنه يفيد الجهل البسيط، ويمكن أن يرتفع جهله بالتعليم أو التفكير، فقوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ أبلغ في الدلالة على جمود عقولهم وموت قلوبهم عن فهم المعاني والحقائق الدقيقة.

### ذنوب تورث الحرمان

وقد ورد في النصوص أن بعض الذنوب تورث الحرمان<sup>(٣)</sup>، وليس بالضرورة أن الإنسان نفسه يفعل الذنب، بل إذا جاره فعل الذنب وما نصحه يشملته الحرمان، وإذا أرحامه فعلوا الذنب وكان قادراً على إرشادهم ونصيحتهم ولم يبالي يمسه الحرمان. قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٢) مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٣٨، (كود)؛ مفردات الراغب: ص ٧٢٨، (كيد).

(٣) انظر تحف العقول: ص ٣٢٠ - ٣٢١؛ البحار: ج ٧٥، ص ٢٣٤، ح ٥٢.

ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً<sup>(١)</sup> لأنها تشمل الظالم والمظلوم.

وفي دعاء كميل: ﴿اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء﴾<sup>(٢)</sup> مع أن الله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وهو وعد، والله تعالى لا يخلف الوعد، ولكن بعض الذنوب تمنع من إجابة الدعاء.

﴿اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء﴾<sup>(٤)</sup> وهذه أشد؛ لأن المانعة تمنع وصول الخير، أما التي تنزل البلاء تنزل الشر على بني آدم.

﴿اللهم اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء﴾<sup>(٥)</sup> وهذه أصعب من تلك؛ لأن الإنسان إذا حرم من النعمة فيصبر عليها، وأحياناً ينزل عليه بلاء ومصيبة، فعنده طاقة للصبر والتحمل، ولكن إذا حرم من النعمة نزلت به المصيبة وأصيب باليأس صار آيساً، فيتحطم وينهار، ويقال أن أكثر حالات الانتحار ناشئة من هذا؛ لأن المتحدر يشعر بأنه آيس من الحياة، وغلقت الأبواب في وجهه فلا أمل ولا رجاء له، وهذا الأمل شعلة وقادة في القلوب، ونعمة إلهية عظيمة في البشر، وهي آية تجعل الإنسان يواصل الطريق ويتلذذ بنعم الحياة، وإذا خرج من قلبه الأمل ودخل في قلبه اليأس فربما ينتحدر.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

(٢) مصباح الزائر: ص ٣١٧؛ وانظر مصباح المتعبد: ص ٨٤٤.

(٣) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٤) مصباح الزائر: ص ٣١٧؛ وانظر مصباح المتعبد: ص ٨٤٤.

(٥) المصدر السابق

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿اللهم اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء﴾ وهو أصعب مصيبة يصاب بها الإنسان؛ لأن حالته النفسية تنهار.

### ذنوب تغير النعم

وبعض الذنوب خطورتها أعظم لأنها تغير النعم، وبسبب سوء اختيار البشر تتبدل أحوالهم من حال حسن إلى السوء، وأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة يقول: ﴿وأيم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها﴾<sup>(١)</sup> أي سببه ومسببه؛ لأن الله ﴿لَيْسَ بِظِلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٢)</sup> فإذا نزل الشر والبلاء يجب أن يعرف الإنسان فعل حتى نزل به الشر، وماذا فعل المجتمع من مساوئ حتى ابتلي بالمشاكل الكثيرة؟ ويمكن أن يكون لكل فرد من أفراد مساهمة في هذه المساوئ، وفي الأخبار الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام ما يعرفنا على مسؤوليتنا حيث قال: ﴿الذنوب التي تغير النعم البغي﴾<sup>(٣)</sup> أي القوي يأكل الضعيف بقوة قانون أو منصب أو مال أو عشيرة أو وجهة... فتتغير النعم بسبب هذا الحال.

### ذنوب الحضارة الغربية

﴿والذنوب التي تورث الندم القتل﴾<sup>(٤)</sup>، فالحضارة الغربية خرّبت البشرية، وأفسدت قلوب الناس ونفوسهم، ولا زالت تخرب وتهدم، ولكن

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٩٨ - ٩٩، الخطبة ١٧٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٤٧ - ٤٤٨، ح ١.

(٤) المصدر السابق.

جزء السبب نفس الناس، حينما يثقون بالغربيين والشرقيين ويتأثرون بهم، فإنهم يحرقون حياتهم ويصيرونها جحيماً.

ولعل دم الإنسان اليوم من أرخص الأشياء في حياة الناس، فإنه يقتل في كل مكان بألوان وأشكال مختلفة، بعضه ظاهر وبعضه خفي، وإما قتل مباشر أو بالأسباب، هذا هو واقع الحياة البشرية المحكومة بالقوة الاستعمارية الظاهرة والمقنعة.

﴿والذنوب التي تنزل النقم الظلم﴾<sup>(١)</sup> أي البلايا، والآفات، ولا يعني الحاكم إذا يظلم شعبه فقط، بل المعلم إذا يظلم تلاميذه، والطبيب إذا يظلم المرضى، والتاجر إذا يظلم الزبائن، والأب إذا يظلم أبناءه، وكذا الأم والجار، فإن الظلم عنوان واسع يندرج تحته الكثير من الأعمال، ولو التفت الإنسان لنفسه قد يجد نفسه أنه من أول صباحه إلى آخر ليله قد ظلم كثيراً، فإذا صار ملايين الناس يظلمون كل من موقعه وبأسلوبه - ففي البيوت ظلم، وفي الدائرة ظلم، وفي السوق والمدرسة وهكذا - فإن الحياة كلها تصبح ظالمة، فتلازمها النقم، وهي الأخرى لها مظاهر كغلاء الأسعار، وقلة الأمطار، وكثرة الأمراض والبلايا، والطلاق، فإن الحياة فسدت، والذي أفسدها البشر، وإذا صلح الإنسان كل شيء ينصلح، وإذا فسد كل شيء يفسد.

﴿والتي تهتك الستر شرب الخمر﴾<sup>(٢)</sup>، فأين دور المجتمع في معالجة هذا المنكر؟

(١) المصدر السابق.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٤٧ - ٤٤٨، ح ١

«والتي تحبس الرزق»<sup>(١)</sup> وليس بالضرورة أن يكون المحبوس هو السبب، بل قد تشمله جناية الغير؛ لأنه سكت عنه، ومن الذنوب التي تحبس الرزق الزنا.

«والتي تعجلّ الفناء»<sup>(٢)</sup> أي تفني «القطيعة الرحم» لأنها تقصر الأعمار.  
«والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء»<sup>(٣)</sup> أي لا يصبح مظلماً فقط، بل الهواء الذي هو منشأ الخير للناس يصبح ملوثاً، فبدلاً من أن ينفعهم يضرهم وينقل لهم الجراثيم والفيروسات، وبعض الفيروسات حتى العلم يعجز عن فهمها ومعالجتها، ودائماً يحذّر الناس منها لأنه لا يعرفها.. فظلمة الهواء لا تعني أن يصبح أسود فقط، بل تصير حياة الناس مظلمة، فما هو هذا الذنب؟ إنه عقوق الوالدين<sup>(٤)</sup>.

فالآية حينما تدعو إلى عدم الانضمام إلى المغضوب عليهم لأنهم سبب الغضب، وبسبب سوء أفعالهم صاروا مغضوبين.

### المنافقون في عهد النبي ﷺ

والمنافقون في زمان رسول الله ﷺ يبررون لأنفسهم العناد، وكلما ينصحهم أهل الإيمان يعاندهم أهل النفاق، وكانوا يقولون: (ما رأينا أعظم

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٤٨، ح ١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

شَوْماً من هذا) <sup>(١)</sup> .

فالرسول ﷺ الذي هو رحمة لهم وبعث لإنقاذهم يتشاءمون من وجوده، ويتفاءلون بالخمارين والزمارين وأهل الفسق والفجور، وهذه القيم حينها تنقلب في المجتمع وتنعكس تصبح المفاهيم معكوسة، والمتدين الصالح يصبح منبوذاً، والطالح يصبح مقرباً وممدوحاً، فكان هؤلاء يتشاءمون ويقولون قولتهم، فالموازين مقلوبة، والعقول تفكر بالعكس، وهذا من أدهى الأمراض إذا أصيب به المجتمع، وهو أن تصبح القيم مقلوبة، والمنكر يرويه معروفاً والمعروف منكراً.

وهذه هي سيرة أهل العناد والتهادي، فكان اليهود والمنافقون يقولون: (ما رأينا أعظم شَوْماً من هذا الرجل. غلت أسعارنا وقلت أمطارنا منذ أتانا) <sup>(٢)</sup> فقال تعالى جواباً لهم: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ <sup>(٣)</sup> أي لأننا محبوبون الله أنزل لأجلنا الأمطار وأخصب الأراضي والأشجار ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ مثل الجذب وقلة المطر وغلاء الأسعار قالوا هذه من شَوْم الرسول.

والباري عز وجل قال في اليهود في موقفهم من موسى ﷺ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ <sup>(٤)</sup> لأننا مكرمون معززون ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾

(١) تفسير الرازي: ج ١، ص ١٨٨؛ مراح لبيد: ج ١، ص ٢١١.

(٢) انظر تفسير الرازي: ج ١٠، ص ١٨٨ و ج ١٤، ص ٢١٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٣١.

يَظْهَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴿١﴾ فالساوئ من موسى ﷺ والمؤمنين.

وفي هذا الزمان ما أكثر الظلم لأهل الإيـمان والتقوى، ونفس هذه الدعوى - التي قالها اليهود - في هذا الزمان يقولونها لأهل الإيـمان، والمساوئ التي نزلت بالبلد بسبب الظلم والفساد لا يقولون نحن من أسبابها والمساهمين فيها، وإنما يلـقون بالتهمة على غيرهم، ومثل هكذا فكر معكوس مقلوب الموازين لا يمكن أن يـرجو صلاحاً.

فإن المريض يتعالج من المرض إذا اعترف أنه مريض، وأقر على نفسه أنه بحاجة إلى علاج، وذهب إلى الطبيب وعمل بنصائحه يشفى، وأما الشخص المريض الذي لا يعترف أنه مريض لا يرى أنه بحاجة إلى دواء، وهذه هي البلوى الاجتماعية حينما يصاب بها المجتمع ويأخذ الأمور بالعكس، فيلقي باللائمة على غيره، ولا يفكر ما هو دوره في الفساد الواقع في المجتمع؟ وما هو موقعي؟ وما هو سهمي في منع السماء قطرها، وحبس الدعاء، ونزول البلاء؟ فإن كل فرد إذا التفت إلى نفسه وعالجها فإن البلى والآفات ترتفع، أما إذا المسيء يقول أنا غير مسيء ويلقي باللائمة على غيره ويتشائم من أهل الإيـمان، فمثل هذا الفكر لا ينتج صلاحاً ولا نـجاة.

وفي هذا اليوم هناك من هم أسوأ من قوم موسى ﷺ في تقويمهم ونظرهم للأمر، وواقع الحال شاهد على ذلك؛ لذا يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

ولكن (لو) أنها تهز القلوب: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> أي هم يكسبون بأيديهم وأنفسهم، وهذا التكذيب ليس فقط قولياً، بل تكذيب في العمل، فالآية الشريفة نسبت النعمة إلى الله سبحانه والنعمة والغضب إلى الناس، فعلى الإنسان حينما يقرأ الآية يرى نفسه من المغضوب عليهم أم لا، فإذا رأى نفسه يفعل المساوئ فليعرف أنه منهم، وأنه من أسباب البلاء على نفسه.

### اللطيفة الرابعة: أقسام العباد

إن الآية المباركة قسّمت عباد الله سبحانه على ثلاثة أقسام:

الأول: المنعم عليهم، وهم أهل الإيثار واليقين بالله سبحانه وطاعته.

الثاني: المغضوب عليهم، وهم أهل الجحود والمعاندة.

الثالث: الضالون، وهم المتحيرون في معتقدتهم وعملهم، ومصيرهم مع المغضوب عليهم؛ لأن رضا الله سبحانه في الإيثار والطاعة لا في الحيرة والتردد، وفي بعض الأخبار وصف الجاهلون القاصرون عن معرفتهم ﷺ بالضلالة، وهذا شاهد على أن الضلالة لها معنى عام شامل للعامد والجاهل المقصر والقاصر، وهو كل من لا يعرف محمداً وآل محمد ﷺ، ومعنى خاص وهم المعاندون، وهذه حقيقة هامة في فهم الروايات والآيات وبناء المواقف وبيان مراتب أهل الإيثار والمخالفين له.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

ففي رواية أبي سلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿نحن الذين فرض الله طاعتنا. لا يسع الناس إلّا معرفتنا، ولا يُعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء﴾<sup>(١)</sup>.  
وقد أشارت إلى حقائق هامة:

### الإيمان والكفر مدار المعرفة بهم عليه السلام

منها: أن معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام واجبة على جميع الناس، والمراد بالمعرفة العملية أي الملازمة للطاعة لا النظرية فقط، فإن إبليس أيضاً يعرفهم، والكثير من المسلمين يعرفونهم نظرياً.

ومنها: أن إنكارهم عليهم السلام مدار الكفر، وبقرينة المقابلة يعرف أن المراد بالإنكار العملي.

ومنها: أن غير العارفين بعضهم قاصرون أي لا يعرفونهم ولا ينكرونهم، وهؤلاء وصفوا بالضلالة؛ لأن من لا يعرفهم يتبع غيرهم، وليس في غيرهم هداية، ولذا لا يهتدي إلّا بالرجوع إليهم، فلو مات وهو على هذا الحال كان قاصراً، فأمره موكول إلى الله سبحانه، فإما يختبره، وإما تشمله رحمته وينجيه من النار.

ومن ذلك يعرف أن الذي يعرفهم وينكرهم لا نجاة له ومصيره

---

(١) الكافي: ج ١، ص ١٨٧، ح ١١.

العذاب؛ لأن ضلاله في أعلى الدرجات.

وهذا يوجد تكليف على المغضوب عليهم أن يتراجعوا عن جحودهم وعنادهم، وعلى المتحيرين أن يهتدوا لينجوا، وإلا كانوا من الهالكين.

ولا يقول البعض: إني مؤمن وموحد وأصلي وأعمل بأحكام الإسلام، فإن الله سبحانه لا يقبل عبادة بلا ولاية، وقد نص على ذلك في كتابه العزيز؛ إذ يقول عز وجل ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾<sup>(١)</sup>.

### ما معنى ثم اهتدى؟

والسؤال: أليس من آمن وعمل صالحاً هو مهتدٍ، فلماذا قال ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (ثم) تفيد الترتيب؟ وإلى ماذا يهتدي؟ سؤال نظرته لكل المسلمين.

ولا يوجد جواب صحيح يقبله العقل إلا جواب واحد، وهو أن الغفران متوقف على الإيمان والعمل الصالح مع الاهتداء، والاهتداء يفيد أنهم باختيارهم وسعيهم يطلبون الهداية، وليس ذلك إلا الولاية لعلي وذريته عليهم السلام، وفي كل زمان وجيل يجب أن يهتدي الناس إلى القائد الإلهي الذي نصبه عليهم، ففي زمان موسى عليه السلام، وفي زمان عيسى عليه السلام، وفي زمان الإسلام الرسول صلى الله عليه وآله، وفي زمان الأئمة الإمام عليه السلام في كل عصر، وفي هذا الزمان الاهتداء إلى حجة الزمان ووليه (عجل الله فرجه الشريف) شرط في الإيمان والعمل الصالح.

(١) سورة طه الآية ٨٢.

والملفت أن الآيات التي بعد هذه الآية تشير إلى أن بني إسرائيل حيث لم يعملوا بهذا القانون ولم يتبعوا موسى عليه السلام ابتلوا بعبادة العجل والشرك، وأضلهم السامري، وأخرجهم من نهج موسى وهارون عليهما السلام، وهذه نتيجة طبيعية لمن لا يهتدي إلى حجة الله سبحانه ووليه في كل زمان.

### الهداية إلى ولي الله تعالى

وهذه الأمة المسلمة لما لم تأخذ بوصية النبي صلوات الله عليه وآله في علي عليه السلام اتبعت المغضوب عليهم، وفي هذا الزمان حيث لا يهتدون إلى حجة الزمان (عجل الله فرجه الشريف) وإمامته يتبعون أهل الضلالة من الغرب والشرق وأتباعهم، وهذا ما تضافر معناه في الأخبار الشريفة، ففي أمالي الصدوق عن النبي صلوات الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام يقول: ﴿ولقد ضلّ من ضلّ عنك، ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إليك وإلى ولايتك﴾<sup>(١)</sup>.

وبطرق الفريقين عن أبي جعفر عليه السلام في معنى قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال: ﴿إلى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ثم مات ولم ينج بولايتنا إلا أكبه الله في النار على وجهه﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا ما يجب أن يعرفه المسلم في هذا الزمان، ولا يهمل إسلامه ونفسه.

وفي سورة الواقعة قسم العباد تقسيماً آخر، فجعل المنعم عليهم فئتين،

(١) الأمالي (للصدوق): ص ٥٨٣، ح ١٦؛ تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٣٨٧.  
 (٢) مجمع البيان: ج ٧، ص ٤٥؛ وانظر تفسير كنز الدقائق: ج ٨، ص ٣٧؛ شواهد التنزيل: ج ١، ص ٤٩٢، الهامش.

والمغضوب عليهم والمتحيرين فئة واحدة، للإشارة إلى وحدة المنهج والمصير؛ إذ قال تعالى عن حال أهل المحشر: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً \* فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>(١)</sup>.

والعطف يقتضي المغايرة، والوصف والجزاء شاهدان على أن المقربين هم عباد الله تعالى وأولياؤه، وأعلاهم رتبة هم محمد وآل محمد ﷺ، وأصحاب الميمنة هم أتباعهم الذين يسرون على صراطهم المستقيم، وأما أصحاب المشأمة وهم الذين يلازمهم الشؤم فهم المغضوب عليهم، والمتحIRON أي أتباعهم.

ووصف التابعون لآل محمد ﷺ بأصحاب الميمنة؛ لأنهم أهل يمين وبركة وأصحاب المنازل الرفيعة، ففي الميثاق كانوا على يمين العرش، وفي عالم الذر كانوا على يمين آدم، وفي الآخرة يقدمون على يمين العرش، ويعطون كتبهم بأيانهم، ونورهم يظهر بأيانهم، وفي الدنيا نصرُوا محمداً وآل محمد ﷺ وكانوا قوة لهم.

واليمين يطلق على القوة الناصرة التي يستعان بها في إنجاز الوظائف والأعمال<sup>(٢)</sup>، ولأن هذه كلها مواقف عظيمة لا يعرفها إلا أهلها قال في صورة التعجب: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ كما أنهم

(١) سورة الواقعة: الآيات ٧-١٣.

(٢) نفحات الرحمن: ج ٦، ص ١٤٢.

أصحاب يُمن وبركة على أهل الأرض. بهم يدفع الله السوء عن الناس، كما أن الجزاء الذي سينالونه جراء هذه المواقف مما يوجب التعجب، وفي مقابل ذلك أصحاب المشأمة، فإن كل ما كان لأصحاب اليمين حصل بالضد منه لأصحاب الشمال؛ لذلك لازمهم الشؤم في جميع العوالم والنشآت، وهم شر على أهل الأرض.

ومعلوم أن أصحاب اليمين درجات ومراتب، وفيهم السابقون إلى آل محمد ﷺ، وهم الخواص الذين وصفوا بالشيعة، والأدنى رتبة منهم الموالون، والأدنى المحبون، وهذا ما يستفاد من الأخبار.

ففي الكافي عن الإمام الصادق ﷺ قال: ﴿قال أبي لأناس من الشيعة: أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلى ولايتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة﴾<sup>(١)</sup> وفي الأمالي عن النبي المصطفى ﷺ لما سئل عن هذه الآية قال: ﴿قال لي جبرئيل ذاك علي وشيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامته لهم﴾<sup>(٢)</sup>.

وعنوان شيعة علي ﷺ ينطبق على جميع الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين في كل زمان ومكان<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي: ج ٨، ص ٢١٣، ح ٢٥٩.

(٢) الأمالي (للطوسي): ص ٧٢، ح ١٠٤.

(٣) انظر الكافي: ج ٤، ص ٤٧٣، ح ٢٠.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ..... ٣٠١

وبذلك يتضح السر في اختلاف نعيم أهل الجنة؛ لأن اختلاف العقائد والأعمال يوجب اختلاف الرتب والمقامات، وهو يوجب اختلاف الجزاء.

### بماذا تختلف المقامات؟

وأهم ما يوجب اختلاف المقام والرتبة أمران:

الأول: المتابعة اللازمة لمحمد وآل محمد عليهم السلام وعدم الانفكاك عنهم.

الثاني: التسليم لهم في العقل والقلب والعمل، ولذا وصف في آية أخرى بقوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَاكَ رَفِيقًا﴾<sup>(١)</sup> وحسن الرفقة تأتي بالاتباع والتسليم لا بالمعاندة والمخالفة.

وبهذين الأمرين يكون التابع ميموناً ومن أهل اليمين، وهي تعصمه من الذنوب والمعاصي، وتبريه من مسaire أعدائهم، فإن أسوأ ما يقع فيه العبد ويدرجه في أصحاب المشأمة ارتكاب الظلم، وأعظم الظلم ما يقع على آل محمد عليهم السلام، ومن أعظمه اتباع أعدائهم.

علمنا بهذا الباري عز وجل عن لسان موسى بن عمران عليه السلام إذ قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> والظهير أي القوة السند والعون للمجرمين، والآية دالة على أن مظاهره المجرمين جرم ومعصية، ومظاهره المؤمنين وتقويتهم طاعة واجبة<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) سورة القصص: الآية ١٧.

(٣) تفسير كنز الدقائق: ج ١٠، ص ٤٨ تفسير الآية المزبورة.

## خطورة التعاون مع الظالمين

ومساندة المجرمين من أشد الذنوب لتضاعف عقوبتها؛ لأن المجرم الجبار والحاكم الظالم لا يتجبر ويطنغي إلا باتباع الناس له، وهو يستغل ضعف الناس وجهلهم وفقرهم ويتخذهم وسائط لتجبره، لاسيما العلماء والوجهاء وأصحاب المكانة الاجتماعية، فإن إسنادهم للمجرمين لا يغتفر، وهذا ما يؤكد الحوار الذي جرى بين الإمام زين العابدين عليه السلام مع محمد بن مسلم الزهري، وكان رجلاً عالماً متعاوناً مع بني أمية ومع عبد الملك خاصة، وقد حذره الإمام عليه السلام من ذلك. قال له: ﴿أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً إلى ضلالتهم... يُدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم... فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمروا لك فكيف ما خرّبوا عليك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول﴾<sup>(١)</sup>.

ويتحصل: أن كل نعمة ينعمها الله تعالى على عباده فإن جزاءها أن تصرف في طاعته، فلو استعملها في معصيته كان ظلماً، وأعظم الظلم أن يقوِّي الإنسان المجرمين ويكون تابعاً لهم.

---

(١) تحف العقول: ص ٢٧٥ - ٢٧٦؛ الفقيه: ج ٤، ص ٤٨٣؛ البحار: ج ٧٥، ص ١٣٢ - ١٣٣، ح ٢.

## من هو الظهير للمجرمين؟

ولا يوجد أعظم من عداوة محمد وآل محمد عليهم السلام، فالذي يتبع أعداءهم صار ظهيراً للمجرمين، وكان من أصحاب المشأمة، ونلاحظ أن الآية بالتصنيف الثلاثي للناس تهدي إلى الصراط المستقيم، وتحذر من مخالفته، وتعرّفنا المنهج الحق الذي يجب أن يتبع.

وبذلك يظهر بطلان ما قاله بعض العامة بأن السابقين في أمة محمد صلّى الله عليه وآله أبو بكر وعمر<sup>(١)</sup>، وأن هذا الحديث من الموضوعات لإشكالين نقضي وحلي.

أما النقضي فتصافر الأخبار حتى من طريق بعض النواصب أن سابق هذه الأمة هو علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٢)</sup>، وقال فضل بن روزهان الناصب جاء في رواية أهل السنة: ﴿سَبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَحَبِيبُ النَّجَارِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ﴾<sup>(٣)</sup> وفيما رواه الفخر الرازي (وعلي أفضلهم)<sup>(٤)</sup>.

وأما الحلي فمن وجهين:

الأول: لاتفاق كلمة المؤرخين وأرباب التراجم أنهما لم يسبقا إلى الإسلام ولا الإيمان والطاعة، فقد روى الطبري عن محمد بن سعد قال: قلت لأبي:

(١) روح البيان: ج ٩، ص ٣١٨؛ نفحات الرحمن: ج ٦، ص ١٤٣.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ص ٣١٥، ح ٢٩٤؛ الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٣٦٥؛ ينابيع المودة: ج ١، ص ٣٧٤؛ مناقب الخوارزمي: ص ٣٢٠، شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣٠٤، ح ٩١٤؛ وانظر نهج الحق: ص ١٨١، ح ١٣.

(٣) شرح احقاق الحق: ج ٣، ص ١٢١؛ نفحات الرحمن: ج ٦، ص ١٤٣.

(٤) تفسير الرازي: ج ٢٧، ص ٥٧.

أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين<sup>(١)</sup>،  
وإسلام عمر كان بعده<sup>(٢)</sup>.

والثاني: لحكومة العقل وشواهد الآيات والروايات بأن المراد بالسابقة إلى الإسلام ليست الزمانية فقط، بل السابقة بالتسليم والطاعة، وقد اتفقت كلمة المسلمين وغيرهم على أن علياً عليه السلام هو الأسبق في ذلك.

### اللطفية الخامسة: التبري من المغضوب عليهم والضالين

إن الآية المباركة تدعو كل فرد من أبناء المجتمع كبيراً كان أو صغيراً، وعالمياً أو جاهلاً، امرأة كانت أو رجلاً، إلى التبري من المغضوب عليهم والضالين.  
والمغضوب عليهم ليسوا أناساً يأتون من الفضاء أو الكواكب الأخرى، أو من عمق التاريخ كانوا في زمان ثم رحلوا كلا، ففي كل لحظة وساعة هناك أناس مغضوب عليهم، وربما يكون الإنسان نفسه في بعض الحالات مغضوباً عليه، وفي بعض الحالات يكون ضالاً، وصيغة اسم المفعول في قوله (المغضوب) يدل على الدوام والاستمرار، فالآية لا تختص بزمان أو مكان أو أناس خاصين، وإن كان لها رموز وفتات وأتباع، ولكن الإنسان لا بد أن يلتفت لنفسه، فربما يكون هو من المغضوب عليهم ومن الضالين.

وهناك جملة من الأعمال إذا قام بها الإنسان اندرج في المغضوب عليهم، وإطلاق الآية يفيد أن الغضب لا يختص بالله تعالى، بل الله تعالى يغضب

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٦٠.

(٢) نفحات الرحمن: ج ٦، ص ١٤٢.

عليه والناس يغضبون عليه، وربما الأرض التي يمشي عليها تغضب عليه، والهواء الذي يتنفسه، والحيوان الذي يعيش معه في داره يغضب عليه.

وإذا غضب الله تعالى على شخص أظهر عليه جملة من الآثار، فلو انتبه إليها الإنسان يعرف نفسه أنه من المغضوب عليهم أو لا.

أحدها: يطرده الله سبحانه من رحمته ولطفه، وإذا اشتد البعد فيه لعنه.

ثانيها: إظهار الشؤم والكدورة عليه، والتعاسة تلازمه أينما يحل ويكون.

ثالثها: تفسيره وسلب الشرعية عن أعماله سواء العبادات أو المعاملات أو تولي المناصب والولاية، فإنه لا شرعية لكل ما يعمل، وأعماله تكون باطلة خصوصاً إذا كان حاكماً أو مديراً أو صاحب قرار، فإنه لا شرعية لقرار المغضوب عليه.

رابعها: معاقبته في البرزخ والآخرة، فلا ينجو المغضوب عليه من عذاب القبر والآخرة.

### ملازمة الشقاء لهم

خامسها: إلحاق أتباعهم لهم في الخصائص والآثار، فاللعنة تكون مستمرة عبر الأجيال والطبقات. ربما بعضهم يرى نفسه عند نعمة أو سلطة، فيتوهم أنه في نعمة كلا، فالذي يخترق الحياة الشخصية لهؤلاء يجد آثار الغضب الإلهي عليهم في صحتهم وذرياتهم وحالاتهم النفسية وأفكارهم وأوقاتهم، فالذي يتعرف على خصائص الظالمين والعصاة والمذنبين خصوصاً رموز الجور والظلم والعصيان يعرف كم هم في تعاسة

وإن كانوا لا يظهرون ذلك، ولكن في واقعهم الشؤم والبؤس والتعاسة تلازمهم، وشواهد التأريخ في هذا كثيرة، والذي يقرأ حياة الملوك وأعوانهم كيف كانت، وحياة الأثرياء الذين يصرفون ثراءهم في العصيان كيف تكون، وحياة أصحاب الشهرة الذين ينالون الشهرة من المعاصي والجنائيات كيف تكون سيلاحظ أن أبسط إنسان في المجتمع طيب النفس نزيه الضمير أسعد منهم، وأهنأ عيشاً، وهذا غضب الله عليهم، فلا بد أن يسعى الإنسان لأن لا يكون من المغضوب عليهم، ويتنبه لصفاته. هذا غضب الله سبحانه، أما غضب الناس عليهم فيتم بلعنهم والتبري منهم ومن أعمالهم.

وفي الروايات تحديد لرموز المغضوب عليهم لكي يتعلم الإنسان ويتنزه منهم، ففي رواية ابن أبي عمير في معنى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: المغضوب عليهم فلان وفلان وفلان النصاب، والضالين الشكك الذين لا يعرفون الإمام<sup>(١)</sup> و (فلان) في لسان الروايات، لاسيما مع التسلسل الثلاثي ظاهر في الثلاثة الأول الذين أسسوا أساس الظلم والجور على آل محمد ﷺ، وبوصف (النصاب) دل على أن الخصوصية للنصب، فتشمل كل من هو على شاكلتهم في النصب والعداء لأهل البيت ﷺ.

وإطلاق الشكك على الضالين وتعليقه بأنهم لا يعرفون الإمام يشمل الجاهل والشاك و منتقص العقيدة الذي يشك في تفاصيل معرفة

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤، ح ٢٨.

الإمام عليه السلام وإن اختلفت الدرجة بينهم؛ لتفاوت الضلالة في الرتبة، وهذا ما ربما يتلى به بعض المؤمنين، فإن معرفة الإمام عليه السلام لا تعني أنك تعرفه باسمه أو بنسبه أو بشخصه فقط، بل تعرفه بصفة الإمامة، فلا بد أن تعرف الإمامة ماذا تعني، وما هي مقاماتها، وما هو واجبك تجاهها؟ ثم تلاحظ أن هذا المقام الرفيع انطبق فيمن من الناس، وبعض المؤمنين قد يقعون فيه لقلّة معرفتهم بخصائص إمامهم فيكونون من الضالين.

### أصناف أخرى للمغضوبين

وهناك أصناف أخرى من المغضوب عليهم والضالين ربما يعايشهم الإنسان ويشاركهم منزله، أو يجدهم معه في محل عمله أو دائرته، وربما أخ أو زوج أو أب أو ولد أو رب عمل.

الأول: أصحاب الغضب الجزائي، وهم الذين يرتكبون الجنايات والجرائم التي وضع الشرع لها حداً، كمن يقتل إنساناً بريئاً، أو يسرق مالا، أو يعتدي على غيره، فإن فعله في الشرع حرام، وفي القضاء له عقوبة، وربما حد، فالحرمة والعقوبة غضب إلهي عليه، وربما يكون هو مؤمن وغير ملتفت، لكن يجب أن يلتفت أن كل جريمة يرتكبها تدرجه في المغضوب عليهم.

### متى يبول الشيطان على الإنسان؟

وبعض المعاصي التي يفعلها كذلك تدرجه في المغضوب عليهم.

منها: ترك الصلاة، فإن تارك الصلاة مغضوب عليه، وهناك رواية تشتمل على بعض الأسرار التي تربط بين عمل الإنسان الظاهر وبين

باطنه وآثاره، ورد فيها: ﴿من ترك صلاة الفجر تبرأ منه القرآن، ومن ترك صلاة الظهر تبرأ منه الإيآن، ومن ترك صلاة العصر تبرأ منه الأنبياء والمرسلون، ومن ترك صلاة المغرب تبرأ منه الملائكة المقربون، ومن ترك صلاة العشاء تبرأ منه الرحمن وبال الشيطان على أذنيه﴾<sup>(١)</sup> أي ينجسه ويقذره؛ لأنه ترك الفرائض حتى وصل إلى آخر فريضة، فصار صديقاً للشيطان فيبول في أذنيه، وهذه كناية عن النجاسة والقذارة المعنوية التي يصاب بها، ولذا أذنه لا تمج الغيبة، ولا تمج الغناء، وتسمع لكل باطل، ويصبح كتلة من النجاسة المعنوية.

هذا من ترك فريضة، فكيف بمن ترك الجميع؟ فإنه يتبرأ منه القرآن والإيآن والأنبياء والملائكة، ويصبح محل تخلية للشيطان.

في الرواية إشارة إلى أن لفعل كل صلاة أثراً إيجابياً، فصلاة الفجر تقرب المصلي من القرآن فيكون حليفه، وصلاة الظهر تقربه من الإيآن، والعصر تقربه من الأنبياء والرسول وهكذا، فيكون من الذين أنعم عليهم، كما أن فيها دلالة على أن هناك قوى شاهدة على الإنسان في أوقات الصلاة، فالذي يطلب القرآن يلتزم بصلاة الفجر، والذي يطلب قوة الإيآن يلتزم بصلاة الظهر وغير ذلك، وهذه القوة الباطنة التي تنعكس على الإنسان، فلكل صلاة نعمة مناسبة، ولتركها غضب مناسب ينعكس على الإنسان.

(١) تحفة الأبرار: ص ٢١٧؛ أسرار الإمامة: ص ٢٩٨.

## الغضب التربوي

الثاني: أصحاب الغضب التربوي، وهو الذي يفعله الآباء والأمهات تجاه أبنائهم، والمعلمون والمربون تجاه من يعلمون، فإن بعض الغضب مذموم وبعضه ممدوح، فإذا كان في معصية وإضلال عقيدة فهو مذموم، وإذا كان من أجل التربية وتكميل النواقص فهو ممدوح، والقرآن الكريم يرشد المربين والآباء والأمهات إلى الصراط المستقيم في التربية والتعامل مع الأولاد. يقول تعالى في الولد الذي يدعو والداه إلى الصلاح: ﴿وَالَّذِي قَالَ لُؤَالِدٍهُ أَفٍّ لَكُمْمَا اتَّعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ حَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقد أشارت إلى العقوق في العقيدة:، فالوالدان يدعوان الولد للإيمان لكنه يتذمر ويأبى إلا أن يستمر في الضلال، وهذا الأسلوب في الولد يفجع الأم والأب، ويقطع قلوبهم، وهو لون من العتو والغضب يلازم العقوق.

## أثر ضعف الإيمان في الشباب

ونلاحظ أن ضعف العقيدة يقود الولد إلى ثلاث صفات من أسوأ ما يتصف به الشباب:

الأولى: عدم احترام الأبوين والإساءة لهما، وإذا نصحاه قال ﴿أَفٍّ لَكُمْمَا﴾ والأف تعني كل شيء قدر معنوياً، وتقال في موضع التحقير والإهانة، وكأنه بقوله (أف) يتقذر من والديه ويتنفر منهما، وهو من أجلى مصاديق

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٧.

كفران النعمة، وهذا أسلوب في غالبه ينتهي إلى قصر العمر، وهو أثر الغضب الإلهي عليه.

الثانية: أنهم يلهون ويلعبون ويسخرون من الحقائق ويعدونها أوهاماً أو خرافات، تارة يصرحون بها بألسنتهم، وتارة بأعمالهم ولهوهم ولعبهم، فإن ذلك يكشف عن عدم إيمانهم بالمعاد، وأن لكل قول وفعل حساباً، فلو أن بعض الشباب آمنوا بذلك ما وقعوا في المعاصي، ويبررون موقفهم بالقول: من مات وأخبرنا بما يواجهه؟

فالحياة عندهم تفاخر وكثرة في الأكل والشرب، فيهدرون طاقة الشباب ومدته القصيرة وفرصته التي لا تتكرر، ويقضونها باللهو واللعب، فبعضهم يقول ذلك بلسانه، وبعضهم بعمله، فالشاب الذي ينشغل بلهوه ولعبه ويترك الصلاة بعمله يعبر عن عدم الإيمان، والشاب الذي يذهب إلى المعصية بحجة (نحن شباب نريد أن نرتاح) وكأن الأُنس والرفاه يتنافى مع طاعة الله سبحانه بوجهه يعبر عن عدم إيمانه بعمله وإن لم يعبر عن ذلك بلسانه.

الثالثة: بعضهم لا يستمعون لصوت الحق صاكون أسماعهم، حتى إذا قدّم لهم شخص نصيحة أو عظة غير مستعدين للاستماع، وربما يستهزئون، فلا بد وأن يعرف الإنسان أنه إذا بلغ به الحال إلى هذه المرحلة فإنه من المغضوب عليهم، وإذا استمر عليها صار الغضب صفته الملازمة لا ينفك عنها حتى تأخذه إلى النار.

## الوالدان والغضب الإلهي

وربما يكون الغضب معكوساً، أي أن الوالدين يدعوان الولد إلى الغضب الإلهي، أي الشرك والعصيان، وهو يدعوها للطاعة والصراف المستقيم، ومن وصية لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ... أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ \* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه مشكلة يعاني منها بعض الأبناء من آبائهم؛ لأنهم يدعونهم إلى العصيان، فبعضهم بألستهم يصرّحون، وبعضهم بأعمالهم، فالأب الذي يدع بنته تخرج من داره بلا حجاب ربما لا يصرح بعدم اعتقاده بالحجاب ولكن عمله كاشف عن ذلك، فهو صار من المغضوب عليهم، وصير بنته كذلك، والآباء الذين لا يحثون أولادهم على الطاعة وربما يحثونهم على المعصية فهذا يدل على حضور الغضب الإلهي في بعض الأسر، وإذا صارت صفة عامة بالتساهل من قبل الأسر بالسكوت على معاصي الأولاد والبنات يصبح الغضب الإلهي عاماً، ويظهر أثره على الكل بالشؤم والتعاسة والمرض والفقر والبلايا. نعم على الولد أن يحترم والديه وإن كانا عاصيين، ولكن لا يجوز أن يتبعهما في العمل، وإنما يجب عليه أن يتبع من أناب إلى الله تعالى أي أطاعه، وهو سبيل محمد وآل محمد ﷺ.

(١) سورة لقمان: الآيات ١٣ - ١٥.

وفي الكافي عن معمر بن خلّاد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام:  
أدعو لوالديّ إذا كانا لا يعرفان الحق؟ قال: ﴿ادعُ لهما، وتصدّق عنهما،  
وإن كانا حين لا يعرفان الحق فدارهما، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله  
بعثني بالرحمة لا بالعقوب﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا تعليم عظيم يصفه الإمام الرضا عليه السلام مبيناً فيه وجوب احترام  
الوالدين، فأحياناً الأولاد يصبحون سبباً للغضب، وأحياناً الآباء  
والأمهات يصبرون سبباً.

### المغضوب عليهم أخلاقياً

الثالث: أصحاب الغضب الأخلاقي، وأكثر من يتلى به ويندرج في  
المغضوب عليهم هم أصحاب الأخلاق السيئة الذين يتلون بعصبية  
المزاج، وحياتهم صراخ وضوضاء وضجيج وجرح لمشاعر الآخرين وقدح  
لهذا وسب لذلك، وبعضهم عن قلوب طيبة يفعلون ذلك، ولكن هذا لا  
يعذره في سوء الأخلاق، فإن لسوء الأخلاق والمعاملة فيه أثرين خطيرين:  
الأول: يدرجه في المغضوب عليهم.

والثاني: يوجب عذاب القبر.

### سوء الخلق وعذاب القبر

فالذي لا يتعامل بالمعروف مع من يعاشره يلازمه عذاب القبر حتى لو  
كان يصلي صلاة الليل، ويختم القرآن، ويأتي بكل النوافل، فإن سوء

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٥٩، ح ٨.

الأخلاق يوجب له عذاب القبر، فربما يكون الإنسان هو سيء أخلاق ويسيء أخلاق الآخرين، كما إذا تعلم أولاده ذلك وصارت سنة سيئة ومتوارثة في أبنائه وذريته، وإذا كان صاحب وجهة ومقام وله أتباع وأتباعه أخذوا منه سوء الأخلاق صارت القضية صعبة وكان من رموز المغضوب عليهم.

والغضب في نفسه كصفة أخلاقية مذموم، ويقود إلى المعاصي، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿أول الغضب جنون وآخره ندم﴾<sup>(١)</sup>.

والوجدان يشهد بهذا، فإن العصبيين في مزاجهم يتحكم بهم انفعالهم لا عقلهم، ومن يخضع للانفعالات ولا يتصرف عن عقل تكون تصرفاته غير عقلانية، فلما تنطفئ ثورة الغضب فيه يندم على ما قال أو فعل، وما أكثر الجنايات والجرائم التي تحدث في ثورة الغضب، وبلحظة واحدة ربما سفكت دماء محرمة يصير صاحبها خالداً في النار، فيخسر الدنيا والآخرة.

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن عباس لما ولّاه البصرة بين له قواعد التعامل مع الناس. فقال له: ﴿سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإيّاك والغضب، فإنه طيرةٌ من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿سع الناس﴾ لأن الوالي يجب أن يفتح بابه للناس، ولا يحتجب

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٣٢٧، الرقم ٧٤٦.

(٢) نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٣٦، الوصية ٧٦.

عنهم، فيحتاج إلى سعة لهم بوجهه ومجلسه وحكمه، فلا يميز هذا على هذا، ويقرب هذا على هذا، ويجعل الولاء هو المعيار في التعامل، كما أن أحكامك يجب أن تسع جميع الناس وترعى مصالحهم، وحذر من الغضب لأنه خفة من الشيطان تصيب الغضوب، ويوجب غضب الله تعالى وغضب الناس، ويقرب من النار، بل الغضب هو مرتبة من مراتب النار، فإن النار ليست مجعولة في مكان محدود، بل هي في كل مكان موجودة: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> فهي في كل آن وزمان، بل في باطن الدنيا موجودة تظهر على الغضوب؛ لذا يصبح حاراً ومنفعلاً وشديداً، وأشد مراتب الغضب الإلهي وغضب الناس هو الغضب المبني على العقيدة والإيمان والذي يتعلق بمحمد وآل محمد ﷺ، فإن أشد غضب الله سبحانه على أعدائهم، وعلى المواليين لهم، فإن صدق الولاية وكماها ليس أن يؤمن المرء بولاية محمد وآل محمد ﷺ فقط، فإن هذا جزء من الإيمان، والجزء الثاني التبري من أعدائهم، فيجب أن يتبرأ المؤمن منهم ومن صفاتهم وأفكارهم وأعمالهم.

فإذا شابههم في الصفات والأفكار والأعمال اندرج هو الآخر في المغضوب عليهم، والأشد من ذلك الذين اختلقوا المذاهب بالبدع في مقابلهم، وغضبوا حقوقهم، فإن الغضب عليهم شديد؛ لأنهم يتحملون عذاب ضلالهم وعذاب إضلالهم، فكل من ضل هم يتحملون وزره.

(١) سورة التوبة: الآية ٤٩.

## إبليس وتأسيس المذاهب

وأختم الكلام بهذه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿إِنَّ عَالِمًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ فَقِيرًا، فَتَجَلَّى لِإِبْلِيسَ لَهُ وَقَالَ: أَحْدِثْ مَذْهَبًا حَتَّى تَجْتَمِعَ عَلَيْكَ الْأَمْوَالُ ثُمَّ تَتُوبْ، فَقَامَ بِهِ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْخِزَانُ، فَندم على ذلك، وقام إلى نبي زمانه، فنزل الوحي بما ذكرنا من دعوة الضالين بدعوته أحياناً وأموالاً، فطفق يبكي ويجزع حتى مات، وقال: إنه جمع الخلائق وعرض عليهم بأني كنت مضلكم فارجعوا عما أنتم فيه، فصاحوا إن ذلك كان حقاً، والباطل ما تقوم به اليوم﴾<sup>(١)</sup>.

## التضليل ذنب لا يغتفر

وهذا ما يجب أن يلتفت إليه، لاسيما من لهم فضل وقدرة على البيان، فإن كلاماً واحداً غير مدروس، أو فكرة ناشئة من هوى تضلل بعض الناس، ويبقون على ضلالهم يتحمل صاحب الفكرة وزرها ووزر من عمل بها، فإن من اقتحم الشبهات هلك<sup>(٢)</sup>، فإن الله سبحانه يمكن أن يمحي ما بينه وبين العبد، ولكن ما يتعلق بإضلال الناس وتشويه الحقائق عليهم لا يغتفر، ومصيره في الدرك الأسفل من النار.

والأقسام كثيرة، وما ذكرناه هو العمدة، ولعل الأقسام الأخرى التي تذكر تندرج في واحد من الأقسام المذكورة، وهل الآية تشمل الأقسام

(١) أسرار الإمامة: ص ٢٧٨.

(٢) منتهى الدراية: ج ٥، ص ١٧٦.

المذكورة أم لا؟ احتمالان:

الأول: العدم؛ لانصرافها إلى الغضب المتعلق بالعقيدة، ولأن الغضب المذكور يرتفع بالتوبة والعقوبة.

الثاني: الشمول؛ لإطلاق الآية، ولاندراج الأقسام المذكورة في أسباب الغضب الإلهي، وأما دعوى ارتفاعه بالتوبة فمنقوضة بأن الغضب العقدي كذلك يرتفع بالتوبة.

على أن الأقسام المذكورة داخله ملاكاً في الغضب العقدي؛ إذ يجب أن يسعى المؤمن ويدعو الله سبحانه أن لا يدرجه في المجرمين ومرتكبي الجنایات، ولا في عاقبي الآباء والأمهات، ولا في أصحاب الأخلاق السيئة، ولا في الظالمين، وفي المقابل يسعى لأن يكون من الذين أنعم عليهم بالطاعة له واجتناب معصيته، أو ظلم الناس والعدوان عليهم. نعم تتفاوت درجة الغضب بتفاوت أسبابه، وأشد مراتبه تتعلق بمخالفة محمد وآل محمد عليهم السلام، ثم تأتي بعده باقي الأقسام.

ويشهد لذلك مجيء المفردتين بصيغة العطف على الضالين: إذ قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ولم يقل: (غير المغضوب عليهم والضالين)؛ لأن هذه الصيغة تفيد طلب اجتناب الاثنين بقيد الانضمام.

والنتيجة: أن المغضوب عليهم هم الضالون، فالنفي ليس لكل واحد منهما بنحو الاستقلال، بخلاف ما وردت به الآية فإنه يفيد أن المغضوب عليهم فئة تغاير فئة الضالين.

والضالون هم المنحرفون عقدياً، وأما المغضوب عليهم أعم، فيشمل من

كان فاسقاً شرعاً وأخلاقاً.

### اللطفة السادسة: الصراع بين الطهر والخبائث

تكشف الآية المباركة عن وجود صراع أزلي بين جبهتين، لكل جبهة مبادئ وأدوات، فكل واحدة منهما تدعو الإنسان إلى الانضمام إليها. جبهة يمثلها الذين أنعم الله تعالى عليهم، وأخرى يمثلها المغضوب عليهم، الجبهة الأولى تقوم على طهارة الأصل ونقاء الجوهر ومحبة الخير والعمل الصالح، والجبهة الأخرى تقوم على الخبث والشر والخديعة للإنسان.

فعلى كل فرد أن يلتفت إلى أنه جزء من هذا الصراع، وهو مقصود فيه في كل يوم وساعة ولحظة، فيمكن أن يكون من الذين أنعم الله تعالى عليهم، وربما يكون من جبهة المغضوب عليهم هو وعقله وفكره وضميره وقلبه وبصيرته، ولا يمكن بعد هذا للإنسان وهو يتلو قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾ أن يدعي أنه غافل ولا يعلم، فإنه وبأدنى التفات يعرف هذه الحقيقة، فالصراع بين الجبهتين قائم في كل وقت، أي بين الذين أنعم الله تعالى عليهم وبين الذين غضب الله تعالى عليهم، وكل فرد من المجتمع حتى العالم الكبير معني بهذا الصراع، وكذا الجاهل والطفل الصغير فلا ينجو منه أحد.

### أساليب الشيطان في التضليل

والشيطان هو رائد جبهة المغضوب عليهم، أعطى التزاماً وتعهداً على نفسه حينما تمرد على الله سبحانه حيث قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

وَأَغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(١)</sup> .

هذا التزام من قبل إبليس في قيادة هذه الجبهة، وله في هذا أساليب، والقرآن الكريم تعرض إلى أساليب إبليس في خديعة بني آدم وبقرار نفس الشيطان، وفيما يلي أشير إلى بعض أساليبه ليخرج الإنسان من الغفلة، ويعرف أنه دائماً قد يقع في مصيدة الشيطان بأساليب وأشكال وألوان مختلفة يجعل اتباعه من المغضوب عليهم.

فما تعهد به الشيطان لمن يريد أن يدخله في ولايته أن يتعامل معه بأربع أدوات هي:

الأولى: التزيين، أي إخفاء معائب الشيء وإظهاره حسناً<sup>(٢)</sup>، كالمعصية يظهرها حسنة حتى يقع فيها الإنسان. يقول تعالى: ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا ما نجده في الكثير من الأحوال، فيزين لشارب الخمر أنه ينسيه همومه ليرتاح منها، ويزين للفتاة ترك الحجاب بإيهام أنه موديل، ولصاحب الربا أنه تجارة، وهكذا يبدل الشكل القبيح بشكل آخر يظهره أنه حسن، وأحياناً يزين للانحراف الفكري باسم حداثة وعصرنة لكي يتخلى صاحب الأصالة عن فكره، ويتيه في ظنونه، فالإنسان بعقله وفطرته يعرف قباحة الأعمال، وحتى يغريهم الشيطان يزينه ويصوره بصورة حسنة.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٣٩.

(٢) انظر المعجم الوسيط: ج ١، ص ٤١٠، (زانه).

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٨.

الثانية: الإغواء، وهو التجهيل مقابل الترشيد والإمعان في تزيين القبيح؛ ليتهاذى في الفساد والضلال، ويقوم على اعتقاد شيء فاسد أنه حسن، وهو مرحلة أعمق من التزيين؛ لأن التزيين يقوم على البصر، أما الإغواء فعلى الفكر والاعتقاد، فإذا انقلبت موازين الفكر يتبدل الإنسان وبيته.

الثالثة: الإضلال. تضييع الإنسان في طريق لا يوصل إلى المطلوب، وهو نتيجة ملازمة للتزيين والإغواء، فهو حيث يزين لبني آدم القبيح حسناً وهم بفطرتهم يميلون إلى جذب الحسن، ولكنه يوقعهم في القبائح والمعاصي، ولا يوصلهم إلى مطلوبهم.

الرابعة: الوعود الكاذبة والأمانى الزائفة، ويستخدم فيها الوسوسة والإيقاع في القلب، وهي بمنزلة العلة المبقية للضلال؛ إذ لولا الأمانى لاستمر الإنسان على الانحراف، ولكنه يمني بالسعادة والمستقبل الأفضل ليستمر على غيه وضلاله، فهو يلقي في قلوبهم الاستمرار بجمع المال لكي ينجو من الفقر، فتجره لمزيد الربا والسرقه ولعب القمار وهكذا، وكثير من أساليب المكر في السياسة، والصراعات الاقتصادية تقوم على أساس الأمانى الزائفة والوعود الكاذبة، والحقيقة أن جهة المغضوب عليهم تقوم على بريق كاذبة، وجمال زائف، وإغراء بالشكل واللذة الزائلة الفانية، ومن يعيش حياته بهذا الزيف لا يجني منها إلا السراب والعذاب.

وإذا التفت إلى أفعال أهل المعاصي يُعرف أنها تقوم على هذه الأساليب الشيطانية الأربعة.

## عباد الله المخلصون

وقد أقر الشيطان بأن فئة واحدة من الناس هم مستثنون من خدعه، وهم عباد الله المخلصون، فإنه عاجز عنهم لأنهم تمسكوا بالعبودية لله سبحانه، وهم محمد وآل محمد عليهم السلام ومن يتمسك بهم كما تضافر في الأخبار<sup>(١)</sup>، وهو ما أخبر عنه الباري عزَّ وجلَّ أيضاً، فلما قال إبليس: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٢)</sup> قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فاستثنى الباري عزَّ وجلَّ فئة ناجية من الشيطان، وفئة واقعة في ولايته وهم الغاؤون.

إن هذه الصفة - صفة العبودية لله تعالى - تحرر الإنسان من سلطة الشيطان، والعبادة ليست قيداً كما يتوهمه الجاهلون بالحقائق، بل إن العبادة لله تعالى والعبودية له تحرر الإنسان أغلال الشيطان باعتراف نفس الشيطان؛ إذ قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ فالعبودية تجعل الإنسان من جبهة الذين أنعم الله تعالى عليهم، أما العصيان فيجعله من جبهة الشيطان حتى لو كان طيب القلب، لكن الشيطان له تزيين وإغواء وإضلال وتزييف فيجره إلى جبهته.

(١) كنز الدقائق: ج ٧، ص ١٢٢.

(٢) سورة ص: الآيتان ٨٢ و ٨٣.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤٢.

## الذي لا يصلي حليف الشيطان

ومن هنا نلاحظ أن الروايات تصف الصلاة بأنها عمود الدين؛ لأن من يرتبط بالله تعالى بصلاته وله حبل وصال بالله تعالى فإن الشيطان مهما أثر عليه لا يتمكن أن يجعله جندياً في جبهة المغضوب عليهم؛ لأن الصلاة تقيده، ولذلك هي عمود الدين إذا قُبِلت فُبل ما سواها، وإذا رُدَّت رُدَّ ما سواها، وهي قربان كل تقي، ومعراج المؤمن.

فمتى يعرف الإنسان نفسه أنه قريب من الشيطان؟ إذا كان لا يصلي، فليعرف ذلك الذين لا يصلون أنهم في جبهة المغضوب عليهم، وقائدهم الشيطان، والذين يصلون يرجى لهم ومنهم الخير؛ لأن الصلاة تجذبهم إلى الصراط المستقيم، والشيطان أقرَّ على نفسه أنه يغوي الجميع إلا فئة واحدة استثنائها من سلطته، وهم محمد وآل محمد عليهم السلام وشيعتهم؛ لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فالغاوي يقع في جبهة الشيطان، أما العابد لله سبحانه ناج من شراكه، وهذه واحدة من آثار الولاية لآل محمد عليهم السلام؛ لأنها تحرر الإنسان من أغلال الشيطان، فإن الصادق في ولايته مهما يغريه الشيطان فإن معرفته بالولاية وتمسكه بها تحرره من زيفه.

هذه جبهة عريضة، فعلى الإنسان أن يلتفت لكيلا يقع فيها، أحياناً عن علم ومعرفة، وأحياناً عن جهل وغفلة، ويلتفت إلى أنه في صراع في كل زمان ومكان، سواء كان في منصبه أو دائرته أو مدرسته أو بيته، ويكون وحده أو معه جماعة.

والجبهة الأخرى للذين أنعم الله تعالى عليهم، والباري عزّ وجلّ بين لعباده أن النعم منها حقيقية وهي الواقعيات، ومنها زائفة كاذبة وهي الأوهام الزائفة، والإنسان الكامل السعيد هو الذي يتبع الواقعيات، والناقص التعيس الذي يتبع الأوهام واللذات الكاذبة.

### منظومة النعم الإلهية

ولو أردنا أن نضع قائمة بالنعم الحقيقية لتكونت عندنا منظومة عالية منها تدور عليها سعادة الإنسان، وتعرف النعم الزائفة بمقابلها:

**النعمة الأولى:** هي الولاية لله سبحانه ولأوليائه محمد وآل محمد عليهم السلام، ونعم الله تعالى على البشر سابقة وعامة، وأعظم هذه النعم نعمة الولاية. بها يكتمل الإنسان، ويستقيم عقله وفكره وشعوره وعاطفته.

الإنسان الكامل لا يكتمل من دون ولاية، وإذا كانت له بعض الصفات الإيجابية دون ولاية لا يبلغ درجة الكمال؛ لأن الكمال بالولاية، حتى الدين كماله بالولاية، والمتدين والملتزم بالعبادة لله تعالى من دون ولاية فدينه ناقص، وعبادته ناقصة بل مرفوضة.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾<sup>(١)</sup> وأضاف النعمة إليه للتشريف والتخصيص، ولذا لم يقل: (أتممت عليكم النعمة) والإضافة تعني أنها نعمة خاصة، وهي أخص نعم الله تعالى، ولذا نسبها لنفسه.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

وإتمام النعمة يأتي مع الدين وإكماله، فالدين بلا نعمة الولاية ناقص، ولا يوجد عند الله تعالى دين كامل وآخر ناقص، وإنما هو إما دين فهو كامل، وإما ناقص فهو ليس بدين، فلا توجد حالة ثالثة بين الدين واللادين، فإما دين فيجب أن يكون كاملاً وكماله بالولاية، وإما ناقص لأنه بلا ولاية فهو ليس بدين، ويزين الشيطان لأهله أنه دين وهو ليس كذلك.

### الولاية أعظم النعم الإلهية

فأعظم نعمة لربي آدم بها يكتمل الإنسان عقلاً وروحاً هي نعمة الولاية لمحمد وآل محمد عليهم السلام، وهي أساس سعادة البشر في الدنيا والآخرة، ولذا وصفت في آية أخرى بالنعيم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾<sup>(١)</sup> ولا تقول إن الله تعالى يعطيكم النعيم، بل تسألون عن النعيم، والنعيم هو ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، وحينما يحشر البشر لربهم يتعرضون للكثير من الأسئلة، ولكن السؤال الأول الذي منه تتفرع باقي الأسئلة.

إن أجابه الإنسان بالجواب الصحيح تتفرع منه باقي الأسئلة لتعيين مقامه ومرتبته، وإذا هفا في الجواب وفشل لا يسأل عن باقي الأسئلة؛ لأن مصيره العقاب وانتهت المحاسبة.

أول سؤال هو ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، فإذا كان من الموالين ينظر في صلاته وصيامه، وتوزن أعماله ليوضع في مقامه المناسب، وكل ما هو مطلوب في الحساب يأتي بعد ثبوت الولاية.

---

(١) سورة التكاثر الآية ٨.

وأما إذا كان لا يعرف الولاية من أول سؤال فإنهم لا يسألونه عن الفروع؛ لأنه خلاف الحكمة؛ إذ لا معنى لسؤاله عن صلاته وعباداته وهي مرهونة بالولاية.

فالذي لا يملك الرأس لا يملك تفريعه، ولذا تقول الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي عن الولاية، ولا يسألون أولاً عن الصلاة والصيام والحج.

### النعيم الإلهي

وهذه أعظم نعمة لبني آدم، فيها كمالهم الإنساني وسعادتهم الدنيوية والأخروية، ولذا وصفت في آية أخرى بالنعيم، وجعلت مداراً للحساب والكتاب في الآخرة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ويقول الإمام الصادق عليه السلام: ﴿نحن من النعيم﴾<sup>(١)</sup>.

ذهب بعض المفسرين الماضين على غير طريقة الأئمة عليهم السلام مذاهب بعيدة عن معنى الآية تستند إلى ظنون وآراء شخصية لا دليل عليها، ومخالفة للمنطق. بعضهم يقول يسألون عن الطعام والشراب، وبعضهم غير ذلك.

والإمام الصادق عليه السلام يقول: ﴿إن الله عزَّ وجلَّ أكرم وأجل من أن يطعمكم طعاماً فيسوغكموه ثم يسألكم عنه، ولكن يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد﴾<sup>(٢)</sup> فإنه سبحانه مد سفره الوجود مليئة بالنعيم

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٦٠٥، ح ٧٦٢؛ البرهان: ج ١، ص ٦٧١، ح ١٨٤٦.  
(٢) الكافي: ج ٦، ص ٢٨٠، ح ٣؛ الوسائل: ج ٢٤، الباب ٢٧ من أبواب آداب المائدة، ص ٢٩٧، ح ٣٠٥٩٥.

والخيرات، لماذا؟ هل لأجل أن يسأل عنها؟ فما قيمة الماء والطعام لدى الغني المطلق المَنَّان بالعطيات حتى يسألهم عنها؟ بل ﴿يسألکم عن الولاية﴾ لأنها رأس الوجود الإمكانى ومحوره، ولولا الولاية لا توجد حكمة من وجود عالم الإمكان، فإن أعظم القيم وأسماها التي يستحق لأجلها أن يوجد عالم الإمكان هي الولاية لا الطعام والشراب.

### آثار الولاية لآل محمد ﷺ

وللولاية آثار عظيمة على الموالي:

أحدها: أنها تحرر الموالين من الشيطان.

ثانيها: أنها تطهرهم تكويناً، وتنزههم في النشأة والولادة من القذارات.

ثالثها: أنها تكمل دينهم وعبادتهم، فلولاها لا يكون لهم دين، فهي تطهرهم معنوياً.

رابعها: أنها تكمل عقولهم ونفوسهم وتجعلهم في نعيم، ولولاها تبدلت نعمهم إلى نقم.

والإيمان الذي يتربى على نور الولاية يختلف عن إيمان آخر لا يستنير بنورها، ومقابل النور ظلمة، ولا توجد حالة ثالثة بين النور والظلمة، والولاية نور، والموالي عقله نير ببركة الولاية، وقلبه ينير، وضميره ينير، وفي مقابل ذلك ظلام؛ لذلك قد يجد أهل البحث والتحقيق أن بعض الآيات جلية في معناها، لكن بعض الناس ومنهم علماء يمرون عليها ويغضون الطرف عنها ولا يدركون معناها أو يتغافلون عنه، ولا عجب في ذلك؛ لأن

عقولهم وقلوبهم مظلمة فيصابون بعمى البصيرة.

فالله عزَّ وجلَّ يخاطب بني البشر بقوله: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> ويأتي البعض ويقول أنا أشك، ومعنى ذلك أنه يعيش في ظلام عقلي وقلبي.

والله يقول: ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> وبشيء من الالتفات يصل الإنسان إلى الحقيقة، ومع ذلك بعض الناس يصابون بالظلام فلا يرون الحقيقة، والولاية هكذا، فبعض الناس يصابون بعمى، أما عقل الموالي يختلف في النورانية، ولهذا مجال آخر.

وقد روى الصدوق في العلل بسنده عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، أن الإمام العسكري عليه السلام كتب إليه: ﴿أَنْ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنَّةٍ وَرَحْمَةٍ لَّمَّا فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْفَرَائِضَ لَمْ يَفْرَضْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، بَلْ رَحْمَةٌ مِنْهُ إِلَيْكُمْ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَبْتَلِيَ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيَمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَلِتَسَابِقُوا إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلِتَفَاضِلَ مَنَازِلِكُمْ فِي جَنَّتِهِ، فَفَرَضَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَالصُّومِ، وَالْوَلَايَةِ، وَجَعَلَ لَكُمْ بَاباً لَتَفْتَحُوا بِهِ أَبْوَابَ الْفَرَائِضِ، وَمِفْتَاحاً إِلَى سَبِيلِهِ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ وَلَدِهِ كُنْتُمْ حِيَارَى كَالْبَهَائِمِ لَا تَعْرِفُونَ فَرَضاً مِنَ الْفَرَائِضِ، وَهَلْ تَدْخُلُ قَرْيَةً إِلَّا مِنْ بَابِهَا،

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.

فلما منَّ الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم ﷺ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً، فأمركم بأدائها إليهم؛ ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومأكلكم ومشربكم، ويعرّفكم بذلك البركة والنماء والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup> فاعلموا أن من يبخل فإنما يبخل على نفسه. إن الله هو الغني وأتم الفقراء إليه، لا إله إلا هو، فاعملوا من بعد ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين<sup>(٤)</sup>.

ودلائله على المعنى جلية.

### هل الله محتاج إلى الولاية؟

ولو سأل الإنسان نفسه ماذا يستفيد الباري عزَّ وجلَّ من فرض الفرائض على الناس؟ وماذا يستفيد أهل البيت ﷺ من موالاته الناس لهم؟ هل الله سبحانه محتاج إلى خلقه؟ كلا، وهل آل محمد ﷺ يحتاجون إلى

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٤) علل الشرائع: ج ١، ص ٢٤٩، ح ٦؛ موسوعة الإمام العسكري ﷺ: ج ٣، ص

٢٠٩؛ البحار: ج ٢٣، ص ٩٩، ح ٣.

٣٢٨ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

ولاية الناس لهم؟ كلا وألف كلا. إن مقامهم الروحاني في أعلى الدرجات،  
فماذا يستفيدون من الناس؟

إن المستفيد الأول والأخير من العبادات والولاية هم الناس أنفسهم؛  
لأن بهما يصبح الإنسان إنساناً كاملاً سوياً يليق بمقام العبودية، ويتميز  
الصالح والطالح، ولولا الاختبار لقال الجميع نحن من الصالحين، فلا بد  
من تمحيص للقلوب والعقول والأعمال.

وبها تطهر ولادته ومأكله ومشربه، فالذي يقبل ذلك ويدعن له يكون  
في عليين، والذي يخالف ذلك ويبخل على نفسه فإنه من المغضوب  
عليهم أو الضالين.

### التوفيقات الإلهية بالولاية

النعمة الثانية: التوفيقات الإلهية التي تشمل أهل الولاية فتجعلهم  
مباركين نافعين أينما يكونون، وهذا يعزز الشواهد النقلية والعقلية التي  
تتفق على أن بركات الأرض تدور مدار أهل الولاية، وأن الله سبحانه مد  
سفرة الوجود وما فيها من الخيرات والبركات لأجلهم، وقد ضرب الباري  
عز وجل بعيسى بن مريم عليها السلام مثلاً؛ إذ قال سبحانه: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ  
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾<sup>(١)</sup> وأعظم نعمة  
كانت سبباً لبلوغ عيسى عليه السلام مقام النبوة ومصدراً للمعجزات والبركات  
وصيرته مباركاً أينما يكون هي ولايته لأمر المؤمنين عليهم السلام.

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

وذكرت الآيات جملة من النعم الإلهية عليه، مثل تكليم الناس في المهد وكهلاً، وهذه النعمة أثبت طهارة أمه ونبوته، ومثل تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وخلقه للطير، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، لكنها جميعاً مظاهر لنعمة الولاية؛ لأنها العلة المحدثه والمبقيه لنبوته عيسى عليه السلام ومقاماته، ولولاها لما تأيد بروح القدس، سواء قيل انه إنه جبرئيل عليه السلام أو ملك أو مخلوق أعظم منه، فإن كل ما في عالم الإمكان من المخلوقات المقربة تقوم بنعمة الولاية، ولولا الولاية لم يكن جبرئيل عليه السلام أميناً على الوحي، ولا الروح مؤيداً للأنبياء، ولا الأنبياء في مقاماتهم.

### التكامل بنعمة الولاية

النعمة الثالثة: المحبة والاعتصام بحبل الله تعالى، وهي محبة أمير المؤمنين عليه السلام، فإنها من أعظم النعم التي توجب وحدة الكلمة، واتساق العمل، وتكامل الأفكار والأعمال، ومؤالفة القلوب بين البشر. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾<sup>(١)</sup> فالأخوة الحقيقية ما تقوم على الولاية والمحبة لأمر المؤمنين عليه السلام، وهي فوق أخوة النسبة أو العمل؛ لأن الرابطة المعنوية أقوى من الرابطة النسبية، وقد تضافر في الأخبار أن حبل الله تعالى هو علي عليه السلام وآل محمد عليهم السلام.<sup>(٢)</sup>

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) انظر تفسير العياشي: ص ١٩٤، ح ١٢٢؛ الأمامي (للطوسي): ص ٦٥٤، ح ١٣٥٤.

وروى الفخر الرازي عن أبي سعيد الخدري عن النبي المصطفى ﷺ أنه قال: ﴿إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي﴾<sup>(١)</sup> والملفت أن امتداد الجبل يبدأ من السماء إلى الأرض، للإشارة إلى أن الله سبحانه اختارهم واصطفاهم ليكونوا رابطة الوصل بينه وبين خلقه.

ويحاكي هذا ما ورد في الأخبار من وصف القرآن بالجبل، فإن ما نزل من السماء هما الثقلان القرآن والعتره، فلا يمكن التمسك بأحدهما دون الآخر، وبهذا يتضح أن مدار الوحدة والأخوة في الأمة يقوم على التمسك بهما، والخلاف فيها والتفرق نشأ من السقيفة وأخذ الخلافة إلى غير علي والعتره ﷺ، فإنهم بهذا خالفوا القرآن والسنة، وأرجعوا الأمور إلى الجاهلية التي كانت تقوم على التنافر والتحارب والاختلاف، والأمر ظاهر جلي لكل ذي عين وقلب<sup>(٢)</sup>، وما تعانیه الأمة اليوم من أزمات واختلاف بين المسلمين هو ثمرة ما فعله الأولون، وما لم تعد الأمة إلى ولاية محمد وآل محمد ﷺ لا ينبغي أن تأمل بنصر أو عزة أو سعادة.

وفي معاني الأخبار بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عن علي بن الحسين ﷺ قال: ﴿الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيُعرف بها، ولذلك لا يكون إلّا منصوباً، فقليل له: يا بن

(١) تفسير الرازي: ج ٨، ص ١٧٣؛ وانظر الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) انظر نفحات الرحمن: ج ٢، ص ٤٥.

رسول الله! فما معنى المعصوم؟

فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن. لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(١)</sup> ﴿<sup>(٢)</sup>

### اعتزال الظالمين

النعمة الرابعة: اعتزال الظلم والظالمين، وعدم الدخول في أجهزتهم أو المشاركة في عملهم أو إعانتهم على ذلك، وهذه قضية جوهرية ومصيرية، وهي أساس التوفيقات وكسب النعم الإلهية؛ لأنها من أجلى مظاهر الشكر، كما هي أساس الحرمان منها، ومن أجلى مظاهر الكفران. قال تعالى في قضية موسى عليه السلام وما أعطاه الله سبحانه من النعم: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وكان قد أعطاه القوة البدنية والقوة الروحية، حتى أنه وكز القبطي فمات من وكزته<sup>(٤)</sup>، فناجى موسى عليه السلام ربه ليشكر هذه النعمة التي أعطاه إياها، وجعل شكره أن لا يستعمل هذه النعمة في تقوية المجرمين والظالمين، وإطلاق الظهير يشمل أعلى المناصب، كما يشمل التوظيف لديهم والكتابة وبري القلم كما تضافر في الأخبار<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢) معاني الأخبار: ص ١٣٢، ح ١.

(٣) سورة القصص الآية ١٧.

(٤) تفسير الرازي: ج ١٠، ص ٢٢٩.

(٥) عوالي اللآلي: ج ٤، ص ٦٩، ح ٣١؛ الوسائل: ج ١٧، الباب ٤٢ من أبواب ما

وفي الآية دلالتان على حرمة إعانة أهل الظلم، وحرمة إعانة أهل الفساد ولو بمثل شراء البضائع التي تروج الفساد والرذيلة في المجتمع مثل الملابس المقوية للباطل، وتنشر الفاحشة ورموزها، وأدوات الموسيقى وأمثالها، فإذا وظّف العبد نعم الله تعالى في طاعته كان عبداً شكوراً، وأثر ذلك يظهر في زيادة النعم وظهور الخيرات والبركات.

### اللطفة السابعة: هم النعمة ويطلبونها

إن الآية يقرؤها جميع الناس بمن فيهم محمد وآل محمد ﷺ الذين أنعم الله تعالى عليهم، وذلك لأسباب:

الأول: لأن هذا تكليفهم، ولأنهم القدوة للناس.

والثاني: لحاجتهم إلى دوام البقاء على ما هم عليه من النعم، والتخلص من أذى الشياطين، فإن المقامات المعنوية لها علة محدثة وعلة مبقية، والأولى هي الاصطفاء بحسب القابلية والاستعداد، وأما الثانية فهي التسديد الإلهي والعناية الربانية بهم، وهي تتوقف على الحفاظ على عهودهم مع ربهم والقيام برسوم العبودية والطاعة، وهذا يتوقف على الدعاء والتوسل.

والثالث: لأن قراءة الآية لها اعتباران، اعتبار أنهم أولياء الله تعالى، وأصحاب النعم المعنوية، فكل الناس يطلبون الدخول في ولايتهم، واعتبار أنهم عباد الله سبحانه، فيطلبون الدخول في ولاية محمد وآل محمد ﷺ،

→

باعتبار مقامهم ورتبتهم الشريفة، والتفكيك بين الشخص والمقام أمر لازم وكثير الوقوع، نظير الشخصية المعنوية في المناصب والعقود والاتفاقات، وكذلك في الأوقاف والولايات وأمثالها، فالرئيس مثلاً قد يصدر قانوناً ويطبقه على نفسه، فهو من جهة مقامه يقنن، ومن جهة شخصه ينفذ.



## المبحث الثالث: في تعاليم الآية المباركة



وهي عديدة:

### التعليم الأول: فئات المجتمع المتحاربة

يعلمنا الباري عزَّ وجلَّ بالآية المباركة أن المجتمع فيه اتجاهات وتيارات وتكتلات وجماعات مختلفة يتلخصون في ثلاث فئات: فئة هادية نافعة مرشدة للناس وصفهم بالذين أنعم الله عليهم، وهذه نعمة عظيمة أن يكون الإنسان هادياً للعباد ومعلماً ومرشداً، وفئة أخرى مغرورة متكبرة ضالة وتزداد سوءاً إذا صارت مضلة، وفئة ثالثة مجرمة جانية مغضوب عليها.

إذا ألقى الإنسان نظرة متأنية إلى المجتمع يجد أن هذا التصنيف هو واقع المجتمع البشري، جماعة يملؤون الدنيا نوراً وهداية، وجماعة يستغلون جهل الناس وبساطتهم لتضليلهم، وجماعة ثالثة طاغية ترتكب كل ما يغضب الباري عزَّ وجلَّ، ولكل واحدة من الفئات الثلاث أتباع وعلامات حتى لا يبقى الإنسان في غفلة أو تضييع عليه الحقيقة.

صفة الذين أنعم الله تعالى عليهم الطاعة لله سبحانه ولرسول الله ﷺ، فيكون من الذين أنعم الله عليهم، والمقصود الطاعة الحقيقية لا الطاعة المصطنعة، كالذين يؤسسون لأنفسهم طريقة خاصة بهم يزعمون أنها طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، كلا فإن الألفاظ تحمل على المعاني الحقيقية الواقعية لا المصنوعة أو المتخيلة.

وباعتبار أن الإنسان اجتماعي بالطبع لا بد وأن ينضم إلى جماعة، فالوحدة والعزلة تقتل الإنسان وتمرضه، فلا بد للإنسان من جماعة يكون معها فمن هي الجماعة التي يجب أن ينضم إليها الإنسان؟ يقول عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(١)</sup> فالآية وصفت المنهج لمن يريد أن يعرف أنه في خير وصالح ما هي منظومته الفكرية؟ وما هي منظومته العملية؟ وما هي الفئة التي ينضم إليها ويعمل معها؟ حتى الصديق الذي يصاحب يكشف عن هويته واتجاهه، والتسلسل الرباعي للجماعات الأربع منطقي؛ لأن الهداية تبدأ من الأنبياء ﷺ، ثم يصدقهم أهل الإيمان ويطيعونهم، ثم منهم يصطفى الله سبحانه شهداء يضحون بدمائهم لأجل عقيدتهم الحقة لتعزيز الهداية في البشر، ويثبتون أن العقيدة التي يحملونها صادقة، وهم صادقون فيها ضحوا بأنفسهم لأجلها، وهذا اصطفاؤه إلهي خاص لهم من بين الصديقين، والفئة الباقية هم الصالحون الذين يستقيمون على الطريقة.

ونلاحظ أن الجماعات الأربع تتفق على نهج واحد وإن كان لكل منهم رتبة ومقامة، فالأنبياء ﷺ والصديقون العلة المحدثة للهداية؛ لأنهم الذين جاؤوا بها وعلموا الناس عليها، والشهداء والصالحون العلة المبقية. والارتباط بهم هو أحسن أنواع الارتباط؛ لذا قال سبحانه: ﴿وَحَسُنَ

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿﴾ فمن يرتبط بهم ويهتدي بهم يندرج في الذين أنعم الله تعالى عليهم، فإن الأنبياء ﷺ إذا لا يوجد من يتبعهم ويؤمن بهم ويضحى في سبيل مبادئهم ما بقيت بعثاتهم، ولا بقيت كتبهم ومبادئهم ولا دياناتهم.

فالعلة المحدثة الأنبياء ﷺ والصديقون، والعلة المبقية لها الشهداء والصالحون، والصالحون هم الأتباع، وكل نبي يقضي فترة من حياته يهدي ويعلم ثم يرحل من الدنيا، فمن الذي يواصل طريقه ورسالته؟ إنهم الأتباع. ومنه تتضح أهمية كل مؤمن في نفسه وأثره في الدين والهداية، فكل شخص يتبع النبي ﷺ اتباعاً صحيحاً هو جزء العلة المبقية للدين والهداية، فإذا تخلى أهل الإيمان عن الهداية والإيمان لا تبقى هداية في البشر.

ونلاحظ أن المجتمعات غير المسلمة لما رفعوا أيديهم عن الديانة صارت حياتهم خالية من القيم والتعاليم الدينية، وبعيدة عن الله سبحانه كل البعد، وقرية من الشيطان كل القرب؛ لأن الأتباع رفعوا أيديهم عن دينهم ودياناتهم، فللأتباع والاتباع أهمية عظيمة في بقاء الديانات والشرائع والقيم الأخلاقية.

### بقاء القيم بأهلها

فإن بقاء القيم الأخلاقية بتمسك الناس بها، وفي زماننا حينما ينتشر الفساد فإنه لا ينتشر بالصدفة أو بفعل فاعل قاهر بالإعجاز، وإنما الناس يرفعون أيديهم عن الأخلاق، فينتشر الفساد، والناس يتخلون عن المبادئ والقيم فينتشر العمى والضلالة، والناس الذين لا تأخذهم الغيرة على الدين والقيم الدينية ينحرف شبابهم يميناً وشمالاً، فمتى ما تمسك الناس باتباعهم للدين والقيم الدينية الدين يبقى، والقيم تبقى، والأخلاق تبقى.

وكنموذج مصغر لهذا نلاحظ الأسرة، فإن الأب إذا يتمسك بالأخلاق العالية وبالدين وكذلك الأم فإن أولادهم يكونون مثلهم، وإذا رفع الأب يده عن الدين والقيم الأخلاقية فأولاده مثله يكونون عادة؛ لأن الإنسان اجتماعي بطبعه يأخذ ويعطي ويؤثر ويتأثر.

والآية صنفت الناس أصنافاً حتى يعرف كل فرد من أفراد المجتمع مع أي جماعة يكون، وهذا التوصيف الثلاثي يهدي الإنسان إلى نعمة الهداية، لكن الهداية في نفسها لها صنفان، وصنف منها خطير؛ لأن الإيمان، قسمان قسم ثابت مستقر واثق الخطى، وآخر متزلزل مستعار تأخذ به الريح يميناً وشمالاً.

ففي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿المؤمن مؤمنان: مؤمن وفي لله بشروطه التي شرطها عليه فذلك مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وذلك من يشفع ولا يُشفع له، وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفها كفاتة الريح انكفاً، وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة، ويشفع له وهو على خير﴾<sup>(١)</sup> وإذا كان معهم في الرفيق الأعلى تعلقو درجته.

وفي الخبر: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله؟ قالوا: قد علمنا أن النبي صلى الله عليه وآله له فضل على من آمن به في درجات الجنة ممن تبعه وصدقته، فكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضاً؟

فأنزل الله تعالى هذه الآية في ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ﴿إن العلّيين

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٤٨، ح ٢.

ينحدرون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون في رياضها، فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويثنون عليه<sup>(١)</sup>.

وفيها دلالة على أن للعالمين حرية الانتقال دون الأدنى درجة، وأن أهل الجنة يستذكرون ما مر عليهم في عالم الدنيا.

### علامة الضالين

وعلامه الضالين التيه والاضطراب وعدم الثبات في الفكر والموقف بسبب جهلهم وعماهم، وعلامة المغضوب عليهم ممارسة دور الإضلال والإفساد في الناس؛ لأنهم لا يكتفون بفسادهم وضلالهم بل يسعون لإضلال غيرهم، وقد نصت الأدلة على أن أسوأ العباد هم الذين يمارسون دور الإضلال، فإنهم ينالون غضباً الله تعالى، ويتحملون أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم. قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

يستفاد من الآية أن أسوأ العباد هم الذين يمارسون دور الإضلال في البشر، ويستغلون جهل الناس فيضلونهم بغير علم.

إن الأنبياء والأولياء عليهم السلام - لاسيما رسول الله والأئمة عليهم السلام - ضحوا تضحيات جسيمة هداية الناس، فيأتي بعض يرتقي منصة الكلام فيظلمهم، أو إعلامي أو محاور في فضائية يشوش على الناس. هذه حرد رب غير

(١) مواهب الرحمن: ج ٩، ص ١٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٢٥.

مباشرة مع الله تعالى ورسول ﷺ.

لذا من أسوأ الصفات التي يتصف بها الإنسان أن يكون ضالاً، والأسوأ منها أن يكون مضلاً لغيره، فالضال في نفسه لعل الله تعالى في يوم ما يهديه، ولكن إذا صار مضلاً فتصعب نجاته؛ لذلك يلازمه الغضب الإلهي، ومصاديقه في هذه الأزمنة كثيرة.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يجب أن يعرف أن الذي يتحدث بكلام يُضلل الناس ويخرجهم من الهدى لا يتحمل وزره فقط، بل يحمل من أوزار كل من تأثر بقوله، فالآية تقول: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ أي لا كل أوزار التابعين بل بعضها، والسبب لأن التابعين لهم جزء السبب في الضلالة؛ لأن البعض هو الذي يشتري الضلالة ويستمتع للضالين فيضللونه، وباختياره يستمتع لمن لا يوثق بقوله فيتأثر به؛ لذلك هم يتحملون جزء الأوزار، والجزء الآخر يتحمله الذين يضلونهم، وبذلك يتضح أن المسؤولية لا ترفع عن نفس الناس؛ لأنهم يستمعون ويتابعون الضالين فيضلونهم.

وفي الخبر عن النبي ﷺ: ﴿أَيُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى الْهُدَى فَاتَّبَعْ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَأَيُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبَعْ فَإِنَّ

(١) سورة النحل: الآيتان ٢٤ و ٢٥.

عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء<sup>(١)</sup> والآية تكشف عن صفات المضلين:

### التجني على الدين

منها: أنهم يزعمون أن فكرهم وعلمهم أرقى مما أنزل الله تعالى، وأن العلم والمعرفة عندهم؛ لذا يصفون ما أنزله تعالى أساطير الأولين، وهذه صفة لا تقوم على منهج علمي عقلي صحيح؛ لأنهم يحكمون على ما لا يعلمون، والأساطير تعني الحكايات والقصص الخرافية الكاذبة، وهذا هو ما نجده اليوم في الكثير ممن يحسبون أنفسهم على الفكر والثقافة لدى تقييمهم للأشياء، أو حكمهم على الدين وما قرره من أحكام وأنظمة وتعاليم، وهذا نوع من عبادة الهوى ومعاداة للدين غير مباشرة.

فحينما يدعون إلى الاستماع للقرآن والنظر فيما تضمن من حقائق وأسرار وتعاليم، وإذا قيل لهم تعالوا استمعوا لكلام النبي ﷺ وتعلموا منه، أو تعالوا استمعوا إلى الإمام عليّ عليه السلام وما يكشف لكم من منافع رفضوا وتصوروا أن ما لديهم من أفكار أرقى وأنفع مما يجهلونه.

وفي هذا الزمان لا يسمونها بالأساطير، لكن يسمونها بتسميات أخرى تعود إلى نفس المؤدى، فالإنسان المفكر والباحث والإعلامي والأستاذ والخطيب وصاحب الكلمة يجب أن يفكر أن الغرور والعجب يقود إلى الهلكة.

---

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٢٣٠، ح ١٣٩٦١؛ مجمع البيان: ج ٦، ص ١٥٠.

## لا عقل أكبر من الدين

إن هؤلاء الذي يزعمون أن عقلهم أكبر من عقل الدين، وحكمتهم أرقى - فيعادون الدين ويتهمونه بالخرافة، وينسبون له العجز عن إدارة الحياة والمجتمع - واهمون جداً وبعيدون عن منهج العلم وقواعد المنطق؛ لأنهم لم يقرؤوا الدين، ولم يفهموا أسرارها، ولم يدرسوا فقهه وأحكامه، وبعضهم يدعي أنه مفكر وإعلامي نابه وأنه يتكلم بالحقيقة، كيف يزعم أن قوله حقيقة وهو يقيم شيئاً بجهله ومن عالم الغيب؟

فهو شخص لا معرفة له بحقيقة الدين فكيف يقيم الدين؟ وإذا يقال له اقرأ القرآن وتفسيره وراجع الروايات واحضر عند العلماء وخذ منهم وحاورهم يرى نفسه أنه أعلى من هذا، وأفهم من القرآن والسنة، وفي هويته مكتوب مسلم، وهذه فجيرة في الموازين العلمية والفكرية؛ لأن معناه أن غير العارف يبدي نظراً في أمر يفتقر إلى معرفة واطلاع.

وهذا معناه أنهم وقعوا في ضلالة الجهل المركب وصاروا مضلين، مع أن المنطق والعقل يقضي بحضورهم عند العلماء ليتعرفوا على الحقائق وإزالة الشبهات الحاصلة لديهم، فليس من المنطق أن يحكم البعض على الدين وهو لا يعرفه ولا يفهمه.

فالمنطق الصحيح يقضي بأخذ العلم من أهله، فالذي يريد معرفة الطب عليه أن يحضر عند الأطباء والعاملين بالطب ويأخذ منهم، ولا يصح له أن يقيم الطب وعمل الأطباء وهو جاهل بالطب وأسراره، فإن هذا ظلم كبير أوجدته التقنية الحديثة وشبكات التواصل بحيث صار الإنسان غير

العارف ناطقاً ومتكلماً ويتنقد ويرمي سهامه عن جهل وعدم معرفة، والغاية من ذلك التأثير على الرأي العام، ومعنى ذلك أنه صار مضلاً، سواء كان إعلامياً أم مفكراً أم محلاً سياسياً أم اجتماعياً، وأستاذ الجامعة والمؤلف كذلك، فطبقة المضلين في المجتمع يمكن أن تكون شريحة كبيرة واسعة، حتى من بعض أصحاب المنبر الذين يتكلمون بغير علم، فكلهم يحملون أوزار ضلالتهم وإضلالهم، ويشهد له شاهدان:

### الزيف والغرور الفكري

الأول: أنهم لا يجاربون الأفكار الخرافية والبدع والأباطيل الكثيرة، ولا يتهجمون عليها، ولا يعالجون ولا يقدمون برامج لهدم هذه الخرافات، وإنما يجعلون الدين مرمامهم فقط، مع أنه يكمل نواقص الإنسان، فلو كانوا صادقين لحاربوا تلك الخرافات ولم يجاربوا الدين؛ لأن الدين يهدي الناس ويصلحهم ويقودهم إلى الحقيقة ونبد الخرافة، فعلى الإعلاميين والمفكرين ومن ينسبون أنفسهم إلى الثقافة والفكر أن يلتفتوا إلى هذا ولا يقعوا ضحية بيد الآخرين ولا يجاربوا الدين؛ لأن الدين يرتقي بالإنسان عقلياً، فإذا حاربوا الدين وتركوا الخرافات معناه أنهم خارجون عن النهج العلمي، ووقعوا في محاربة الدين والتحالف مع الشيطان.

### هل الدين يدير الحياة؟

الثاني: أنهم ينقادون لما يقوله الغرب والشرق من أفكار، ويقرؤون لهم ويستمعون لهم، ولا يستمعون لحديث علماء الإسلام، ولم يفهموا ما يقوله القرآن والسنة، ولا يحضرون عند العلماء للتعلم، فنسألهم من أين عرفتم أن

الدين غير قادر على إدارة الحياة؟ أو لا يشتمل على أحكام تنفع البشرية وتقودهم إلى العدل؟ إن أكثر المتقولين الذين يتحدثون لم يقرؤوا الدين، ولم يعرفوا القرآن والسنة، ويتقولون بغير علم. نعم ربما وجدوا بعض التصرفات والكلمات التي يطلقها بعض المنسويين على الدين وهي مخالفة لنهج الدين وفكره وتعاليمه، فوجدوها مأخذاً لمحاربة الدين، وهذا ظلم فظيع؛ لأن هؤلاء لا يمثلون الدين، ولو كانوا يمثلونه لوجب أن نحكم على كل فكر ومدرسة وجامعة ومعهد أنه غير جيد، وأنه خرافي إذا كان بعض المنسويين إليه يحملون الخرافة، فالدين لا يؤخذ من غير القرآن والسنة والعلماء الخبراء من أهل الورع.

## صفات الضالين والمضلين

ولو سأل سائل كيف نميز الضالين والمضلين؟

فالجواب: أن القرآن الكريم أشار إلى بعض صفاتهم، وعمدتها أربع:

الأولى: أن قلوبهم منشحة للكفر والجحود، أي يلتذ بالانحراف والضلالة، فألف قضية صالحة ونافعة للبشر في الدين يتغافل عنها ولا ينظر إليها، وإذا وجد قضية واحدة لم يفهمها يهرج عليها ويهولها، ويصنعها قضية؛ لأن قلبه منشح للجحود والمحاربة للدين.

الثانية: الكفران بآيات الله تعالى، وقتل أنبياء الله ﷺ، فإن آيات الله تعالى جلية في كل الوجود، وهو يكفر بها ويتصور أن ما أنتجه البشر من إنتاج أفضل مما أنتجه البارئ عز وجل، وهذا كفران عجيب.

## ما هي مهمة الأنبياء والفقهاء؟

وبعضهم يظهر ذلك بتساؤل، فيقول: ما الذي جاء به الأنبياء والدين، هل صنع الكهرباء؟ هل صنع طائرات؟ هل صنع موبايلات؟ وكأن مهمة الأنبياء ﷺ علي هي مهمة المهندس والصانع. إن مهمة الأنبياء ﷺ صناعة الإنسان. يكملون عقله وروحه، ويرتقون بالمستوى الإنساني إلى أعلى الدرجات. ما قيمة السيارة والكهرباء مقابل الإنسان وإن كانت مفيدة، ولكنها ليست مهمة الأنبياء ﷺ، فالأنبياء ﷺ لو كانت مهمتهم الإلهية ذلك لصنعوه، فإن إعجازهم مثل شق القمر وإبراء الأكمه والأبرص وخلق البحر وخلق الطير والمشي على الماء وشق الجبال، فإذا يريدون تقديم الصناعات فهو من أيسر الأمور، لكنها ليست مهمتهم، ولا من مهمة العلماء والفقهاء؛ لأن كل صنف له رجاله والمتخصصون به، ولكن من الذي يصنع الإنسان ويكمّله ويجعله إنسانياً لا وحشاً قاتلاً مجرماً؟ إن الأنبياء ﷺ والعلماء الربانيون هم الذين يصنعون الإنسان.

الثالثة: أنهم يعبدون الطاغوت متمثلاً بالسلطة والحكم، أو المال والثروة.

الرابعة: أنهم يتصفون بأوصاف القرودة والخنازير في القذارة وانعدام الغيرة.

وهؤلاء لا يرجي لهم الهداية؛ لأن الكفر والعدوان صار ملكة لهم، وهم العلة المحدثة للضلال، والعلة المبقية له، ففي الأولى قال تعالى: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> وانشرح الصدر الارتياح

(١) سورة النحل: الآية ١٠٦.

والاستلذاذ به، وفي الثانية قال تعالى: ﴿وَبَاؤُا بِعَصَبِ مِّنَ اللّٰهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقتل الأنبياء ﷺ تارة بسفك دمايهم، وتارة بقتل شخصيتهم ومكانتهم وكرامتهم في القلوب، وهذا من بعض الجهات أخطر، وفي الثالثة والرابعة قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ اُنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذٰلِكَ مَثُوْبَةً عِنْدَ اللّٰهِ مَن لَعَنَهُ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيْرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوْتِ اَوْلِيَاكَ شَرًّا مَّكَانًا وَّ اَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيْلِ﴾<sup>(٢)</sup> والجعل تكويني أي مسخهم بهذه الصورة، وستظهر لهم حينما يرحلون من الدنيا؛ لأنه من التناسب بين الملكات والصور ﴿لَهُمْ كُوْنُوْا قِرَدَةً خَاسِيْنَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهي من القواعد المهمة في الثواب والعقاب وجزاء الأعمال، وفيها دلالة على أن اللعن غير الغضب؛ لأن اللعن مجرد الطرد والإبعاد، أما الغضب فإظهار الآثار عليه، ومن آثاره أن بدّل صورهم إلى القردة والخنازير، وقد ذكروا أن الكبار والزعماء يحملون صفات الخنازير فمسخهم خنازير، وأتباعهم المقلدة لهم مسخوا قردة<sup>(٤)</sup>، وقدم القردة على الخنازير؛ لأنهم الذين يكبرون الخنزير ويصيرونه متكبراً، فالأتباع هم الذين

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٠.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٦.

(٤) تفسير الأمثل: ج ٥، ص ١٧٠ - ١٧١.

يضخّمون ويعظّمون ويصنعون الضالين المضلّين، ولذا أكد الشرع على التفقه في الدين لأجل أن لا يصير الناس ضحايا.

### التعليم الثاني: لا تتخذوا هؤلاء خلفاء

يستفاد هذا من الأخبار الشريفة بضميمة الآية، فإن الروايات وصفت اليهود بالمغضوب عليهم؛ لأنهم أساس الفساد والضلال في الأرض، وقد أضلوا النصارى وجروهم إلى فسادهم وظلمهم فجعلوهم شركاء في ذلك، ولذا وصفت الرواية النصارى بالضالين<sup>(١)</sup>.

وقد أمر الباري عزّ وجلّ بتجنبهم وعدم اتّخاذهم أولياء؛ لخطورة ما هم عليه من الانحراف الفكري والفساد الأخلاقي والظلم السياسي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> والخطاب موجه للمؤمنين، ويتضمن النهي عن اتّخاذ اليهود والنصارى أولياء، ومفاده حرمة ذلك بالحرمة المغلظة؛ لأنها نزلت الذين يتولونهم بمنزلتهم، وهذا التنزيل موضوعي، أي يصبح المؤمن يهودياً ونصرانياً في العمل، ولذلك أثاران:

أولهما: الخروج من الإيمان والدخول في هؤلاء.

ثانيهما: أن يتعامل معه كما يتعامل معهم.

(١) تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥١.

وهذا ورد في جملة من الأحكام، كالذي استطاع ولم يحج، وحصلت له زيادة ولم يحمس، فإن الروايات تقول فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً<sup>(١)</sup>، والآية أضافت مصداقاً آخر هو الذي يتحالف مع اليهود والنصارى ويتخذهم أولياء، وأولياء جمع ولي وهو الصديق والحليف والناصر، والذي يتولى تدبير الأمور وغيرها من المعاني التي قررها أهل اللغة، وجامعها القرب الخاص<sup>(٢)</sup> سواء تظاهر بالعلاقات الحميمة أو بالتحالف والتناصر، أو في إعطائهم صلاحية تدبير الأمور، ومن هنا عرّف الطريحي قدس سره الأولياء بضد الأعداء<sup>(٣)</sup>.

والاتخاذ تناول الشيء اعتماداً عليه كما تفيده هيئة الافتعال، والمعنى لا تقتربوا من اليهود والنصارى اقتراباً خاصاً وتعتمدوا عليهم وتتخذوهم حلفاء وأنصاراً، فضلاً عن توليتهم أموركم، فإنها جبهة واحدة عليكم، وهنا ألفت الأنظار إلى أمور:

### تحالف اليهود والنصارى ضد المسلمين

الأول: أن المراد من اليهود والنصارى ليس الأفراد، وإنما الجهة التي يمثلها جماعة أو دول أو أحزاب بقريئة الجمع والظهور والسيرة القائمة على معاملة الأفراد منهم معاملة طيبة إن كانوا مسلمين.

(١) الكافي: ج ٣، ص ٥٠٥، ح ١٤؛ عوالي اللآلي: ج ١، ص ٨٧، ح ١٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٦، ص ١٤١، (ولي)؛ المعجم الوسيط: ج ٢، ص ١٠٥٧، (ولاه).

(٣) مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٦٤، (ولا).

الثاني: أن المقصود الجهة التي لها قيادة ومشروع معادٍ للإسلام والمسلمين، وتسعى لهزيمتها بشهادة قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(١)</sup> وما قامت عليه السيرة من التعاقد معهم في عهد أو ذمة، وكان اليهود والنصارى يقيمون مع النبي ﷺ في المدينة، وكانوا يعاملونهم بالقسط إلا المعادين منهم.

الثالث: أن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وإن كانوا معادين يدرج المؤمنون فيهم، فيصبحون من المغضوب عليهم والضالين.

### منهج الاعتزال والمقاطعة

الرابع: أن اعتزالهم ومقاطعتهم أمر ضروري يقوّره العقل والمبادئ الحقوقية والسياسية؛ لأن ذلك من مقومات تحصين المسلمين منهم ومن دسائسهم، ويحد من تنفيذ مشاريعهم المعادية للإسلام والمسلمين، وواقع المسلمين اليوم شاهد على هذه الحقيقة، إذ لم يعملوا بالآية واتخذوهم أولياء فصارت بلادهم بأيديهم، وأجيالهم متأثرة بضلالاتهم وانحرافاتهم الفكرية وفسادهم السياسي والأخلاقي، حتى صارت الثقافة العامة وأسلوب العيش ومعطيات الفكر والعمل لدى أكثر المسلمين بعيداً عن الإسلام.

والصراع الدائر في بلاد المسلمين منشؤه الخلاف والصراع اليهودي المسيحي، والمسيحي مع بعضه، ومهما كان الخلاف بينهم كبيراً إلا أنهم

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨.

يتفقون على معاداة الإسلام والمسلمين، فمن الذي وراء الإفساد ونشر الشبهات وتضليل المجتمعات؟ إنهم أنفسهم يصرحون أن هذه من أساليبنا في هذه المجتمعات، والقرآن أخبر بذلك، وفي ذلك دلالة على أن السابقين واللاحقين سواء في المنهج، فلو اتخذهم المسلمون حلفاء صاروا من المغضوب عليهم والضالين.

### مبادئ قوة المسلمين

وأرشدنا إلى أن التحالف الصحيح يجب أن يكون بين المسلمين أنفسهم، والتناصر الذي يحفظ مصالح المسلمين وكرامتهم يقوم على خمسة مبادئ قررها القرآن:

الأول: الأخوة الإسلامية؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وهو من أعظم المبادئ التي قررها الإسلام للمسلمين، فإذا وقع نزاع بين أخوين أو جماعتين لا يصح للمسلم أن يتفرج أو يميل إلى هذه الجهة أو تلك، وإنما عليه أن ينصر الحق، ويسعى للإصلاح بين الأخوين، فإذا صار المسلم مصلحاً يدعو إلى المحبة والأخوة وترك النزاعات سواء على مستوى الجماعات أو الأحزاب أو الأرحام أو العشائر، ويسعى لحقن دماء كثيرة تهدر في نزاعات عادية، فكيف يكون المؤمن مؤمناً ويتخذ أخاه المؤمن عدواً له، والآية تقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾؟ فلو عرض الإنسان نفسه على هذه الآية ولاحظ القيم التي يحتكم إليها الناس

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

يعرف نفسه أنه من المغضوب عليهم، أم من المنعم عليهم.

### من هم الأمة الواحدة؟

الثاني: الأمة الإسلامية الواحدة المتأسكة في دينها وعقيدتها؛ إذ قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup> وقد اختلف المفسرون في معنى الأمة الواحدة، والكثير منهم قالوا إن المراد بها أمة الإسلام، وهذا غير دقيق لسببين:

أحدهما: لأن الآية تخبر عن وحدة الأمة، والواقع الخارجي يشهد بأن الأمة ليست واحدة، بل متفرقة في عقائدها شريعتهما واتجاهاتها ومواقفها.

ثانيهما: لأنها منافية لما تواتر عن النبي ﷺ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة منها ناجية والباقي في النار<sup>(٢)</sup>.

### من هي الأمة الناجية؟

وهنا أسأل المسلمين بعلمائهم ومفكرهم أن النبي ﷺ قال: (أمتي) بقاء النسبة، فمن هي الفرقة التي تمثل أمة النبي ﷺ هل هي الفرقة الناجية أم التي في النار؟

ولا يمكن أن تكون الثانية فتتبعين الأولى، فنسأل من الذين اتفقت الكلمة على أنهم مصدر الهدى وهم سادة أهل الجنة، وأن شفاعتهم ترتجى في الآخرة، وشهد الباري عز وجل لهم بالطهارة؟ هل هم أهل بيته ﷺ، أم

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٢) الخصال: ص ٥٨٥، ح ١١؛ عوالي اللآلئ: ج ٤، ص ٦٥، ح ٢٣.

أصحابه الذين خالفوهم واختلفوا معهم؟ لا يمكن المسلم أن يلتزم بالثاني؛ لأن لازمه تكذيب القرآن والسنة، فيتعين أن يكون الأول من أمة النبي ﷺ ليس جميع المسلمين بما لهم من اختلاف وتفرق؛ لأنهم ليسوا بأمة بل أمم، ولا بد وأن تكون أمته هم أهل بيته ﷺ وأتباعهم، فإن خصائص الأمة الواحدة منطبقة عليهم ولا غير؛ لأنهم ﷺ أمة واحدة غير متفرقة في الأقوال والأفعال، وكلهم على طريقة واحدة ومنهج واحد.

وهذا يتضح أن الآية الشريفة بقولها: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تريد الأئمة ﷺ وأتباعهم هم الأمة الواحدة، أما غيرهم فلا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> فأخرج النبي ﷺ عن المتفرقين المشتتين إلى فرق وجماعات.

وتعززها الآية التي تليها؛ إذ قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> والزُّبُرُ تطلق على الشيء المجموع القوي، ويطلق على قطعة الحديد بهذا المعنى، ومنه الزُّبُرُ أي الكتاب؛ لأنه يُجمع ويقوَّى بعضه بعضاً، ومنه زبور داود ﷺ، أي المكتوب، وفيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام، وإنما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء<sup>(٣)</sup>، والآية تفيد أن الناس تقطعوا بينهم جماعات كل جماعة كتلة قوية، ولها ثلاث خصائص:

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٣.

(٣) مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣١٤ (زبر)؛ مفردات الراغب: ص ٣٦٢، (زبر).

١. أن تجمع نفسها وتمنع غيرها<sup>(١)</sup>.
  ٢. أن كل جماعة لها كتاب وأوراق تتمسك بها وتدعي أنها على صواب
  ٣. أن كل جماعة مجتثة من أصولها؛ لأنها لو كانت على أصل واحد ما تفرقت.
- فلا جامع للأمة إلا إذا التفت حول الأئمة عليهم السلام، وبه يندرجون في الأمة الواحدة، ويكونون في الذين أنعم الله عليهم، ولا يكونون كذلك إلا بولاية محمد وآل محمد عليهم السلام.

### التشاور والمشاركة في القرار

الثالث: الشورى والتشاور بين المسلمين، بأن يجعلوا أمورهم بالتفاهم والحوار لا بالسلاح والرصاص، أو التعادي والتشاتم والحقد، فلا توجد مشكلة تصعب على الحل إذا تشاور أطرافها.

يقول عز وجل: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَبِينُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وهي جملة خبرية في مقام الإنشاء تفيد وجوب التشاور، وأن الأمور تحل بالتشاور حتى في البيوت، فإن الأب المتفرد المتسلط المستبد يهدم أسرته، والمتشاور المتحاور مع أولاده وأسرته يبني أسرته، وكذلك المدير في المدرسة وصاحب العمل، فما بالك بالمصالح العامة التي ترتبط بمصالح المسلمين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم في معنى الآية أضاف معنى عظيماً قال:

---

(١) المعجم الوسيط: ج ١، ص ٣٨٨، (زبر).

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(يقلبون ما أمروا به، ويشاورون الإمام فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم) <sup>(١)</sup> .

## العلماء سراج الأمة

أي لهم سراج وزعيم يهديهم وينور طريقهم يستشيرونه ويعملون بحكمته وقراره، وهذا أحد وجوه الحكمة في جعل الباري عز وجل أزمة الأمور بيد العلماء بالله تعالى <sup>(٢)</sup> ، وفي التقليد أرجع الجاهلين إلى العالمين <sup>(٣)</sup> ، حتى يكون العلم والعالم هو رائد الناس لا الجهل، فإن الجاهل قد يضل ويؤخذ به يمينا وشمالاً، فالجاهل لا يهتدي إلى صواب، بل لا بد له إمام، وفي زمان الحضور الإمام المعصوم عليه السلام هو من سراج الناس، وفي زمان الغيبة العلماء الربانيون هم عيون الأمة وسراجها وحصنها <sup>(٤)</sup> ، يهدون الناس إلى صوابهم ومصالحهم، فمعنى ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَى بَيْنَهُمْ﴾ يرجعون إليهم ويستشيرونهم في أمورهم.

فالأمة التي تسلّم أمرها لإمامها ولعلمائها الربانيين لا تضيع ولا تضل، وإنما تضل إذا تفرقت أحزاباً، وتركت العلماء وتخلّت عنهم، وكل حزب يدعو لنفسه، وصار الجهل والضلال هو رائدهم، فحتى يندرج المجتمع في الذين أنعم الله عليهم لا بد أن يراعي هذا المبدأ ويلتزم به، وإلا وقع في الضد من ذلك.

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٧٧؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١١، ص ٥٣٣.

(٢) عوائد الأيام: ص ٥٣٩.

(٣) هداية المسترشدين: ج ٣، ص ٦٣٤؛ فرائد الأصول: ج ١، ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٤) انظر الفرقان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ٣٥٣.

## التحرر من القيود الضارة

الرابع: الحرية والتحرر. إن الله عزَّ وجلَّ حكى عن الأنبياء عليهم السلام أوصافاً كثيرة، ولكن وصف رسول الله صلى الله عليه وآله بوصف عظيم، لو التفت إليه العقلاء وأهل النظر لا يبقى أحد خارج الإسلام. يقول عزَّ وجلَّ في توصيف مهمة النبي صلى الله عليه وآله: ﴿يُجَلِّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وهذه عبارة مختصرة توجز مهمة النبي صلى الله عليه وآله للناس، وأنه نبي جاءهم بشريعة الحياة والكمال الإنساني، فيحل لهم الطيبات ويحرم الخبائث، وهذا مبدأ عقلائي، فكل ما حرمه الشرع هو خبيث لو التفت الناس إلى خبائثه لتنفروا منه.

فالذين يرابون يغفلون عن خبائثه الربا، والذين يفعلون الفواحش والمنكرات يفعلون الخبائث، ولا يوجد في العالم قانون يحمل هذه الحكمة والعظمة.

هل القوانين الوضعية تتضمن هذا؟ كلا، فإن بعض القوانين تحلل الكثير من الخبائث وتدعمها، فإذا التفت أهل التأمل إلى هذه الحقيقة لاتبعوا قانون الله سبحانه؛ لأنه يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم وهي الأثقال الفكرية والمعنوية، ويجرهم روحياً وفكرياً، ويصنع منهم بشراً لا أتباع شهوة، ويصير الواحد منهم إنساناً لا وحشاً قذراً، والأغلال هي الأثقال التي على الأبدان كالقيود والقوانين المعقدة التي تقيد البشر.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

## حرية الإسلام وحرية القانون

هناك كلام يقال إن بعض البلدان فيها حرية، ولكن إذا لوحظت بالقياس إلى حرية الإسلام وما يعطيه الدين من الحرية للبشر يجد أن القوانين قيدت البشر ولم تحررهم، فالسفر قيوده بقيود وشروط، وطلب العلم بقيود وشروط، وبناء الدار والإنجاب والزواج وشراء العقار كذلك، فكل شيء غلّوه بقيود وشروط، وإذا عرضنا القانون للتحليل العقلاني العلمي الهادئ نجد أن القوانين غلّت البشر وما حررتهم، ولا يحررهم إلا الدين؛ لذا تقول الآية: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وهي العادات التي كان يعمل بها الجاهليون كانت مغللة للناس، والأقوياء يحكمون الضعفاء، ومثلها القوانين والعادات التي غلّت الناس في هذه الأزمنة، وهذا مبدأ جاء به النبي ﷺ، فلو اتبع المجتمع النبي ﷺ تحرر فكراً وبدنياً، وصار كلامه وسماعه وأكله وشربه ونومه وسفره وحضره بالطيبات، وصار من الذين أنعم الله عليهم، وهذا مجتمع يرتقي إنسانياً، ويصبح متحضراً بالمعنى الصحيح للحضارة.

## الاعتصام بحبل الله

الخامس: الاعتصام بمحمد وآل محمد ﷺ يقول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup> فما هو حبل الله الذي يجب الاعتصام به؟ وللمفسرين أقوال عديدة، لكن المعنى الذي يرتضيه المنطق

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

والعقل وتؤيده الشواهد العقلية والنقلية أنه ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، وفي هذه الآية يقول: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(١)</sup> وفي آية كمال الدين يقول: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾<sup>(٢)</sup> فإن الإضافة تفيد أنها نعمة خاصة تفوق سائر النعم، وهي نعمة الولاية، وفي هذه الآية يقول: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ أي بنعمة الولاية.

هذه المبادئ هي التي يقوم عليها المجتمع المؤمن في المنظور القرآني، وبها يخرج من دائرة المغضوب عليهم والضالين، وحيث أدرك الأعداء هذا كانوا ولا زالوا يعملون على تفكيك أو اصر الأخوة بالعصبيات، والأمة الواحدة بالقوميات والشورى والتشاور بالديمقراطيات الكاذبة، وقيدوا الحريات بالقوانين الوضعية الفاسدة والحكومات التابعة لها، والاعتصام بحبل الله تعالى جعلوه اعتصاماً بحبل الشيطان الذي يمثله الغرب والشرق.

### الهلاك في تولي أعداء الله

واليوم وقع أكثر المسلمين إما في فئة الضالين أو المغضوب عليهم، ولا يندرجون في الذين أنعم الله عليهم إلا إذا تجردوا عن ولاية اليهود والنصارى، واعتصموا بحبل الله تعالى، وهو حبل محمد وآل محمد عليهم السلام، وهذا ما أكده الإمام الباقر عليه السلام. قال: ﴿قال الله تبارك وتعالى: لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله وإن كانت الرعية

(١) المصدر نفسه

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

في أعمالها برة تقية، ولأعفوناً عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿من الله﴾ أي منصوب من قبل الله تعالى، وهو الإمام المعصوم عليه السلام، ومن نصبه المعصوم بالتنصيب الخاص أو العام كالفقهاء العدول.

وقوله: ﴿في الإسلام﴾ يشير إلى أن هذا الحكم خاص بالمسلمين؛ لأنه بين لهم الهدى، فإذا عزفوا عنه واتبعوا طريق الضلال صاروا من المغضوب عليهم فاستحقوا العذاب.

وقوله: ﴿وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية﴾ أي تعمل الأعمال الحسنة لكنها لا تستحق الرضا؛ لأنها خالفت في رأس الحسنات وأساسها وهو الولاية لإمام الحق، ولذا يعدّها الباري عزّ وجلّ؛ لأن عصيانه في مخالفة إمام الحق يغطي على سائر المحاسن، وبعبكسه حسن طاعته في تولي إمام الحق يغطي على سائر المساويء.

وتعزز ذلك رواية عبد الرحمن بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام في معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾<sup>(٢)</sup> قال: ﴿أصابت الناس فتنة بعدما قبض الله نبيه حتى تركوا علياً وبايعوا غيره، وهي الفتنة التي فتنوا فيها، وقد أمرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله باتباع علي والأوصياء من آل محمد عليه السلام﴾<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٣، ح ٤٠؛ البحار: ج ٦٧، ص ٣٣٥؛ تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ١٤٢، ح ٥٨.

وفي رواية ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: ﴿ولاية علي بن أبي طالب ولاية الله، وحبه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأولياؤه أولياء الله، وأعداؤه أعداء الله، وحربه حرب الله، وسلمه سلم الله عزَّ وجلَّ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك تنبيه إلى أن الأولياء هم آل محمد ﷺ وأتباعهم، وأما اليهود والنصارى فلا يجوز توليهم، ومن يتولهم كان ضالاً مغضوباً عليه.

### التعليم الثالث: اتخذوا القدوة الصالحة

يعلّمنا الباري عزَّ وجلَّ بهذه الآية المباركة أن على الإنسان أن يتخذ القدوة في حياته المادية وفي حياته الدينية المعنوية، فالحياة المادية تحتاج إلى قدوة، وكذلك الحياة الروحية، وقد جعل الباري عزَّ وجلَّ رموزاً للقدوة، فللقدوة الصالحة جعل الذين أنعم الله عليهم، ومقابلها قدوتان طالحتان. وصف واحدة بأنها ضالة، والأخرى بأنها مغضوب عليها، وهذا إلفات لأهل المعنى حتى يعرفوا أن طرق الضلالة والانحراف، وأن الفاسدين في الدنيا ليسوا قليلين، فطرفان للضلالة والانحراف مقابل طرف واحد للهداية والاستقامة، ولهذا مداليل تدعوهم إلى لزوم الصبر والثبات على المبدأ من الضغوط والمضايقات التي يسببها لهم الضالون والمغضوب عليهم.

والباري عزَّ وجلَّ ذكر في القرآن قضية محورية في كل الوجود في عالم التكوين وعالم التشريع، فقد أمر رسول الله ﷺ وهو أكمل الخلق وأعظمهم بالاقتداء بالأنبياء السابقين عليه، فذكر طائفة كبيرة من الأنبياء ﷺ. بعضهم

---

(١) الأمالي (للصدوق): ص ٨٥، ح ٥٢؛ بشارة المصطفى: ص ٢٤٤، ح ٢٩.

من أولي العزم، وبعضهم من غيرهم، كنوح وموسى وعيسى وإسحاق ويعقوب وأيوب ويوسف عليه السلام في سلسلة واحدة، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾<sup>(١)</sup> فأمره بالاقْتداء بهداهم؛ لأن للاقتداء محورية في حياة البشر حتى لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان رسول الله مأموراً بالاقْتداء - أي الاتباع للقدوة والمثالة معها - فما بالك بسائر الناس؟

### الاقْتداء بهدي الأنبياء عليهم السلام

والسؤال الذي يرد أنه سبحانه أمر النبي صلى الله عليه وآله بالاقْتداء بهدى الأنبياء عليهم السلام، وما أمره بالاقْتداء بالأنبياء، فقال: ﴿فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ ولم يقل (بهم اقتده) فلماذا؟

وما هو الهدى الذي كانوا عليه؟ فبعضهم يرى أن المقصود دين الأنبياء، وبعضهم يرى شريعة الأنبياء عليهم السلام، وبعضهم أخلاق الأنبياء عليهم السلام وأسلوبهم وصبرهم وثباتهم على المبدأ، وهذه بعيدة عن الصواب؛ لأن دين رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم وأكمل الأديان، وما جاء به هو خاتم الأديان، وشريعة الإسلام أكمل من سائر الشرائع، ولا أخلاقهم وأسلوبهم؛ لأنه سيد أهل الأخلاق، والأعلى رتبة، وليس من الحكمة أن يؤمر الأعلى بالاقْتداء بالأدنى، فلا بد وأن يكون المراد بالهدى معنى آخر كل الأنبياء عليهم السلام مأمورون به حتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ولاية علي والأئمة عليهم السلام، وولاية فاطمة عليها السلام، هذه هي الحقيقة التي تمثل روح الأديان

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

وجوهر الرسائل وحقيقة النبوات.

فالله عزَّ وجلَّ أمر مصطفاه بالافتداء بهدى الأنبياء، وهو ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، فإن الولاية كل الخليقة مأمورون بها حتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وحتى الأئمة عليهم السلام مأمورون بها، فكل إمام مأمور بولاية علي عليه السلام وولايتهم، والمغايرة اعتبارية، فلا يقول قائل كيف يكون هو الولي وهو المأمور بالولاية؟ لأن الاعتبار الشخصي غير المقامي، فبالاعتبار الشخصي هو مكلف من المكلفين، وبالاعتبار المقامي هو الولي، والولاية حقيقة ربانية أمر الله سبحانه العباد بها، فكل الخليقة حتى أشرفهم وأعظمهم مأمورون بالافتداء بهدى الأنبياء عليهم السلام، أي الولاية لعلي والأئمة عليهم السلام.

وهذا ما تؤكده بعض الأخبار، وأشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في معنى الآية. قال: ﴿لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الافتداء؛ لأنه المنهج الأوضح، والمقصد الأصح. قال الله تعالى لأعز خلقه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿أَوْلِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدَاهُمْ فِئْتِدَهُ﴾ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الافتداء لندب أوليائه وأنبياءه إليه <sup>(١)</sup>.

### القدوة ركن التربية

فالافتداء هو الروح؛ لأنك حتى في الصلاة والصيام وسائر الأعمال تحتاج إلى قدوة واقتداء، فبمن يقتدي المصلي ويأخذ صلاته؟ ومن يأخذ

(١) مصباح الشريعة: ص ١٥٧؛ مواهب الرحمن: ج ١٤، ص ١٧٧؛ التفسير الأصفى: ج ١، ص ٣٣٢؛ التفسير الصافي: ج ٢، ص ١٣٧، ح ٩٠.

مناسك حجه وصيامه؟

إذاً لا غنى لأحد من الناس عن القدوة، حتى الأطفال يحتاجون إلى قدوة، ومن أهم عناصر التربية هو تعريفهم بالقدوة الصالحة، فإنهم بفطرتهم يقتدون؛ لذا يوصي الآباء والأمهات في أن يكونوا خير قدوة لأولادهم، فما يكون عليه الأب من الصفات والأخلاق يكون ابنه مثله، وما تكون عليه الأم تكون البنت. هذا بحسب الغالب؛ لأن المثل الأعلى لكل طفل أبوه وأمه، وهذا يدعو الآباء والأمهات الحريصين على أولادهم إلى مراعاة ذلك، ومن عوامل التربية الصحيحة للأولاد هو اختيار القدوة الحسنة لهم، فإذا لا يختارون لأولادهم القدوة الحسنة جذبتهم القدوات السيئة؛ لأن للضلالة جبهتين لا جبهة واحدة، جبهة الضالين والمغضوب عليهم.

### صناعة القدوة الكاذبة

واليوم هناك عمل كثير على هذا بصناعة قدوات إلى الأطفال بعيدة كل البعد عن القيم الرفيعة، والذي يلاحظ برامج الأطفال ووسائل الإعلام يجد أنهم يأتون بأناس ليس لهم في القيم من رصيد يجعلونهم رموزاً للأولاد، والغاية التأثير على أفكارهم وأخلاقهم، فيصنعون للطفل خط الانحراف منذ طفولته حتى يستمر عليه في شبابه وإلى آخر عمره، ويصعب بعد ذلك تغييره.

وما أكثر القدوات السيئة التي يصنعونها لإفراغ الشباب من محتوهم القيمي والأخلاقي، فالعالم يدرك أن قضية القدوة من أهم المحاور التي تؤثر على البشر، فيأتون بأناس فارغين من المحتوى ليكون الشباب على

شاكلتهم لا همَّ لهم ولا طموح، ولا أمل لهم ولا إحساس بضرورة التقدم للأفضل، وأكثر همومهم الأكل واللبس واللهو واللعب، وفترة الشباب قصيرة، فإذا انتهت وصحوا من غفلة الشباب يجدون أنفسهم بلا رصيد ولا حاضر ولا مستقبل، وإذا صار لهم أولاد يجدون أنهم غير قادرين على تربيتهم إلا بالشاكلة التي عاشوا عليها، فحياتهم تكون ضياعاً في ضياع، وسببه القدوة السيئة الفارغة التي صنعوها لهم، وحثوهم على التمثل بها لإبعادهم عن النهج الصحيح.

### اختيار القدوة الصالحة

ومن جهة أخرى فإن تحصيل القدوة الصالحة والاهتداء لها ليس بالأمر السهل؛ لأن الدجل والكذب والخداع كثير، والذين يتمظهرون بالصلاح وهم فاسدون كثيرون، فربما يقتدي الإنسان ببعضهم فيضل؛ لذا لا بد وأن يستعين بالله تعالى وبأوليائه لإرشاده إلى القدوة الصالحة بالدعاء والتوسل، وهذا ما تشير إليه الآية؛ لذا جاءت بعد دعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿ فبالدعاء والتوسل يمكن أن يهتدي إلى الاختيار الصحيح، فالقدوة والقيادة والقائد له الأثر الكبير على مستقبل الإنسان ومصيره.

ففي رواية محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿كُلُّ مَنْ دَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادَةٍ يُجَاهِدُ فِيهَا نَفْسَهُ وَلَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَسَعِيهِ غَيْرَ مَقْبُولٍ، وَهُوَ ضَالٌّ مَتَحِيرٌ، وَاللَّهُ شَانِيٌّ لِأَعْمَالِهِ، وَمِثْلُهُ كَمِثْلِ شَاةٍ ضَلَّتْ عَنْ رَاعِيهَا وَقَطِيعِهَا... وَكَذَلِكَ وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا إِمَامَ لَهُ

من الله عزَّ وجلَّ ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا وأضلوا<sup>(١)</sup>.

### النظرة السطحية للدين

إن البعض ينظر إلى الدين نظرة سطحية، ويتصور أن الدين أن يصلي ويصوم ويحج ويقتدي بأعداء الله تعالى ويقدمهم، ولا مانع لديه من أن يمدحهم ويثني عليهم، ومعاوية سيده وعلي<sup>عليه السلام</sup> سيده، فلا تمييز لديه بين حق وباطل ونور وظلام، ويتصور أنه إذا صلى وصام صار من الذين أنعم الله عليهم. كلا، لا الدين ولا الشريعة هكذا؛ لأن الدين والشريعة يدوران على محور واحد هو الإمام من الله تعالى، وهو الرابط بين الأرض والسماء، وليس كل من اختاره الإنسان وصنعه أو مجده يكون وسيلة إلى الله تعالى، ولذا يقال من ليس له إمام من الله تعالى فسعيه غير مقبول.

هو يصلي وفي نظره يعبد لكن الله سبحانه يعتبرها شيئاً آخر. هو يريد أن يتقرب إلى الله سبحانه بعبادته ولكن ليس له إمام من الله سبحانه فلا قربة له وإن صلى ألف عام، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها؛ لأن الشاة التائهة مصيرها فم الذئب تهلك وينتهشها العدو، والإنسان الذي ليس له إمام من الله سبحانه يفترسه الأعداء ويقودونه إلى الهلاك، فلا يوجد حد وسط بين الحق والباطل، ولا حالة رمادية لا هي بيضاء ولا سوداء،

(١) الكافي: ج ١، ص ١٨٣، ح ٨.

فالإنسان إما يتبع إماماً عادلاً من الله سبحانه، وإلا كان ضالاً تائهاً مثله مثل الشاة التي تنقطع عن راعيها فتقع فريسة في فم الأعداء.

### ما هي ميته الكفر؟

وإن مات ولا إمام له من الله سبحانه مات ميته كفر ونفاق، وهذا سيجده أمامه في قبره، فعندما يحل في قبره يجد أن أعماله ﴿كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾<sup>(١)</sup> ويموت ميته النفاق، ومصير النفاق الدرك الأسفل من النار، أي قعر جهنم محل عذاب المنافقين، ومعنى ذلك أن الكافر عذابه أهون من المنافق، والقضية ليست سهلة حتى يتهاون فيها الناس.

إن أهم قضية في عالم الوجود فرضها الباري عزَّ وجلَّ على الخلق هي الولاية لمحمد وآل محمد عليهم السلام، فلا يمكن التهاون بها، فيكون أعداؤهم أسياده، ولا يهمله صلواته على أي طريق ومنهج يصلحها، وكذلك حجه وصيامه، والإمام الصادق عليه السلام الذي هو سيد العلماء والفقهاء باتفاق جميع أهل العقل والأديان يروي عن أبيه عن جده عليه السلام قال: ﴿مَرَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَقَبْرِ مَعَهُ، فَرَأَى رَجُلًا قَائِمًا يَصَلِّي، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا رَأَيْتَ رَجُلًا أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْ هَذَا، فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَهْ يَا قَبْرَ، فَوَاللَّهِ لِرَجُلٍ عَلَى يَقِينٍ مِنْ وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ خَيْرٌ مِمَّنْ لَهُ عِبَادَةٌ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يَعْرِفَ وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ وَجَاءَ بِعَمَلِ اثْنَيْنِ

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٨.

وسبعين نبياً ما يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت، وإلا أكبه الله على منخريره في نار جهنم<sup>(١)</sup>.

### معيار القرب من الله تعالى

فعلى الإنسان أن يعرف أن القرب والبعد من الله تعالى يقوم على ركن وثيق هو الولاية، وبعدها تأتي باقي الأشياء، وبغض الله تعالى وغضبه له محور هو البعد عن الولاية، وبالولاية تتحقق القدوة الصالحة، وينال العبد ما يريد، ولا بد أن يعرف بأن الولاية ليست قولاً باللسان بل منهجاً وعملاً وهدى يجب أن يقتدي به كما أمر الله تعالى الأنبياء ورسوله الخاتم<sup>صلى الله عليه</sup> به.

وإبليس لما لعنه الله تعالى وأخرجه من الجنة كم كان يعبد الله سبحانه، ومع أنه من الجن، ولكثرة عبادته حشر مع الملائكة، ولما توجه الأمر للملائكة بالسجود لآدم شمله لأنه كان محشوراً معهم، فلما عصى أمر الله تعالى أخرجه من الجنة، وجعله من الملعونين إلى يوم يبعثون، وهذا ما يجب أن يلتفت إليه الإنسان، بأن الله تعالى ليس له قرابة مع أحد، وقرابته ولاية محمد وآل محمد<sup>عليهم</sup>، فمن التزم بها كان من المؤمنين، وإلا كان من المغضوب عليهم.

والملفت أن الرواية تنفي وجود الحد الوسط بين الجنة والنار، والجنة هي ولاية محمد وآل محمد<sup>عليهم</sup>، والافتداء بهم، والنار اتباع غيرهم بأي

---

(١) جامع الأخبار: ص ٥٠٤، ح ١٣٩٣؛ مستدرک الوسائل: ج ١، ص ١٦٨، ح ٢٧٣؛ البحار: ج ٢٧، ص ١٩٦، ح ٥٧.

شكل أو لون أو مظهرة، فمن اتبع غير محمد وآل محمد ﷺ أكبه الله على منخرية في النار.

### لماذا لم يسم القرآن الأشخاص؟

ويعزز هذه الحقيقة أن للأولياء والأعداء أسماء معروفة، إلا أن القرآن لم يسمهم بأسمائهم، واكتفى ببيان الأوصاف، وأن هناك من أنعم الله تعالى عليه يجب أن يكون الإنسان معه، وهناك مغضوب عليه وضال يجب أن يتجنبهما، وذلك للإشارة إلى أن المنهج هو الذي ينبغي أن يعرف، فيعرف بواسطته أهله، وهو ما أشار إليه قول أمير المؤمنين ﷺ: ﴿اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله﴾<sup>(١)</sup> وبهذا مجرد الإنسان من المعصية والميل إلى الأشخاص بعلاقات المصالح أو المشاعر العاطفية، فإذا وجد، أن أقرب الناس إليه ليس على المنهج الحق اعتزله، وإذا رأى البعيد منه على الحق تضامن معه حتى يعرف الإنسان أن المنهج هو المعني في الاقتداء، فإذا أراد أن يعرف أنه يقتدي بقدوة صالحة ينظر إلى منهج هذه القدوة ما هو؟ ولا ينظر إلى شكله ومنصبه وأمواله وإعلامه، فإن هذه لا تريبه الحقيقة بل تضلله، فإن المظاهر والأشكال تضلل الإنسان، والشيطان يزينها، والذي يعرض الحقيقة هو المنهج، فما يجب أن يبحث عنه الإنسان لدى معرفة القدوة عليه أن ينظر إلى المنهج والطريق والأسلوب.

(١) أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٢٣٩.

## بنو أمية في القرآن

ويعزز ذلك ما نص عليه القرآن في الشجرة الملعونة في القرآن <sup>(١)</sup> ، فإنها عنت بني أمية، وورد في زيارة عاشوراء لعن بني أمية قاطبة، ولكن خرج منها بعض الصالحين منهم مثل سعد الخير، وهذا الرجل كان من الأسرة الحاكمة أي من بني أمية. أخواه هشام بن عبد الملك، والوليد بن عبد الملك لكنه خرج عنهم خروجاً منهجياً.

## الخروج المنهجي عنهم

ففي رواية أبي حمزة قال: دخل سعد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن مروان على أبي جعفر عليه السلام فيينا ينشج كما تنشج النساء قال: ﴿ما يبكيك يا سعد؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟ فقال له: لست منهم أنت أموي منا أهل البيت، أما سمعت قول الله تعالى يحكي عن إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿٣﴾ .

وتعززه الروايات التي نصت على أن الإنسان يحشر مع من يحب ويتولى، وأن الذي أحب عمل قوم أشرك في عملهم <sup>(٤)</sup> ، ومنه يعرف بأن الاندراج في أهل النعيم - كأصحاب بدر وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأصحاب

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٣) البحار: ج ٤٦، ص ٣٣٧، ح ٢٥.

(٤) البحار: ج ٦٥، ص ١٣١، ح ٦٢؛ جامع أحاديث الشيعة: ج ١٣، ص ٤٢٦، ح ١١٠٥.

الحسين عليه السلام وسائر الخالص من أصحاب الأئمة عليهم السلام، وكذا أصحاب القائم عجل الله فرجه الشريف - أمر ممكن إذا كان المؤمن على منهجهم في المعرفة والولاية والتضحية لأجلها، وهذا يجعل الباب مفتوحاً لكل من يريد أن ينتمي لأهل النعيم أو ينتمي لأهل الجحيم، ولذا ورد في الزيارة العاشورية: ﴿لعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به﴾<sup>(١)</sup>.

فعلى الإنسان أن يطلب القدوة الصالحة، وهم الذين أنعم الله عليهم، ويدعو الله سبحانه لتوفيقه لأجل اللحوق بها، ويجنبه القدوات السيئة من الضالين والمغضوب عليهم، وينبغي أن يتضمن الدعاء أمرين هامين:  
الأول: أن يعينه على الاختيار الصحيح فربما اختار الإنسان قدوة يتصورها صالحة وليست كذلك.

الثاني: أن يعينه على الانضمام والعمل مع القدوة الصالحة، فلا يخدعه الشيطان أو يضلّه عنها فيخذلها أو يخالفها.

وهاتان من أهم المشاكل التي يقع فيها الناس في حياتهم الروحية، فقد يختار الإنسان لنفسه إماماً لا يليق بمقام الإمام فيتبعه متوهماً بأنه إمام حق، فالدعاء في هذه القضايا يكون بمنزلة الجزء الأخير من العلة؛ ليتوفق لاختيار القائد الحق واتباعه، وتقدمت في التعاليم السابقة بعض الروايات الدالة على ذلك.

---

(١) مصباح المتهجد: ص ٧٢١، الرقم ٨٠٦.

## التعليم الرابع: لكل عمل وفن أدب

يتعلق هذا التعليم بمختلف شرائح المجتمع أصحاب المهارات والمهن وأصحاب الفكر وأهل العلم يلقنهم أن لكل عمل وفن أدباً وأخلاقاً إذا لا يراعيها أصحاب المهنة والفن يمكن أن يندرجوا في المغضوب عليهم ويكونوا من الضالين، وإذا راعوها وكانت الأخلاق رفيعة اندرجوا في الذين أنعم الله عليهم، وهذه حقيقة من الحقائق التي يعلمنا بها الباري عز وجل؛ إذ لا ينحصر الضالون والمغضوب عليهم في جماعة معينة أو عمل معين، وخاصة أهل الفكر والإعلاميين بمختلف انتماءاتهم قد يقعون في شرك الضالين والمغضوب عليهم، وربما في نظرهم هم يزاولون المهنة، ولكنهم قد يتجاوزون آدابها فيقعون في شرك الضلال والمغضوب عليهم. ومن القضايا الخطيرة التي تبلى بها الإنسانية أن أصحاب الفكر والكلمة إذا لا يراعون أخلاق وآداب الفكر والإعلام ربما يقعون في رمزية الضلالة، ويصبحون رموزاً لها، ومن هنا نلاحظ بأن الكثير من الأعمال التي يقوم بها أصحاب الفكر والإعلام لا تنم عن ثقة واطمئنان في العمل في هذا الزمان؛ لكثرة القنوات وتعدد الاتجاهات.

### الضلالة العلمية والفكرية

للضلالة والمبغوضية مصاديق ومظاهر كثيرة، ومن أخطرها الضلالة العلمية والمبغوضية الفكرية التي يبلى بها أهل العلم والبحث الفكري كما يبلى بها سائر الناس، ومنشؤها ثلاثة أسباب:

الأول: الاعتداد بالنفس كثيراً، واعتماد الظنون الشخصية والآراء الخاصة

في الاعتقادات والمواقف وتقويم الأشياء، والله سبحانه نهى العباد عن ذلك وحذرهم من اتباع الظن، فقال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾<sup>(١)</sup> فلا يمكن للمفكر والإعلامي وصاحب المنبر أن يطلق تحليلات وكلمات مبنية على ظنونه الشخصية، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وهو لا يغني من الحق شيئاً، فيخرج من أخلاقه المهنية، ويكون من الضالين والمغضوب عليهم.

الثاني: التأثر بالضالين والمغضوب عليهم والركون إليهم، والقرآن الكريم حذر الناس من هذا كثيراً.

الثالث: هجران أهل الهدى والنور من علماء ربانيين وصالحين، وقطع التواصل معهم، فإنه شأنه أن يوقع الإنسان في ضلال الفكر والعقيدة، ويدرجه في المغضوب عليهم والضالين؛ لأن من يتخلى عن الصراط المستقيم سينتهي إلى الضلالة، وإذا رحلوا من الدنيا سيدركون كم خسروا، وهذا من شأنه أن يوقعهم في العذاب والألم في الدنيا وفي الآخرة. يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا \* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وتقلب الوجوه كناية عن الشواء كما يشوى اللحم، وتشوى وجوههم؛ لأن وجوههم كانت تعطيم الاعتبار، ويركضون وراء

(١) سورة يونس: الآية ٣٦.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) سورة الأحزاب: الآيات ٦٦ - ٦٨.

وجاهتهم في الدنيا ولو بالباطل، وسيكون منشأ عذابهم، ونلاحظ أن الخلل الذي وقعوا فيه هو الاتباع والتأثر بأهل الضلالة، فيدعونهم إلى العصيان وهجران الرسول ﷺ.

وكان المصير هو الضلالة وضياع السبيل الحق، وفي الأخبار المعتبرة أن السبيل هو أمير المؤمنين عليه السلام، وأن أعلى مصاديق الذين تزعموا نهج الضلالة هم الذين غصبوا حق محمد وآل محمد عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

### الترويج للباطل

وربما يكون الإعلامي والمفكر مسلماً من أبوين مسلمين، ونشأ في بيئة مسلمة، يقيم قناة تروج للفكر المعادي للإسلام، أو يدعم أعداء الإسلام، أو يضلل الشباب المسلم ويفسدهم، وحينما يتقلب وجهه في النار يظهر أمانيه ويقول يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ﷺ <sup>(٢)</sup>، ولم نتبع الذين قادونا ودعمونا وأعطونا الدفع، لكن ماذا ينفعهم الندم.

والملفت أنهم يدعون على زعمائهم بمضاعفة العذاب؛ لأنهم كانوا ضالين ومضلين، ولكل منهما عذاب، والإنسان في الدنيا قد يعتد بنفسه وما تحمله من أفكار وتصورات، ولا يلتفت كم منها حق وكم منها باطل، وكم منها صواب وكم منها خطأ.

(١) انظر تفسير كنز الدقائق: ج ١٠، ص ٤٤٦.

(٢) انظر تفسير القمي: ج ٢، ص ١٩٧؛ الاختصاص: ص ٣٦١؛ البحار: ج ٨، ص

## الخدمة الكاذبة

والإعلام العالمي اليوم وما صنعه في الدنيا من ضجيج وخدمة لأهداف معادية للشعوب والقيم الإنسانية بتصور نفسه أنه يخدم، لكنه أصبح لساناً للشيطان، ولما تنكشف الحقيقة يلعن زعماءه وكبراءه، فحتى هناك عندهم غرور وكبرياء، ولا يتحملون مسؤولية أعمالهم، فيطلبون من الله تعالى عذاب هؤلاء ويبرئون أنفسهم، فكيف يكون الشخص إعلامياً ومفكراً ويحمل كذا وكذا من الألقاب والعناوين؟ وكيف يتبع كبيره بغير علم؟

## لا ينفع الندم

وفي آية أخرى يكشف الباري عزَّ وجلَّ عن هذه الحقيقة، ويظهر أثر التأثر بالضالين واتباعهم. يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾<sup>(١)</sup>.

وهي تشير إلى أن الضالين والمغضوب عليهم يعضون أيديهم من الندم، ويظهرون الندم على إهمالهم في دار الدنيا، والملفت فيها أمور:

الأول: أنه يقول ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً وليس إلى الرسول، ومعناه أنه كان يعرف النبي ﷺ ويتبعه في الإسلام، ولكن لا يتبعه في الإيثار والولاية.

(١) سورة الفرقان: الآيات ٢٧ - ٢٩.

والواجب على المسلم أن يتبع الرسول ويتبع السبيل الذي معه وهو أمير المؤمنين عليه السلام، فإن القمة النورية في الوجود الإنساني في المبادئ والقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام، والذين يضللون الناس عن نهجه سيعضون أيديهم، وعلى كل مسلم يفكر أن نجاة الآخرة لا تدور على الإيمان بالرسول فقط، بل لا بد من اتباع السبيل الذي معه، ومن دون ذلك لا نجاة.

الثاني: أنه يترك سبيل علي بن أبي طالب عليه السلام، ويتبع فلاناً خليلاً له يقدره ويتبعه ويدافع عنه، فأمام الإنسان طريقان لا ثالث لهما، إما يتبع مع الرسول سبيلاً، ويكون مع أمير المؤمنين عليه السلام فيندرج في الذين أنعم الله عليهم، وإما يتخذ فلاناً خليلاً فيكون من المغضوب عليهم والضالين.

### من هو فلان في القرآن؟

والسؤال: من هو فلان، ولماذا لم يسمه القرآن؟

والجواب: أن فلاناً معروف في النصوص الشرعية، وهو الذي أسس أساس الظلم والجور على آل محمد عليهم السلام، ولم يسمه لأنه خلاف الحكمة، ولوجود موانع من ذكره سنأتي إلى ذكرها.

ولكن الذي يتابع سيرة المسلمين يعرف كيف أن بعضهم يتبع فلاناً ويغار عليه أكثر من اتباعه وغيرته على الدين والنبى صلى الله عليه وآله، ولذا أضله عن الذكر، وقاده إلى سبيل الشيطان، وهو سبيل الخذلان، وقد ساوقت الآية بين الشيطان وبين فلان، وكلاهما يخذلان أتباعهما.

## الإضلال عن رسول الله ﷺ

والآية تقول لقد أضلني عن الذكر، فمن هو الذكر؟ القرآن يقول هو الرسول ﷺ، والمعنى أن فلاناً يضلّه حتى عن رسول الله ﷺ، وهذا ما يشهد له الواقع، فالذي يرجع إلى كتب الرواية والتفسير والفقّه يجد كيف يتخلى بعض المسلمين عن رسول الله ﷺ لأجل فلان وفلان، ويقدمون هذا وذلك، وينسبون لرسول الله ﷺ ما يتأبى كل رجل كريم أن ينسب إليه، وهذا جاء من اتباع فلان خليلاً، فيضله حتى عن رسول الله ﷺ.

ولو جمع الباحث الصفات التي ينسبونها لرسول الله ﷺ نتيجة اتباعهم لفلان وفلان يجد أن شخصية النبي ﷺ لا يمكن أن يقبلها أحد، والذي يراجع ما يروونه يجد مصداق ذلك، فربما عالم أو باحث أو إعلامي ينشر ضلالات وأكاذيب وهو قاذح بشخصية النبي ﷺ ومضلل للناس.

الثالث: خطورة الاتباع والمعاشرة مع الناس، وأن المعاشرة قد يضل صاحبه ويهلكه؛ لأن الخليل له تأثير على صاحبه، ولذا ورد في الأخبار الشريفة التأكيد على ضرورة الفحص عن الصديق المناسب والزواج المناسب للبت، والشريك المناسب في العمل؛ لأن الإنسان يحشر مع من يعاشره.

ففي الخبر عن نبي الله سليمان عليه السلام أنه قال: ﴿لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، ويُنسب إلى أصحابه وأخذانه﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سفينة البحار: ج ٣، ص ٧١، (صدق).

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: ﴿فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن كانوا على غير دين الله فلا حظَّ له في دين الله﴾<sup>(١)</sup>.

### اختر الصالحين

فالصديق خليل الإنسان وربما يضلّه ويصيرّه من المغضوب عليهم، وكذلك اختيار الآباء لبناتهم، فلا ينبغي أن يفكر الأب لمن يريد أن يزوجه ابنته كم يملك؟ وما هي شهادته العلمية؟ وهل له مال أم مقتر وغيرها من الأمور التي يعتبرها الناس ذات قيمة قبل أن يفكر من هم أصحابه وخلطائه؟ وما هي أفكاره؟ والذي يحقق الكرامة للبنات والسعادة المعاشرة الطيبة أم الأمور المادية؟ فإذا يكون الزوج أثرى الأثرياء ولكن سيرته منحرفة ويخالط المغضوب عليهم فماذا سيكون حال البنت؟ وإلى أين تأخذها الأموال؟ وكذلك الأهل الذين يبحثون عن زوجة لولدهم يجب أن ينظروا في ذلك.

فما يجب أن يلتفت إليه الإنسان هو الفحص عن الصالحين واتباعهم في أي عمل ومهارة يكون إعلامياً أو باحثاً أو أستاذاً أو صاحب مهنة، فإن لكلّ أدباً وأخلاقاً قد يحشره مع الضالين وقد يحشره مع أهل النعمة، وأن لا يأخذ الغرور العلمي والفكري ويتبع ظنونه فيضل، لاسيما إذا كان من

---

(١) صفات الشيعة: ص ٦؛ الوسائل: ج ١٦، الباب ٣٨ من أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، ص ٢٦٤، ح ٢١٥٢٦.

أهل العلم، فإن أهل الظنون والضلالات الفكرية يقعون في الظلم والكذب والافتراء وغيرهم بسبب اتباعهم للمغضوب عليهم.

### شواهد من الضلال الفكري

ونلاحظ في الكتب وقوع بعض المفسرين والمتكلمين في ضلالات فكرية بسبب تعصبهم وضلالهم، وهناك تضليل يقع به البعض، منها ما أورد في هذه الآية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وأذكر لذلك مثالين حتى يكون عبرة للعلماء والباحثين، وهما عبارة عن دعويين:

**الدعوى الأولى:** ما ادعاه الرازي في تفسيره أن الآية تثبت إمامة أبي بكر، وقررها بادعاء ونتيجة، أما الادعاء فهو أن أبا بكر رأس الصديقين، وقد نص القرآن على أن من الذين أنعم الله عليهم الأنبياء والصديقين.

كما نصت آية الحمد على طلب الدعاء للكون معهم؛ إذ قالت: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وأما النتيجة فإن الداعي حيث يطلب أن يكون مع أبي بكر دل على أنه ليس ظالماً، وإلا لما جاز الاقتداء به<sup>(١)</sup>.

وهذا قد يجده الإنسان في كتاب ضلالات وشبهات، وقد يجده عند متحدثين في فضائيات أو قنوات تواصل، أو يسمعه من على منابر، والقرآن مدرسة للبشر يعلمهم الصحيح والخطأ، ويهدي للتي هي أقوم، والذي

---

(١) تفسير الرازي: ج ١، ص ٢٦٠، الفائدة الثانية.

يتأمل في قول الرازي يجد المغالطات العديدة، وهو لون من الاستدلال الخطابي الخالي من الميزان المنطقي، ومبني على المغالطات من وجوه:

الوجه الأول: لأن الادعاء صغرياً مبني على مصادرة، فكيف ثبت أن أبا بكر من الصديقين؟ ولو صح مثله لأمكن أن يقال إن الشيطان من الصديقين.

فإن قال: إن ذلك ثابت من السنة فما هو الدليل عليه؟

فالجواب:

أولاً: الرواية الواردة في ذلك موضوعة مكذوبة وضعها الأمويون لمخالفة علي عليه السلام.

وثانياً: هي خبر واحد، ولا يؤخذ به في المسائل الاعتقادية.

الوجه الثاني: أن الادعاء المذكور معارض بالروايات الكثيرة الواردة بطرق الفريقين الدالة على أن علياً عليه السلام هو صديق هذه الأمة، فيجب أن يقول بإمامة علي عليه السلام، وحيث تعارضت الإمامتان يجب أن يرجح إمامة علي عليه السلام، لتضافر الأدلة العقلية والنقلية عليها، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وآله البيعة له في واقعة الغدير، وما اتفقت عليه الأمة من أن أبا بكر كان ظالماً في برهة من عمره <sup>(١)</sup>.

### الإجماع على إمامة علي عليه السلام

الوجه الثالث: أن إمامة علي عليه السلام مجمع عليها بغض النظر عن كونها الأولى أم الرابعة جديلاً، أما إمامة أبي بكر مختلف فيها، ولم يتفق عليها شطر كبير من الأمة، والقاعدة عندهم الأخذ بما أجمعت عليه الأمة، وترك ما اختلفت فيه،

---

(١) انظر كتاب الأربعين: ص ٥٢٠؛ شوارق النصوص: ج ١، ص ٤١٠.

وهو ممن روى قول النبي ﷺ: ﴿لا تجتمع أمتي على ضلالة وعلى خطأ﴾<sup>(١)</sup> وقد اجتمعت على إمامة علي ولم تجتمع على إمامة أبي بكر، فالحق أن الدعوى المذكورة مبنية على تعصب خالٍ من موازين العلم والاستدلال.

### تضليل غريب

الدعوى الثانية: ما ذكره القرطبي في تفسيره وتبعه الرازي من أن الآية تثبت الجبر في أفعال البشر، وقرره القرطبي بدعويين كاذبتين:  
الأولى: أن الإمامية يقولون بأن الإنسان خالق لأفعاله.

الثانية: أنهم يقولون بأن الإنسان غير محتاج في صدور أفعاله إلى ربه.  
وقد أبطل ذلك الباري عزَّ وجلَّ في هذه الآية؛ إذ سأله تعالى الهداية إلى الصراط المستقيم، ولو كان الأمر إليهم لما سأله ذلك، ولا كرروا السؤال في كل صلاة<sup>(٢)</sup>.

وفيه:

أولاً: أن الإمامية لا يقولون بأن الإنسان خالق للفعل وإنما سبب، والفرق كبير بين الخلق والسبب، فالخلق إيجاد الشيء من العدم، والسبب تحويل الوجود إلى وجود آخر، أو التأثير في الوجود، فالسبب يقع واسطة لإيجاد الشيء وليس علة.

---

(١) الكنى والأسماء (للدولابي): ج ٣، ص ٣٨٠؛ الفصول المختارة: ص ٢٣٩؛

العدة في الأصول: ج ٢، ص ٦٢٥، الهامش.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ١، ص ١٤٩؛ تفسير الرازي: ج ١، ص ٢٦٢.

فمثلاً الوالدان سبب لإيجاد الولد، وليس علة خالقة له، فإن الخالق هو الله سبحانه عبر السبب وهو الوالدان، فالخالق يوجد الشيء بعد أن لم يكن في أصل الوجود، أما السبب فيجمع العوامل المعدة لإيجاده، ولذا يوصف الباري عزَّ وجلَّ بأنه مسبب الأسباب.

والسبب يمكن أن يكون مجبراً على فعله كالأسباب الطبيعية مثل النار للإحراق، وقد يكون مختاراً في فعله كالإنسان. نعم قد يعبر عن السبب بالخلق كما في قصة عيسى عليه السلام؛ إذ قال: ﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾<sup>(١)</sup> وذلك باعتبار أنه يوجد الروح والحياة في الطير بواسطة النفخ، ولم تكن من قبل موجودة، ولكن ذلك كله متوقف على شرط هو العلة الحقيقية؛ لذلك وصفه ﴿يُؤْذِنُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> فالفاعل الحقيقي هو الإذن، إما بمعنى أنه يفوض إلى عيسى عليه السلام ذلك الفعل، أو يكون بمنزلة الجزء الأخير للعلة.

فحتى على فرض تسمية السببية بالخلق فإن ذلك باعتبار رجوعه إلى إذن الله سبحانه، فأفعال الإنسان هكذا هي أسباب وسببيتها متوقفة على إذن الله سبحانه.

وعليه فإن أراد القرطبي من قوله أن الإمامية يقولون بأن الإنسان خالق لأفعاله بأنه يوجد من العدم فهي كاذبة؛ لأن الخالق بهذا المعنى هو الله

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

سبحانه وحده ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>.

وإن أراد أن الإنسان يفعل أفعاله مستقلاً عن الله سبحانه فهي الأخرى كاذبة؛ لأن أفعاله متوقفة على الإذن الإلهي.

وبهذا يتضح الجمع بين الاختيار وبين الإذن الإلهي، فإن الإنسان يختار أفعاله بإرادته باعتبار الإذن العام والتفويض الذي جعله الله سبحانه للإنسان في أن يفعل ما يريد فعله.

وبذلك يظهر كذب الدعوى الثانية؛ لأن الإمامية يقرون بأن الإنسان فقير إلى ربه في كل شيء، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا فعلاً ولا تركاً إلا بقدرته الله تعالى وإذنه.

ثانياً: أن الدعوى المذكورة منقوضة بذات الآية الشريفة في المغضوب عليهم والضالين، فإنها تنسبها إلى أصحابها، فإن صيغة اسم المفعول في المغضوب عليهم تدل على وقوع سبب الغضب منهم حتى استحقوا ذلك، ولو لم يكن كذلك لزم نسبة الجزافية والظلم إلى الباري عز وجل بأن يغضب على العباد دون سعي منهم، وصيغة اسم الفاعل في الضالين صريحة في نسبة الفعل إليهم.

وثالثاً: أن الاستدلال بقوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على الجبر باطل في نفسه؛ لأن الآية ليست في مقام بيان الهداية الأولية، بل اللطفية المبنية على تهذيب الإنسان لنفسه وسعيه إلى ربه، وهي تفاض على البشر على قدر استعداداتهم.

## خلاصة التعليم

ويتحصل: أن الآية المباركة تعلمنا حقيقتين مهمتين في حياة البشر:  
الأولى: أن الولاية والإمامة للذين أنعم الله عليهم، وهم الصديقون،  
وتضافرت الأدلة العقلية والنقلية على أنهم محمد وآل محمد عليهم السلام، فتبطل  
كل إمامة مخالفة لهم.

الثانية: أن الإنسان هو الذي يختار منهجه ويرسم حياته ومستقبله في  
السعادة والشقاء، وقد جعل ذلك الباري عزَّ وجلَّ في صلاة العباد  
ليستذكروا هاتين الحقيقتين، ويكونوا من السعداء، وبه تتحقق غاية البعثة  
ونزول القرآن، وهو أحد وجوه تسمية الحمد بأم الكتاب.

## التعليم الخامس: نزول النعم بالأسباب والإفاضات

إن النعم الأهمية تنزل من الله سبحانه بالعطاء عبر نظام الأسباب  
والمسببات، أو بالإفاضة؛ لذا نسبها إليه سبحانه إذ قال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾  
أما المغضوبية والضلالة فنسبها إلى البشر أنفسهم، فقال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أن كل ما يأتي من الله سبحانه هو  
خير، وأما الشر فهو منّا.

إن قلت: لكنه سبحانه يقول: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾<sup>(١)</sup> ويقول:  
﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١٤.

والجواب: أن ذلك إضلال جزائي لا ابتدائي، فابتداء لا ينزل من الله سبحانه إلا بالخير، وقد ابتدأ بالنعمة قبل استحقاقها، فالإضلال هو أثر مبني على إرادة الإنسان الضلالة، وليس معناه أنه يحرفه عن الطريق المستقيم، بل يدعه في ضلاله وانحرافه الذي اختاره، ويسلب منه توفيق الهداية.

ولذا قال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾<sup>(٢)</sup> وفي دعاء التوجه للصلاة: ﴿والخير في يديك والشر ليس إليك﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعليم السادس: نهج الولاية والبراءة

أن الآية المباركة تعلمنا نهج الولاية والبراءة، أي الولاية لأولياء الله سبحانه الذين أنعم الله تعالى عليهم، والبراءة من المغضوب عليهم والضالين، وقد أودعت هذه العقيدة في صلوات العباد لكيلا يغفلوا عنها، ولا يساوموا لأجلها، أو تدفعهم المصالح للغض عنها؛ لأنها أساس العقيدة وركن الدين ومدار قبول الأعمال، والملفت أن الآية عرّفت ذلك بالأشخاص فقالت: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم تقل: (المنعمين) لكيلا تبقى القضية مجرد فكرة أو شعار، بل لها مصاديق وأشخاص معروفون في

(١) سورة الروم: الآية ٤١.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٩.

(٣) الكافي: ج ٣، ص ٣١٠، ح ٧؛ الوسائل: ج ٦، الباب ٨ من أبواب تكبيرة الإحرام، ص ٢٤، ح ٧٢٤٧.

الخارج، فما يفعله البعض من الترضي أو الغض عن ذكر مثالب أئمة الضلالة نهج خاطئ؛ لأن الأفكار لا بد وأن تتجسد في الأشخاص لكي يعرف الإنسان الحق والباطل.

وهذا النهج ليس غايته الإثارة أو التفريق، بل لأجل تحصين الناس من الضلالة وقادتها، وبيان الصراط المستقيم لكي يعرف كل أحد مع من يكون، ولو تضامن الناس مع علي وفاطمة عليهما السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ووقفوا يدافعون عن حقهما لما جرى ما جرى في تأريخ المسلمين من مأس وويلات، ولما تولى الحكم والسلطة الجاهلون والفاسقون الظالمون إلى يومنا هذا.

لكن الناس ارتدوا بالعمل ولم ينصروا علياً عليه السلام وخذلوه، ولم ينصروا فاطمة عليها السلام فخذلهم الله سبحانه، وأدرجهم في المغضوب عليهم والضالين، وهذا واقع المسلمين شاهد على هذه الحقيقة.

### التعليم السابع: أصول الدين في آية

إن الآية المباركة تعلم الإنسان طريق النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، ويكون في المنعم عليهم، وأول الطريق يبدأ من العقيدة الصحيحة بأصول الدين، وتكون شاهداً على معنى قولهم إن سورة الحمد أم الكتاب؛ لأنها تلخص غايات الكتاب العزيز، وشاهداً آخر على حقيقة أصول الدين وتسلسلها الطولي، فإن أصول الدين التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وقد تضمنتها الآية جميعاً.

فبقوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ نسبت النعمة العظمى إلى منعم عظيم قادر عليها، ولا بد من وجود منعم عليه بهذه النعمة العظمى، وهو النبي

والإمام عليه السلام؛ لأنها الأشرف والأفضل والأكمل، والنعمة إنما تكون نعمة إذا كانت بالعدل.

وبقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى وجود معاد يظهر فيه الغضب الإلهي، ودعاء المؤمن في أن لا يحشره مع المغضوب عليهم والضالين لأجل أن لا يؤاخذ كما يؤاخذون، ويعاقب كما يعاقبون.

ونلاحظ أن الآية المباركة لخصت كل مضامين سورة الحمد، كما أنها لخصت أصول الدين التي لو تمسك بها المؤمن كان منعمًا.

وقد مر أن آيات سورة الحمد تضمنت أصول الدين الخمسة، وهذه الآية كذلك، وبه يتضح أن ما قرره علماء الإمامية في التسلسل الرتبي لأصول الدين مأخوذٌ من الكتاب وليس من ابتكارات البشر، وزادت هذه الآية على سائر آيات سورة الحمد بميزة عظيمة، وهي أنها لخصت جوهر أصول الدين بحقيقة واحدة هي الولاية للنبي والإمام عليه السلام والبراءة من أعدائهما، ومنه يعرف أن روح الدين وجوهره الولاية لأولياء الله والبراءة من أعدائهم.

وهي وقد ورد في بعض الأخبار بطرق العامة: ﴿أساس الدين حب آل محمد عليه السلام﴾<sup>(١)</sup>.

والأساس هو القاعدة التي يبنى عليها الشيء، ومعنى ذلك أن حب آل محمد عليه السلام مدار الدين، وهو جوهره وروحه، وهذا ما تضافر في الأدلة

---

(١) شرح إحقاق الحق: ج ٩، ص ٤٠٨، نقلًا عن لسان الميزان: ج ٥، ص ٣٨٠؛ كتر العمال: ج ١٢، ص ١٠٥، ح ٣٤٢٠٦؛ أسرار الإمامة: ص ١٦٨.

النقلية، وعليه البراهين العقلية.

## كيف تكون من أهل النعيم؟

وهنا يتضح الجواب عن سؤال يخطر في أذهان البعض: كيف أكون من الذين أنعم الله عليهم وأتجنب المغضوب عليهم والضالين؟

والجواب: في ثلاثة أمور ذكرتها الآية بالدلالة المطابقة وبدلالة الإشارة:  
الأول: التمسك بالصرات المستقيم في العقيدة والعمل، وهو أعظم دعاء وأفضل ما يطلبه المؤمن كشفت عنه الآية، وهو علي أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، فمن تمسك بهم في الدنيا جاز على الصراط في الآخرة<sup>(١)</sup>، فأهم ما يطلبه الإنسان وينجيه هو هذا.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك﴾<sup>(٢)</sup>.

الثاني: المداومة على الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام، فإن لها ثلاثة آثار عظيمة تصفي الإنسان وترفع من شأنه وتنجيه من الأخطار:

أحدها: أنها تقربه من الله سبحانه؛ لأن الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وهي تسبيحه وتهليله وذكره وحمده وشكره؛ لأنها جامعة لكل خصال الذكر وزيادة.

(١) انظر تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٤.

(٢) معاني الأخبار: ص ٣٥، ح ٦؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ٧١.

وقد أخبر الباري عزّ وجلّ عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿مَلَائِكَتُهُ﴾ تشمل جميع الملائكة مع نسبة التشريف والتعظيم لها؛ إذ أضافها لنفسه ولم يخبر الله سبحانه عن شيء يفعلها كما أخبر الصلاة على النبي ﷺ من التعظيم والتبجيل، وأمر المؤمنين (أن يصلوا على النبي)<sup>(٢)</sup>، ومعنى ذلك أن الصلاة على النبي ﷺ اقتداء بالله سبحانه وبملائكته، وأنه أفضل الأعمال المقربة لله سبحانه التي يجبها الله تعالى وملائكته، ويقابله الله بالصلاة عليه، وهي الجماعية الوحيدة التي يشارك فيها الله تعالى وملائكته وإن كان كل بحسبه.

وهنا يجب أن يعرف المؤمن ما هو مقام النبي وآله ﷺ، وما هي معرفته بهم، وكم هو محظوظ بمعرفتهم ومحبتهم وطاعتهم، وقول الإمام الصادق عليه السلام دليل على أن من الذين يصلون عليه حجة الزمان (عجل الله فرجه الشريف) ومعنى ذلك أن الصلاة على النبي وآله ﷺ باب الاتصال به، وهذا ما يقضي به العقل؛ لأن الله تعالى وملائكته إذا صلوا على العبد فإن خليفته وحجته يصلي عليه أيضاً، وهذه بشارة عظيمة لأهل السر وطالبي المعرفة، ولكن يجب أن لا يغفلوا أن الصلاة القولية ليست مقصودة، بل صلاة القلوب، ولذا قال: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٢) انظر سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

## آثار الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ

وفي رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿إِذَا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَكَثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مِنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَلْفَ صَلَاةٍ فِي أَلْفِ صَفٍّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ إِلَّا صَلَّى عَلَى الْعَبْدِ لَصَلَاةٍ اللَّهُ عَلَيْهِ وَصَلَاةٍ مَلَائِكَتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِي هَذَا فَهُوَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ قَدْ بَرَى اللَّهَ مِنْهُ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ثانيها: أنها تهدم الذنوب هدماً<sup>(٢)</sup>، وتصفيه من الذنوب وتطيب الخلق والأخلاق، وفي الزيارة الجامعة: ﴿وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طَيِّباً لَخَلَقْنَا وَطَهَّرْنَا لَأَنْفُسِنَا وَبِرَكَّةٍ لَنَا وَكَفَّارَةٍ لَذُنُوبِنَا﴾<sup>(٣)</sup>.

## بالصلاة على محمد وآل محمد توجع إبليس

ثالثها: أنها توجع إبليس وتطعنه وتجرحه، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوجه خطاباً لأُمَّته يقول فيه: ﴿أَلَا فَادْكَرُوا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا وَأَلَّهُ عِنْدَ نَوَائِبِكُمْ وَشِدَائِدِكُمْ لِيَنْصُرَ اللَّهُ بِهِ مَلَائِكَتِكُمْ عَلَى الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَكُمْ، فَإِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَعَهُ مَلِكٌ عَنِ يَمِينِهِ يَكْتُبُ حَسَنَاتِهِ، وَمَلِكٌ عَنِ يَسَارِهِ يَكْتُبُ سَيِّئَاتِهِ، وَمَعَهُ شَيْطَانَانِ مِنْ عِنْدِ إِبْلِيسَ يَغْوِيَانِهِ، فَإِذَا وَسَّوَسَا فِي قَلْبِهِ ذَكَرَ اللَّهَ وَقَالَ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٩٢، ح ٦.

(٢) الأمالي (للصدوق): ص ١٣١، ح ١٢٣؛ البحار: ج ٩١، ص ٤٧، ح ٢.

(٣) المزار (لابن المشهدي): ص ٥٢٩.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ (خَنَسَ الشَّيْطَانَانِ) <sup>(١)</sup>.

وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس فيه، ويوسوس فيه بأن يؤيسهم من الخير ويعدهم الفقر، ويحملهم على المعاصي والفواحش، وهو قول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ <sup>(٢)</sup> كما ورد في تفسير القمي <sup>(٣)</sup>.

ثم صاروا إلى إبليس فشكوا، وقالوا له: قد أعيانا أمره، فأمددنا بالمردة <sup>(٤)</sup>، فلا يزال يمدهما حتى يمدهما بألف مارد فيأتونه، فكلما راموه ذكر الله وصلى على محمد وآله الطيبين لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً... ثم قال رسول الله ﷺ: فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه <sup>(٥)</sup> وألم جراحاته فداوموا على طاعة الله وذكره،

والصلاة على محمد وآله، وإن زلتم عن ذلك كتتم أسراء إبليس، فيركب أقفيتكم - أعناقكم - بعض مردته <sup>(٦)</sup>.

---

(١) أي تراجعاً وتسترأ؛ والخناس الشيطان؛ لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، أي يذهب ويستتر، انظر مجمع البحرين: ج ٤، ص ٦٧، (خنس).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(٣) تفسير القمي: ج ٢، ص ٤٥٠.

(٤) وهم أعتى الشياطين وأكثرهم قدرة وشرأ، انظر مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٥ - ١٤٦، (مرد).

(٥) أي بكاءه نقيض قرّة العين، انظر مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٦٣، (سخن).

(٦) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٩٦ - ٣٩٨، ح ٢٧٠؛ البحار: ص ٢٧١ - ٢٧٢، ح ١٥٨؛ البرهان: ج ١، ص ٢٧٤ - ٢٧٥، ح ٥٥٠.

## بركات الصلاة عليهم ﷺ

وفي هذه الرواية دلائل مهمة لأهل الولاية:

الأولى: أن للصلاة على محمد وآل محمد ﷺ الأثر الكبير في رفع الشدائد والملهات.

الثانية: أن قول المؤمن (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) مع الصلاة على محمد وآله ﷺ يطرد الوسوس الشيطانية، ويخلص المؤمن من مشكلة الوسوسة والقلق والاضطراب النفسي الذي قد يعاينه ويجرمه من النوم أو الاستقرار.

الثالثة: أن ظهور هذه الآثار مشروط بشرطين:

أحدهما: المداومة على إطاعة الله تعالى وذكره.

ثانيهما: المداومة على الصلاة على محمد وآله ﷺ، فلو جعله المؤمن وردة أغناه كل الأوراد والأذكار.

فالمداومة شرط في ذلك، وهناك شرط ثالث ذكره أمير المؤمنين ﷺ هو متمم لهذين الشرطين هو حسن النية وصدقها<sup>(١)</sup>.

فإذا لا يلتزم الإنسان بهذا بأن يغفل عن ذكر الله تعالى والصلاة على محمد وآله يلزمه الشيطان ويغويه ويقوده إلى الشر، ولذا نلاحظ أن الذين يقعون في المعاصي يصعب عليهم العودة، ويقودهم من معصية إلى أخرى، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

(١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٢٢، ح ٢٧٢.

﴿قَرِينٌ﴾<sup>(١)</sup> والإعشاء التعامي عن الذكر والإعراض عنه<sup>(٢)</sup> بإهمال ذكر القلب واللسان، وإهمال ذكر العين بعدم الاتعاظ والاعتبار من الحوادث والوقائع، وعدم التبصر في آيات الله سبحانه في الأشياء.

فالطبيب يلاحظ - مثلاً - آيات الله تعالى في أبدان المرضى ومع ذلك يغفل، والوالد يرى آيات الله سبحانه في نفسه وفي ولده ويغفل عنها، والملك والسلطان يرى آيات الله سبحانه في السابقين عليه كيف صار مصيرهم وانمحت دولهم وزالت آمالهم ولا يتعظ وهكذا..

### كل عضو يذكر الله تعالى

ومنه يتضح أن ذكر الله تعالى لا ينحصر باللسان، بل كل عضو من أعضاء الإنسان له ذكر، وبه ينال التوفيقات، والعشو عن الذكر والتخلي عن محمد وآل محمد ﷺ يجعل الشيطان مقارناً له يوسوس له ليغويه ويضله ويدرجه معه في المغضوب عليهم.

والتقييض له ليس من باب الجبر، بل من باب النتيجة المترتبة على المقدمات، فإن العصاة والظالمين هم الذين يهملون ذكر الله تعالى وأوليائه، فيقارنهم الشيطان، وهذا ما يقَرُّ به الشيطان نفسه؛ إذ يقول: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup> يقول هذا لما يحشر ابن آدم

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٢) انظر المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٦٠٣، (عشا).

(٣) سورة ق: الآية ٢٧.

وتأتي كل نفس معها سائق وشهيد، فيؤمر بالعصاة المذنبين إلى النار يسعون لإنقاذ أنفسهم فيلقي كل واحد منهم المسؤولية على شيطانه الذي قارنه وأضله، فيتبرأ منه قرينه ويقول: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي بالقهر والجبر، ولكن هو ﴿كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ لانحرافه الاعتقادي وفسقه في العمل وبعده عن الصراط المستقيم.

فالباري عز وجل يبطل دعواهم ويقول: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ \* مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(١)</sup> فالمصير الذي يقع فيه الإنسان من اختياره وعمله، فإن الله سبحانه أتم الحجة على العباد، لكن بعضهم يطلب الضلال البعيد ولا يستجيب لنداء الأنبياء والرسل والعلماء، ولا لنداء عقله وقلبه وضميره.

وهم كثيرون يلتقون في النار، ويخاطبها بارئها ويقول: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup> فكيف ينجو الإنسان من هذا إلا بالمداومة على طاعة الله وذكره، والمداومة على الصلاة على محمد وآله مع حسن النية وصدقها.

### أثر الدعاء والتوسل

الثالث: الدعاء والتوسل، فإن الإنسان لا يستغنى عن الدعاء والتوسل للوصول إلى غاياته خاصة في المعنويات؛ لأن أسبابها خفية، وليست كالأموال المادية الطبيعية التي أسباب يصل إليها بعمله، فالمعنويات تحتاج

(١) سورة ق: الآيتان ٢٨ و ٢٩.

(٢) سورة ق: الآية ٣٠.

إلى توفيقات خاصة بعضها تتعلق به من إصلاح النفس وحسن النية والسعي بالطاعة ثم الدعاء والتوسل، وخاصة التوسل بمحمد وآل محمد عليهم السلام، وهو ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿كان قضاء الحوائج وإجابة الدعاء إذا سئل الله بمحمد وعلي وآلهما عليهم السلام، مشهوراً في الزمن السالف حتى أن من طال به البلاء قيل: هذا طال بلاؤه لسيانته الدعاء لله بمحمد وآله الطيبين﴾<sup>(١)</sup>.

### التعليم الثامن: لماذا لم يذكر القرآن أسماء أهل البيت عليهم السلام؟

إن قال قائل: إذا كانت ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام أعظم نعمة إلهية على الخلق، وأن أعظم الحمد يكون عليها، فلماذا لم يذكرها الباري عزَّ وجلَّ في هذه الآية بالنص الصريح، بأن يذكرهم بقول (صراط محمد وآل محمد) ولو ذكرهم لاستوجب وضوح الأمر وانتفاء الفتنة والاختلاف بين المسلمين؟ وهذا سؤال مهم كان ولا زال مثاراً للجدل، وقبل الجواب عنه أقدم أموراً: الأمر الأول: يمكن أن نوجه هذا السؤال لكل مسلم يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، وأن القرآن هو الحجة على العباد، نسأل هل كل ما لا يذكره القرآن غير صحيح أو لا يجب الاعتقاد به؟ لا أظن أن أحداً يميز ذلك؛ لأنه لو كان كذلك لزم انتفاء الكثير من الأحكام والمعارف والاعتقادات التي تعد من أركان الإسلام ولم يذكرها القرآن.

مثلاً: الصلاة التي هي عمود الدين، وإذا قبلت قبل ما سواها، وإذا ردت

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٩٨، ح ٢٧١.

رد ما سواها. ماذا ذكر القرآن منها؟ لم يذكر سوى وجوبها، أما كيفيتها وأركانها وشرائطها سكت عنها، وكذا الصيام ذكر وجوبه، أما كيف يتحقق؟ وما هي أركانه وشرائطه؟ فلم يذكرها، وهكذا الحج. هذا في فروع الأحكام، وكذلك في العقائد والأصول، فإن القرآن ذكر وجود حزب للمنافقين حول رسول الله ﷺ ولم يذكر أسماءهم وأمثالهم، ولم يذكر رموز الكفر والجحود، فهل يعني هذا أن لا نصدق بوجود رموز الكفر والنفاق؟

مثلاً: اتفقت كلمة أهل الأديان على أن الله سبحانه بعث حوالي (١٢٤) ألف نبي، ولكن الذين ذكر أسماءهم في القرآن وحكى سيرتهم حوالي (٢٥) نبياً، فهل يعني هذا أن لا نصدق بالباقيين؟

مع أن الإيمان بأنبياء الله ﷺ وكتبه ورسله وتصديق ما جاؤوا به من الواجبات العينية ومن شرائط التدين، إذاً لا يمكن لأحد أن يزعم بأن ما لا يذكره القرآن لا نصدقه أو لا نؤمن به، بل يجب الإيمان به؛ لأن ذلك يستدعي تكذيب الكثير من الحقائق الدينية.

فإذا سأل سائل: إذا كيف صدقناه و آمننا به؟

الجواب: لأن السنة أخبرت عنه، وذكرت تفاصيله، وكذا التاريخ.

### أنبياء وأصفياء ذكرهم القرآن

الأمر الثاني: أن القرآن الكريم ذكر بعض الأشخاص وأشار إلى أوصافهم وأفعالهم ولم يذكر أسماءهم، ولا يشك أحد من المسلمين بوجودهم وعظمة مكانتهم لأن السنة أخبرت عنهم.

مثلاً: في قضية سليمان عليه السلام لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ إلى فلسطين طلب من يقدر على الإتيان به، فتصدى له رجل ذكره القرآن بالوصف ولم يذكره بالاسم، فقال: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد نسب إلى الجمهور القول بأنه آصف بن برخيا<sup>(٢)</sup>، وعندنا من المسلمات، وكان آصف صديقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجيب<sup>(٣)</sup>، وقد ورد في الخبر عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله صفته. قال: ﴿ذلك وصي أخي سليمان بن داود﴾<sup>(٤)</sup> وهذا البيان يتضمن التلميح إلى أخيه ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه أيضاً قادر على مثل هذا الفعل، وكذا ورد عن باقر العلوم عليه السلام<sup>(٥)</sup>.

ومثل ذلك يقال في الإسراء والمعراج، فإن الباري عزَّ وجلَّ أخبر بوقوعه لعبد من عباده، واكتفى بذكر الوصف ولم يذكر الاسم؛ إذ قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾<sup>(٦)</sup>

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٢) روح المعاني: ج ١٩، ص ٢٠٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٧، ص ٣٨٥.

(٤) الأمالي (للصدوق): ص ٦٥٩، ح ٨٩٢؛ روضة الواعظين: ص ١١١؛ التفسير

الصافي، ج ٤، ص ٦٧.

(٥) الكافي: ج ١، ص ٢٢٩، ح ٥؛ بصائر الدرجات: ص ٢٢٨، ح ١.

(٦) سورة الإسراء: الآية ١.

ومن المسلمات عند جميع المسلمين أنه وقع لرسول الله ﷺ، مع أن القرآن لم يذكر مع اسمه، بل اكتفى ببيان وضعه، وقال هو عبده، فنسبه إلى نفسه<sup>(١)</sup>، فهل يمكن لأحد أن لا يصدق ذلك بحجة أنه لم يذكر اسمه، ولو فعل ذلك ألم يكن مكذباً لما ثبت بالضرورة، ومعانداً للحقيقة؟ والسؤال من أين صدق المسلمون بذلك بحيث لا يشك فيه أحد ويتوهم خلافه؟ والجواب من طريقتين:

### التصديق بالسنة

أحدهما: ما أخبرت به السنة الشريفة؛ لأن السنة عدل القرآن والمكملة لمعانيه، والمبينة لمجملاته، وقد نص القرآن على أن قول النبي ﷺ وفعله وحي لا يقبل الخطأ والاشتباه، وأمر الناس بالأخذ بما جاء عن النبي ﷺ، ومنع من رده؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

ثانيهما: ما تواتر نقله عن المسلمين جيلاً بعد جيل بما يفيد اليقين بصدقه. فالمسلم تام الإيمان لا يمكنه أن يصدق بالقرآن ولا يصدق بالسنة، فلو فعل ذلك يكون قد كذب النبوة وأنكرها.

---

(١) انظر مجمع البيان: ج ٦، ص ٢١٧؛ نفحات الرحمن: ج ٤، ص ٥؛ روح المعاني:

ج ١٥، ص ٦.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

## تصديق النبوة وتكذيبها

الأمر الثالث: أن تصديق النبوة وتكذيبها يتم بنحوين:  
أحدهما: التصريح بالقول كما فعله الكفار.

ثانيهما: المخالفة بالعمل، فيرد ما ثبت وروده عن النبي ﷺ وعدم التصديق به والعمل بخلافه، وكان رسول الله ﷺ يتألم من تكذيبه من قبل الكفار والمنافقين، فسلى الباري عز وجل خاطره بقول: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ \* وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

فكانوا يصرّحون في مقابله بالتكذيب، فينسبون ما يخبرهم به من غيب إلى الكهانة، ومعجزاته إلى السحر، ودعواه النبوة إلى الكذب، وكان ذلك يؤلمه، فطيب الباري عز وجل خاطره وأرجع الأمر إليه، وقال إن تكذيبهم ليس لك بل الله سبحانه؛ لأن من يكذب الرسول يكذب الله سبحانه.

والملفت أنهم كانوا يعلنون تكذيبهم في الظاهر، وفي وجدانهم كانوا يصدقون؛ لأن براهينه قاطعة، وهذه قضية وقع فيها بعض المسلمين في ولاية أمير المؤمنين ﷺ وخلافته، فإن الأدلة العقلية والنقلية كثيرة جداً في حقانية إمامة أمير المؤمنين ﷺ، ولا يمكن لمنصف أن يطلع على دلائل ذلك وينكر، لكن العناد والمكابرة منعا البعض من الإيذان.

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٣٣ و ٣٤.

وقد روي أن حارث بن عامر من قريش قال: (يا محمد! والله ما كذبتنا قط، ولكننا إن اتبعناك نُتخطف من أرضنا، فنحن لا نُؤمن بك لهذا السبب)<sup>(١)</sup> أي نُستلب ولا تبقى لنا مكانة<sup>(٢)</sup>.

وروي أن رسول الله ﷺ لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل، فقيل له في ذلك فقال: (والله إني لأعلم أنه صادق، ولكننا متى كنا تبعاً لعبد مناف) فأُنزل الله الآية<sup>(٣)</sup>.

وهو ذات السبب الذي دعا جمعاً من الصحابة أن ينكروا على أمير المؤمنين ﷺ الولاية والإمامة بالرغم من أنهم بايعوه في الظاهر، فهذا نحو من التكذيب للرسول ﷺ ثم لله تعالى وليس لأمر المؤمنين ﷺ فقط.

### التكذيب بالعمل

وربما يبتلى المسلم بالتكذيب بالعمل حينما ينكر ما ثبت صدقه في الأدلة، إلا أن يأتي به القرآن وينص على ذكره، فإن لازم هذه الدعوى هو تكذيب السنة وما ورد عن النبي ﷺ من الأخبار، فلا بد أن يلتفت إلى ذلك المسلم، ولا يقع في هذه المهلكة. أذكر لهذه الحقيقة شاهدين من بين مئات الشواهد:

---

(١) تفسير الرازي: ج ١٢، ص ٢٠٥؛ نفحات الرحمن: ج ٢، ص ٤٧٨.  
(٢) مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٧، (خطف)؛ المعجم الوسيط: ج ١، ص ٢٤٤، (خطف).  
(٣) مجمع البيان: ج ٤، ص ٤٣؛ التفسير الصافي: ج ٢، ص ١١٦؛ نفحات الرحمن: ج ٢، ص ٤٧٨.

## ارتداد بعض الصحابة

الشاهد الأول: ما ورد في متواتر الأخبار عن النبي ﷺ بأن أصحابه سوف يحدثون من بعده أحداثاً تحرمهم يوم القيامة من حوضه، ويذادون عنه، والذي يذوده رسول الله ﷺ عن حوضه معناه ليس له شفاعته من النبي ﷺ، ولا أحد يوم القيامة إلا ويحتاج إلى شفاعته النبي ﷺ حتى الأنبياء والأولياء، فالذين يجرمون من شفاعته النبي ﷺ إلى أين يكون مصيرهم؟  
ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

تواتر في المصادر المعتمدة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب فقال: ﴿يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاةً غرلاً﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾<sup>(٣)</sup> ثم قال: إلا وإنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصيحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> فيقال أن هؤلاء لم يزالوا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) غرلاً أي غلفاً غير مختنين؛ انظر مجمع البيان: ج ١٤، ص ١١٥؛ تفسير يحيى بن

سلام التميمي: ج ١، ص ١٩٠.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٧.

مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم<sup>(١)</sup> رواها جماعة منهم البخاري في صحيحه<sup>(٢)</sup>، ومسلم في صحيحه<sup>(٣)</sup>، والنسائي في سننه<sup>(٤)</sup>، وأحمد في مسنده<sup>(٥)</sup>، والمتقي الهندي في كنزه<sup>(٦)</sup>.

وفي أحاديث سعيد بن جبير عن ابن عباس وابن عبد البر في الاستيعاب والسيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾<sup>(٧)</sup> وقال: أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي<sup>(٨)</sup>.

وألفت الأنظار إلى حقيقتين:

الأولى: أن قوله: ﴿يؤخذ بهم ذات الشمال﴾ إشارة إلى ما ورد في سورة الواقعة من تصنيف أهل المحشر إلى سابقين وأصحاب اليمين وأصحاب

- 
- (١) صحيح البخاري: ج ٦، ص ٩٧؛ صحيح مسلم: ج ٤، ص ٢١٩٤.
- (٢) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١١٠، و ص ١٤٢ - ١٤٤؛ ج ٥، ص ١٩١ - ١٩٢، و ص ٢٠٤.
- (٣) صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٥٧.
- (٤) السنن الكبرى (للنسائي): ج ٦، ص ٣٣٩، ح ١١١٦٠؛ و ص ٤٠٨ - ٤٠٩، ح ١١٣٣٧.
- (٥) مسند أحمد: ج ١، ص ٢٣٥.
- (٦) كنز العمال: ج ١٤، ص ٣٥٨، ح ٣٨٨٢٩.
- (٧) سورة المائدة: الآية ١١٦.
- (٨) انظر كتاب السبعة من السلف من الصحاح الستة (للفيروز آبادي): ص ٢٤ - ٢٥.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ..... ٤٠١

الشمال، وفي مصير أصحاب الشمال قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ \* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ \* وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ \* لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> هذا هو مصير ما يؤخذ ذات الشمال.

الثانية: قوله: ﴿لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم﴾ يفيد دوام الارتداد وعدم توبتهم حتى انقضت أعمارهم في الدنيا؛ لذا لا شفاعة لهم، ولعله يشير إلى دوام ذلك حتى وهم في المحشر.

ورغم ذلك تجدد الكثير من المسلمين يقول بعدالة الصحابة جميعاً، وإذا لاحظنا أن ما قاله النبي ﷺ فيهم متواتر ومن المسلمات عند أهل الحديث، ورغم ذلك هناك من يخالفه، فألا يعني هذا تكذيب للنبي ﷺ؟

### عمر يتهم النبي ﷺ وينتقصه

الشاهد الثاني: ما تواتر بطرق المسلمين أن رسول الله ﷺ في آخر وصاياها قال: ﴿هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي غلبه الوجد، وعندكم القرآن كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، فقال رسول الله: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابته﴾ وفي روايات أخرى قال عمر: (إن رسول الله يهجر)<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الواقعة: الآيات: ٤١ - ٤٤.

(٢) المناقب: ج ١، ص ٢٣٥؛ البحار: ج ٢٢، ص ٤٩٨، ح ٤٤؛ كتاب سليم بن قيس: ج ٢، ص ٧٩٤.

والهجر الهذيان في القول، وبعضهم قال الفحش في القول واللغو، وفي الحديث: (لا ينبغي للنائحة أن تقول هُجراً) أي فحشاً ولغواً<sup>(١)</sup> ، وفي المفردات: الهجر الكلام القبيح المهجور لقبه<sup>(٢)</sup> .

ورواه بمتون أخرى جماعة منهم الهيثمي في مجمع، والطبراني في الأوسط، والهندي في كنز العمال وغيرهم الكثير<sup>(٣)</sup> ، وهو مما يوجب اليقين بصحة وقوع الحادثة، وقد تضمنت إشارات تنير البصيرة لمن أرادها:

الأولى: أن النبي ﷺ قد غضب على القوم الذين كانوا في محضره من الصحابة، وغضب النبي ﷺ على قوم ملازم لغضب الله سبحانه عليهم، وقد اتفقت كل الأخبار بل والمسلم به عند جميع المسلمين أن القائل للنبي ﷺ: (غلبه الوجع) و: (إنه يهجر) هو عمر.

ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ رحل من الدنيا وهو غاضب عليه وعلى من وافقه الرأي، فلا محالة يندرج في قوله: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في سورة الحمد.

### لماذا طرد النبي ﷺ الصحابة؟

الثانية: أن النبي ﷺ قد طرد أصحابه بعد الاختلاف في محضره ولم يكتب الكتاب، والسؤال لماذا طردهم ولم يصر على كتابة الكتاب؟.

والجواب لأن كتابة الكتاب مع وجود الاختلاف كان يوقع الفتنة

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٥٨، ح ١٧، وفيه: (لا ينبغي لها أن تقول هجراً)؛ مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥١٧، (هجر)؛ المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٧٣، (هجر).

(٢) مفردات الراغب: ص ٨٣٣، (هجر).

(٣) انظر السبعة من السلف: ص ٤٩ وما بعدها.

العظمى بين المسلمين، ويوجب اتهام النبي ﷺ بما قاله عمر بالفعل.

الثالثة: ما هو الكتاب الذي أصر عمر ومن كان معه على الحيلولة دون كتابته؟ لا يوجد فرض أقوى من فرض وصيته بالخلافة والإمامة من بعده.

وقد روى هذا الخبر طائفة كبيرة من المحدثين منهم ابن سعد في طبقاته<sup>(١)</sup>، وأحمد في مسنده<sup>(٢)</sup>، والبخاري ومسلم في صحيحهما<sup>(٣)</sup>، والنسائي في سننه الكبرى<sup>(٤)</sup>.

### أهم ما يوصي به النبي ﷺ

فإن أهم ما يوصي به كل حكيم فضلاً عن سيد الحكماء وخاتم الأنبياء هو أهم ما يحرص عليه، وليس إلا بقاء الرسالة واستمرار النبوة في المسلمين، وهذا هو الذي كان لا يريده المخالفون له.

وهذا الأمر كانوا يعلمونه منذ يوم الغدير؛ لأن النبي ﷺ هناك أكد بأنه على وشك الرحيل من الدنيا، ونصب علياً عليه السلام خليفة، وقد بايعه القوم على الخلافة، فكانوا يعلمون أن النبي ﷺ أراد أن يختم حياته بهذه الوصية كما أنه ابتداءً دعوته لعشيرته لما

صنع لهم وليمة ونصب علياً أخاً ووزيراً وخليفة من بعده، فأراد ﷺ أن

(١) الطبقات الكبرى (لابن سعد): ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) مسند احمد: ج ١، ص ٣٢٥.

(٣) صحيح البخاري: ج ٥، ص ١٣٨، ح ٨؛ صحيح مسلم: ج ٥، ص ٧٦.

(٤) السنن الكبرى (للنسائي): ج ٤، ص ٣٦٠، ح ٧٥١٦.

يختتم بما ابتدأ به، وهذا كانوا يعلمونه فحاولوا دونه.

والأدلة والبراهين على هذه الحقيقة كثيرة، ورغم ذلك تجد من يخالف ويتبع غير علي عليه السلام في الإمامة والخلافة، فماذا يعني هذا؟ ألا يعني التكذيب للنبي بالعمل؟

والخلاصة: أن علامة إيمان المسلم وعقيدته هو التصديق بكل ما يأتي عن الله ورسوله، سواء جاء في القرآن أو في السنة الشريفة؛ لأن السنة هي بذاتها وحي وعدل للقرآن، فإذا جاء شيء في القرآن يجب تصديقه، وإذا جاء في السنة يجب تصديقه، فإذا لا يأخذ المسلم بهذه المعادلة بأن يصدق ما يأتي في القرآن فقط ولا يصدق بما يأتي في السنة يكون قد كذب السنة في العمل وإن لم يصرح بكذبها في القول، وهذه الحقيقة تنطبق فيما ورد في ولاية أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليه السلام، فإنه على فرض القول بأنها لم ترد في القرآن ولكن ورودها في السنة في آلاف الروايات بما لا يقبل الشك يستدعي الإذعان والتسليم لها لا إنكارها، على أنها ذكرت في القرآن أيضاً وهذا ما نأتي إلى بيانه.

### نزل القرآن في آل محمد عليهم السلام

الأمر الرابع: تضافرت الشواهد على أن القرآن الكريم ذكر محمداً وآل محمد عليهم السلام في آيات عديدة، وبين مقامهم عند الله تعالى، وأوجب على الناس محبتهم وطاعتهم، بل تضافر في الأخبار أن القرآن نصفه فيهم ونصفه في أعدائهم، وما نزل في أعدائهم باعتبار عداوتهم لهم، فالقرآن كله نزل في آل محمد عليهم السلام، وهذا ما يقضى به العقل؛ لأنهم

المعنيون به، والمكلفون بتبليغه وتعليمه وبيان تفاصيله، ويمكن تقسيم ما ورد فيهم من القرآن على أقسام عديدة:

الأول: النص الصريح ببعضهم عليهم السلام.

الثاني: النص الصريح بمجموعهم.

الثالث: الكناية التي هي أبلغ من التصريح.

الرابع: الإشارات بالحروف المقطعة.

الخامس: المعاني الباطنة بالعبادات والفضائل.

السادس: إنزال سورة كاملة بشأنهم. هذا فضلاً عن التأويل الوارد فيهم

بما لا يقبل العد.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وقد ذكر المفسرون أن علي عليه السلام وصف للقرآن<sup>(٢)</sup>، والحق أنه اسم علم لأمير المؤمنين عليه السلام، واللام للتأكيد على ذلك، والقرائن متوافرة عليه:

الأولى: أن علو القرآن في أم الكتاب مما لا يختلف عليه اثنان، كما لا يختلف أحد على أن القرآن لدى الله سبحانه عالي المنزلة؛ لأنه كلامه، فإرجاع الوصف للقرآن من توضيح الواضح، والأنسب بوصفه لو كان هذا المراد بأن يقول: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعالٍ حكيم) لا (علي حكيم).

(١) سورة الزخرف: الآية ٤.

(٢) نفحات الرحمن: ج ٥، ص ٤٩٧.

٤٠٦ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

الثانية: أن أم الكتاب سورة الفاتحة، وفيها إشارة إلى أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليه السلام، وهم أصحاب الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم.

الثالثة: أن وصف الحكيم معهود في البشر وليس للكتاب.

إن قلت: فما تقول في قوله: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup>.

قلت: هو الآخر قد يكون أمير المؤمنين عليه السلام، فإن (يس) هو رسول الله صلّى الله عليه وآله، والقرآن الحكيم هو أمير المؤمنين عليه السلام.

### العلي الحكيم أمير المؤمنين عليه السلام

الرابعة: أن (علي) اسم علم، وهو المتبادر من اللفظ، وهو الأنسب بأمر المؤمنين عليه السلام؛ لأن القرآن يحتاج إلى مبيّن وشارح حكيم وجامع لسوره يضع آياته ومعانيه ودلائله في موضعها.

الخامسة: النصوص القطعية الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أن علياً مع القرآن والقرآن مع علي<sup>(٢)</sup>، فحتى على القول بأن (علي) وصف للقرآن، فإنه لا يفارقه (علي) لأنه معه منذ نشأته وتكوينه، ولا يفارقه في دلائله ومضامينه.

السادسة: الروايات الواردة عن النبي والعترة عليهم السلام التي نصت على أن المراد بقوله: ﴿لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام، وهم أعلم الخلق بمقاصد القرآن.

ففي تفسير علي بن إبراهيم في معنى الآية قال: (يعني أمير المؤمنين عليه السلام)

(١) سورة يس: الآية ٢.

(٢) المستدرک (للحاکم) : ج ٣، ص ١٢٤؛ الأمالي (للطوسي) : ص ٥٠٦، ح

١١٠٨؛ البحار: ج ٨٩، ص ٨٠، ح ٦.

مكتوب في الحمد في قوله عز وجل ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام هو أمير المؤمنين عليه السلام <sup>(١)</sup> ، ومثله ورد في معاني الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام <sup>(٢)</sup> ، وكذا ورد عن الإمام الرضا عليه السلام <sup>(٣)</sup> ، وفي تهذيب الأحكام في الدعاء الوارد بعد صلاة يوم الغدير عن الإمام الصادق عليه السلام : ﴿نشهد أنه الإمام الهادي المرشد الرشيد علي أمير المؤمنين، الذي ذكرته في كتابك فقلت: ﴿وَأِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ <sup>(٤)</sup> لا أشرك معه إماماً، ولا أتخذ من دونه وليجة﴾ <sup>(٥)</sup> .

### شهادة صعصعة لأمر المؤمنين عليه السلام

ويستفاد من بعض الأخبار أن هذه الحقيقة كانت معروفة لدى الناس في زمانه عليه السلام لا يشك فيها أحد، ولكن السياسة المعادية المتعمدة للإخفاء وبعده الزمان وتضييع الحقائق صيرها غريبة، فقد ورد عن الأصبع بن نباتة قال: خرجنا مع أمير المؤمنين حتى انتهينا إلى صعصعة بن صوحان، فإذا هو على فراشه، فلما رأى علياً خفّ له، وجرى حوار بينهما، ومما قاله صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين ما علمتك إلا أنك بالله لعليم، وأن الله في عينك لعظيم، وأنت في كتاب الله لعلي حكيم، وأنت بالمؤمنين رؤوف

(١) تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٨٠.

(٢) معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢، ص ٥٥٢، ح ٢.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٤.

(٥) التهذيب: ج ٣، ص ١٤٥، ح ٣١٧.

رحيم<sup>(١)</sup> وهذا كلام قاله في ملاء عام وسلّموا له، ومثل هذا ورد في محاوره أمير المؤمنين عليه السلام لزيد بن صوحان لما صرع يوم الجمل. جاء أمير المؤمنين حتى جلس عند رأسه فقال: ﴿رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة﴾ فرفع زيد رأسه إليه فقال: (وأنت جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فوالله ما علمتك إلا بالله عليماً، وفي أم الكتاب علياً حكيماً، وأن الله في صدرك عظيماً)<sup>(٢)</sup> وهذه المعرفة لم تصدر من رجل عادي، بل من رجل يعد من قمم رجال العرب كما وصفوه:

فعن ابن عباس صعصعة باقر علم العرب<sup>(٣)</sup>، وقال الجاحظ: كان صعصعة يُضرب به المثل في الخطابة<sup>(٤)</sup>، ووصفوه بأنه أخطب الناس<sup>(٥)</sup>، وكان يتمتع بنفاذ البصيرة والثبات على الولاية والجهاد لأجلها، وله مواقف مشرّفة مع معاوية وحزبه في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن علو كعبه في الخطابة وفي العلم والبصيرة قوله لأمر المؤمنين عليه السلام لما بايعه الناس: والله يا أمير المؤمنين لقد زينّت الخلافة وما زينّتك، ورفعتها وما رفعتك، وهي أحوج إليك منك إليها<sup>(٦)</sup>.

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢، ص ٥٥٣، ح ٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢، ص ٥٥٣، ح ٥.

(٣) مروح الذهب: ج ٣، ص ٤٦؛ قاموس الرجال: ج ٥، ص ٤٩٥، (صعصعة).

(٤) البيان والتبيين: ج ١، ص ١٧٣.

(٥) قاموس الرجال: ج ٥، ص ٤٩٥، (صعصعة).

(٦) تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ١٧٩.

## شهادة زيد بن صوحان

وأما أخوه زيد فقد عدّه الشيخ الطوسي قَدَسُ فِي أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال: كان من الأبدال وصاحب مقام معنوي رفيع حتى أن عائشة استرجعت حين قتل يوم الجمل<sup>(١)</sup>، والأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر<sup>(٢)</sup>.

ووصفه أهل التراجم بأنه من رؤساء التابعين وزهادهم، ومن شدة بصيرته وصدق يقينه أنه قال لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ما قاتلتُ معك على جهالة، ولكني سمعتُ أم سلمة زوجَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقول: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني اللهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿شهد مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من التابعين ثلاثة نفر شهد لهم النبي بالجنة ولم يرههم، أويس وزيد بن صوحان وجندب الخير الأزدي﴾<sup>(٤)</sup>.

ونلاحظ أن الذين كانوا يدركون هذه الحقيقة لم يكونوا رجالاً عاديين في علمهم ودينهم وزهدهم، ولا يمكن أن يشك مسلم فيما يقولونه، وقد

(١) مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢١٨، (بدل).

(٢) الأبواب (رجال الطوسي): ص ٦٤، الرقم ٥٦٦.

(٣) رجال الكشي: ج ١، ص ٢٨٤، الرقم ١١٩؛ الاختصاص: ص ٧٩؛ قاموس

الرجال: ج ٤، ص ٥٥٧ - ٥٥٨، (٣٠٤٨).

(٤) الاختصاص: ص ٧٩ و ص ٨٢.

جاهدوا بأنفسهم لهذه الحقيقة.

إن قلت: لكن المفسرين جعلوا قوله: (علي حكيم) وصفاً للقرآن.

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنهم اعتمدوا على السياق وهو لا يقاوم الظهور، لاسيما مع تضافر القرائن المعاضدة للظهور، وحتى على فرض التعارض بين الظهور والسياق فإن الرجحان للظهور كما حقق في المباحث الأصولية، بل السياق لا ينافي الظهور؛ لامتناع حمل الوصف على القرآن لأنه من توضيح الواضح. هذا أولاً.

وثانياً: لأن أم الكتاب اسم علم لسورة الحمد، وليس للوح المحفوظ باتفاق كلمة المسلمين، وفي سورة الحمد ذكر علياً عليه السلام وذريته ولم يذكر القرآن؛ لأنهم أصحاب الصراط الذين أنعم الله عليهم <sup>(١)</sup>.

ثانيهما: لا تنافي بين السياق والظهور حتى على فرض حمل الوصف على القرآن؛ لأن القرآن وعلي عليه السلام متحدان، وهما مظهران لحقيقة واحدة؛ لقول النبي المصطفى صلى الله عليه وآله: ﴿علي مع القرآن والقرآن مع علي﴾ <sup>(٢)</sup> وهو الذي جمعه وذكر معانيه وتنزيله وتأويله.

---

(١) انظر الكافي: ج ١٢، ص ١٥٠، ح ١١٣٦١؛ مسند أبي بصير: ج ١، ص ٥٨٢، ح ١١٦٦.

(٢) الأمالي (للطوسي): ص ٤٦٠، ح ١٠٢٨؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج ٧، ص ١٦٥؛ المعجم الصغير: ج ١، ص ٢٥٥؛ المستدرک (للحاكم): ج ٣، ص ١٢٤.

فيتحصل: أن الباري عزَّ وجلَّ نصَّ على اسم عليٍّ عليه السلام في القرآن ووصفه بالحكمة؛ لأنه المبيِّن والمفسِّر والشارح لدلائل القرآن، والآيات التي يمكن الاستدلال بها على ذلك عديدة.

### النص العام عليهم عليهم السلام

ومن الثاني: أي النص عليهم بالمجموع فأيات كثيرة.

منها: قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ<sup>(١)</sup>﴾ والذكر هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله كما نصت عليه الآية، وأهل الذكر هم آله الأطهار عليهم السلام.

وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ<sup>(٢)</sup>﴾ وياسين هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله، و (إل) أخص الناس به وهم أسرته، في مقابل (آل) أي العشيرة.

ومنها: آية التطهير؛ إذ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا<sup>(٣)</sup>﴾ وقد أجمع المسلمون على أن المقصود أهل بيت النبي صلَّى الله عليه وآله، وأنهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وتواتر هذا عن الصحابة والأئمة الأطهار عليهم السلام.<sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٣٠.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٩٣؛ تفسير الفرات: ص ١١٠، ح ١١٢؛ وانظر نهج الحق وكشف الصدق: ص ١٧٣، والهامش (٢).

## أهل البيت اسم خاص

و (أهل البيت) اسم علم للطيبين الأَطهار عَلَيْهِ السَّلَامُ، وضعه البارِي عَزَّ وَجَلَّ بالوضع التعييني في الآية، ورسخه النبي ﷺ في الأذهان، وهو المتبادر منه عند المسلمين.

وقد ورد عن أبي الحمراء قال: خدمتُ النبي ﷺ نحواً من تسعة أشهر، فما مر يوم يخرج فيه إلى الصلاة إلا جاء إلى باب علي وفاطمة، فأخذ بعضادتي الباب ثم يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الصلاة رحمة الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه الحقيقة كانت معروفة لدى جميع المسلمين، حتى أن نساء النبي ﷺ أقررن بأنهن لسن من أهل البيت المعنيين بالآية، كما ورد عن أم سلمة التي نزلت الآية في بيتها<sup>(٢)</sup>، وعائشة<sup>(٣)</sup>، وزينب<sup>(٤)</sup>، ويعضده تذكير ضمير الخطاب (ليذهب عنكم) فإنها نافية لدخول نساء النبي ﷺ في الآية. إن قال قائل: فلماذا ذكرهم بلسان الجمع وكان الأفضل أن يذكرهم فرادى بأسمائهم؟

(١) انظر شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٨٢، ح ٧٠٢.

(٢) انظر المستدرک (للحاكم): ج ٢، ص ٤١٦؛ سنن البيهقي: ج ٢، ص ١٥٠؛ تأريخ بغداد: ج ٩، ص ١٢٨، ح ٤٧٤٣؛ ذخائر العقبى: ص ٢٣؛ شواهد التنزيل: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٧٣١.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ٣، ص ٤٩٣ - ٤٩٤.

(٤) شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٥٥؛ ج ٢، ص ١١٨.

قلت: لأنه قبيح يتنافى مع حكمة الحكيم، فإن النهج العقلاني في المحاورات أن الحكيم إذا أراد ذكر جماعة يجمعهم عنوان واحد لا يذكر أسماءهم واحداً واحداً؛ لأنه لغو وخلاف الحكمة، وإنما يكتفي بندايتهم بالعنوان الجامع، وهذا هو نهج القرآن، كما عبر عن (آل عمران) و (آل إبراهيم) و (آل داود) و (آل ياسين)، وهو كذلك في الاستعمالات العرفية، فإن الجماعات يسمونهم باسم عشيرتهم، فيقال: (عشيرة فلان)، أو باسم أسرهم (آل فلان)، وهكذا.

ولما كان المعني في الآية أربعة بالفعل وباقي الأئمة عليهم السلام بالإطلاق والملاك ومن يرتبط بهم ويكون منهم مثل العقيلة زينب وعلي الأكبر وأبي الفضل العباس عليهم السلام وأمثالهم من كرماء البشر امتنع ذكر أسمائهم واحداً واحداً، فخاطبهم باسم يشملهم جميعاً، ولا يختلف أحد من المسلمين على هذه الحقيقة، وقد رواها جمهرة كبيرة من الرواة والمحدثين، منهم الحسكاني في شواهد التنزيل<sup>(١)</sup>، وذكر لها أسانيد عديدة، وجلال الدين السيوطي في الدر المنثور<sup>(٢)</sup> بطرق عديدة، والطحاوي في مشكل الآثار<sup>(٣)</sup>، والهيثمي في مجمع الزوائد<sup>(٤)</sup>، وأحمد بن حنبل في مسنده<sup>(٥)</sup>، وابن حجر في

(١) شواهد التنزيل: ج ٢، ص ١٩٢.

(٢) الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٨.

(٣) مشكل الآثار: ج ١، ص ٣٣٢.

(٤) مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٢١.

(٥) مسند أحمد: ج ١، ص ٢٣٠؛ وج ٤، ص ١٠٧.

الصواعق<sup>(١)</sup> ، والطبري في تفسيره<sup>(٢)</sup> ، وابن الأثير في أسد الغابة<sup>(٣)</sup> ، والنسائي في خصائصه<sup>(٤)</sup> ، وغيرهم الكثير بما يوجب اليقين بصدق ما وقع في سنده ودلالته، وتلفت الأنظار إلى حقيقتين:

### الطهارة التكوينية لآل محمد ﷺ

الأولى: أن آية التطهير نصت على أن الله سبحانه يريد أن يطهرهم، وهذه الطهارة ليست تشريعية حكومية؛ لأن المسلمين مكلفون بالطهارة الشرعية، وإنما هي طهارة تكوينية، وهي التي لا يقدر على فعلها إلا الخالق بأن يجعل مخلوقه طاهراً منزهاً من كل دنس ورجس، وفي آية أخرى قال تعالى في القرآن: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> بصيغة اسم المفعول، فيدل مجموع الآيتين على استثناءين لأهل البيت ﷺ عن سائر الناس يتعلقان بالقرآن:

الأول: أن كل أحد لا يمكنه أن كتابة القرآن من دون وضوء وطهارة إلا لأهل البيت ﷺ فإنهم مطهرون في ذواتهم.

الثاني: أن فهم معاني القرآن ودرك مقاصده ودلائله منحصر بهم ﷺ؛ إذ لا يمسّه إلا من طهره الله سبحانه وجعله طاهراً، وهو مفاد المس في

---

(١) الصواعق المحرقة: ص ٨٥.

(٢) تفسير الطبري: ج ٢، ص ٥.

(٣) أسد الغابة: ج ٤، ص ٢٩.

(٤) خصائص النسائي: ص ٤.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

اللغة، فإنه يطلق على ما يدرك بحاسة اللمس أو بالعقل والبصيرة<sup>(١)</sup>.

### مزايا أهل البيت عن نساء النبي ﷺ

الثانية: أن القرآن ميّز بين أهل بيت النبي ﷺ وبين نسائه بميزتين:

إحدهما: أنه حينما تحدث عن نساء النبي ذكر بيوتهن بصيغة الجمع، والقاعدة تقتضي انحلال الجمع إلى أفراده، فلكل زوجة من نسائه ﷺ بيت، وقد نسبها إليهن؛ إذ قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ﴾<sup>(٢)</sup> فجعل تميزهن بالتقوى، وبمقتضى مفهوم الشرط أن غير المتقية منهن لا فضل لها، ولذا نهاهن عن الخضوع في القول وأمرهم بالإقرار بالبيوت، فقال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجعل البيوت جمعاً ونسبها إليهن، مما يدل على أنهن كسائر بيوت الناس، يعلو شأنها بالتقوى وطاعة الله والرسول ﷺ، ولما أمر المسلمين أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول على النبي ﷺ أيضاً ذكر بيوته بصيغة الجمع فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ونهاهم عن محادثة نساء النبي إلا من وراء حجاب؛ لأن ذلك أظهر

(١) انظر مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٠٦، (مس).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

لقلوبهم وقلوبهن .

بخلاف آية التطهير فإنه أفرد البيت ونسب الأهل إليه، ولم يأمرهم بالطاعة ولم ينههم عن المعصية؛ لأنه شهد لهم بالطهارة والعصمة، وهذا شاهد آخر على أن بيت النبي ﷺ غير بيوته .

### البيت الروحي والبدني

بيت النبي ﷺ هو البيت الروحي المعنوي الذي يمثل مكانة النبي ﷺ ومقامه، أما بيوته فهي تمثل أزواجه ونسائه ولا تمثله روحاً ومنهجاً إلا بمقدار ما يطعن الله ورسوله، ولذا أمرهن بالقرار

بالبيت وعدم الخروج منه، وفي ذلك إشارة إلى ما يفعله بعض نسائه في الخروج إلى حرب أمير المؤمنين ﷺ .

وبذلك يتضح السر في إدراج آية التطهير في ضمن الحديث عن نساء النبي ﷺ، وذلك لبيان الفرق الجوهرية بين المرتبتين بالنبي ﷺ وخواصه، فبعضهم مرتبطون به جسدياً، وبعضهم روحياً هذا أولاً .

وثانياً: لأن من القبيح أن يتحدث القرآن عن نساء النبي ﷺ وبيوته الظاهرية ويهمل ذكر بيته المعنوي والإشادة به .

ثانيهما: أن بيوت النبي ﷺ نسبت إلى نسائه، أما بيت علي وفاطمة عليهما نسب إلى النبي للإشارة إلى أن بيوت النساء يمكن أن يفارقها النبي ﷺ ولا يدخلها، كما لو طلق زوجته، بخلاف بيته فإنه ملازم له ولا ينفك عنه، فهو بيته الحقيقي ظاهراً وباطناً، وبذلك يتضح أن القرآن ذكر آل محمد عليهم تارة بالأسماء الصريحة، وتارة بصيغة الجمع، وتارة بأنحاء أخرى تأتي إليها .

## ذكرهم ﷺ بالكناية

الثالث: أي ما ذكر بالكناية التي هي أبلغ من التصريح، فهي آيات كثيرة جداً، ينحصر المعنى في آل محمد ﷺ ولا يشاركون أحد فيه من المسلمين. ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(١)</sup>

وقد اتفق المسلمون على أن المراد بالقربى هم علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، وقد روى ذلك الجمهور في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> و مسند أحمد<sup>(٣)</sup> والثعلبي<sup>(٤)</sup>، والسيوطي<sup>(٥)</sup>، والطبري<sup>(٦)</sup>، والحاكم<sup>(٧)</sup>، وابن حجر<sup>(٨)</sup>، وغيرهم الكثير<sup>(٩)</sup>، ولا ينازعهم في هذه التسمية أحد من الصحابة باتفاق كلمة المفسرين، إما باختصاص مفردة القربى بهم، أو بشمولها لهم بالعموم، فهم معنيون على كل تقدير، والذي عليه الأكثر هو الأول، وقد روى عن النبي ﷺ قوله: ﴿من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان﴾

(١) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٢) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١٥٤؛ ج ٦، ص ٣٧.

(٣) مسند أحمد: ج ١، ص ٢٨٦.

(٤) تفسير الثعلبي: ج ٢٣، ص ٣٤٨.

(٥) الدر المنثور: ج ٧، ص ٣٤٦.

(٦) تفسير الطبري: ج ٢٠، ص ٤٩٨.

(٧) المستدرک: ج ٢، ص ٤٤.

(٨) الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٤٨٨.

(٩) انظر نهج الحق وكشف الصدق: ص ١٧٥، الحاشية (٣).

إلى آخر الحديث <sup>(١)</sup> ، ولو نسأل كل المسلمين بل كل أهل الأديان من هم قربي النبي ﷺ؟ لقالوا: هم علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، فماذا ينبغي أن يقول القرآن حتى يصدق بعض المسلمين؟

وقد اتفق أهل البيت ﷺ - وهم أعلم الناس بالقرآن - على أن القربي هم آل محمد ﷺ حصراً.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ <sup>(٢)</sup> في قضية مبيت أمير المؤمنين ﷺ في فراش النبي ﷺ، وقد تواتر بطرق العامة فضلاً عن الخاصة أن المقصود علي بن أبي طالب ﷺ. روى ذلك ابن الأثير <sup>(٣)</sup> ، والحسكاني <sup>(٤)</sup> ، والحاكم <sup>(٥)</sup> ، وأحمد <sup>(٦)</sup> ، والطبري <sup>(٧)</sup> ، وكذا في نور الأبصار <sup>(٨)</sup> ، وينايع المودة <sup>(٩)</sup> ، وتفسير الرازي <sup>(١٠)</sup> ، وغيرهم الكثير.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن: ج ٢٥، ص ٣٤٤؛ روح المعاني: ج ٢٥، ص ٤٤-٤٥؛

تفسير الشعراوي: ج ١٨، ص ٥١٤؛ تفسير الرازي: ج ٢٧، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٣) أسد الغابة: ج ٣، ص ٦٠١.

(٤) شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٢٣.

(٥) المستدرک (للحاكم): ج ٣، ص ١٣٢.

(٦) مسند أحمد: ج ١، ص ٣٣١.

(٧) تفسير الطبري: ج ٩، ص ١٤.

(٨) نور الأبصار: ص ٨٦.

(٩) ينايع المودة: ص ٢٧٣.

(١٠) تفسير الرازي: ج ٥، ص ٣٥٠.

ومنها: آية المباهلة مع نصارى نجران، فقد أجمع المفسرون والمحدثون أن قوله: (أبناءنا) الحسن والحسين و: (أنفسنا) هو علي بن أبي طالب و: (نساءنا) فاطمة سلام الله عليها، وممن روى ذلك مسلم<sup>(١)</sup>، والصواعق المحرقة<sup>(٢)</sup>، و مسند أحمد<sup>(٣)</sup>، والترمذي<sup>(٤)</sup>، ومستدرک الحاكم<sup>(٥)</sup>، والبيهقي<sup>(٦)</sup>، وتفسير الطبري<sup>(٧)</sup>، وفي تفسير البيضاوي<sup>(٨)</sup>، بعد ذكر الخبر قال: فقال أسقفهم: يا معشر النصارى! إني أرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، وقال الزمخشري في تفسير الآية: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام<sup>(٩)</sup>.

ومنها: آية التصديق بالخاتم، أي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقد

(١) صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨٧٠، باب فضائل علي عليه السلام.

(٢) الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٤٢٨.

(٣) مسند أحمد: ج ٣، ص ١٦٠.

(٤) الترمذي: ج ٥، ص ٢٢٥.

(٥) المستدرک (للحاكم): ج ٥، ص ١٨٩.

(٦) سنن البيهقي: ج ٧، ص ٦٣.

(٧) تفسير الطبري: ج ٦، ص ٤٨٢.

(٨) تفسير البيضاوي: ج ٢، ص ٢٠.

(٩) الكشف: ج ١، ص ٣٧٠.

(١٠) سورة المائدة: الآية ٥٥.

أجمع المسلمون على نزولها في علي عليه السلام<sup>(١)</sup> ، والولي هو الذي يتولى أمور الخلق ويدبر شؤونهم، وتواتر في كتب الحديث والتفسير والكلام والفقهاء ذلك، ونص الكبار منهم على صحة ما ورد في ذلك بما لا يبقى معه شك أو شبهة، وقد جمع الأميني قدس سره في كتابه الغدير<sup>(٢)</sup> ، والعلامة الفيروزآبادي قدس سره في فضائل الخمسة<sup>(٣)</sup> ، والسيد شرف الدين قدس سره في المراجعات<sup>(٤)</sup> الكثير من المصادر التي ذكرت ذلك.

### الأسماء الرمزية

الرابع: جملة من الآيات التي أشارت إليهم بواسطة الحروف المقطعة.  
منها: قوله تعالى: ﴿طه﴾ \* ما أنزلنا عليك القرآن لتشتكى ﴿٥﴾ وقوله تعالى: ﴿يس﴾ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٦﴾ وقوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿٧﴾  
فإنها أشارت إلى النبي صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم بالاسم الصريح، بناء على أن (طه) و (يس) و (ن) من أسماء العلم للنبي صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم، كما وردت به بعض الأخبار<sup>(٨)</sup> ، أو الإشارة

- 
- (١) نهج الحق وكشف الصدق: ص ١٧٢.  
(٢) الغدير: ج ٣، ص ٢١٤ - ٢١٧.  
(٣) فضائل الخمسة من الصحاح السنة: ج ١، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.  
(٤) المراجعات: ص ١٥٤ - ١٥٦.  
(٥) سورة طه: الآيتان ١ و ٢.  
(٦) سورة يس: الآيتان ١ و ٢.  
(٧) سورة القلم: الآية ١.  
(٨) الخصال: ص ٤٢٦، ح ٢؛ الأمالي (للصدوق): ص ٦٢٢، ح ١؛ تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٢٦٧، ح ٤.

إلى أبرز الصفات.

فإن (طه) تعني الطاهر، وعن الصادق طهارة أهل بيت محمد من الرجس<sup>(١)</sup>، و (يس) الياء للنداء، وسين أي سيد الوجود والإنسان الكامل، و (ن) أي النور الذي به قام العلم والمعرفة والصفات الإنسانية العالية، ولذا قال بعدها ﴿وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ثم شهد له بعظمة الخلق فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ما ورد عن صاحب الزمان عليه السلام في عاشوراء

وأما في العترة الطاهرة عليهم السلام، فقد ورد قوله تعالى في مفتتح سورة مريم: ﴿كَهَيْعِصَ﴾<sup>(٣)</sup> كشف عن هذه الحقيقة مولانا حجة الزمان عليه السلام في حديثه لسعد بن عبد الله القمي<sup>(٤)</sup>، فقد روى الصدوق في كمال الدين بإسناده إلى سعد بن عبد الله القمي قوله:

قلت: فأخبرني يا بن رسول الله عن تأويل ﴿كَهَيْعِصَ﴾ قال: ﴿هذه الحروف من أنباء الغيب. أطلع الله عليها عبده زكريا، ثم قصها على

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣٠٤، ح ١.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٣) سورة مريم: الآية ١

(٤) وقد كان شيخ الطائفة وفقهها ووجهها لقي العسكري والحجة عليهما السلام. توفي عام ٣٠١، وقيل ٢٩٩، ووقع في (١١٤٢) مورداً من روايات الكتب الأربعة، وقد اتفقوا على جلالته قدره في ضمن أسئلة كثيرة أجابه عنها؛ الموسوعة الرجالية الميسرة: ص ٢١٠ (٢٥٥٣).

محمد ﷺ، وذلك أن زكريا ﷺ سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فأهبط الله عليه جبرائيل ﷺ فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سري عنه همه وانجلى كربيه، وإذا ذكر الحسين ﷺ خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة<sup>(١)</sup> فقال ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرتُ أربعاً منهم ﷺ تسليتُ بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين ﷺ تدمع عيني وتثور زفرتي؟

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته، وقال ﴿كهيعص﴾ فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد لعنه الله وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره، فلما سمع ذلك زكريا ﷺ لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهي أتفجع خير خلقك بولده؟ إلهي أنتزل البلوى هذه الرزية بفنائهم؟ إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحل كربة هذه الفجيعة بساحتها؟ ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني عند الكبر، واجعله وارثاً وصياً، واجعل محله مني محل الحسين ﷺ، فإذا رزقتنيه فافتني بحبه، ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك ﷺ بولده، فرزقه الله يحيى ﷺ وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر، وحمل الحسين ﷺ كذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) أي تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء، المعجم الوسيط: ج ١، ص ٧٣، (بهرة).

(٢) كمال الدين: ص ٤٦١، ح ٢٢؛ تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٣٢٠، ح ٣.

وقد روى هذه الرواية القندوزي الحنفي في ينابيع المودة أيضاً<sup>(١)</sup>، والرواية مفصلة وفيها معارف جمّة، وقد تضمنت هذه القطعة منها دلائل كثيرة:

### أسرار الحروف المقطعة

الأولى: أن الحروف المقطعة في القرآن رموز وإشارات تتضمن علوماً ومعارف غيبية خاصة بأوليائه لا يعرفها أحد غيرهم، وقد اتفق المفسرون على أنها من المتشابهات، ولا محكم يمكن الرجوع إليه لفهم التشابه فيها سوى الرجوع إلى الله تعالى ورسوله وعترته الطاهرة عليهم السلام، وفي طريقة الأئمة في بعض الأدعية ورد التوسل بفواتح السور، وهذا شاهد على أن لها مفاتيح وأسراراً، وأن لمعانها قيمة عظيمة عند الله سبحانه<sup>(٢)</sup>.

ويشهد له أن الحروف المقطعة أسماء باتفاق أهل اللغة وليست حروفاً ولكن تقرأ مقطعة، ولا شك في أنها ليست من المهملات، بل مستعملة في معان خاصة لا يعرفها إلا أهلها، ويشهد له أيضاً أن العرب لم يستغربوا منها، ولم يعيوا ذكرها، مع أنها لو كانت مهملة أو معيبة لوجدوها ذريعة للقدح بالقرآن، لكن الأمر عكس ذلك؛ إذ بهرهم ذكرها في أوائل السور، وأخذ بمجامع قلوبهم، ومعنى ذلك أنهم كانوا يعرفون لها أسراراً لا يمكن معرفتها إلا بواسطتهم عليهم السلام، وهذه هي القاعدة لدى العقلاء، فإن في كل علم وفن توجد مفردات ومصطلحات وإشارات خاصة لا يعرفها إلا أهل

(١) ينابيع المودة: ص ٤٦٠.

(٢) انظر مواهب الرحمن: ج ١، ص ٨٠.

الاختصاص، فلذا لا يصح لغيرهم بيانها أو الكشف عن معناها فضلاً عن إنكارها، وكذا القرآن تضمن هذه الرموز والإشارات، ولا يمكن المفسر أو عالم أن يدرك معناها، بل لا بد من الرجوع فيها إلى أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم المختصون بعلوم القرآن الكريم، وهذا ما قرره القرآن بقوله: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا أخبروا بقضية ما يجب على السامع أن يصدقها؛ لأنهم الصادقون الذين أمر الله تعالى بالسؤال منهم وتصديقهم، فالذي يشك بذلك أو يرده بمزاجه يكون قد خالف وجدانه؛ لأن العقل يحكم بوجوب تصديق الجاهل للعالم بما يخبر، كما خالف أمر الله تعالى.

وأما النقل فتضافر بطرق الفريقين أن المراد بأهل الذكر في أعلى مصاديقه هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ورد ذلك عن طائفة كبيرة من مفسري العامة أيضاً، مثل أبي يوسف وابن حجر ومقاتل بن سليمان ووكيع بن الجراح وقتادة والسدي ومجاهد وغيرهم<sup>(٢) (٣)</sup>.

### أثر اسم الحسين عليه السلام

الثانية: أن حزن زكريا وبكائه على الحسين عليه السلام كان من الأثر التكويني الذي ينزل به دون اختيار، ولعل سببه يعود إلى أن لاسم الحسين عليه السلام الأثر

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٢) انظر شرح إحقاق الحق: ج ٣، ص ٤٢٨؛ تفسير الأمثل: ج ٨، ص ٢٠٠.

(٣) وانظر الكافي: ج ١، ص ٢١٠-٢١٢، ح ١، ح ٤، ح ٧، ح ٨، ح ٩.

على القلوب والنفوس، فينزل فيها الحزن، وقد عهد من بعض أهل المعرفة أن المؤمن إذا نادى (يا حسين) وكرره مرات تنزل دموعه دون اختيار منه، ولكن بعد أن عرف زكرياء عليه السلام بقضيته أقام له الحزن والعزاء، وتضمنت دلالة على أن ذكر الأربعة الطيبة فيها ما يزيل الهم والغم عن القلوب.

**الثالثة:** أن الله سبحانه حكى قضية الحسين عليه السلام لأبيائه، وقد تكررت هذه الحادثة مع آدم وإبراهيم ونوح وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، ولما سمع زكريا بذلك طلب أن يفجعه الله بولده كما يفجع رسول الله صلى الله عليه وآله بولده، وفي ذلك إشارة إلى أن الأنبياء يبحثون عن وسائل القرب من الله تعالى ومن آل محمد عليهم السلام، وأفضل وسائل القرب هو الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام والتضحية لأجله بالنفس والولد.

وقد استجاب الله سبحانه له لأنه يجب ذلك، فوهب له يحيى عليه السلام، ثم فجعه به؛ إذ قتلوه ذبحاً، وأهدوا رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، وهذا ما كان يذكره الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء، وذات القضية وقعت مع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فأمره بذبح ولده <sup>(١)</sup>، وبه يعرف الترابط الفكري والمعنوي بين أنبياء الله وأوليائه، ولعل هذا أحد وجوه السر الذي ذكر البارئ عز وجل قصة مريم وزكريا عليهما السلام في سورة مريم، وابتدأها بـ ﴿كهيعص﴾.

ويتلخص: أن القرآن الكريم أشار إلى العترة الطاهرة بالحروف المقطعة، وفصل أهم ما يجري عليهم في كربلاء، وقد كان الحسين عليه السلام فيها يمثل رسول الله وعلياً وفاطمة وسائر الأئمة عليهم السلام، بل جميع الأنبياء والأولياء.

(١) انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٨٧، ح ١؛ التفسير الصافي: ج ٤، ص ٢٧٩.

## تسميتهم ﷺ بأسماء العبادات

الخامس: تسميتهم بالصلاة والصيام والحج وغيرها من العبادات الواردة في القرآن، وذلك باعتبارات ثلاثة:

الأول: بأن ولايتهم مدار الأعمال في معرفة كيفيتها وقبولها، فصحة العمل وقبوله يدور على الولاية، والشيء ينسب إلى علته وغايته.

الثاني: باعتبار وحدة الأثر، فإن غاية العبادات طاعة الله تعالى والتقرب منه، وكذلك ولايتهم ﷺ، فلو جاء العبد بكل العبادات دون محبتهم أو كان مبغضاً لهم وكان في النار.

الثالث: أنه من التعريف بالمصداق الذي هو أعلى مراتب التعريف كما بيناه في معنى ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا ورد في رواية داود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: أنتم الصلاة في كتاب الله عز وجل، وأنتم الزكاة، وأنتم الحج؟ فقال: ﴿يا داود! نحن الصلاة في كتاب الله عز وجل، ونحن الزكاة، ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله، قال تعالى: ﴿فَأَيُّمَا تُولُوا فَعَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، ونحن الآيات، ونحن البيئات، وعدونا في كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبث والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير.

يا داود! إن الله خلقنا وأكرم خلقنا، وفضلنا وجعلنا أمناه وحفظته

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٥.

وُخزانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أصدقاءً وأعداءً، فسَمَّانا في كتابه، وكنَّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنية عن العدو، وسَمَّى أصدقاءنا وأعداءنا في كتابه وكنَّى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين<sup>(١)</sup>.

وهذا أحد معاني الظهر والبطن في القرآن، فإن العبادات والفضائل لها ظاهر ولها باطن، فظاهرها صلاة وصيام ونحوهما، ولكن جوهرها محمد وآل محمد ﷺ، والمنكرات والرذائل هو واقع أعدائهم.

وقد قرر الفقهاء أن العبادة لها صحة ولها قبول، وصحة العمل يعني الإتيان به جامعاً لأجزائه وشرائطه، وهو أمر بيد المكلف فعله، وأما قبوله فيعود إلى الله سبحانه، ويتعلق بصدق العمل وإخلاصه، وكلاهما أي الصحة والقبول يتوقفان على ولاية آل محمد ﷺ، فالعمل بدون ولاية ناقص وغير مقبول؛ لأن الولاية شرط للاثنين.

### السورة النازلة بأسمائهم ﷺ

السادس: سورة الدهر التي نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، وسورة العاديات نزلت في علي ﷺ، وسورة الفجر نزلت في الحسين ﷺ وفي المهدي ﷺ، والكوثر نزلت في الصديقة الطاهرة ﷺ بقريته قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) البرهان: ج ١، ص ٥٢، ح ١٠.

(٢) سورة الكوثر: الآية ٣.

وعن الرازي في تفسيره أن الكوثر أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يُعبأ به <sup>(١)</sup>؟

وقد وردت روايات عديدة تفسره بنهر في الجنة، وقد وردت رواية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجمع بين المعنيين، فلما سئل عنه قال: ﴿منازلي ومنازل أهل بيتي﴾ <sup>(٢)</sup>. وسورة النصر في حجة الزمان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من السور التي وردت فيهم.

ويتحصل من ذلك: أن القرآن الكريم ذكر محمداً وآل محمد عليهم السلام بالنص الصريح أو بالأفراد أو بالمجموعة، أو ذكرهم بالكنايات الواضحة التي لا يختلف في أنهم المقصودون بها، فضلاً عن بعض السور الكاملة، فدعوى عدم ذكرهم مجانبة للصواب.

وعليه فهل من يزعم أن القرآن لم يذكرهم بعد كل هذا الكم الوفير من الآيات والروايات التي هي فوق التواتر يعد نفسه مصدقاً للكتاب والسنة، أم هو واقع في تكذيبهما؟ والذي يطالب بدليل من القرآن ولا يقبل ما ورد في السنة هل يمكن عده مصدقاً بالسنة؟

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج ٣٢، ص ٣١٣.

(٢) شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٤٨٦؛ تفسير الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٠٣؛ تفسير

أبي حمزة الثمالي: ص ٣٦٦، و ص ٤١٢.

(٣) انظر تفسير القمي: ج ٢، ص ٤٤٦، الهامش.

## سر عدم التصريح بأسمائهم

إن قلت: لماذا لم يصرح بأسمائهم الصريحة أكثر من الإشارات والتلميحات التي توجب الاختلاف؟.

فالجواب: لاقتضاء الحكمة الإلهية ذلك من ناحيتين: ناحية الحكمة اللطيفة، وناحية الحكمة التدبيرية، وقبل الدخول في الإجابة أقدم مقدمة خلاصتها:

### الحكمة الإلهية

إن الله سبحانه بعث رسولاً ﷺ إلى الناس رحمة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأنزل القرآن عليه لتحقيق هذه الغاية، فبه يعلمهم ويتم عليهم الحجة ويزكيهم، وهذا يستدعي أن يعمل كل ما من شأنه أن يهديهم ويصلحهم وينقذهم من الجاهلية ويجذبهم إلى الإسلام، ومن هنا قرر جملة مبادئ توصلنا إلى هذه الغاية. أذكر ثلاثة منها:

الأول: جعل العفو والسماحة منهجه، فلا يؤاخذ الناس على ما كانوا قد فعلوه في الجاهلية.

الثاني: أعطى لأعدائه وخصومه الأمان، ولمن يؤمنونه كذلك، ولما فتح مكة وانتصر على الكفار عفا عن الجميع، وجعل بيت أبي سفيان الذي هو رئيس حزب الكفار المحرّضين مكاناً آمناً، فقال من دخله كان آمناً، ثم لما جاؤوا بمحاربيهم من أهل مكة وكبارهم وصناديد قريش لم يؤاخذهم بشيء، وهم من قبل ظلموا المسلمين، وصادروا أموالهم، وشنوا الحروب عليهم، لكنه عفا عنهم وقال: ﴿اذهبوا فأنتم الطلقاء﴾

والقضية طويلة وفيها فوائد جمة<sup>(١)</sup>.

الثالث: جعل للمخالفين الذين يحبون المال والعزة ما يرضيهم، وفي الزكاة أعطاهم سهماً سمي بسهم المؤلفة قلوبهم لأجل جذبهم إلى الدين وتحييد عداوتهم، وأمر الباري عزَّ وجلَّ رسول الله ﷺ بأن يتبع مع عموم الناس - وفيهم المؤمنون وضعاف الإيماان والمنافقون وأهل الكتاب غير المحاربين - سياسة الرحمة والعفو واللين لأجل جذبهم إلى الدين؛ إذ قال سبحانه في ذلك: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> والانقضااض الانتشار والتفرق عن رغبة.

ونلاحظ أن اللطف والرحمة الإلهية تشمل جميع الناس لأجل إدخالهم في الإسلام، ويكون الإسلام لهم الأمن والأمان والخيمة التي تجمعهم، ولو عاملهم رسول الله ﷺ بالشدة والغلظة لانفضوا من حوله ودبروا المكائد وشنوا الحروب، وما دخل منهم أحد في الإسلام، بل

ولأعاقوا انتشاره، فهذه الحكمة الإلهية واللطف الرباني رفع النبي ﷺ الموانع من دخول الناس الإسلام، فلما رأوا الناس كل ذلك صاروا يدخلون في دين الله تعالى أفواجا، ولولاه لما دخلوه، وهذه الضابطة تنطبق على عدم التصريح بأسماء أهل البيت ﷺ في القرآن، فإنه لو سماهم

(١) انظر مجمع البيان: ج ١٠، ص ٨٤٥ - ٨٤٩، تفسير سورة النصر.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

بأسمائهم الصريحة لكان مانعاً من دخول الإسلام، واتخذ ذريعة للبقاء على الكفر، وبذلك يتضح الجواب عن السؤال من ناحيتين:

الناحية الأولى: الحكمة اللطيفة، فإنها تقتضي عدم ذكرهم لأسباب عديدة:

السبب الأول: عدم الحاجة إلى الذكر، فلو ذكرهم كان من توضيح الواضح، أو داعياً للأعداء لعدم الدخول في الإسلام، فالحكمة تقتضي عدم الذكر؛ لأن قرائن الكلام التي تكشف عن المعنى المقصود كانت متوفرة لديهم دون أدنى شك أو التباس، وكانت عقولهم ومداركهم غير مشوبة بالشبهات فيقبلون الحجة، وهذا أحد أسباب الإجمال في القرآن والاختصار على الجمل القصيرة، مثل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> فإن في ذلك الزمان كانوا معروفين للجميع ولا حاجة إلى بيانهم بالأسماء، وهذا ما شهد به أبو سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، ومثله ورد عن جابر الأنصاري وعبادة بن الصامت، وقال أنس: ما خفي منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾<sup>(٣)</sup>،<sup>(٤)</sup>

وكذلك: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ \* فَمَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ \*

(١) سورة التوبة: الآية ٧٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ١، ص ٢٦٧.

(٣) سورة محمد: الآية ٣٠.

(٤) مجمع البيان: ج ٩، ص ١٧٠ - ١٧٧، تفسير الآية ٣٠ من سورة محمد ﷺ.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ<sup>(١)</sup> فذكره ولم يسمه، ولم يسأل أحد من الصحابة عنه، ولكن لما طال الزمان سئل الإمام الباقر عليه السلام عنه فعرفه للناس فقال: ﴿هو ثعلبة بن حاطب، كان محتاجاً فعاهد الله، فلما آتاه الله بخل به، وقد دعا رسول الله فزاد رزقه حتى صار غنياً، فبعث رسول الله إليه لأخذ الصدقة والزكاة فأبى وبخل وقال: وما هذه إلا أخت الجزية<sup>(٢)</sup> .

وآل محمد عليهم السلام كان مقامهم معروفاً محفوظاً لدى الناس لا يجهلهم أحد حتى يحتاج إلى ذكرهم في القرآن، ويشهد له ثلاثة شواهد:

الشاهد الأول: ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ فقد روي أن صعصعة بن ناحية جد الفرزدق قدم على النبي صلوات الله عليه في وفد بني تميم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أوصني خيراً.

قال: ﴿أوصيك بأملك وأبيك وأدانيك<sup>(٣)</sup>﴾ قال: زدني يا رسول الله. قال: ﴿احفظ ما بين لحبيك ورجليك<sup>(٤)</sup>﴾ ولما سمع قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٥)</sup> فقال: حسبي ما أبالي أن لا أسمع من القرآن غير هذا<sup>(٦)</sup>؛ لأنه صاحب فطنة وفطرة وصفاء.

(١) سورة التوبة: الآيات ٧٥ - ٧٧.

(٢) تفسير كنز الدقائق: ج ٥، ص ٥٠٥.

(٣) أي أقاربك أو الذين تحت أمرك؛ وأسافلك كناية عن حفظ الفرج.

(٤) إما عطف على لحبيك فتفيد اللسان أو العطف على حفظ فيفيد حفظ الرجل من مزالق الحرام.

(٥) سورة الزلزلة: الآيتان ٧ و ٨.

(٦) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٢٠؛ تفسير كنز الدقائق: ج ١٤، ص ٣٩٥.

## معرفة المنافقين ببغضهم لعلي عليه السلام

وورد في مصادر الفريقين عن أبي ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>، وهذه كلها كان يعرفها الناس؛ لتوفر القرآن فيها بسبب المعاشرة، أما نحن فنتحتاج إلى بيان من السابقين وكشف عن أسمائهم لنعرفهم، فلو كان يذكرهم القرآن والناس تعرفهم كان من توضيح الواضح وهو قبيح.

## لماذا أحاديث النبي قصيرة؟

الشاهد الثاني: الحديث الوارد عن النبي وأمير المؤمنين عليه السلام، فإن الملحوظ فيه أنه قصير محكم يتصف بفصل الخطاب، بينما نلاحظ الأحاديث الواردة عن الأئمة كالباقر والصادق والرضا عليه السلام طويلة، والسبب يعود لأمرين:

الأول: أن الناس في زمان النبي وأمير المؤمنين عليه السلام كانوا أقحاحاً لا يحتاجون إلى التفصيل في الكلام، بل الجملة المختصرة تكفيهم لدرك المعنى، وهذا حتى في يومنا هذا، يفهم الأقحاح مداليل الكلام بالإشارات، ولا يحتاجون إلى التفصيل، لكنهم اليوم قلة وكان حال عامة الناس آنذاك، بينما في أزمنة الأئمة عليه السلام حيث اختلط المجتمع بأقوام آخرين من غير العرب ومن ثقافات مختلفة ضاعت الفطنة الكاملة، واحتاجت إلى التفصيل.

(١) المستدرك (للحاكم): ج ٣، ص ١٣٩؛ تاريخ الخلفاء (للسيوطي): ص ١٣٧؛

شرح إحقاق الحق: ج ٧، ص ٢٤٥؛ أسرار الإمامة: ص ٣٥١.

الثاني: أن الشبهات كانت قليلة، والمدارس الفكرية تكاد تكون معدومة، والمعارضة كانت في غالبها سياسية، والفكرية قليلة ومحدودة، بخلاف أزمنة الأئمة عليهم السلام فإن الشبهات صارت كثيرة، وتفرعت منها مدارس فكرية كانت تدعمها السياسة، وتشجع ذلك وتقويه، فما كان يكفي لبيان الحقائق إلى الناس الجملة القصيرة لرد الشبهات بل لا بد من التفصيل.

### عدم الحاجة إلى التصريح

والخلاصة: أن وجود القرائن المختصة بالكلام ونقاء الفطرة والعقول أغنى عن بيان الكثير من التفاصيل، وهذا ما كان عليه الناس حين نزول القرآن، فما احتاج إلى ذكر أهل البيت عليهم السلام لوضوح مقامهم ومكانتهم وعلو قدرهم. ولما رحل النبي صلى الله عليه وآله عن الدنيا ومنعوا تدوين الحديث وأسست السياسة الوضع وظهرت الفرق المتدعة وقعت الشبهات الكثيرة، فاحتاج الناس إلى بيان التفصيل، ولذا قد لا نجد تساؤلات كثيرة من الناس عن الكثير من تعاليم القرآن في زمان النبي وأمر المؤمنين عليهم السلام، وأكثر الشبهات والتساؤلات ظهرت في عصور الأئمة عليهم السلام.

### الإقرار بمناقب علي عليه السلام

الشاهد الثالث: أن المخالفين لآل محمد في المنهج يقرون بأن لعلي عليه السلام ثلاثين ألف منقبة<sup>(١)</sup>، بل تضافر بطرق الفريقين أن الكثير من الآيات كانوا

(١) مناقب الخوارزمي: ص ٣٣؛ فرائد السمطين: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٢٩١ وح ٢٩٢؛ أسرار الإمامة (للطبري): ص ٣٥١؛ شواهد التنزيل: ج ١، ص ٣١،

يقرؤونها تنزيلاً وتأويلاً، فقد ورد بطرق العامة عن ابن مردويه: (كنا في عهد رسول الله نقرأ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين)<sup>(١)</sup> وردت في البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>، وهذه حقيقة كانت تقوم عليها قراءة الناس للقرآن، وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن النبي المصطفى ﷺ كان يذكر فضائل علي عليه السلام ويشيد بها في كل الأوقات، فضلاً عما تظهر له من آيات وكرامات بما لا يخفى أمرها على كل أحد.

ثانيهما: أن في عظام الأمور كان يستند إلى علي عليه السلام في إنجازها، ويستخلفه ويدعو الناس إلى حبه وطاعته وعدم مخالفته، وهذا التحشيد الكبير لذكره يكفي لكل صاحب عين وأذن في الإذعان لإمامة علي عليه السلام وعدم مخالفته.

### إنارة العقول والبصائر

السبب الثاني: ليفتح عقولهم وقلوبهم ليفكروا ويتدبروا ويتبصروا الحقائق فيرتقوا، ولكيلا يبقوا خائفين يتلقون الأمور تلقي الصبيان، ولذا أمر القرآن بالتدبر والتفكير والتعقل، كما أمر بالسؤال من أهل الذكر،

→

الهامش؛ ينابيع المودة: ج ١، ص ٣٦٣، الرقم ٣.

(١) فتح القدير (للسوكاني): ج ٢، ص ٦٠؛ شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٥٦، المتن والهامش؛

تفسير أبي حمزة الثمالي: ص ١٦٠، الهامش؛ البحار: ج ٣٧، ص ١٩٠، ح ٧٣.

(٢) انظر صحيح البخاري: ج ٨، ص ٢١٠؛ صحيح مسلم: ج ١، ص ١١٠.

ومعنى ذلك أن على الإنسان أن يفكر هو ويتوصل إلى الحقائق، فإن قصر عنها سأل أهل الذكر لمعرفة، والذكر هو رسول الله ﷺ وأهله هم آله الأَطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ولهذه الحقيقة شواهد كثيرة.

### أسماء أخرى لم تذكر

منها: قصة المنافقين، فإن القرآن تحدث كثيراً عنهم، وأنزل بهم سورة كاملة، ولم يسمهم بأسمائهم للناس، لأجل ماذا؟ لأجل أن لا يسيبوا الفتنة، ولا يكذبوا النبي ﷺ بالصراحة وينقضوا غرض البعثة، والناس حيث لا يعرفونهم يرجعون إلى النبي والإمام عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لمعرفة<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما ورد أن جماعة من المنافقين بلغوا (٢٤) نفرًا تواطؤوا على قتل النبي وأمير المؤمنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سعيًا منهم لهدم الإسلام، ولما خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى تبوك وخلف علياً عِليّاً فيها فحسدوه ودبروا لقتل رسول الله ﷺ في العقبة وقتل علي عِليّاً في المدينة، وباشروا بالتنفيذ في قصة مفصلة ولم يفلحوا، وقد كشفهم رسول الله ﷺ لحذيفة وكان معه، وسلمان وعمار والمقداد، فلما فشلت خطتهم حضروا عند رسول الله ﷺ وتظاهروا بأنهم جاؤوا ليهنتوه بالسلامة، فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن علي أهو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟

فقال رسول الله ﷺ: ﴿وهل شُرِّفت الملائكة - إلا بحبها لمحمد

(١) تفسير الإمام العسكري عِليّاً: ص ٣٨٠، ح ٢٦٥.

وعلي عليه السلام وقبولها لولايتها؟ إنه لا أحد من محبي علي عليه السلام وقد نظّف قلبه - من قدر الغش والدغل والغلّ ونجاسات الذنوب إلاّ كان أظهر وأفضل من الملائكة <sup>(١)</sup>.

ومنها: قصة العبد الذي أرسله الباري عزّ وجلّ لتعليم موسى عليه السلام مع أن الرجل المبعوث لهذه المهمة يشهد له القرآن بأنه عبد من عباده، وأنه أعطاه الله تعالى رحمة وعلماً لديّياً من غير تعلّم واكتساب، وأرسله لتعليم موسى عليه السلام الذي من هو أعظم الأنبياء عليه السلام، وكل ذلك يقتضي ذكر اسمه وخصائصه ليعرفه الناس ويتعلموا منه، إلاّ أن القرآن لم يسمّه، واكتفى بوصفه؛ إذا قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلّمني ممّا علّمت رُشدًا <sup>(٢)</sup>.

ولكن في الأخبار الواردة عنهم توجد تفاصيل لا يعرفها أحد غيرهم، فقد سمّاه الإمام الصادق عليه السلام بالخضر، وهو اسمه الثاني، أو وصفه الملازم، قال عنه عليه السلام: ﴿إن الخضر كان نبياً مرسلًا بعثه الله تعالى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آيته أنه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلاّ أزهرت خضراء، وإنما سمّي الخضر لذلك، وكان اسمه بلياً بن ملكا بن عامر <sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٨٣، ح ٢٦٥.

(٢) سورة الكهف: الآيتان ٦٥ و ٦٦.

(٣) علل الشرائع: ج ١، ص ٥٩، ح ١؛ التفسير الصافي: ج ٣، ص ٢٥١؛ وانظر نفحات الرحمن: ج ٤، ص ١٤٢؛ تفسير الرازي: ج ٢١، ص ١٤٩.

## ترسيخ مكانة المعصوم عليه السلام

السبب الثالث: ترسيخ مكانة المعصوم عليه السلام في الأمة، وهذا أسلوب الحكيم في تعليماته، فإنه لا يتكفل ببيان تفصيل المطلب ليترك مجالاً لمن يشرح ويبيّن الحقائق، وهذا أسلوب التعليم وتدوين العلوم والحكمة من وجود المدارس والجامعات، فإن الذي يدوّن العلم لا يمكنه أن يذكر كل تفاصيله، فلا بد للناس من معلم يكشف لهم الحقائق ويبين المجملات، ولو ترسخت مكانة المعلم في الناس ترسخت مكانة القدوة والهادي.

وهذه واحدة من حكمة بعثة الأنبياء عليهم السلام، لأن الناس لا بد لهم من معلم ومرشد، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(١)</sup> ووصف رسوله المصطفى صلّى الله عليه وآله بأنه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحتى الأنبياء عليهم السلام بينهم مراتب ومقامات؛ لأن الداني يحتاج إلى العالي في تعليمه، ولذا بعث لموسى الخضر عليه السلام الذي هو إمام الباطن، آتاه الله سبحانه علماً وأرسله ليعلّم موسى عليه السلام.

فكل الناس بحاجة إلى المعصوم عليه السلام، وبلا معصوم يعيشون التيه والضلالة، فكيف يرسخ القرآن هذه الحقيقة؟ لا بد وأن يتضمن المجملات ويكتفي بالإشارات لكي يستعلم الناس الحقيقة بالرجوع إليه.

(١) سورة الرعد: الآية ٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

## ترسيخ سنة الاختبار

السبب الرابع: ترسيخ سنة الاختبار في العباد، ويعرف من يتبع الحق ومن في قلبه مرض لتتم الحجة على الجميع، فالذين في قلوبهم مرض يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، والذين قلوبهم طيبة يتبعون المحكم، والمحكم هو القرآن والمعصوم معاً الذي أمر النبي ﷺ باتباعها؛ لذا قال تعالى بعد قوله ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(١)</sup> والسؤال كيف يؤول الله سبحانه لهم المعاني؟.

والجواب: ليس إلا النبي والعترة المعصومة عليهم السلام هي التي ترفع التشابه والغموض، فالذي يريد الإيمان يتبعها معاً.

فعدم ذكر القرآن لهم لا يقلل من شأنهم، بل صار وسيلة لاختبار العباد، وهذا ما قرره أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: ﴿إن الله جل ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يُحدث المُبدّلون من تغيير كتابه قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل وقسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وضح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمنائه والراسخون في العلم، وإنما فعل الله ذلك لئلا يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الاتّمار بمن ولّاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعزراً وافتراءً على الله عزّ وجلّ واغتراراً بكثرة من ظاهرهم

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

وعاونهم وعاند الله جل اسمه ورسوله<sup>(١)</sup> .

وهذه الحقيقة أذعن لها حتى أئمة المذاهب، فقد ورد أن الإمام الصادق<sup>(عليه السلام)</sup> قال لأبي حنيفة: «أنت فقيه أهل العراق»<sup>(٢)</sup>؟ قال: نعم. قال: فبأي شيء تفتي؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه. قال: يا أبا حنيفة! تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: نعم. قال: يا أبا حنيفة! لقد ادعيت علماً، ويملك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويملك ما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا، وما ورثك الله من كتابه حرفاً<sup>(٣)</sup> .

### ماذا لو ذكر أسماءهم؟

الناحية الثانية: الحكمة التدبيرية، ماذا لو ذكر أسماءهم؟ فلو ذكر أسماءهم بالصراحة الكاملة التي لا تقبل الغموض لكان لها فائدة عظيمة لأصحاب القلوب المؤمنة الصادقة التي تخاف الله واليوم الآخر، ولكن كانت تسبب أضراراً كبيرة عند الذين في قلوبهم شك أو مرض، أو الذين يدور إيمانهم على المصالح، وكانوا يتحفزون إلى أمور كلها خطيرة تهدد وجود الدين، وتنقض غرض البعثة ونزول القرآن:

الأمر الأول: تكذيب القرآن والنبى<sup>ﷺ</sup>، وهذا ينقض غرض البعثة

(١) الاحتجاج: ج ١، ص ٣٧٦؛ التفسير الصافي: ج ٢ ص ١٣؛ نفحات الرحمن: ج ١، ص ٥٨١.

(٢) أي فقيه السلطة.

(٣) انظر علل الشرائع: ج ١، ص ٨٩؛ التفسير الصافي: ج ١، ص ٢٢.

والدين؛ لأن الله سبحانه بعث النبي ﷺ وأنزل الكتاب ليهدي الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فالعقل يقضي بلزوم أن يكون الكتاب بنحو يدعو الناس إلى الإيمان به لا تكذيبه، وقد أكد الباري عزَّ وجلَّ أن البعض كان ضعيف العقيدة يؤمن بحسب رغبته وعصبيته، ويكفر بحسب ذلك، ولذا وصفهم بأنهم يسارعون إلى الكفر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقد وصفهم بالمسارعة في الكفر وليس إلى الكفر؛ لأنهم في الأصل ما كانوا يؤمنون إيماناً صادقاً؛ لأن الإيمان ثلاث مراتب:

### مراتب الإيمان

الأولى: مرتبة الإيمان القولي، وهو ما يظهره اللسان من الشهادة لله سبحانه بالوحدانية، وللنبي ﷺ بالنبوة، وهكذا باقي أصول الإيمان.  
الثانية: مرتبة الإيمان العقلي، وهي مرحلة أعلى من الأولى؛ لأن المؤمن يعتقد بحقانية الإيمان وبطلان غيره، ولكن ليس بالضرورة يبلغ المرتبة الثالثة.  
الثالثة: وهي التصديق القلبي، بحيث يستقر القلب عليه.

والذين كانوا يُحزنون النبي ﷺ بسبب ضعف عقيدتهم كانوا يظهرون الإيمان بأفواههم ولكن قلوبهم مكذبة، وكانوا مع النبي ﷺ ومن الصحابة، لكنهم في واقعهم كانوا مكذبين؛ لأن إيمانهم لم يكن عن علم ومعرفة

وعقيدة صادقة، بل عن مصلحة، وهذه المصلحة إذا تعارضت مع الإيمان قدّموها عليه فيسارعون إلى الكفر، وهذا ما كان يخشاه رسول الله ﷺ، ويتجنب التصريح ببعض الحقائق خوفاً من خروجهم من الدين، وأعظم ما كان يخشاه منهم هو التصريح بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أمره الله سبحانه وكشف له خطورة هذا الأمر، بحيث يعادل تبليغ كل الرسالة، فإن بلغه يكن قد بلغ الرسالة، وإن لم يبلغه يكن ما بلغ الرسالة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وفضلاً عن المكافأة بين تبليغ الولاية وتبليغ الرسالة أشار سبحانه إلى حقيقتين أخريين:

### الناس الذين يخشاهم الرسول ﷺ

الحقيقة الأولى: أن الناس ما كانوا مستعدين لتلقي هذا التبليغ، فلذا كان يخشاهم الرسول ﷺ، فوعده الله سبحانه أن يعصمه منهم، أي يحفظه ويقيه منهم، والسؤال من هم الناس؟  
والجواب لا يخلو من احتمالين:

الأول: أنهم عموم الناس، وهذا الفرض خاطئ؛ لأن بعض الناس آمنوا وصدقوا وأذعنوا لما يقول الله ورسوله ﷺ.

الثاني: بعض الناس الذين كانوا يتبعون أهواءهم ومصالحهم في الإيمان، فيقبلون من الدين ما يوافق مصالحهم، ويرفضون منه ما يخالفها، وقد

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

وصفهم بالناس إما لأنهم رموز في الناس ووجهاء فيهم، أو لا شأن لهم ولا قيمة عند الله تعالى، ولذا لم يصفهم حتى بالمسلمين أو بالمؤمنين.

الحقيقة الثانية: أنه سبحانه وصفهم بالكفر ونفى عنهم الهداية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ وفي ذلك دلالة على أنهم كانوا على الكفر واستمروا عليه ولم يهتدوا قط؛ لأن الهداية من الله تعالى، وقد نفى عنهم الهداية.

### مراتب الكفر

والكفر يحتمل معاني:

أحدها: الكفر العقيدي، بأن لا يعتقد بالله سبحانه وبكل ما يرتبط به، وصاحبه كافر مطلق ويعبر عنه بالجوحد.

ثانيها: الكفر الجزئي، وهو الذي يأخذ ببعض الإيوان ويكفر بالبعض وهو كالسابق، ولكن إذا أظهر الإيوان كان من النفاق.

ثالثها: كفر النعمة، وهو الذي يعتقد بالله سبحانه ورسوله ولكن يكفر بنعمه عناداً، ويعرف بالكفر بالولاية، ولا يتبرأ من أعداء الله سبحانه ورسوله.

رابعها: كفر المعصية، وهو مخالفة الأوامر والنواهي الإلهية وهو الكفر العملي.

وهؤلاء الذين كان يحشاهم رسول الله ﷺ على الدين كانوا منقسمين على أقسام الكفر الأربعة، وأشدهم عناداً وجحوداً من اجتمعت فيه الأربعة، والعقل والنقل متضاران على أن الأمر الوحيد الذي يكافئ تبليغ الرسالة هو إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته بعد رسول الله ﷺ، وهو الأمر

الوحيد الذي كان أصحاب المصالح يدبرون لمنعه. يشهد له ضمير المخاطب والإضافة في قوله: ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فإنها يدلان على أن هذا الأمر خاص وسرٌّ بين الله تعالى وبين رسوله ﷺ، وأمانة أودعها الله عنده أنزل أمرها منه سبحانه، فهو ليس من شؤون الدنيا وليس للناس منه شأن أو علاقة، بل ليس لهم إلا الاستماع والطاعة، وهو من موارد الربوبية الخاصة برسول الله ﷺ رباه الله سبحانه وتعهده لهذه المهمة، ولا يوجد شيء يستحق كل هذا التأهيل أهم وأعظم من الولاية، ولذا جعل التبليغ بها مكافئاً لتبليغ الرسالة، فلو لم يبلغها النبي ﷺ كانت بعثته بلا أثر، ورسول الله ﷺ كان يخشى من تكذيب الناس وارتدادهم إذا بلغها، وبالأمر الإلهي والعصمة أعلن رسول الله ﷺ ذلك وبلغ الأمانة.

### تواتر الخلافة في علي عليه السلام

وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وجمع كبير من الصحابة والتابعين والكثير من علماء المسلمين ومحدثيهم على أن الآية نزلت في حق خلافة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، فلما نزلت الآية نصب رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام وقال قولته المشهورة: ﴿من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه﴾<sup>(١)</sup> إلى آخره.

وهو حديث متواتر منقول من طرق العامة وحدهم بما يزيد عن مائة

(١) تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٤؛ تفسير الفرات: ص ١٣٠، ح ١٤٩؛ الأمالي (للصدوق): ص ١٨٤، ح ١٩٠.

طريق، ورواه جمع كثير من الصحابة من موالى علي ومخالفيه، منهم سلمان، وأبو أيوب الأنصارية، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وعمر بن الخطاب، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، و عمران بن الحصين، وابن أبي أوفى، وأنس بن مالك، وسعدانة، وامرأة زيد بن أرقم وغيرهم<sup>(١)</sup>.

ومن المحدثين رواه السيوطي في الدر المنثور، وإبراهيم بن سعد الدين في فرائد السمطين، وابن الأثير في أسد الغابة، والحسكاني في شواهد التنزيل، والآلوسي في روح المعاني، والرازي في تفسيره، وابن حجر في الصواعق وغيرهم الكثير<sup>(٢)</sup>.

وفي تفسير جوامع الجامع بسنده عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قال: نزلت هذه الآية في علي عليه السلام حيث أمر سبحانه أن يخبر الناس بولايته، فتحوِّف رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقولوا: حابى ابن عمه، وبأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية، فقال بولايته يوم غدير خم، وأخذ بيد علي فقال صلى الله عليه وآله: ﴿من كنت مولاه﴾ إلى آخر الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر مواهب الرحمن: ج ١٢، ص ٢٦.

(٢) الدر المنثور: ج ٣، ص ٣٢٣؛ فرائد السمطين: ج ١، ص ٧١؛ أسد الغابة: ج ١، ص ٣٦٧؛ شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٠٦، ح ٢٤٥، وح ٢٤٧؛ روح المعاني: ج ٣، ص ٣٦٠؛ تفسير الرازي: ج ١٢، ص ٤٩؛ الصواعق المحرقة: ج ١، ص ١٠٦.

(٣) انظر جوامع الجامع: ج ١، ص ٥١٧؛ مواهب الرحمن: ج ١٢، ص ٢٧-٢٨.

## اقرار الصحابة بالعصيان

والسؤال فماذا صنع الصحابة في ذلك؟ والجواب: خالفوا رسول الله ﷺ، وشهد بذلك الكثير منهم بما فيهم عمر، ففي رواية جابر بن عبد الله قال: شهدت عمر عند موته وأبدي ندمه يقول: أتوب إلى اللع من ثلاث: من ردي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش أسامة بعد أن أمره رسول الله ﷺ علينا، ومن تعاقدنا على أهل هذا البيت إن قبض الله رسوله لا نولي منهم أحداً<sup>(١)</sup>.

## تحريف القرآن

الأمر الثاني: تحريف القرآن وتغيير مفرداته ومعانيه، وإذا حرّف القرآن انتقض الغرض من نزوله، وأوقع الناس في الفتن الشديدة التي تخل بعقائدهم وإسلامهم، ويعزز هذه الحقيقة شاهدان:

الشاهد الأول: أهل الكتاب لما صرح لهم موسى عليه السلام باسم رسول الله ﷺ، وبشّرا به ودعا الناس إلى الإيمان به ماذا صنعوا؟ فريق منهم كذبوا وفريق منهم عاندوا وحاربوا كما صرح القرآن بذلك في آيات عديدة: قال تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ

(١) الخصال: ص ١٧١، ح ٢٢٦؛ نهج الحق: ص ١٧٣، الحاشية؛ البحار: ج ٣٠، ص

١٢٢، ح ١؛ ص ١٢٥، ح ٤.

وَقَرِيباً تَقْتُلُونَ ﴿١﴾ ...

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ  
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ  
عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢) .

### شهادة اليهود وتوسلهم بأل محمد ﷺ

وقد ورد أن اليهود كانوا يقولون للعرب قبل مجيء النبي ﷺ: أيها العرب! هذا أوان نبي يخرج بمكة ويكون مهاجرته بالمدينة، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم - ويذكرون أوصافه - فلما بعث الله نبيه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به حسداً وخوفاً على الرئاسة (٣) ، بينما كانوا يدعون الله بمحمد وآله ﷺ في طلب حوائجهم فتقضى كما علمهم موسى وعيسى ﷺ.

وعن أمير المؤمنين ﷺ: ﴿كان قضاء الحوائج وإجابة الدعاء إذا سئل الله بمحمد وعلي وآله ﷺ مشهوراً في الزمن السالف، حتى أن من طال به البلاء قيل: هذا طال بلاؤه لنسيانه الدعاء لله بمحمد وآل الطيبين﴾ (٤) .

وقال ﷺ: ﴿كان الله عز وجل أمر اليهود في أيام موسى وبعده إذا دهمهم أمر ودهتهم داهية أن يدعو الله عز وجل بمحمد وآله الطيبين، وأن

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٣) انظر تفسير كنز الدقائق: ج ٢، ص ٨١ - ٨٣.

(٤) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٩٨، ح ٢٧١؛ البحار: ج ٩١، ص ١٣، ح ١١.

يستنصروا بهم، وكانوا يفعلون ذلك حتى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور محمد ﷺ بسنين كثيرة يفعلون ذلك، فيكفون البلاء والدماء والداهية... فلما ظهر محمد ﷺ حسدوه؛ إذ كان من العرب فكذبوه<sup>(١)</sup> والشواهد عليه كثيرة.

### لماذا منعوا التدوين؟

الشاهد الثاني: جمع كبير من الصحابة والتابعين - لما صرح رسول الله ﷺ الله بفضل علي ﷺ وفضل أهل بيته ﷺ وذكرهم بأسمائهم وأوصافهم وأشار إلى مكانتهم عند الله عز وجل ومقامهم منعوا القرآن الذي جمعه أمير المؤمنين ﷺ، لأنه فيه الكثير من الحقائق وما قبلوه، ومنعوا رسول الله ﷺ من كتابة وصيته التي أراد أن يوصي بها لأمر المؤمنين ﷺ بالخلافة، ثم منعوا تدوين السنة وترويجها، وكان لذلك سبب هو منع وصول الحقائق إلى الناس، وقد نص رسول الله ﷺ على أن جماعة كانوا يكذبون على رسول الله ﷺ في حياته، ويضعون على لسانه أقوالاً باطلة، وبعد حياته منعوا رواية حديثه الصحيح.

وقد قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتيه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها<sup>(٢)</sup>، فماذا كان يضره من الحديث حتى أحرقه؟

---

(١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٩٤ - ٣٩٦، ح ٢٦٩؛ التفسير الصافي: ج ١، ص ١٦٠.

(٢) الطبقات (لابن سعد): ج ٥، ص ١٨٨؛ الخلاف: ج ١، ص ٢٩، الرقم ١؛ الوسائل: ج ١، ص ١٠، المقدمة.

وبعد ذلك تشدد في المنع، فكتب إلى الأمصار: من كان عنده شيء - من الحديث - فليمححه <sup>(١)</sup>.

وروى الذهبي أن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري لأنهم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup>. واستمر هذا النهج في عهد بني أمية حتى عمم معاوية كتاباً يمنع من رواية فضائل علي عليه السلام، ويحث على رواية مناقب لمنائيه، ويقرب من يروي لهم فضيلة.

### كتاب معاوية في البراءة

فقد نقل ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الأحداث أنه قال: (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، كما كتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته - أي بني أمية - والذي يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم.. فعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه؛ لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع.. ولما كثر الحديث في عثمان وفشا، كتب إلى عماله:

إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا

(١) جامع بيان العلم وفضله: ج ١، ص ٢٧٥.

(٢) تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ١٢؛ الوسائل: ج ١، ص ١١، مقدمة التحقيق.

وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فإن هذا أحبُّ إليّ وأقرُّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته<sup>(١)</sup>.

## حزب الوضع والاختلاق

وقال أبو جعفر الإسكافي: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير<sup>(٢)</sup>. فوظف معاوية وأصحابه جماعة شغلهم الشاغل تحريف السنة بالتصرف في متونها، فما يريدونه أبقوه، وما لا يريدونه غيروه.

وجماعة أخرى كانت تختلق الأحاديث وتنسبها لرسول الله صلى الله عليه وآله تحقيقاً لهذه المصالح، فلو ذكر القرآن أسماءهم عليهم السلام لأوجد في نفوسهم الدواعي لتحريف الكتاب وتغييره وإبطال حججه، وهذا ينقض غرض النزول.

## الحسد وآثاره

الأمر الثالث: إثارة الحسد في نفوسهم بما يوجب عداوتهم وخصومتهم، فينكرون فضائلهم، ونلاحظ أن أكثر أحداث التاريخ الإسلامي تدور على العداوة لعلي عليه السلام والأئمة من ذريته عليهم السلام وشيعتهم، وإلى يومنا هذا، وهذا كله ولم يصرح القرآن بأسمائهم، فما ظنك لو صرح بأسمائهم..

(١) انظر شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٤٤؛ الوسائل: ج ١، ص ٣٨، المقدمة.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٦٣؛ الوسائل: ج ١، ص ٣٩ - ٤٠، المقدمة.

أشار القرآن إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١)</sup> والروايات تضافرت بهذا المعنى.

### خلاصة السر

والخلاصة: أن القرآن لو ذكر أسماء أهل البيت عليهم السلام بالتفصيل يكون قد فضح أعداءهم بالصراحة، وهذا يوجد فيهم الداعي القوي للتكذيب والتحريف، ولهذا كلام مفصل نوكله لمحلّه.

### كلمة أخيرة للمخالفين

وأخيراً أقول للذين يطالبون بذكرهم في القرآن أنتم ماذا صنعتهم؟ اتبعتم غير آل محمد عليهم السلام من الصحابة، فنسأل هل ذكرهم القرآن بأسمائهم وأشاد بفضائلهم أو أمركم باتباعهم؟ كلا، فلماذا اتبعتم هؤلاء وتركتم أهل البيت عليهم السلام الذين صرح القرآن بهم بأنحاء عديدة،

وانفقت كلمة أهل الإيمان على وجوب محبتهم وطاعتهم، وأن مخالفهم ومبغضهم خالد في النار؟

وبهذا ينتهي الكلام في مفردات ولطائف وتعاليم سورة الحمد.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، سيما بقية الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.

٤٥٢ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

أشكر الله سبحانه على التوفيق لإتمامه، وأسأله سبحانه التوفيق لإلقائه  
وقبوله، وأن يجعل ثوابه لساحة مولاي وسيدي حجة الزمان (عجل الله  
فرجه الشريف) إنه سميع مجيب.

انتهى البحث بحمد الله وفضله وعناية وليه ﷺ في يوم الخميس الموافق ٩  
جمادى الثانية من عام ١٤٤٣هـ.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله  
الطيبين الطاهرين.

كربلاء المقدسة

فاضل الصفار

## المصادر

### حرف الألف

١. الأبواب (رجال الطوسي): للشيخ الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٥، ط ١.
٢. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: للحر العاملي، الأعلمي - بيروت، ١٤٢٥ ق، ط ١.
٣. الاثنا عشرية: للحر العاملي، دار الكتب العلمية - قم.
٤. الاحتجاج: لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٠، ط ١.
٥. إحقاق الحق وإزهاق الباطل: لنور الله التستري، تعليق السيد شهاب الدين المرعشي.
٦. الاختصاص: للشيخ المفيد، تحقيق علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي.
٧. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): للشيخ الطوسي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المقدسة، ١٤٠٤.
٨. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: للسيد مهدي الصدر، دار الكتاب الإسلامي.
٩. آداب النفس: للحكيم الترمذي، دار المصرية اللبنانية - القاهرة، ١٤١٣ ق، ط ١.
١٠. الإرشاد: للشيخ المفيد، دار المفيد - بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.
١١. أسد الغابة في معرفة الصحابة: لفخر الدين بن الأثير، دار الكتاب

- العربي - بيروت، ودار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
١٢. أسرار الإمامة: لعلماد الدين الحسن بن علي الطبري، مجمع البحوث الإسلامية - مشهد المقدسة، ١٤٣٢ هـ، ط ٢.
١٣. الاشارات والتنبيهات: لأبي علي سينا، دفتر نشر الكتاب - قم المقدسة، ١٤٠٣ هـ ق، ط ٢.
١٤. الإصابة: لابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ، ط ١.
١٥. إعجاز القرآن: لمحمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف، ط ٣.
١٦. أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
١٧. إقبال الأعمال: للسيد ابن طاوس، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤، ط ١، ودار الكتب الإسلامية - طهران، ١٤٠٩ هـ ق، ط ٢.
١٨. الأمالي: للشيخ الطوسي، مؤسسة البعثة، ط ١، ودار الثقافة للطباعة والنشر - قم.
١٩. الأمالي: للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م، ومركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ١٤١٧، ط ١.
٢٠. الإمامة: لأسد الله الموسوي الشفتي، مكتبة مسجد السيد حجة الاسلام الشفتي - أصفهان، ١٤١١، ط ١.
٢١. الإمامة والسياسة: لابن قتيبة الدينوري، مؤسسة الحلبي وشركاؤه

للنشر والتوزيع.

٢٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للشيخ ناصر مكارم الشيرازي  
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م، ط ١،

مع طبعة أخرى.

٢٣. أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، مؤسسة  
الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ط ١.

٢٤. أنوار الأصول: للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن  
أبي طالب عليه السلام - قم المقدسة، ١٤٢٨ هـ ق، ط ٢.

٢٥. الأنوار الساطعة: للشيخ جواد عباس الكربلائي، مؤسسة الأعلمي  
للمطبوعات، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ط ١.

٢٦. الأنوار النعمانية: للسيد نعمة الله الجزائري، دار القاري - بيروت،  
١٤٢٩ هـ، ط ١.

٢٧. الإيضاح: للفضل بن شاذان الأزدي، مؤسسة انتشارات وجاب  
دانشگاه - طهران.

### حرف الباء

٢٨. بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت، ١٤٠٣ -  
١٩٨٣، ط ٢، ودار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩. البحر المحيط في التفسير: لأبي الحيان الأندلسي، دار الفكر - بيروت،  
١٤٢٠ هـ، ط.

٤٥٦ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

٣٠. البرهان: للزركشي، دار إحياء الكتب العربية: ١٣٧٦-١٩٥٧ م، ط ١.
٣١. البرهان في تفسير القرآن: للسيد هاشم البحراني، مصادر التفسير عند شيعة، تحقيق الدراسات الإسلامية، ومؤسسة البعثة - قم المقدسة.
٣٢. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: لمحمد بن أبي قاسم الطبري، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين - قم المشرفة، ١٤٢٠ هـ، ط ١.
٣٣. بصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفار، مطبعة الأحمدي - طهران، ومنشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ.
٣٤. البلد الأمين والدرع الحصين: للشيخ إبراهيم الكفعمي، مكتبة الصندوق - طهران، ١٣٨٣.
٣٥. بيان الأصول: لآية الله العظمى السيد صادق الشيرازي، دار الأنصار - قم المقدسة، ١٤٢٧ ق، ط ٢.
٣٦. بيان السعادة في مقامات العبادة: للحاج سلطان محمد الجنازدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط ٢.

### حرف التاء

٣٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٩ هـ ق، ط ٢.
٣٨. تاريخ بغداد وذيوله: للخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا.
٣٩. تاريخ الخلفاء: لجلال الدين السيوطي، دار ابن حزم - بيروت،

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ط ١.

٤٠. تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر، دار الفكر - بيروت، ١٤١٩.
٤١. تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر - بيروت.
٤٢. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: للسيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف - قم المقدسة ١٤٠٧ هـ - ١٣٦٦ ت، ط ١ / مع طبعة أخرى.
٤٣. التبيان في تفسير القرآن: للشيخ الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩ هـ، ط ١ / مع طبعة أخرى.
٤٤. تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار: لعلماد الدين حسن بن علي الطبرسي، مجمع البحوث الإسلامية - مشهد المقدسة، ١٤٢٨ هـ، وميراث مكتوب - طهران، ١٣٧٦ ش، ط ١.
٤٥. تحف العقول عن آل الرسول: لابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، ١٤٠٤.
٤٦. تذكرة الحفاظ: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٨٨ م، ط ١.
٤٧. تسنيم في تفسير القرآن: للشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي، دار الإسرائ - بيروت.
٤٨. التسهيل لعلوم التنزيل: للغرناطي الكلبي، شركة دار الأرقم بن الأرقم، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي.

- ٤٥٨ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد
٤٩. تصنيف غرر الحكم: لعبد الواحد الأمدي التميمي، دفتر تبليغات -  
قم المقدسة، ١٣٦٦ ش، ط ١.
٥٠. تفسير ابن عجيبة: لابن عجيبة، الناشر حسن عباس زكي - القاهرة،  
١٤١٩ هـ، ط ١.
٥١. تفسير الأصفى: للفيض الكاشاني، مركز الشر التابع لمكتب الاعلام  
الإسلامي، ١٤١٨ - ١٣٧٦ ش، ط ١.
٥٢. تفسير الإمام الحسين عليه السلام: المنسوب للإمام الحسين عليه السلام، جمع السيد محمد  
علي الخلو، العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء المقدسة، ١٤٣٠ هـ، ط ١.
٥٣. تفسير الإمام العسكري عليه السلام: المنسوب للإمام العسكري عليه السلام،  
مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف - قم المقدسة، ١٤٠٩  
هـ، ط ١ / مع طبعة أخرى.
٥٤. تفسير جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامي -  
قم المقدسة ١٤١٨، ط ١، و ١٤٢٠، ط ١.
٥٥. تفسير الرازي: لفخر الدين الرازي، مصادر التفسير عند السنة ط ٣.
٥٦. تفسير روح البيان: للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، دار الفكر -  
بيروت ط ١ / مع طبعة أخرى.
٥٧. تفسير العياشي: لمحمد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية  
- طهران / مع طبعة أخرى.
٥٨. تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة الدينوري، دار مكتبة الهلال -

- بيروت، ١٤١١ هـ ق، ط ١.
٥٩. تفسير فرات الكوفي: لفرات بن ابراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية - طهران - ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، ط ١.
٦٠. تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر المكتبة العصرية - بيروت، ١٤١٩، ط ٢.
٦١. تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ، ط ١، ودار المعرفة - بيروت، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م.
٦٢. تفسير القمي: لعلي بن ابراهيم القمي، مؤسسة دار الكتاب - قم المقدسة، ١٤٠٤، ط ٣ / مع طبعة أخرى.
٦٣. تفسير الكاشف: لمحمد جواد مغنية، دار الأنوار، ط ٤.
٦٤. التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم): للطبراني، دار الكتاب الثقافي - الأردن، ٢٠٠٨، ط ١.
٦٥. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: للشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي - طهران، ١٤١١ - ١٩٩٠، ط ١ / مع طبعة أخرى.
٦٦. تفسير مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م، ط ١، ط ٢، ودار المعرفة - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٧. تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي، دار الفكر - بيروت،

٤٦٠ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

ط ١ / مع طبعة أخرى.

٦٨. تفسير مقتنيات الدرر: لمير السيد علي الطهراني الحائري، الناشر والشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية - طهران.

٦٩. تفسير ملاحم المحكمات: للشيخ محمد سند، مصادر التفسير عند الشيعة، ١٤٧٩ هـ.

٧٠. تفسير نور الثقلين: للشيخ الحويزي مؤسسة إسماعيليان - قم المقدسة، ١٤١٢ هـ، ط ٤ / مع طبعة أخرى.

٧١. تكملة الرجال: للشيخ عبد النبي الكاظمي، انوار الهدى - قم المقدسة، ١٤٢٥ هـ ق، ط ١.

٧٢. التمييز: لحسين بن فخر الدين (ابن معن)، دار الشروق - عمان، ٢٠٠١ م، ط ١.

٧٣. تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط ٤.

٧٤. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: لأحمد بن محمد مسكويه الرازي، طليعة النور - قم المقدسة، ١٤٢١ هـ ق.

### حرف الجيم

٧٥. جامع الأخبار: للشيخ محمد الشعيري السبزواري، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم المقدسة، ١٤١٠ - ١٩٩٣ م، ط ١ / مع طبعة أخرى

٧٦. جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد البر، دار ابن

- الجوزي - السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ط ١ .
٧٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن حرير الطبري، دار الفكر - بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥ .
٧٨. جامع السعادات: للملا محمد النراقي، دار النعمان للطباعة والنشر .
٧٩. الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٨٠. جمال الأسبوع: للسيد ابن طاوس، مؤسسة الآفاق، ١٣٧١ ش، ط ١ / مع طبعة أخرى .

### حرف الحاء

٨١. الحاشية على قوانين الأصول: للشيخ جواد الطارمي، إبراهيم باسمجي - طهران، ١٣٠٦ ق، ط ١ .
٨٢. الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: لآية الله الشيخ فاضل الصفر، دار المحجة البيضاء - بيروت، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ط ١ .

### حرف الخاء

٨٣. خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: للنسائي، مكتبة نينوى الحديثة - طهران .
٨٤. الخصائص الفاطمية: للشيخ محمد باقر الكجوري الشريف الرضي، ١٣٨٠ ش، ط ١ / مع طبعة أخرى .
٨٥. الخصال: للشيخ الصدوق، جامعة المدرسين - قم المقدسة، ١٣١٢، ط ١، ومؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش .

## حرف الدال

٨٦. الدرر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة - بيروت.

٨٧. الدرر السنينة في الرد على الوهابية: لأحمد زيني دحلان، مكتبة إيشيق - استانبول، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

٨٨. الدعوات (سلوة الحزين): لقطب الدين الراوندي مدرسة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف - قم المقدسة، ١٤٠٧ هـ، ط ١.

## حرف الذال

٨٩. ذخائر العقبي: لأحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥٦.

## حرف الراء

٩٠. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: للزخشي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤١٢ هـ ق، ط ١.

٩١. رجال الكشي: لأبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - كربلاء المقدسة.

٩٢. رسائل الشريف المرتضى: للمرتضى، دار القرآن الكريم - قم، ١٤٠٥ هـ، و ١٤١٠.

٩٣. رسائل الشهيد الثاني: للشهيد الثاني، مكتبة بصيرتي - قم المقدسة، الطبعة القديمة.

٩٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود بن عبد الله

- الحسيني الألوسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ، ط ١ /  
مع طبقة أخرى.
٩٥. روضات الجنات: للسيد محمد باقر الخوانساري، الناشر دهقاني  
(إسماعيليان) - قم المقدسة، ١٣٩٠ هـ ق، ط ١.
٩٦. روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الشريف الرضي -  
قم المقدسة.
٩٧. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: للسيد علي خان  
المدني الشيرازي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، ١٤١٥، ط ٤.

### حرف الزاي

٩٨. زاد المعاد: للعلامة المجلسي، ١٤٢٣ هـ، ط ١.
٩٩. زبدة التفاسير: للملا فتح الله الكاشاني، مؤسسة المعارف الإسلام -  
قم، ١٤٢٣، ط ١.
١٠٠. زهر الربيع: للسيد نعمة الله الجزائري، المؤسسة العالمية للتجليد -  
بيروت، ١٤٢١ هـ ق، ط ١.

### حرف السين

١٠١. السبعة من السلف من الصحاح الستة: للسيد مرتضى الحسيني  
الفيروز آبادي، مكتبة الفيروز آبادي، قم المقدسة، ١٤٠٢ هـ، ط ٢.
١٠٢. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس  
القمي، دار الأسوة - قم المقدسة، ١٤١٤، ط ١، و ١٤١٦، ط ٢.

٤٦٤ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

١٠٣. سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار الحديث - القاهرة، ط ١.

١٠٤. سنن البيهقي الكبرى: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٠٥. السنن الكبيرة: للنسائي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١١-١٩٩١ م، ط ١، ودار الفكر-بيروت، ١٣٤٨-١٩٣٠، ط ١.

### حرف الشين

١٠٦. شرح إحقاق الحق: لآية الله العظمى السيد المرعشي النجفي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم المقدسة، ١٤٠٤.

١٠٧. شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١ م، ومؤسسة إسماعيليان.

١٠٨. شرح نهج البلاغة: للسيد عباس علي الموسوي، دار الرسول الأكرم، ودار المحجة، ١٣٧٦، ط ١.

١٠٩. شمس المعارف الكبرى: للشيخ أحمد بن علي البوني، موسوعة النور - بيروت، ط ٢.

١١٠. شوارق النصوص: للسيد حامد حسين النقوي الكنتوري، دليل ما - قم المقدسة، ١٣٨٤ هـ ش، ط ٢.

١١١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: لعبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، وزارة الثقافة والإرشاد - طهران، ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م،

ط ١، وأسوة - قم المقدسة، ١٣٨١ ش، ط ١.

### حرف الصاد

١١٢. الصافي في تفسير القرآن: للفيض الكاشاني، دار الكتب الإسلامية -

طهران، ١٤١٩، ط ١.

١١٣. صحيح البخاري: للبخاري، دار الفكر، ١٤٠١ - ١٩٨١ م،

والطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر.

١١٤. صحيح مسلم: لمسلم النيسابوري، دار الفكر - بيروت / مع

طبعه أخرى.

١١٥. الصحيفة السجادية: للإمام زين العابدين عليه السلام، دفتر نشر

الهادي عليه السلام، ١٤١٨، ط ١ / مع طبعة أخرى.

١١٦. صفات الشيعة: للشيخ الصدوق، كانون انتشارات عابدي - طهران.

١١٧. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: لأحمد بن حجر

الهيثمي المكي، مكتبة القاهرة - مصر، ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م، ط ٢.

### حرف الطاء

١١٨. الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨ م، ط ١.

١١٩. طرائق المقال: للسيد علي البروجردي، مكتبة آية الله العظمى

المرعشي النجفي - قم، ١٤١٠، ط ١.

### حرف العين

١٢٠. عدة الأكياس في شرح معاني الأساس: لأحمد الشرقي القاسمي، دار

- الحكمة اليمانية - صنعاء، ١٤١٥ ق، ط ١.
١٢١. عدة الداعي ونجاح الساعي: لابن فهد الحلبي، مكتبة وجداني - قم المقدسة، وبنیاد معارف إسلامي - قم المقدسة، ١٣٧٥، ط ١.
١٢٢. العدة في الأصول (عدة الأصول): للشيخ الطوسي، ١٤١٧ - ١٣٧٦، ط ١.
١٢٣. علل الشرائع: للشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
١٢٤. العناوين الفقهية: للحسيني المراغي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧، ط ١.
١٢٥. العوالم (السيدة الزهراء عليها السلام): للشيخ عبد الله البحراني، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف - قم المقدسة، ١٤١٣ ق، ط ١.
١٢٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / مع طبعة أخرى.
١٢٧. عيون الحكم والمواعظ: لعلي بن محمد الليثي الواسطي، دار الحديث / مع طبعة أخرى.

### حرف الغين

١٢٨. غاية المرام وحجة الخصام: للسيد هاشم البحراني، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
١٢٩. الغدير: للشيخ الأميني، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٩٧ -

١٩٧٧ م، ط ٤.

١٣٠. غرر الحكم ودرر الكلم: لعبد الواحد الآمدي، دار الكتاب الإسلامي - قم المقدسة، ١٤١٠ ق، ط ٢، ودار الهادي - بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ط ١.

١٣١. الغيبة: الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة، ١٤١١، ط ١.

### حرف الفاء

١٣٢. الفتاوى الجديدة: لناصر مكارم الشيرازي، انتشارات مدرسة الإمام علي بن ابي طالب عليه سلام - قم المقدسة، ١٤٢٧ هـ ق، ط ٢.

١٣٣. فتح القدير: للشوكاني، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق وبيروت، ١٤١٤ هـ، ط ١.

١٣٤. فرائد الأصول: للشيخ الأنصاري، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٩، ط ١.

١٣٥. فرائد السمطين: لإبراهيم الجويني الخراساني، دار الحبيب - إيران، ١٤٢٨ هـ، ط ١، ومؤسسة المحمود - بيروت، ١٤٠٠ ق، ط ١.

١٣٦. فرحة الغري: للسيد عبد الكريم بن طاوس، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، ط ١.

١٣٧. الفردوس بمأثور الخطاب: لأبي شجاع الديلمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ط ١.

٤٦٨ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

١٣٨. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة: للدكتور محمد صادقي،  
الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، وفرهنگ إسلامي - قم المقدسة  
١٤٠٦ هـ ق، ط ٢.

١٣٩. الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي -  
قم المقدسة، ١٤١٢، ط ١.

١٤٠. فضائل الامام علي عليه السلام: لمحمد جواد مغنية، دار الكتاب الإسلامي  
- قم المقدسة، ١٣٨٦ هـ ش، ط ١.

١٤١. فضائل الخمسة من الصحاح الستة: للسيد مرتضى الحسيني الفيروز  
آبادي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م، ط ٣.

١٤٢. فقه الحديث (قواعده ومنهاجه): للشيخ فاضل الصفار، دار المحجة  
البيضاء - بيروت، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م، ط ١.

١٤٣. فقه الرضاء عليه السلام: لعلي بن بابويه القمي، المؤتمر العالمي للإمام  
الرضاء عليه السلام - مشهد ١٤٠٦، ط ١.

١٤٤. الفقه والسلم والسلام: لآية الله العظمى السيد محمد الحسيني  
الشيرازي، دار العلوم - بيروت، ١٤٢٦ هـ، ط ١.

١٤٥. الفوائد الرجالية: لسيد محمد مهدي بحر العلوم، مكتبة الصادق -  
طهران، ط ١.

١٤٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي، دار الكتب العالمية -  
بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٤ م، ط ١.

## حرف القاف

١٤٧. قاموس الرجال: للشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة النشر التابعة  
لجماعة المدرسين - قم المقدسة.
١٤٨. قرب الإسناد: للحميدي القمي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء  
التراث، قم المقدسة، ١٤١٣، ط ١.
١٤٩. القضاء والشهادات: للسيد الكلبايكاني، الحقايق - قم المقدسة،  
١٤٢٦ هـ ق، ط ٣.
١٥٠. القطرة من بحار مناقب النبي والعترة: للسيد احمد المستنبط،  
منشورات ذوي القربى - قم المقدسة، ١٤٢٤ هـ، ط ١.
١٥١. القواعد الفقهية: للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام أمير  
المؤمنين عليه السلام، ١٤١١، ط ٣.

## حرف الكاف

١٥٢. الكافي: للشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية - طهران، ١٣٦٥  
ش، ط ٤، ودار الحديث، والطبعة المعربة.
١٥٣. كتاب الأربعين: لمحمد طاهر القمي الشيرازي، الناشر المحقق،  
١٤١٨، ط ١.
١٥٤. كتاب الخصال: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه  
القمي، مكتبة الصدوق.
١٥٥. كتاب ذم الهوى: لابن الجوزي، دار الجليل - بيروت، ١٤٢٠ هـ ت، ط ١.

٤٧٠..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

١٥٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: للزمخشري، شركة ومكتبة  
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده - مصر، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م.

١٥٧. كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأنظار: للميرزا حسين  
النوري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣١هـ، ط ١.

١٥٨. كشف الغمة في معرفة الأئمة: لعلي بن أبي الفتح الاربلي، دار  
الأضواء - بيروت.

١٥٩. كشف اللثام: للفاضل الهندي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم  
المقدسة، ١٤١٦، ط ١.

١٦٠. كشف المحجة لثمرة المهجة: للسيد ابن طاوس، المطبعة الحيدرية -  
النجف الأشرف، ١٣٧٠ - ١٩٥٠ م.

١٦١. الكشكول: لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، دار  
الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ط ١.

١٦٢. كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي  
- قم المشرفة، ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ش.

١٦٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للمتقي الهندي، مؤسسة  
الرسالة - بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ط ٥، و ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.

## حرف اللام

١٦٤. لآلئ الأخبار: لمحمد نبي بن أحمد التويسركاني، العلامة - قم  
المقدسة، ١٤١٣ هـ - ط ١.

١٦٥. اللباب في علوم الكتاب: لعمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩ هـ ق، ط ١.

١٦٦. لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م، ط ٢، وطبعة حيدر آباد الدكن.

### حرف الميم

١٦٧. مؤتمر علماء بغداد: لمقاتل بن عطية، دار الكتب الإسلامية-طهران، ط ٢.

١٦٨. المجازات النبوية: للشريف الرضي، مكتبة بصيرتي - قم المقدسة.

١٦٩. المجتبي من دعاء المجتبي: لابن طاوس، تحقيق صفاء الدين البصري.

١٧٠. مجد البيان في تفسير القرآن: للعلامة محمد حسين الأصفهاني، مؤسسة البعثة قسم الدراسات الإسلامية-طهران، ١٤٠٨ هـ، ط ١.

١٧١. مجمع البحرين: للشيخ فخر الدين الطريحي، مرتضوي، ١٣٦٢ ش، ط ٢ / مع طبعة أخرى.

١٧٢. مجمع الزوائد: للهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

١٧٣. مختصر بصائر الدرجات: للحسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٠ - ١٩٥٠ م، ط ١.

١٧٤. مدينة المعاجز: للسيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ١٤١٣، ط ١.

١٧٥. مراح لبيد لكشف القرآن المجيد: للشيخ محمد بن عمر النووي، دار

- الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧ هـ ق - ط ١ .
١٧٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودي، دار الهجرة - قم المقدسة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ط ٢ .
١٧٧. المزار: لمحمد بن جعفر المشهدي، القيوم - قم المقدسة، ١٤١٩، ط ١ .
١٧٨. المستدرک علی الصحیحین: لعبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ط ١ .
١٧٩. مسند أبي بصير: لأبي بصير، مؤسسة علمي فرهنگي، دار الحديث، ١٤٢٥ هـ، ط ١ .
١٨٠. مسند أحمد بن قبيلى: لأحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة، ودار صادر - بيروت .
١٨١. مسند الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ عزيز الله عطاردي، مؤسسة الطباعة والنشر في الصحن الرضوي والمؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٦ .
١٨٢. مسند زيد بن علي عليه السلام: لزيد بن علي بن الحسين عليه السلام، دار مكتبة الحياة - بيروت .
١٨٣. المسند الصحيح المختصر: لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٨٤. مشارق أنوار اليقين: للحافظ رجب البرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ط ١ .

١٨٥. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: لعلي بن الحسن الطبرسي، دار الحديث، ١٤١٨ هـ، ط ١ / مع طبعة أخرى.
١٨٦. مصباح الشريعة: للإمام جعفر الصادق عليه السلام، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٩١ م، ط ٢.
١٨٧. مصباح المهجد: للشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ط ١.
١٨٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): للبغوي، دار المعرفة.
١٨٩. معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة ١٣٧٩ هـ، ومؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، ط ١.
١٩٠. معاني القرآن: للنحاس، جامعة أم القرى - السعودية، ١٤٠٩، ط ١.
١٩١. معجزات النبي صلوات الله عليه وآله: لابن كثير، المكتبة التوفيقية.
١٩٢. المعجم الأوسط: للطبراني، دار الحرمين، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
١٩٣. المعجم الصغير: للطبراني، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٩٤. معجم الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، ١٤١٢ هـ، ط ١.
١٩٥. معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ / مع طبعة أخرى.
١٩٦. المعجم الوسيط: قام بإخراجه الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطيه الصوالحي ومحمد خلق الله أحمد، دار المعارف

– مصر، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م، ط ٢.

١٩٧. مفاتيح الجنان: للشيخ عباس القمي، تحقيق السيد محمد رضا النوري النجفي.

١٩٨. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠ هـ ق، ط ٣.

١٩٩. مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العامل: للشيخ علي الكوراني العامل، دار المعروف – قم المقدسة.

٢٠٠. المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، دفتر نشر الكتب، ١٤٠٤ هـ، ط ٢.

٢٠١. مقتل الإمام الحسين عليه السلام: لأبي مخنف الأزدي، تعليق حسين عفاري.

٢٠٢. مقتنيات الدرر: للمير سيد علي الحائري الطهراني، الناشر الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية، ١٣٣٧ ش.

٢٠٣. مكيال المكارم: للميرزا محمد تقي الأصفهاني، مؤسسة الأعلمي – بيروت ١٤٢١، ط ١.

٢٠٤. المناقب: لابن شهر آشوب، العلامة – قم المقدسة، ١٣٧٩ هـ ق، ط ١، والمطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م.

٢٠٥. المناقب: للموفق الخوارزمي، مؤسسة سيد الشهداء، ١٤١٤، ط ٢، ومؤسسة النشر الإسلامي – قم المقدسة، ١٤١٤، ط ٢.

٢٠٦. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لابن المغازلي، دار الآثار

- للطبع والتوزيع، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ط ١.
٢٠٧. مناهج البيان في تفسير القرآن: للشيخ محمد باقر الملكي الميانجي، مؤسسة النبأ الثقافية - طهران، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٢٠٨. مناهج القرآن: للشيخ السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم المقدسة، ١٤٢١، ط ٤.
٢٠٩. منتهى الدراية: للسيد محمد جعد الجزائري المروج، الناشر المؤلف، ط ٣.
٢١٠. من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدس، ط ٢.
٢١١. المواعظ العددية: لابن قاسم الحسيني (العينائي)، طليعة النور - قم المقدسة، ١٣٨٤ هـ ش، ط ١.
٢١٢. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: للسيد عبد الأعلى السبزواري، دار التفسير - قم المقدسة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ط ٥، و دفتر سماحة آية الله العظمى السبزواري، ١٤٠٩ هـ، ط ٢.
٢١٣. موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، نشر مؤسسة ولي العصر، ١٤٢٦ هـ، ط ١.
٢١٤. الموسوعة الرجالية الميسرة: للشيخ علي أكبر الترابي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٣، ط ٢.
٢١٥. الموضوعات: لابن الجوزي، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، ط ١.

## حرف النون

٢١٦. الناصريات: للشريف الرضي، رابطة الثقافة والعلاقات الاجتماعية  
١٤١٧-١٩٩٧ م.

٢١٧. نتائج الأفكار: للسيد محمود الهاشمي، آل مرتضى عليه السلام - قم  
المقدسة، ١٣٨٥ ش، ط ١.

٢١٨. النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب: للشيخ حسين الطبرسي  
النوري، أنوار الهدى - قم المقدسة، ١٤١٥، ط ١

٢١٩. النص والاجتهاد: للسيد شرف الدين، الناشر مجتبى، ١٤٠٤، ط ١/  
مع طبعة أخرى.

٢٢٠. نفحات الرحمن في تفسير القرآن: للشيخ محمد بن عبد الرحيم  
النهاوندي، مؤسسة البعثة - قم المقدسة، ١٤٢٩ هـ، ط ١.

٢٢١. نهج البلاغة: خطب الامام علي عليه السلام، تحقيق الدكتور صبحي  
الصالح، دار الذخائر - قم المقدسة، ١٤١٢ هـ، ط ١، و ١٣٨٧ هـ  
- ١٩٦٧ م، ط ١.

٢٢٢. نهج الحق وكشف الصدق: للعلامة الحلي، مؤسسة الطباعة والنشر،  
دار الهجرة - قم المقدسة، ١٤٢١ هـ.

٢٢٣. نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية: للسيد نعمة الله الجزائري،  
آسيانا - قم المقدسة ١٤٢٧ هـ ق، ط ١.

### حرف الهاء

٢٢٤. هداية المسترشدين: للشيخ محمد تقى الراز الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة.

### حرف الواو

٢٢٥. وسائل الشيعة: للحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم لإحياء التراث - قم المشرفة.

٢٢٦. الوصائل إلى الرسائل: لآية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة عاشورا - قم المقدسة، ١٤٢١ ق، ط ٢.

٢٢٧. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: لنور الدين أبي الحسن السهودي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩ هـ، ط ١.

٢٢٨. الولاية: لابن عقدة الكوفي: مصادر العقائد عند الشيعة.

### حرف الياء

٢٢٩. ينابيع الحكمة: للشيخ عباس الإسماعيلي اليزدي، منشورات دليل ما، ١٤٣٤، ط ١، ومسجد جمكران - قم المقدسة، ١٤٢٨ هـ ق، ط ٥.

٢٣٠. ينابيع المودة لذوي القربى: للقندوزي، دار الأسوة، ١٤١٦ هـ، ط ١.

٢٣١. اليوم الآخر: للشيخ حسين المظاهري، مؤسسة البلاغ - بيروت، ١٤١٩، ط ٢.



# الفهرست

## فهرس الجزء الأول

- ١ ..... ما يقوله القرآن في سورة الحمد (الفاتحة)
- ١١ ..... سورة الحمد وأسرارها المعنوية
- ١٥ ..... المبحث الأول: في فضل سورة الحمد وآثارها المعنوية
- ١٧ ..... فاتحة القرآن وجامعته
- ١٨ ..... معنى العرش الإلهي
- ١٩ ..... شرف النبي ﷺ
- ٢٠ ..... أم الكتب السماوية
- ٢١ ..... المبحث الثاني: مزايا سورة الحمد
- ٢١ ..... أنها قرآن ودعاء
- ٢٢ ..... تعليم لأهل القلوب
- ٢٢ ..... اشتراك العباد بها
- ٢٤ ..... أنها جمعت أصول الدين
- ٢٧ ..... أصول الدين في الفاتحة
- ٢٩ ..... الربوبية والعبودية في السورة
- ٣٢ ..... مزايا المصلين بقراءة السورة
- ٣٢ ..... الفاتحة وتوحيد الربوبية والعبودية
- ٣٥ ..... المبحث الثالث: في أسماء السورة وآثارها المعنوية
- ٣٥ ..... الحمد الربوبي
- ٣٦ ..... بين الحمد والشكر

- ٣٧ ..... تطابق التكوين والتشريع
- ٣٨ ..... معنى فاتحة الكتاب
- ٣٩ ..... فتح البصر والبصيرة
- ٤١ ..... معنى فتح الكتاب
- ٤٢ ..... تفاسير أخرى ضعيفة
- ٤٣ ..... الجمع بين الحمد والعلق في النزول
- ٤٤ ..... من جمع القرآن؟
- ٤٤ ..... دلائل الجمع الإلهي للقرآن
- ٤٧ ..... الدليل العقلي على الجمع الدلالي
- ٤٧ ..... ما فعله عمر وعثمان في القرآن
- ٤٨ ..... قرآن علي عليه السلام
- ٥١ ..... لماذا أخفى علي عليه السلام القرآن؟
- ٥٢ ..... الحمد والقرآن وعلي عليه السلام
- ٥٢ ..... معنى أم الكتاب
- ٥٢ ..... معنى النبي الأمي
- ٥٣ ..... الحمد مفتاح الاسم الأعظم
- ٥٤ ..... شروط تأثير السورة
- ٥٤ ..... الحمد والإمام عليه السلام
- ٥٦ ..... أمير المؤمنين عليه السلام قلب سورة الحمد
- ٥٩ ..... أمير المؤمنين أم سورة الحمد
- ٦٠ ..... أم الكتاب وفاطمة عليها السلام

- ٦١ ..... لماذا سميت بأمر القرآن؟
- ٦٢ ..... علوم القرآن ثلاثة.....
- ٦٤ ..... لماذا سمي القرآن؟
- ٦٥ ..... السبع المثاني تكويناً وتشريعاً
- ٦٦ ..... أثر السبعة في الخلق.....
- ٦٨ ..... ما معنى المثاني؟
- ٧٠ ..... التثنية العددية.....
- ٧٠ ..... سر نزول الحمد مرتين.....
- ٧١ ..... أهميتها في الصلوات.....
- ٧٢ ..... مثنى الكتاب وإعجازه.....
- ٧٤ ..... قول المفسرين في المثاني
- ٧٥ ..... مثاني الربوبية والعبودية.....
- ٧٦ ..... تجدد فوائدها.....
- ٧٦ ..... المثاني والتوراة.....
- ٧٧ ..... مثاني القرآن والعترة عليه السلام.....
- ٧٨ ..... السبع المثاني وأقسام الثناء
- ٧٩ ..... مراتب الثناء.....
- ٨٠ ..... أسماء الله توقيفية.....
- ٨١ ..... آل محمد عليهم السلام مجمع الثناء
- ٨٢ ..... المثاني والأئمة السبعة عليهم السلام.....
- ٨٤ ..... مراتب نزول القرآن

- ٨٥ ..... هم ﷺ خلاصة الحمد.
- ٨٥ ..... المعصومون والقرآن العظيم.
- ٨٥ ..... الأئمة ﷺ الذين دار عليهم الفلك.
- ٨٧ ..... الأئمة ﷺ مدار الفلك.
- ٨٨ ..... الآثار التكوينية لأسمائهم ﷺ.
- ٨٩ ..... أثر اسم فاطمة عليها السلام.
- ٩٠ ..... التبرك باسمها عليها السلام.
- ٩٠ ..... الأئمة ﷺ الذين هم مدار العلم.
- ٩١ ..... الأئمة ﷺ وفلك الأحداث السياسية.
- ٩٢ ..... المأمون يعد لمناظرة الرضا عليه السلام.
- ٩٣ ..... المثاني والاصطفاء الإلهي لآل محمد ﷺ.
- ٩٤ ..... السورة الشافية.
- ٩٦ ..... شفاء الأمراض بالسورة.
- ٩٧ ..... أنحاء الشفاء بسورة الحمد.
- ٩٨ ..... القدماء ماتوا بالآجال لا بالأمراض.
- ٩٩ ..... سبب استحداث الأمراض.
- ١٠٠ ..... الذنوب التي لا تغتفر.
- ١٠٣ ..... كيف تتخلص من مشاكل الحياة؟
- ١٠٤ ..... أساس القرآن.
- ١٠٥ ..... هي الكنز الإلهي.
- ١٠٦ ..... علامة الغافلين.

- ١٠٧..... مراقبة الضمير
- ١٠٨..... الآباء يورثون أبناءهم خيراً وشرّاً
- ١٠٨..... وراثه الأفعال والآثار
- ١٠٩..... للمحاسن ثوابان وللمساوى ثلاثة
- ١١٠..... أشرف كنوز العرش
- ١١٠..... محمد وآل محمد ﷺ أشرف الكنوز
- ١١١..... الكافية عن الأعمال
- ١١٢..... آيات العرش الإلهي
- ١١٢..... علو سورة الحمد
- ١١٣..... الإمام عين الله الناظرة
- ١١٤..... الحاجات المعنوية
- ١١٥..... الحمد والصلاة
- ١١٦..... أسماء أخرى للسورة
- ١١٧..... المبحث الرابع: في فضائل السورة وآثارها
- ١١٨..... تفاضل السور القرآنية
- ١١٩..... في المعاني والآثار
- ١١٩..... أفضلية الأنبياء على بعضهم
- ١٢٠..... أقسام التفضيل
- ١٢١..... معايير التفضيل بين الآيات والسور
- ١٢٤..... التحقيق في أسباب التفضيل
- ١٢٥..... آثار وجود العالم

- أثر العالم بين الناس..... ١٢٦
- الحذر من الدعاية ضد العلماء الربانيين..... ١٢٧
- فضائل سورة الحمد..... ١٢٨
- الفضيلة الأولى: لقراءة الحمد وسماها..... ١٢٨
- الحمد تعوض عن الصدقة..... ١٣٠
- النبي المصطفى ﷺ والسبع المثاني..... ١٣٣
- شروط تأثير السورة..... ١٣٤
- أركان الانتقاد القلبي لآل محمد ﷺ..... ١٣٥
- العطاء الإلهي على قدر المعرفة..... ١٣٦
- سر صلاة الفجر..... ١٣٧
- الفضيلة الثانية: أثرها في كسب العنايات والألطف الإلهية ١٣٨
- تعدد النزول..... ١٣٩
- الجنة والآثار الدنيوية..... ١٤٢
- قضاء الحوائج بالحمد..... ١٤٤
- الفضيلة الثالثة: أن بها محاربة إبليس..... ١٤٤
- الوقاية والعلاج..... ١٤٥
- بهم تزال العظام..... ١٤٧
- الفضيلة الرابعة: معالجة الأمراض والآفات..... ١٤٩
- شروط العلاج..... ١٤٩
- سر العلاج بها..... ١٥١
- الحجاب الشرعي..... ١٥٢

- ١٥٣.....العافية والشفاء.....
- ١٥٤.....الأسباب الغيبية للعلاج.....
- ١٥٤.....الفضيلة الخامسة: إحياء الموتى.....
- ١٥٦.....أنواع الإحياء.....
- ١٥٩.....المبحث الخامس: في لطائف السورة.....
- ١٥٩.....أهم مقاصد السورة.....
- ١٥٩.....اللطيفة الأولى: الإكمال المعنوي.....
- ١٥٩.....أركان الكمال الإنساني.....
- ١٦٠.....اللطيفة الثانية: أصول العبودية وكمالها.....
- ١٦١.....أصول التزكية بالله تعالى.....
- ١٦٢.....الاهتداء بالله تعالى.....
- ١٦٣.....وجوب القدوة والافتداء.....
- ١٦٤.....تجب البراءة من ثلاثة.....
- ١٦٥.....اللطيفة الثالثة: الخيرات حدوثاً وبقاءً من الله تعالى.....
- ١٦٦.....صفات الربوبية والعبودية.....
- ١٦٦.....اللطيفة الرابعة: لأهل المقامات المعنوية.....
- ١٦٧.....لماذا جعل المعصوم واسطة؟.....
- ١٦٨.....مراتب الاتصال بالخالق عزَّ وجلَّ.....
- ١٦٩.....اللطيفة الخامسة: إشارات لأهل الاستدلال والنظر.....
- ١٦٩.....لماذا اختص بالحمد؟.....
- ١٧٠.....اللطيفة السادسة: إشارات لأهل الذكر والعبادة.....

- المبحث السادس: في تعاليم السورة..... ١٧٣
- التعليم الأول: بالحمد والشكر تدوم النعم..... ١٧٣
- التعليم الثاني: البركة باسم الله تعالى..... ١٧٣
- التعليم الثالث: أربع قواعد للعلماء والأدباء..... ١٧٥
- التعليم الرابع: أسلوب الكلام مع الله تعالى..... ١٧٧
- وجوب سورة الحمد في الصلاة..... ١٧٨
- بين الإثبات والنفي..... ١٨٠
- المبحث السابع: الاستعاذة مفهومها ودلائلها..... ١٨١
- أولاً: في معناها وغاياتها..... ١٨٢
- تأثير الشيطان..... ١٨٤
- مواطن نفوذ الشيطان..... ١٨٥
- جهات الشيطان الأربع..... ١٨٥
- منافذ الشيطان في البشر..... ١٨٦
- نهج الشيطان ونهج الرحمن..... ١٨٦
- غاية الأمر بالاستعاذة..... ١٨٧
- قارئ القرآن كلیم الله..... ١٨٧
- ثانياً: مفردات الاستعاذة..... ١٩٠
- معنى العوذ..... ١٩٠
- الاستعاذة بالله..... ١٩١
- غاية الاستعاذة..... ١٩٢
- ما معنى الشيطان؟..... ١٩٢

- ١٩٣..... صفات الشيطان
- ١٩٥..... حقيقة الشياطين.
- ١٩٦..... معنى رجيم.....
- ١٩٦..... موارد رجم الشيطان.....
- ١٩٨..... أخبث الشياطين.....
- ١٩٨..... محاوره النبي ﷺ لإبليس وإقراره.....
- ٢٠٠..... ثالثاً: لطائف الاستعاذة.....
- ٢٠٠..... اللطيفة الأولى: الاستعاذة وطهارة القلب.....
- ٢٠١..... ركنا الاستعاذة.....
- ٢٠٢..... التخلية قبل التحلية.....
- ٢٠٣..... مفاتيح القلوب النيرة.....
- ٢٠٤..... الولوج لنور القرآن.....
- ٢٠٥..... اللطيفة الثانية: صيغ الاستعاذة.....
- ٢٠٦..... سر الاستعاذة بلفظ الجلالة.....
- ٢٠٧..... اللطيفة الثالثة: العوذ واللوذ.....
- ٢٠٩..... اللطيفة الرابعة: أقسام الاستعاذة.....
- ٢١٠..... اللطيفة الخامسة: سر تقديم الفعل على الاسم.....
- ٢١١..... رابعاً: تعاليم الاستعاذة.....
- ٢١١..... التعليم الأول: طريقان للتخلص من الشيطان.....
- ٢١٣..... سر الوسوسة والنجاة منها.....
- ٢١٥..... العصية والنزاع سلاح الشيطان.....

- ٢١٦..... طريقان لطرد شيطان الغضب
- ٢١٧..... كيف يخترق الشيطان بني آدم؟
- ٢١٨..... معالجات الغضب
- ٢١٨..... إلفات لأهل القلوب
- ٢١٩..... التعليم الثاني: كيف نساعد الشيطان على أنفسنا؟
- ٢٢٠..... أشكال الشيطان
- ٢٢١..... خداع شياطين الإنس
- ٢٢٢..... تشويه الفضائل وتجميل للمساوي
- ٢٢٢..... هيمنة الشيطنة
- ٢٢٣..... إبليس يخادع الأنبياء
- ٢٢٤..... إبليس يكافئ نوحاً عليه السلام
- ٢٢٤..... ويغالط موسى عليه السلام
- ٢٢٥..... التبرير والمغالطة أسلوب الأبالسة
- ٢٢٦..... مغالطات النهج الشيطاني المعاصر
- ٢٢٦..... الشيطنة السياسية
- ٢٢٧..... مداخل الشيطان
- ٢٢٨..... التعليم الثالث: قاعدة النجاح
- ٢٢٩..... منهج الإمام المهدي عليه السلام
- ٢٣٠..... النجاح في العلاقات الاجتماعية
- ٢٣٠..... التعليم الرابع: معالجة الأمراض النفسية
- ٢٣٢..... الطرق الروحية للخلاص من الشيطان

- ٢٣٣..... التعليم الخامس: هل المعصوم يستعيز من الشيطان؟
- ٢٣٥..... يستعيز لتعليم الناس.....
- ٢٣٦..... التعليم السادس: فروع الاستعاذة الفقهية.....
- ٢٣٩..... البسملة روح القرآن العظيم.....
- ٢٣٩..... الآية الأولى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.....
- ٢٤٣..... المبحث الأول: في فضائل البسملة.....
- ٢٤٣..... أولاً: فضائلها الدنيوية.....
- ٢٤٣..... مفتاح الخزائن الإلهية.....
- ٢٤٤..... معنى أكرم آية.....
- ٢٤٤..... خصائص القرآن والبسملة المعنوية.....
- ٢٤٥..... التحصين من الأعداء.....
- ٢٤٧..... التحصن بها من السلاطين.....
- ٢٤٨..... ثانياً: فضائلها المعنوية.....
- ٢٥٠..... أثر البسملة على الصراط.....
- ٢٥٢..... أثر التعليم المعنوي.....
- ٢٥٣..... كرامة اللجنة.....
- ٢٥٣..... عطايا لا تدركها العقول.....
- ٢٥٤..... مقام فاطمة عليها السلام.....
- ٢٥٥..... سر لأهل البصيرة.....
- ٢٥٧..... المبحث الثاني: في مفردات البسملة ودلائلها.....
- ٢٥٧..... لماذا الاستعاذة بالاسم؟.....

- ٢٥٩..... لماذا الدعاء باسم الله تعالى؟
- ٢٦٠..... أنواع الاسم
- ٢٦١..... علي الأكبر ورسول الله ﷺ
- ٢٦١..... الاستعانة بالله وبآل محمد ﷺ
- ٢٦٣..... معنى الاسم وعبادته
- ٢٦٥..... حقيقة الإيمان
- ٢٦٥..... مراتب المعنى
- ٢٦٦..... مراتب أسماء الله تعالى
- ٢٦٦..... حقيقة الاسم الأعظم
- ٢٦٧..... التسيح بالاسم العيني
- ٢٦٨..... آثار حروف الاسم
- ٢٦٨..... هل للحروف معنى؟
- ٢٧٠..... دلالة الحروف على الصفات
- ٢٧١..... البسملة والاسم الأعظم
- ٢٧٢..... آل محمد ﷺ والاسم الأعظم
- ٢٧٣..... حقيقة الاسم والمسمى
- ٢٧٣..... مراتب اسم الله وخصائصها
- ٢٧٤..... توقيفية الأسماء الإلهية
- ٢٧٥..... معرفة الأسماء بالطريق النقلي
- ٢٧٧..... هل الأسماء طولية أم عرضية؟
- ٢٧٧..... تداخل الأسماء الإلهية

- ٢٧٨..... مراتب الأسماء الإلهية
- ٢٨٠..... أثر الاسم الأعظم
- ٢٨١..... الاسم الجامع للأسماء
- ٢٨٢..... معنى أنهم الاسم الأعظم
- ٢٨٣..... رحمة الخالق والمخلوق
- ٢٨٤..... آل محمد ﷺ الرحمة الواسعة
- ٢٨٦..... بالحب والرحمة قامت الأشياء
- ٢٨٧..... الحب سبب الخلق
- ٢٨٧..... مفهوم الرحمة والحب
- ٢٨٩..... سر التكرار في القرآن
- ٢٨٩..... أنحاء التكرار
- ٢٩٠..... دفع إشكال اللغوية
- ٢٩٢..... حسن التكرار وجماله
- ٢٩٣..... دواعي البيان القرآني
- ٢٩٤..... غايات الآيات
- ٢٩٥..... أوصاف الخطاب القرآني
- ٢٩٦..... لماذا تكررت البسملة في السور؟
- ٢٩٧..... البسملة ونفور الكفار
- ٢٩٧..... استحباب البسملة
- ٢٩٩..... المبحث الثالث: في لطائف الآية المباركة
- ٢٩٩..... اللطيفة الأولى: أثر الاستعانة وموانعها

- ٢٩٩..... موانع الأعمال.
- ٣٠١..... سبب كثرة الطلاق.
- ٣٠٢..... أطلب حتى ملح طعامك.
- ٣٠٢..... لطائف اسم الجلالة.
- ٣٠٣..... اللطيفة الثانية: غاية التخفيف في البسملة.
- ٣٠٥..... اللطيفة الثالثة: تصحيح الأساليب الخاطئة.
- ٣٠٥..... كل ما في القرآن إلهي.
- ٣٠٦..... اللطيفة الرابعة: أصالة الرحمة في السنن.
- ٣٠٧..... خُلِقَ الناس للرحمة.
- ٣٠٧..... صرامة العقاب لماذا؟
- ٣٠٩..... شعار الرحمة وغايته.
- ٣١٠..... اللطيفة الخامسة: لطف الأسماء في البسملة.
- ٣١١..... أثر الأسماء الحسنة.
- ٣١١..... دلائل الأسماء في البسملة.
- ٣١٢..... خصائص اسم الجلالة.
- ٣١٤..... عقل الموجودات وعبوديتها.
- ٣١٥..... إيمان الموجودات بالنبى والإمام عليهما السلام.
- ٣١٥..... العبودية والربوبية باسم الله.
- ٣١٦..... قصور المخلوق.
- ٣١٧..... الأسماء الجامعة لكل الأسماء.
- ٣١٩..... المبحث الرابع: في تعاليم الآية المباركة.

- أولاً: التعاليم العامة..... ٣١٩
- التعليم الأول: فوائد الابتداء بالبسملة..... ٣١٩
- العبادة بالأسماء الشريفة..... ٣٢٠
- ملاكات وضع الأسماء..... ٣٢١
- مزايا التسمية بالأسماء المقدسة..... ٣٢٢
- خواص الأسماء وآثارها..... ٣٢٣
- بركة الأسماء الإلهية..... ٣٢٤
- شرطان لتأثير الدعاء..... ٣٢٥
- تطابق المصلحة الشخصية والنوعية..... ٣٢٦
- التوسل بدعاء القلب..... ٣٢٧
- لماذا يدعون ولا يستجاب لهم؟..... ٣٢٨
- دلائل الحديث الشريف..... ٣٣٠
- التعليم الثاني: الإنسان السماوي والأرضي..... ٣٣١
- خصائص الإنسان الأرضي..... ٣٣٢
- خيبة أهل الدنيا..... ٣٣٣
- مزايا الإنسان السماوي..... ٣٣٤
- القيمة الحقيقية للمال والولد..... ٣٣٥
- منطلقات الإنسان السماوي..... ٣٣٥
- مصير الإنسان الأرضي..... ٣٣٦
- دلائل الحديث..... ٣٣٧
- التعليم الثالث: الله تعالى نور الوجود والقلوب..... ٣٣٨

- الهويات بالكلمات لا بالأنساب والأحساب..... ٣٣٩
- ثانياً: التعاليم الفقهية..... ٣٤١
- التعليم الأول: البسملة والقرآن..... ٣٤١
- قول الإمامية في البسملة..... ٣٤١
- البسملة جزء في كل سورة..... ٣٤٤
- لها معنى في كل سورة..... ٣٤٥
- الإجماع على الجزئية..... ٣٤٥
- حكم العقل بالجزئية..... ٣٤٧
- قول العامة في البسملة..... ٣٤٨
- دليل عدم الجزئية..... ٣٤٩
- بطلان الدليل..... ٣٤٩
- الروايات النافية لجزئية البسملة..... ٣٥١
- مناقشة رواية أبي هريرة..... ٣٥١
- القصور الذاتي في الرواية..... ٣٥٣
- وجوه استحسانية للنفي..... ٣٥٤
- البسملة وترقيم الآيات..... ٣٥٥
- لزوم الترقيم بالبسملة..... ٣٥٦
- حذفوا البسملة لمخالفة علي والعترة عليه السلام..... ٣٥٦
- الدواعي السياسية للحذف..... ٣٥٨
- حزب الكذابة الأموي..... ٣٦٠
- فتاوى الهوى..... ٣٦١

- ٣٦١..... إخفاء البسملة
- ٣٦١..... إخفاء التلبية
- ٣٦٢..... مخالقات أبي حنيفة
- ٣٦٢..... إقرار عبد العزيز ومعاوية ومروان
- ٣٦٤..... التعليم الثاني: استحباب الابتداء والجهر بالبسملة
- ٣٦٥..... الحمد والعبودية
- ٣٦٥..... الآية الثانية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
- ٣٦٩..... المبحث الأول: في دلالة السياق
- ٣٦٩..... دلائل افتتاح الكتاب بالحمد
- ٣٧٠..... الافتتاح بالحمد العام
- ٣٧٣..... الوجوب الفطري والعقلي
- ٣٧٤..... بالبسملة والحمد تدوم النعم
- ٣٧٥..... الافتتاح باسم الله لا باسم الشعب
- ٣٧٥..... ما معنى باسم الشعب؟
- ٣٧٦..... إشكال جوهرى على الديمقراطية
- ٣٧٦..... شرعية الحكم من الله تعالى
- ٣٧٧..... إشكال جوهرى ثان على الديمقراطية
- ٣٧٨..... تطابق الحمد والبسملة في الأثر
- ٣٧٨..... الجمع بين الأقطع والأبتر
- ٣٧٩..... التكامل بين البسملة والحمد
- ٣٨١..... المبحث الثاني: في مفردات الآية المباركة

- ٣٨١..... دلائل الحمد وآثاره.
- ٣٨١..... المفردة الأولى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾
- ٣٨١..... معنى الحمد والثناء.
- ٣٨٢..... لماذا لا يستحق الحمد إلا هو؟
- ٣٨٣..... لا يليق الحمد إلا له
- ٣٨٣..... ما معنى (الله)؟
- ٣٨٣..... المفردة الثانية: ﴿لِلَّهِ﴾
- ٣٨٤..... معنى لفظ الجلالة.
- ٣٨٦..... معنى حمد البارئ لنفسه.
- ٣٨٨..... مزايا الحمد لله.
- ٣٨٩..... أنه المحسن بلا استحقاق.
- ٣٨٩..... الحمد الجامع للمحامد.
- ٣٩٠..... أقسام الحمد
- ٣٩٠..... حمد الثناء والأقوال.
- ٣٩١..... مفهوم الرب والنظام الربوبي
- ٣٩١..... المفردة الثالثة: ﴿رَبِّ﴾
- ٣٩١..... أركان النظام الربوبي
- ٣٩٢..... التحقيق في معنى الرب.
- ٣٩٤..... دلائل لفظ الرب.
- ٣٩٥..... خصائص اسم الرب
- ٣٩٦..... الربوبية الجامعة

- ٣٩٩..... ربوبية الأبدان والأرواح
- ٤٠١..... الربوبية الحقيقية.
- ٤٠١..... أنحاء الربوبية البشرية.
- ٤٠٢..... الألوهية وأنحاء الربوبية
- ٤٠٢..... الأول: ربوبية الخلق والإيجاد
- ٤٠٤..... حقيقة الاستنساخ.
- ٤٠٤..... الثاني: ربوبية النظم.
- ٤٠٤..... حقيقة الإنشاء وغايته
- ٤٠٥..... معنى (لا من شيء)
- ٤٠٥..... فرق الصنع الإلهي عن البشري
- ٤٠٦..... بين الاختراع والابتداع.
- ٤٠٧..... ربوبيته العلمية لأوليائه
- ٤٠٧..... الثالث: ربوبية العلم
- ٤١٠..... تربية الظاهر والباطن.
- ٤١٠..... الرابع: ربوبية التربية والتهديب.
- ٤١٠..... مَنْ وهب الذكاء؟
- ٤١١..... الخامس: ربوبية المقام والرتبة.
- ٤١٣..... فضلهم وفضل شيعتهم
- ٤١٣..... الربوبية والجبر.
- ٤١٤..... ربوبية الله وربوبية البشر.
- ٤١٥..... أموال الوليد بن المغيرة.

- ٤١٧..... الربوبية والخلق
- ٤١٧..... الربوبية والإحياء
- ٤١٩..... خصائص الرزق الإلهي
- ٤١٩..... أثر الإيمان في الرزق
- ٤٢٠..... الربوبية المعاصرة للمال والسلطة
- ٤٢١..... السياسة الخبيثة للغرب
- ٤٢٣..... ربوبية المال والسلطة
- ٤٢٤..... كيف يجاربون الدين؟
- ٤٢٦..... لماذا يخالفون المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟
- ٤٢٧..... ربوبية العوالم
- ٤٢٧..... المفردة الرابعة: ﴿العالمين﴾
- ٤٢٧..... مزايا لفظ العالمين
- ٤٢٧..... اشتقاق العالمين
- ٤٢٨..... الأقوال في العالمين
- ٤٢٩..... عوالم الجن والإنس
- ٤٣٠..... عوالم العقلاء
- ٤٣١..... عوالم الخلائق الحيّة
- ٤٣١..... عوالم الموجودات
- ٤٣٢..... عوالم أهل الزمان
- ٤٣٢..... عوالم العلماء
- ٤٣٣..... عوالم المخلوقات أجمع

- ٤٣٣..... القول الجامع للأقوال
- ٤٣٤..... أدلة القول بكل العوالم
- ٤٣٦..... كل مخلوق حي
- ٤٣٦..... خلاصة الأدلة
- ٤٣٧..... لماذا (بالعالمين) دون (العالم)؟
- ٤٣٨..... عقائد القدماء
- ٤٣٨..... آلاف الآلهة
- ٤٣٩..... الآلهة المعاصرة
- ٤٣٩..... ربوبية الفساد
- ٤٤٠..... التحذير من الدمار القادم
- ٤٤٢..... ربوبية الآلام والمصائب
- ٤٤٣..... تجدد العوالم
- ٤٤٤..... العوالم الطولية والعرضية
- ٤٤٧..... المبحث الثالث: لطائف الآية المباركة
- ٤٤٧..... اللطيفة الأولى: هل (الحمد لله) إخبار أم إنشاء؟
- ٤٤٧..... بطلان قول العامة
- ٤٤٨..... أدلة الإنشائية
- ٤٥٠..... غايات النصوص الشرعية
- ٤٥٢..... دليل الإخبار والإنشاء
- ٤٥٣..... اللطيفة الثانية: خصوصية ورود الحمد بالجملة الإسمية
- ٤٥٤..... الربوبية الشاملة

- ٤٥٦..... اللطيفة الثالثة: مزايا مفردة الحمد
- ٤٥٨..... مراتب الشكر
- ٤٥٩..... ما معنى شكر العمل؟
- ٤٦٠..... لماذا لم يصف آل محمد بالشاكرين؟
- ٤٦٢..... بين الشكر والحمد
- ٤٦٤..... اللطيفة الرابعة: كل شيء يسبح بحمده
- ٤٦٥..... تسبيح المخلوقات
- ٤٦٧..... معنى التسبيح
- ٤٦٨..... المخلوق دليل الخالق
- ٤٦٩..... الإلحاد خروج عن الفطرة
- ٤٦٩..... اللطيفة الخامسة: الحمد والتسبيح بالحمد
- ٤٧١..... موردان للتسبيح بالحمد
- ٤٧٣..... التنزه من الحدود
- ٤٧٤..... اللطيفة السادسة: الابتداء والاستعانة بالله تعالى
- ٤٧٥..... الفعل الإلهي توسيطي
- ٤٧٥..... علاقة الصعود والنزول
- ٤٧٦..... وسيلة آل محمد ﷺ
- ٤٧٨..... اللطيفة السابعة: مراتب الحقائق المعنوية
- ٤٧٨..... رسول الله ﷺ وذكر الله
- ٤٧٩..... الحمد الكامل رسول الله ﷺ
- ٤٨٠..... إنه العقل الكامل

الفهرس ..... ٥٠١

٤٨٠ ..... الحمد أول النطق

٤٨٠ ..... تفرد سبحانه بالكمالات

٤٨٠ ..... كمالات النبي ﷺ

٤٨١ ..... حقيقة زهد النبي ﷺ

٤٨٣ ..... عفوه ونزاهته

٤٨٥ ..... رسول الله العقل الكامل

٤٨٦ ..... رسول الله ﷺ المحمود

٤٨٧ ..... بين أحمد ومحمد ﷺ

٤٨٨ ..... رسول الله ﷺ مدار التكوين والتشريع

٤٩٠ ..... اللطيفة الثامنة: الحمد على نعمة الولاية

٤٩٠ ..... ما معنى كمال النعمة وتمامها؟

٤٩٢ ..... الولاية أعظم نعمة تشريفية

٤٩٤ ..... أعظم الحمد على أعظم نعمة

٤٩٥ ..... نتائج هامة

٤٩٥ ..... اللطيفة التاسعة: آثار الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ

٤٩٧ ..... لا تصل الصلاة الرمزية

٤٩٨ ..... الآثار الغيبية للصلاة عليهم

٤٩٩ ..... فوائد الصلاة على محمد وآله ﷺ

٥٠١ ..... هل الصلاة على آل محمد ﷺ تنفعهم؟

٥٠٣ ..... شواهد انتفاعهم بالصلاة عليهم

٥٠٥ ..... اللطيفة العاشرة: روح الأذكار وجوهرها

٥٠٢ ..... ما يقوله القرآن في سورة الحمد

٥٠٨ ..... الصلاة على محمد وآله عليهم السلام مبدأ الأمور وختامها

٥١١ ..... هم أساس التكوين والتشريع

٥١٣ ..... الفهرس

## فهرس الجزء الثاني

- ١ ..... ما يقوله القرآن في سورة الحمد (الفاتحة)
- ٩ ..... المبحث الرابع: في تعاليم الآية المباركة
- ٩ ..... التعليم الأول: اشكروا الناس على فضلهم
- ١١ ..... مراتب الشكر والمشكورين
- ١٣ ..... أفضل الشكر بما يليق
- ١٥ ..... وحدة الحامدين
- ١٥ ..... التعليم الثاني: شكر القلب واللسان
- ١٦ ..... مراحل الحمد
- ١٧ ..... الشعارات الفارغة
- ١٧ ..... خواء الزبد
- ١٨ ..... خواء المجاملات الكاذبة
- ٢٠ ..... المراقبة شرط التأثير
- ٢١ ..... سلامة القلوب
- ٢٣ ..... القصد وهوية العمل
- ٢٤ ..... الحمد بالعقيدة والعمل
- ٢٤ ..... حمد المعرفة والإقرار
- ٢٥ ..... التعليم الثالث: أول عهد بين الله وخلقه
- ٢٦ ..... ربوبية الاسم الأعظم
- ٢٧ ..... ما هو أول اسم إلهي؟
- ٢٧ ..... عهد الربوبية وعهد العبودية
- ٢٨ ..... سر الاصطفاء لمحمد وآل محمد عليهم السلام

- ٣١ ..... ربوبية دائمة.
- ٣١ ..... مراتب الربوبية.
- ٣٣ ..... ربوبية المحبة.
- ٣٤ ..... ربوبية الرجاء.
- ٣٧ ..... ثلاث نظريات باطلة.
- ٣٨ ..... التعليم الرابع: الربوبيات الكاذبة.
- ٣٩ ..... الربوبية الاقتصادية والسياسية.
- ٤٠ ..... عبودية الشيطان.
- ٤٠ ..... ربوبية القانون.
- ٤١ ..... عبودية الطرق والمذاهب.
- ٤٢ ..... فرق الصراط عن السبيل.
- ٤٢ ..... آل محمد ﷺ صراط الله.
- ٤٣ ..... عبودية المدارس.
- ٤٥ ..... التعليم الخامس: مقومات الربوبية.
- ٤٦ ..... كل شيء بئس.
- ٤٩ ..... العمل بمنطق الوظيفة لا الربح.
- ٤٩ ..... يقدمون لوجه الله تعالى.
- ٥١ ..... ما هو جزاء المخترعين من غير المؤمنين؟
- ٥٣ ..... مقياس الجزاء الإلهي.
- ٥٤ ..... إلى أهل الفن والأدب.
- ٥٥ ..... إلى الطبيعيين.

- ٥٦ ..... إلى الملاحظة.....
- ٥٦ ..... الطريق العقلي للمعرفة.....
- ٥٧ ..... الطريق النقلي للمعرفة.....
- ٥٨ ..... لا تفكر في ذات الله تعالى.....
- ٥٩ ..... إلى المقننين وأصحاب القرار.....
- ٦٠ ..... مجالس المجتهدين وأهل الخبرة.....
- ٦١ ..... التعليم السادس: آثار الحمد في المنهاج اليومي.....
- ٦٣ ..... التعليم السابع: قضايا فلسفية تبطلها الآية.....
- ٦٤ ..... بطلان السنخية.....
- ٦٥ ..... التعليم الثامن: فصل الانسان الحمد أم الناطقية؟.....
- ٦٧ ..... فصل الذات وفصل الرتبة.....
- ٦٨ ..... التعليم التاسع: فروع فقهية.....
- ٧٠ ..... الحمد قيمة عظمي.....
- ٧٢ ..... أول ما يجب تعليمه.....
- ٧٢ ..... التعليم العاشر: المدارس الكلامية في الربوبية.....
- ٧٥ ..... الآية الثالثة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.....
- ٧٧ ..... الرحمة الرحمانية والرحيمية.....
- ٧٨ ..... الرحمة هي السنّة العامة.....
- ٧٨ ..... الابتلاءات والعقوبات رحمة.....
- ٨٠ ..... الرحمة الباطنة.....
- ٨١ ..... الرحمة هي الروح السارية في الأشياء.....

- المبحث الأول: في مفردات الآية المباركة ..... ٨٥
- المفردة الأولى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ..... ٨٥
- فرق الرحمن عن الرحيم ..... ٨٥
- هل الرحمن اسم عبراني؟ ..... ٨٨
- الرحيم صفة فعل ..... ٩٠
- المفردة الثانية: ﴿الرَّحِيمِ﴾ ..... ٩٠
- معنى الرحمن والرحيم ..... ٩١
- المفردة الثالثة: (الصفتان معاً) أي ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ..... ٩١
- البسملة شعار القرآن ..... ٩٥
- فوائد تكرار الرحمن الرحيم ..... ٩٥
- المبحث الثاني: في لطائف الآية المباركة ..... ٩٩
- اللطيفة الأولى: ربوبية الرحمة والمحبة ..... ٩٩
- حقائق الربوبية ..... ٩٩
- تكليف الكافر بالأصول والفروع ..... ١٠٠
- الرحمة واللفظ المقرب ..... ١٠١
- اللطيفة الثانية: ربوبية العدل وربوبية الظلم ..... ١٠١
- الربوبيات الزائفة ..... ١٠٣
- اختلاف ربوبية البشر ..... ١٠٣
- ربوبية يوسف وسليمان عليهما السلام ..... ١٠٤
- المعونة العامة على الظلم ..... ١٠٦
- التبري من الظلمة بأبسط الأعمال ..... ١٠٧

- ١٠٩..... اللطيفة الثالثة: الرحمة التكوينية والتشريعية
- ١١٠..... الرحمة اللطيفة
- ١١١..... أقسام الرحمة
- ١١٢..... اللطيفة الرابعة: سر تكرار الرحمة
- ١١٣..... الجزء الربوي
- ١١٥..... الحمد الملوكوتي
- ١١٧..... المبحث الثالث: في تعاليم الآية المباركة
- ١١٧..... التعليم الأول: ربوية الرحمة في المناهج والأعمال
- ١١٧..... بالرحمة تثمر الأشياء لا بالعنف
- ١١٨..... رحمة القرآن
- ١١٩..... معنى البصيرة
- ١٢١..... التعليم الثاني: القيادة الرحيمة
- ١٢٢..... فن المعاشرة الرحيمية
- ١٢٣..... ركائز لين القيادة
- ١٢٣..... الاستغفار للأتباع
- ١٢٥..... حقيقة الأدب
- ١٢٥..... الرحمة العملية
- ١٢٦..... معاداة اليهود للنبي ﷺ
- ١٢٨..... المعرفة بالوصي
- ١٢٨..... تحريف المعاني
- ١٢٨..... وجوب تنزيه الإسلام

- ١٢٨..... شورى النبي ﷺ ورحمته
- ١٢٩..... مشاورات النبي ﷺ
- ١٣١..... أدلة وجوب الشورى
- ١٣٢..... أفضل صفات القائد
- ١٣٢..... أصناف القادة
- ١٣٣..... التعليم الثالث: رحمة الإسلام.. والعلمانية
- ١٣٤..... من يمثل الإسلام؟
- ١٣٥..... دخول علماء الغرب الإسلام
- ١٣٥..... أوروبا والإسلام
- ١٣٦..... سياسة النبي الفاتح
- ١٣٨..... سياسته الداخلية
- ١٣٩..... حق المواطنة
- ١٤٠..... سياسة الغاصبين
- ١٤١..... تعالوا إلى الإسلام
- ١٤١..... هل عقوبات الإسلام قاسية؟
- ١٤٢..... قضية الرق في الإسلام
- ١٤٢..... بين السجن والرق
- ١٤٤..... أسباب العتق القهري
- ١٤٤..... الرق المعاصر
- ١٤٦..... استرقاق الخدم
- ١٤٦..... سلب حقوق الوالدين

الفهرس ..... ٥٠٩

- ١٤٧..... التعامل الشرعي مع الأسير.
- ١٤٨..... شواهد من أهلها.
- ١٤٨..... أخلاق علي عليه السلام مع الأقليات.
- ١٤٩..... عقوبات الإسلام وعقوبات العلمانية.
- ١٥٠..... مساوى عقوبات القانون الوضعي.
- ١٥١..... محاسن العقوبات الإسلامية.
- ١٥٢..... المعالجات الجزرية للجريمة.
- ١٥٣..... من شواهد العلاج.
- ١٥٥..... للحاكم أن يعفو.
- ١٥٦..... السجن عقوبة جماعية.
- ١٥٧..... مساوى الغرامات.
- ١٥٧..... مساوى الإعدام.
- ١٥٨..... التعليم الرابع: آثار الرحمة.
- ١٦١..... الآية الرابعة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.
- ١٦٣..... القراءة الصحيحة.
- ١٦٣..... أصناف الحمد والحمدين.
- ١٦٥..... تهذيب الشاكرين.
- ١٦٧..... الأصل الأخير في الإيمان.
- ١٦٨..... آثار الاعتقاد بالمعاد.
- ١٦٩..... تحديد الظلم والظالمين.
- ١٧٠..... عشرة تموت بها القلوب.

- ١٧١..... مالكية الله ومالكية غيره
- ١٧٢..... الأسماء التي يقوم بها العالم
- ١٧٣..... العقيدة الصحيحة
- ١٧٣..... خلاصة نظام الربوبية
- ١٧٥..... المبحث الأول: في مفردات الآية المباركة
- ١٧٥..... المفردة الأولى: ﴿مالك﴾
- ١٧٦..... مزايا الملكية الحقيقية
- ١٧٧..... موانع الملكية الاعتبارية
- ١٧٨..... الملكية الشمولية
- ١٧٨..... مالكية الحساب
- ١٨٠..... لا مالكية للدولة
- ١٨٠..... مالكية المال المحدود
- ١٨٠..... هل الإنسان يملك نفسه؟
- ١٨٢..... معاني اليوم في القرآن
- ١٨٢..... المفردة الثانية: ﴿يوم﴾
- ١٨٣..... اليوم المعرفي ووضع الألفاظ
- ١٨٤..... التحقيق في معنى اليوم
- ١٨٥..... هل الزمان يملك؟
- ١٨٦..... اليوم في القرآن والسنة
- ١٨٩..... هم الأيام بجمع
- ١٩٠..... لا تعادوا الأيام

- ١٩١..... فاطمة عليها السلام وأيام الأسبوع.
- ١٩٢..... كن كما شئت كما تدين تدان.
- ١٩٢..... المفردة الثالثة: ﴿الدين﴾.
- ١٩٣..... معاني الدين.
- ١٩٦..... أوصاف يوم الدين.
- ١٩٨..... ما معنى يوم الدين؟
- ٢٠١..... يوم الدين اصطلاحاً.
- ٢٠٢..... دلالة المفردات الثلاث.
- ٢٠٣..... المبحث الثاني: في لطائف الآية المباركة.
- ٢٠٣..... اللطيفة الأولى: عقيدة الجاهليين بالمعاد.
- ٢٠٤..... اللطيفة الثانية: ما تملكه وما لا تملكه.
- ٢٠٥..... أصناف الملكية.
- ٢٠٥..... المفهوم الفلسفي للملك.
- ٢٠٧..... المفهوم الفقهي للملك.
- ٢٠٧..... أقسام الملكية الفقهية.
- ٢٠٨..... الملكية الفكرية.
- ٢٠٩..... خصائص الملكية الوهبية والخلقية.
- ٢١٠..... حقيقة الملكية الاعتبارية.
- ٢١٢..... الأحكام اللازمة للملكية.
- ٢١٢..... حدود ملكية الإنسان.
- ٢١٣..... جزاء الإمتناع عن الخمس والزكاة.

- ٢١٥..... مشكلة الضرائب ومشروعيتها
- ٢١٧..... خلل الديمقراطية والمجالس النيابية
- ٢١٧..... ضرورة تطوير الديمقراطية
- ٢١٨..... التطوير عبر ثلاثة أصول
- ٢١٩..... الدولة الدينية والمدنية
- ٢١٩..... هل دولة الأنبياء دينية أم مدنية؟
- ٢٢٠..... خلل الدولة المدنية
- ٢٢١..... السعادة بتعاليم الدين
- ٢٢٢..... اللطيفة الثالثة: أصناف الأسماء الحسنى
- ٢٢٤..... منشأ ملوكية البشر
- ٢٢٥..... دلالات الأسماء البسيطة والمركبة
- ٢٢٦..... أسماء الأعلام والأوصاف
- ٢٢٦..... لماذا ورد لفظ مالك؟
- ٢٢٨..... بين المالك والملك والمليك
- ٢٢٩..... اللطيفة في مالك
- ٢٣٠..... ما قالته فاطمة لأبيها عليها السلام
- ٢٣١..... عظمة مجالس العالم
- ٢٣٢..... مجالس الذكر
- ٢٣٣..... اللطيفة الرابعة: المالكية صفة فعل أم ذات؟
- ٢٣٤..... مراتب المالكية
- ٢٣٤..... مفهوم المالكية عند المفسرين

- اللطيفة الخامسة: آل محمد ﷺ مظهر مالكية الله تعالى ..... ٢٣٥
- منظومة الشهادة والشفاعة في الآخرة ..... ٢٣٦
- حساب الناس عليهم ..... ٢٣٨
- حال الشيعة في الحساب ..... ٢٣٩
- شفاعة النبي ﷺ ..... ٢٤٠
- اللطيفة السادسة: لماذا مالك اليوم لا الدين؟ ..... ٢٤٢
- غايات ذكر يوم الدين ..... ٢٤٣
- مهمات النبي ﷺ ..... ٢٤٤
- إذا صار العلم بلا تهذيب ..... ٢٤٥
- عظمة الأدب وأثره ..... ٢٤٦
- العدالة الإلهية ..... ٢٤٧
- قصور العدالة الدنيوية ..... ٢٤٨
- عدالة المهدي ﷺ ..... ٢٤٩
- فرق الإغراء عن الإلقاء ..... ٢٥٠
- فساد اليهود ..... ٢٥١
- أنحاء العداوة بين اليهود والنصارى ..... ٢٥٢
- المسلمون واليهود والنصارى ..... ٢٥٣
- الرجعة من يوم الدين ..... ٢٥٤
- اللطيفة السابعة: أثر السياق في الآية ..... ٢٥٥
- بين ربوبية الدنيا وربوبية الآخرة ..... ٢٥٦
- اللطيفة الثامنة: قراءة (ملك) بدلاً عن (مالك) ..... ٢٥٧

- أدلة قراءة ملك..... ٢٥٧
- مناقشة الأدلة المذكورة ..... ٢٥٨
- أسماء الله معارف..... ٢٦٠
- مناقشة الآيات والروايات..... ٢٦٠
- أرجحية قراءة مالك..... ٢٦٢
- المبحث الثالث: في تعاليم الآية المباركة..... ٢٦٥
- التعليم الأول: مراحل بناء العقيدة السليمة..... ٢٦٥
- الانتقاع العقلي..... ٢٦٦
- التوحيد القلبي والعقلي..... ٢٦٧
- التوحيد العملي..... ٢٦٨
- وساوس الملاحدة..... ٢٦٩
- صراع العصاة مع نفوسهم..... ٢٧٠
- الحجة البالغة..... ٢٧٠
- أول طريق المعرفة..... ٢٧١
- التعليم الثاني: ما هو مستند الإيذان بالمعاد؟..... ٢٧٢
- من ينكر المعاد؟..... ٢٧٤
- النظريات التي تبطلها الآية المباركة..... ٢٧٥
- النظريات العلمانية التي تبطلها الآية..... ٢٧٦
- موت الحضارة الغربية..... ٢٧٨
- أحوال أهل الزمان وصفاتهم..... ٢٧٩
- التعليم الثالث: انظروا إلى العواقب..... ٢٨٠

- ٢٨٢.....الصبر على النتائج
- ٢٨٢.....إلفات إلى طلبة العلم
- ٢٨٣.....تأني القادة والإداريين
- ٢٨٣.....مضار العجلة وآثارها
- ٢٨٤.....أكثر الجنايات بالعجلة
- ٢٨٥.....أثر النظر في العواقب
- ٢٨٦.....التعليم الرابع: آثار الإيمان بالمعاد
- ٢٨٩.....التعليم الخامس: يزول الملك ويبقى الأثر
- ٢٩١.....كيف تبقي مالك وولدك؟
- ٢٩٢.....الممدوح والمذموم في المال
- ٢٩٣.....بركة المال وأثره
- ٢٩٤.....بين أولياء الله وأعدائه
- ٢٩٥.....عبودية المال والأوثان
- ٢٩٦.....خديعة الديمقراطية والانتخابات
- ٢٩٧.....دلائل العدل والظلم
- ٢٩٨.....المتدينون ومحترفو الدين
- ٢٩٨.....آل محمد ﷺ هم الدين
- ٢٩٩.....مظاهر العدل في الدولة
- ٣٠١.....سرّ سقوط الدول والحضارات
- ٣٠٢.....فساد الناس وفساد الحاكم
- ٣٠٣.....بالظلم لا يدوم الملك

- ٣٠٣..... الملوك والقراء والأغنياء في الآخرة.....
- ٣٠٤..... التعليم السادس: فبصرك اليوم حديد.....
- ٣٠٦..... انكشاف الحجب.....
- ٣٠٦..... حضور الجنة والنار.....
- ٣٠٨..... ظهور الأسرار بنحوين.....
- ٣٠٩..... فضح الكذابين.....
- ٣٠٩..... انتزاع قوى الإنسان.....
- ٣١٠..... الشكر يديم النعمة.....
- ٣١١..... العافية أفضل مطلوب.....
- ٣١١..... أوهام أهل السلطة.....
- ٣١٢..... الجاهلية المعاصرة.....
- ٣١٤..... تنبيه لأهل الأموال.....
- ٣١٥..... تنبيه للملوك وأصحاب القدرة.....
- ٣١٧..... تنبيه لأهل الإيمان.....
- ٣١٨..... التعليم السابع: أعظم أيام الدنيا.....
- ٣١٩..... صورتنا الإسلام.....
- ٣١٩..... يوم الغدير.....
- ٣٢٠..... ولاية علي عليه السلام واجبة على جميع الأنبياء.....
- ٣٢١..... مالك يوم عاشوراء.....
- ٣٢٣..... بالحسين عليه السلام تسعدون وتشقون.....
- ٣٢٤..... مالك يوم المهدي عجل الله تعالى فرجه.....

- ٣٢٦..... أيام المالكية الإلهية.
- ٣٢٩..... أربعة أيام كبرى.
- ٣٢٩..... نتائج البحث.
- ٣٣٠..... أثر التكذيب بالولاية.
- ٣٣١..... ما يؤثر في النعيم والجحيم من الأعمال.
- ٣٣٢..... أثر العصيان في العقيدة.
- ٣٣٣..... أربع فوائد فقهية.
- ٣٣٥..... الآية الخامسة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.
- ٣٣٧..... علاقة الربوبية والعبودية.
- ٣٣٨..... أركان الوجود الكامل.
- ٣٣٨..... منشأ الإلحاد وتناقضه.
- ٣٣٩..... سر التحول من الغيبة إلى الحضور.
- ٣٤١..... الدعاء بالصلاة على آل محمد عليهم السلام.
- ٣٤٣..... الدعاء بالقرآنيين.
- ٣٤٥..... المبحث الأول: في مفردات الآية المباركة.
- ٣٤٥..... خطاب الحضور.
- ٣٤٥..... المفردة الأولى: ﴿إِيَّاكَ﴾.
- ٣٤٦..... مفهوم العبادة والطاعة.
- ٣٤٦..... المفردة الثانية: ﴿نَعْبُدُ﴾.
- ٣٤٨..... أنواع العبادة.
- ٣٤٨..... عبادة البرزخ واللجنة والنار.

- أول عهود العبودية..... ٣٤٩
- حصب جهنم..... ٣٥٠
- أركان العبادة..... ٣٥٠
- خصوصية المعرفة الفطرية..... ٣٥١
- سبب وجود الدنيا..... ٣٥٢
- العبادة بالتسليم..... ٣٥٢
- الانقطاع لآل محمد ﷺ..... ٣٥٣
- وجوب المعرفة التفصيلية..... ٣٥٣
- حديث السلسلة الذهبية..... ٣٥٤
- لماذا قال: ﴿وأنا من شروطها﴾؟..... ٣٥٥
- ما معنى محمد ﷺ حجاب الله؟..... ٣٥٧
- خلوص العبادة..... ٣٥٨
- حقيقة الإخلاص..... ٣٥٩
- قبول العبادة بآل محمد ﷺ..... ٣٥٩
- معرفة الإمام ﷺ..... ٣٦٠
- الطريق إلى الله واحد..... ٣٦١
- عبادة الجوارح والجوانح..... ٣٦٢
- العصيان سبب الأمراض..... ٣٦٣
- العبودية الصادقة والكاذبة..... ٣٦٥
- من هو عبد الله؟..... ٣٦٥
- اخلط عملك بعمل أولياء الله..... ٣٦٦

- ٣٦٧..... سر الصلاة في وقتها
- ٣٦٩..... مراتب العابدين
- ٣٦٩..... ما قاله الحسين عليه السلام في العبودية
- ٣٧١..... الاستعانة
- ٣٧١..... المفردة الثالثة: ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
- ٣٧٢..... مفهوم الاستعانة وخصائصها
- ٣٧٣..... أقسام الاستعانة
- ٣٧٤..... وهم الملاحدة
- ٣٧٥..... أركان الاستعانة النظرية
- ٣٧٦..... الاستعانة العملية
- ٣٧٧..... العبودية والاستعانة
- ٣٧٧..... من هم المستعينون؟
- ٣٧٨..... أنواع العلة
- ٣٧٨..... كلُّ يعمل بمعونته
- ٣٧٨..... العلة المبقية
- ٣٧٩..... العلة المحققة
- ٣٧٩..... العناصر التكوينية للإعانة
- ٣٨٠..... الإعانة في الصلاة
- ٣٨١..... وَهَمَّ الْعَاصِينَ وَالْمَلْحَدِينَ
- ٣٨٢..... لماذا يخلق الله المشركين؟
- ٣٨٢..... حب الله لعباده؟

- ٣٨٤..... نور مجالس المؤمنين.
- ٣٨٥..... الجمع بين السببية والاستعانة.
- ٣٨٥..... الاستعانة بغير الله تعالى.
- ٣٨٧..... أنحاء الشرك.
- ٣٨٧..... الاستعانة بالوسائط.
- ٣٨٧..... الاستعانة بقدرة الله تعالى.
- ٣٨٨..... استعانة التوسيط والتفويض.
- ٣٨٩..... معنى كمال عبوديتهم.
- ٣٩٠..... الله المستعان.
- ٣٩١..... المعنى الباطن للصلاة والصيام.
- ٣٩٢..... الاستعانة بمحمد وآل محمد عليهم السلام.
- ٣٩٣..... لماذا وصف النبي بالصبر وعلي بالصلاة؟
- ٣٩٥..... المبحث الثاني: في لطائف الآية المباركة.
- ٣٩٥..... اللطيفة الأولى: بصائر القلوب.
- ٣٩٥..... مراتب الرؤية.
- ٣٩٦..... رؤية القلب.
- ٣٩٧..... خصائص رؤية القلب.
- ٣٩٨..... أدوات رؤية القلب.
- ٣٩٨..... لماذا خاطب بلسان الحضور؟
- ٣٩٩..... سر عظمة أهل الغيبة.
- ٣٩٩..... حضور الخضر وولي الزمان.

- ٤٠٠..... دلالتان لأهل القلوب.
- ٤٠٠..... معنى الحج لقاء الإمام.
- ٤٠٠..... حضور الإمام لأوليائه.
- ٤٠٢..... ثبات القدم في زمن الغيبة.
- ٤٠٣..... اللطيفة الثانية: لماذا قدم ضمير المخاطب؟
- ٤٠٤..... لماذا كرر الضمير (إيّاك)؟
- ٤٠٤..... قدّموا لله وخذوا منه ما تريدون.
- ٤٠٥..... أركان المعاملة مع الله.
- ٤٠٦..... البيعة الثانية لأمر المؤمنين عليهم السلام.
- ٤٠٧..... النعم الأولية والكمالية.
- ٤٠٨..... تعالوا إلى الله سبحانه حتى يقبل عليكم.
- ٤٠٩..... الرزق مكفول في الزواج.
- ٤٠٩..... ما هي غاية الخلق؟
- ٤١٠..... العبادة ثم الاستعانة.
- ٤١١..... الإمام الصادق عليه السلام والقدري.
- ٤١٣..... إبطال المذاهب والأقوال بجملة.
- ٤١٤..... اللطيفة الثالثة: العبودية ومراتب العبادة.
- ٤١٥..... مقومات العبادة ومراتبها.
- ٤١٨..... مقامات الحب.
- ٤١٩..... فلسفة آيات الحمد.
- ٤٢٠..... اللطيفة الرابعة: العبودية بالاتباع لا بالانتفاء.

- ٤٢١..... ما معنى الإسلام؟
- ٤٢٢..... سبب قلة الرزق والبركة.
- ٤٢٤..... الصحابة والافتخار.
- ٤٢٥..... المهدي عليه السلام الأولى بإبراهيم عليه السلام.
- ٤٢٦..... الانتساب لآل محمد عليه السلام.
- ٤٢٧..... اللطيفة الخامسة: لماذا أفرد الضمير؟
- ٤٢٩..... معنى الموت والحياة.
- ٤٢٩..... دواعي العبودية والعبادة.
- ٤٣٠..... اللطيفة السادسة: العبودية والإنسانية.
- ٤٣١..... مزايا العبودية لله سبحانه.
- ٤٣٢..... تناقضات الفلسفة الوجودية.
- ٤٣٤..... اللطيفة السابعة: أصول النعم الإلهية.
- ٤٣٤..... أركان العبادة.
- ٤٣٥..... اللطيفة الثامنة: أقسام العناية الإلهية.
- ٤٣٧..... طرق المعرفة.
- ٤٣٧..... مقدمات الفكر.
- ٤٣٨..... الأحكام العقلية بالطاعات.
- ٤٣٩..... اللطيفة التاسعة: مراتب العابدين.
- ٤٣٩..... الحاجة والفقير.
- ٤٤٠..... لماذا صار موسى كلبياً؟
- ٤٤١..... علامات التواضع.

- ٤٤٢..... الخشوع والخضوع
- ٤٤٣..... امتحان القلوب
- ٤٤٤..... مراتب غض الصوت
- ٤٤٤..... الانتقال إلى الله تعالى
- ٤٤٥..... اللجوء والتوكل
- ٤٤٦..... درجات التوكل
- ٤٤٧..... اللطيفة العاشرة: مراتب الاستعانة والعبادة
- ٤٤٩..... المبحث الثالث: في تعاليم الآية المباركة
- ٤٤٩..... التعليم الأول: اجعل حياتك محراب عبادة
- ٤٥٠..... العبادة الخاصة والعامة
- ٤٥١..... هل ينتفع الله بالعبادة؟
- ٤٥٢..... اليقين غاية العبادة
- ٤٥٤..... الآثار المعنوية لليقين
- ٤٥٦..... مرتبة الولاية على الأشياء
- ٤٥٧..... التعليم الثاني: بين العبد والعابد
- ٤٥٨..... حقيقة العبودية
- ٤٦٠..... بالعبودية ينال كل شيء
- ٤٦٥..... فرق العباد والعبيد
- ٤٦٦..... التعليم الثالث: الاستعانة الدائمة
- ٤٦٧..... بطلان الجبر والتفويض
- ٤٦٨..... الحرية والعبودية

٥٢٤ ..... مايقوله القرآن في سورة الحمد

٤٦٨..... ركنا الكمال

٤٦٩..... التعليم الرابع: توقيفية العبادة

٤٧١..... التعليم الخامس: الوسيلة في العبودية والاستعانة

٤٧٣..... أنحاء الاستعانة بالمعصوم عليه السلام

٤٧٥..... استسقاء عمر بالعباس

٤٧٦..... الاستعانة بالحي

٤٧٧..... الفهرس

## فهرس الجزء الثالث

- ١ ..... ما يقوله القرآن.....
- ١ ..... في سورة الحمد (الفاتحة).....
- ٩ ..... الآية السادسة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.....
- ١١ ..... ملازمة الهداية للاستعانة.....
- ١٢ ..... هدايتان حدوثية وبقائية.....
- ١٤ ..... مورد إجابة الدعاء.....
- ١٦ ..... كيف يباع الدين بالدنيا؟.....
- ١٦ ..... أفضل دعاء.....
- ١٧ ..... شروط الهداية.....
- ١٨ ..... بين العمه والعمى.....
- ١٨ ..... ثلاث حقائق معرفية.....
- ١٩ ..... قلب سورة الحمد.....
- ٢٠ ..... لب الهداية.....
- ٢١ ..... هداية الدرجات وهداية الاستقامة.....
- ٢٢ ..... أهم مطلوب.....
- ٢٣ ..... المبحث الأول: في مفردات الآية المباركة.....
- ٢٣ ..... المفردة الأولى: ﴿أَهْدِنَا﴾.....
- ٢٣ ..... معاني الهداية.....
- ٢٤ ..... هداية الإرشاد وهداية اللطف.....
- ٢٥ ..... الهداية اللطيفة.....
- ٢٦ ..... فرق الهدايتين.....

- ٢٧ ..... الهداية الجبلية
- ٢٨ ..... ركائز الهداية الإيصالية
- ٢٩ ..... النبي والإمام خلاصة الهدايات
- ٢٩ ..... خصائص الهادي
- ٣٠ ..... أنحاء الأولوية
- ٣١ ..... أول قضية بعد رسول الله ﷺ
- ٣٢ ..... خلافة علي عليه السلام وبطلان خلافتها
- ٣٤ ..... أقسام الهداية الإلهية
- ٣٧ ..... خصائص النظام الإلهي
- ٤٠ ..... ما معنى طوعاً أو كرهاً؟
- ٤٤ ..... سر الهداية الاصطفائية
- ٤٥ ..... العصمة والتفضيل اختياريان
- ٤٦ ..... المفردة الثانية: ﴿الصِّرَاطُ﴾
- ٤٧ ..... الصراط والطريق والسبيل
- ٥٠ ..... آل محمد عليهم السلام صراط الله
- ٥٢ ..... اهدنا الصراط المستقيم
- ٥٣ ..... علي عليه السلام والصراط المستقيم
- ٥٥ ..... المفردة الثالثة: ﴿المُسْتَقِيمَ﴾
- ٥٦ ..... خصائص الصراط المستقيم
- ٥٧ ..... معنى الصراط المستقيم
- ٥٩ ..... النبي ﷺ والاقرار بالولاية

- ٦١ ..... أصول الدين بالنص
- ٦٢ ..... طبقات المقربين
- ٦٣ ..... طبقات الكفار
- ٦٥ ..... المبحث الثاني: في لطائف الآية المباركة
- ٦٥ ..... اللطيفة الأولى: هداية البصيرة
- ٦٨ ..... تبرير الأخطاء والمعاصي
- ٦٩ ..... تبشير وتحذير أخلاقي
- ٧١ ..... الهداية اللطيفة الإفاضية
- ٧٢ ..... هكذا هم أولياء الله
- ٧٣ ..... طعام أهل النار
- ٧٥ ..... الخاطيء والمخطيء
- ٧٦ ..... هداية أهل القلوب
- ٧٦ ..... حقائق معرفية
- ٧٧ ..... ما سبب استغفار المعصومين؟
- ٧٨ ..... اللطيفة الثانية: هل العلم أم الهداية؟
- ٨٠ ..... أهل الكتاب يكتمون الحق
- ٨٣ ..... الاسم الأعظم الغيبي والعلمي
- ٨٣ ..... العلم وطهارة النفس
- ٨٤ ..... يعرفون الحق وينكرونه
- ٨٦ ..... آثار الديانة الإبراهيمية
- ٨٦ ..... الإقرار بصدق الإسلام

- الإقرار بخاتمة الإسلام ..... ٨٧
- الإقرار بالمهدي عجل الله تعالى فرجه ..... ٨٧
- اللطيفة الثالثة: الإعداد الروحي للصراط ..... ٨٨
- الإعداد الروحي لزيارة الحسين عليه السلام ..... ٩٠
- كربلاء حائر الحسين عليه السلام ..... ٩٣
- هدايا آل محمد عليه السلام في المهدي عليه السلام ..... ٩٤
- اللطيفة الرابعة: هل طلب الهداية من طلب الحاصل؟ ..... ٩٦
- مراتب الهداية ..... ٩٧
- الهداية التأثيرية ..... ٩٩
- شروط الوصول إلى الهداية ..... ٩٩
- الهداية التفصيلية ..... ١٠٢
- هداية المعرفة ..... ١٠٣
- ثلاث من سنن الله تعالى ..... ١٠٥
- في القرآن بصائر العلاج ..... ١٠٥
- اللطيفة الخامسة: اتحاد الهداية والصراط ..... ١٠٦
- اللطيفة السادسة: ما المقصود بالصراط؟ ..... ١٠٨
- حقيقة الصراط ..... ١٠٩
- قاعدة الجري القرآنية ..... ١١٠
- مشابهة القرآن بالشمس والقمر ..... ١١١
- الصراط هو الإمام عليه السلام ..... ١١٢
- نوران يطفآن النار ..... ١١٧

- ١١٨..... اللطيفة السابعة: صراط محمد وآل محمد ﷺ
- ١١٩..... التفرق ينفي الصراط.....
- ١٢١..... المبحث الثالث: في تعاليم الآية المباركة.....
- ١٢١..... التعليم الأول: معنى الأمرين الأمرين.....
- ١٢٢..... مثالان للأمرين أمرين.....
- ١٢٣..... التعليم الثاني: أفضل أوقات الدعاء وحالاته.....
- ١٢٥..... كيفية الدعاء الجماعي.....
- ١٢٩..... أفضل ما يدعو به الآباء للأبناء.....
- ١٣١..... من آثار الصلاة على محمد وآله ﷺ.....
- ١٣١..... التعليم الثالث: هداية القلوب.....
- ١٣٢..... بالدعاء هداية الصراط.....
- ١٣٤..... باتباع الإمام النجاة من الشيطان.....
- ١٣٤..... إقرار الشيطان بعجزه.....
- ١٣٦..... سلطة الشيطان في الأرض.....
- ١٣٦..... التزيين.....
- ١٣٧..... انحصار سلطته بالأرض.....
- ١٣٨..... التعليم الرابع: مزايا الهداية العقلية والقلبية.....
- ١٤٠..... أركان الهداية القلبية ومزاياها.....
- ١٤٢..... يجب معرفة شخص الإمام.....
- ١٤٣..... وجوب الإعلان بالولاية.....
- ١٤٤..... ثلاث نظريات باطلة.....

- ١٤٦..... التعليم الخامس: ما غفل عنه المسلمون
- ١٤٦..... علم النبي والإمام عليهما السلام
- ١٤٧..... لا يفسر القرآن إلا المعصوم.
- ١٤٨..... بين الإمام الصادق عليه السلام وأبي حنيفة
- ١٤٩..... لماذا سكت أبو حنيفة؟
- ١٥٠..... شرطان لحجية الظهور القرآني.
- ١٥١..... بين الإمام الباقر عليه السلام والحسن البصري.
- ١٥٣..... لماذا قدم الحسن على الإمام؟
- ١٥٣..... أدب الإمام الباقر عليه السلام.
- ١٥٤..... لماذا وصف الأئمة والعلماء بالقرى؟
- ١٥٥..... علم القرآن عند المعصوم.
- ١٥٦..... التعليم السادس: هل الهداية تنافي الأسباب الطبيعية؟
- ١٥٨..... الهداية مكتملة للسببية.
- ١٦٠..... كيف يصل الكفار إلى مصالحتهم؟
- ١٦١..... هيمنة قانون الهداية.
- ١٦٣..... شروط صعود العبادة.
- ١٦٣..... تفسير معجزة إبراهيم عليه السلام.
- ١٦٤..... تفسير معجزة عيسى عليه السلام.
- ١٦٤..... تفسير معجزة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.
- ١٦٥..... خلاصة البحث.
- ١٦٦..... التعليم السابع: لا يخلو الزمان من هادٍ

- ١٦٨..... آثار معرفة الصراط.....
- ١٦٩..... التحري عن إمام الزمان.....
- ١٦٩..... التحري عنه في عرفة .....
- ١٧٠..... أثر التحري عن الإمام عليه السلام.....
- ١٧١..... دلائل حديث مسلم.....
- ١٧٣..... كيف يرتبط المؤمن بإمامه عليه السلام؟.....
- ١٧٣..... مراحل المعرفة.....
- ١٧٤..... ما هي حوائج الإمام عليه السلام؟.....
- ١٧٦..... كل الأمور بيده عليه السلام.....
- التعليم الثامن: الخالق والمخلوق على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام
- ١٧٦.....
- ١٧٨..... العالم على ولاية علي عليه السلام.....
- ١٧٩..... تفاوت المراتب بحسب الولاية .....
- ١٨٠..... علي عليه السلام مع جميع الأنبياء.....
- ١٨٢..... خصائص تفاوت المخلوقات بالولاية.....
- ١٨٤..... لا صدفه في الوجود.....
- ١٨٤..... أفضل الأحجار الكريمة .....
- ١٨٥..... سر أفضلية العقيق.....
- ١٨٥..... فقاها الحديث وتفسيره.....
- ١٨٧..... العرض الحقيقي للولاية.....
- ١٨٨..... التسليم للحقائق العجبية.....

- ١٩٠..... مناقشة الإشكال السندي
- ١٩١..... الضعف السندي لا يمنع من العمل
- ١٩٢..... التعليم التاسع: صراط الله واحد لا متعدد
- ١٩٤..... لماذا لا يعرف الله نفسه؟
- ١٩٥..... شذوذ الفكر وتحريف المصطلحات
- ١٩٧..... الوسطية في الأفكار والأعمال
- ١٩٨..... الاعتدال في طلب الدنيا
- ١٩٩..... الاعتدال في تدبير الأسرة
- ٢٠١..... التعليم العاشر: الصراط العمودي والأفقي
- ٢٠١..... صراط المعارف والأعمال
- ٢٠٢..... انحراف الاخلاق والأعمال
- ٢٠٣..... معنى الانسلاخ
- ٢٠٣..... مصير علماء الظلمة
- ٢٠٤..... الطغيان الجماعي
- ٢٠٥..... رسول الله ﷺ يدعو للولاية
- ٢٠٦..... النكوب والهوي
- ٢٠٦..... سببان للضلال البعيد
- ٢٠٧..... معالجة الفساد في مهده
- ٢٠٨..... تكليفان في معالجة الفساد
- ٢٠٨..... التكليف الاجتماعي وكثرة الطلاق
- ٢٠٩..... آثار نزع البركات

- ٢١٠..... شروط الهداية.
- ٢١٠..... صناعة الأجواء الصالحة.
- ٢١١..... معنى قيام الدين.
- الآية السابعة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمُعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ..... ٢١٣
- ٢١٥..... تعريف الصراط وغاياته.
- ٢١٦..... تبرير المفسدين.
- ٢١٧..... توازن مفاتيح الغيب ومفاتيحه.
- ٢١٨..... مزايا التعريف بالمصداق.
- ٢١٨..... أنحاء التعريف.
- ٢١٩..... أثر المثال في المعاني.
- ٢٢١..... وجوه القرآن الثلاثة.
- ٢٢٢..... لماذا عرفه النبي بخاصف النعل؟
- ٢٢٤..... سر التعريف بالمصداق.
- ٢٢٤..... صفات أهل الصراط المستقيم.
- ٢٢٥..... النعمة الجامعة.
- ٢٢٦..... اتفاق البشرية عليهم عليهم السلام.
- ٢٢٦..... الترابط الروحي بين الشيعة والأئمة عليهم السلام.
- ٢٢٧..... طينة الأئمة وشيعتهم.
- ٢٢٨..... جماعة لا يمثلون الصراط.
- ٢٢٩..... معنى الصديقين.

- ٢٣٠..... أعظم سورة وأعظم نعمة.
- ٢٣١..... لماذا لم يصرح القرآن بالولاية؟
- ٢٣٣..... المبحث الأول: في مفردات الآية المباركة
- ٢٣٣..... المفردة الأولى: ﴿أَنْعَمْتَ﴾.
- ٢٣٤..... القدوة الروحية للبشر.
- ٢٣٤..... النعمة والنعمة.
- ٢٣٦..... ولاية آل محمد ﷺ أعظم النعم الإلهية.
- ٢٣٦..... النعمة والرحمة.
- ٢٣٧..... شروط حسن النعمة.
- ٢٣٧..... أثر النعمة الباطنة.
- ٢٣٨..... نعمة الشعور.
- ٢٣٩..... أعظم النعم الظاهرة والباطنة.
- ٢٤١..... مقاصد الآية المباركة.
- ٢٤٢..... من هم شيعتهم ﷺ؟
- ٢٤٣..... المفردة الثانية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٢٤٣..... معاني غير.
- ٢٤٤..... الحق في معنى ﴿غَيْرِ﴾.
- ٢٤٥..... معنى الغضب.
- ٢٤٦..... الغضب والسخط.
- ٢٤٧..... دلائل الغضب.
- ٢٤٨..... من هم المغضوب عليهم؟

- ٢٤٨.....التجاوز في علي عليه السلام
- ٢٤٩.....المخالفون لآل محمد عليه السلام
- ٢٥٠.....النعيم محبة علي عليه السلام
- ٢٥١.....قصة رياح وولايته
- ٢٥٢.....الجحيم غضب فاطمة عليها السلام
- ٢٥٣.....المفردة الثالثة: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾
- ٢٥٣.....الفرق بين (غير) و (لا)
- ٢٥٤.....معاني (لا)
- ٢٥٥.....معنى الضالين
- ٢٥٦.....معنى وجدك ضالاً فهدي
- ٢٥٧.....أعلى مراتب الضلالة
- ٢٥٨.....النص على أصول الدين
- ٢٥٩.....مجالس الهدى والضلال
- ٢٦٠.....مراتب الضلال أربع
- ٢٦٣.....أثر استماع الغناء
- ٢٦٣.....الغناء سبيل الضلال
- ٢٦٧.....المبحث الثاني: في لطائف الآية المباركة
- ٢٦٧.....اللطفة الأولى: من هم المنعمون والمغضوب عليهم؟
- ٢٦٨.....اللطفة الثانية: لماذا أنعمت لا هديت؟
- ٢٦٨.....الاصطفاء التكويني لآل محمد عليه السلام
- ٢٦٩.....أركان الإمامة الإلهية

- ٢٧١..... هداية آل محمد ﷺ للخلق
- ٢٧١..... شروط الهداية الخاصة
- ٢٧٢..... فرق الإمام عن قادة البشر
- ٢٧٣..... الولاية والهداية
- ٢٧٤..... نعيم أهل البرزخ
- ٢٧٥..... آل محمد ﷺ بسملة الوجود
- ٢٧٧..... اللطيفة الثالثة: النعمة بالفضل والغضب بالعدل
- ٢٧٩..... الخير من الله والشر من الناس
- ٢٨٢..... حل التنافي بين آيتين
- ٢٨٣..... الأسباب والتائج
- ٢٨٤..... كل ياذنه سبحانه تكويناً
- ٢٨٥..... تبرير أهل العناد
- ٢٨٨..... ذنوب تورث الحرمان
- ٢٩٠..... ذنوب تغير النعم
- ٢٩٠..... ذنوب الحضارة الغربية
- ٢٩٢..... المنافقون في عهد النبي ﷺ
- ٢٩٥..... اللطيفة الرابعة: أقسام العباد
- ٢٩٦..... الإيمان والكفر مدار المعرفة بهم ﷺ
- ٢٩٧..... ما معنى ثم اهتدى؟
- ٢٩٨..... الهداية إلى ولي الله تعالى
- ٣٠١..... بماذا تختلف المقامات؟

- خطورة التعاون مع الظالمين ..... ٣٠٢
- من هو الظهير للمجرمين؟ ..... ٣٠٣
- اللطيفة الخامسة: التبري من المغضوب عليهم والضالين... ٣٠٤
- ملازمة الشقاء لهم..... ٣٠٥
- أصناف أخرى للمغضوبين..... ٣٠٧
- متى يبول الشيطان على الإنسان؟ ..... ٣٠٧
- الغضب التربوي..... ٣٠٩
- أثر ضعف الإيمان في الشباب ..... ٣٠٩
- الوالدان والغضب الإلهي ..... ٣١١
- المغضوب عليهم أخلاقياً..... ٣١٢
- سوء الخلق وعذاب القبر..... ٣١٢
- إبليس وتأسيس المذاهب..... ٣١٥
- التضليل ذنب لا يغتفر..... ٣١٥
- اللطيفة السادسة: الصراع بين الطهر والخبثاة ..... ٣١٧
- أساليب الشيطان في التضليل..... ٣١٧
- عباد الله المخلصون..... ٣٢٠
- الذي لا يصلي حليف الشيطان ..... ٣٢١
- منظومة النعم الإلهية..... ٣٢٢
- الولاية أعظم النعم الإلهية..... ٣٢٣
- النعيم الإلهي..... ٣٢٤
- آثار الولاية لآل محمد ﷺ..... ٣٢٥

- ٣٢٧..... هل الله محتاج إلى الولاية؟
- ٣٢٨..... التوفيقات الإلهية بالولاية
- ٣٢٩..... التكامل بنعمة الولاية
- ٣٣١..... اعتزال الظالمين
- ٣٣٢..... اللطيفة السابعة: هم النعمة ويطلبونها
- ٣٣٥..... المبحث الثالث: في تعاليم الآية المباركة
- ٣٣٥..... التعليم الأول: فئات المجتمع المتحاربة
- ٣٣٧..... بقاء القيم بأهلها
- ٣٣٩..... علامة الضالين
- ٣٤١..... التجني على الدين
- ٣٤٢..... لا عقل أكبر من الدين
- ٣٤٣..... الزيف والغرور الفكري
- ٣٤٣..... هل الدين يدير الحياة؟
- ٣٤٤..... صفات الضالين والمضللين
- ٣٤٥..... ما هي مهمة الأنبياء والفقهاء؟
- ٣٤٧..... التعليم الثاني: لا تتخذوا هؤلاء خلفاء
- ٣٤٨..... تحالف اليهود والنصارى ضد المسلمين
- ٣٤٩..... منهج الاعتزال والمقاطعة
- ٣٥٠..... مبادئ قوة المسلمين
- ٣٥١..... من هم الأمة الواحدة؟
- ٣٥١..... من هي الأمة الناجية؟

- ٣٥٣..... التشاور والمشاركة في القرار
- ٣٥٤..... العلماء سراج الأمة.....
- ٣٥٥..... التحرر من القيود الضارة.....
- ٣٥٦..... حرية الإسلام وحرية القانون.....
- ٣٥٦..... الاعتصام بحبل الله.....
- ٣٥٧..... الهلاك في تولي أعداء الله.....
- ٣٥٩..... التعليم الثالث: اتخذوا القدوة الصالحة.....
- ٣٦٠..... الاقتداء بهدي الأنبياء ﷺ.....
- ٣٦١..... القدوة ركن التربية.....
- ٣٦٢..... صناعة القدوة الكاذبة.....
- ٣٦٣..... اختيار القدوة الصالحة.....
- ٣٦٤..... النظرة السطحية للدين.....
- ٣٦٥..... ما هي ميته الكفر؟.....
- ٣٦٦..... معيار القرب من الله تعالى.....
- ٣٦٧..... لماذا لم يسم القرآن الأشخاص؟.....
- ٣٦٨..... بنو أمية في القرآن.....
- ٣٦٨..... الخروج المنهجي عنهم.....
- ٣٧٠..... التعليم الرابع: لكل عمل وفن أدب.....
- ٣٧٠..... الضلالة العلمية والفكرية.....
- ٣٧٢..... الترويج للباطل.....
- ٣٧٣..... الخدمة الكاذبة.....

- ٣٧٣..... لا ينفع الندم
- ٣٧٤..... من هو فلان في القرآن؟
- ٣٧٥..... الإضلال عن رسول الله ﷺ
- ٣٧٦..... اختر الصالحين
- ٣٧٧..... شواهد من الضلال الفكري
- ٣٧٨..... الإجماع على إمامة علي عليه السلام
- ٣٧٩..... تضليل غريب
- ٣٨٢..... خلاصة التعليم
- ٣٨٢..... التعليم الخامس: نزول النعم بالأسباب والإفاضات
- ٣٨٣..... التعليم السادس: نهج الولاية والبراءة
- ٣٨٤..... التعليم السابع: أصول الدين في آية
- ٣٨٦..... كيف تكون من أهل النعيم؟
- ٣٨٨..... آثار الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ
- ٣٨٨..... بالصلاة على محمد وآل محمد توجع إبليس
- ٣٩٠..... بركات الصلاة عليهم ﷺ
- ٣٩١..... كل عضو يذكر الله تعالى
- ٣٩٢..... أثر الدعاء والتوسل
- ٣٩٣..... التعليم الثامن: لماذا لم يذكر القرآن أسماء أهل البيت ﷺ؟
- ٣٩٤..... أنبياء وأصفياء ذكرهم القرآن
- ٣٩٦..... التصديق بالسنة
- ٣٩٧..... تصديق النبوة وتكذيبها

- ٣٩٨.....التكذيب بالعمل
- ٣٩٩.....ارتداد بعض الصحابة.
- ٤٠١.....عمر يتهم النبي ﷺ وينتقصه.
- ٤٠٢.....لماذا طرد النبي ﷺ الصحابة؟
- ٤٠٣.....أهم ما يوصي به النبي ﷺ.
- ٤٠٤.....نزل القرآن في آل محمد ﷺ.
- ٤٠٦.....العلي الحكيم أمير المؤمنين ﷺ.
- ٤٠٧.....شهادة صعصعة لأمر المؤمنين ﷺ.
- ٤٠٩.....شهادة زيد بن صوحان.
- ٤١١.....النص العام عليهم ﷺ.
- ٤١٢.....أهل البيت اسم خاص.
- ٤١٤.....الطهارة التكوينية لآل محمد ﷺ.
- ٤١٥.....مزايا أهل البيت عن نساء النبي ﷺ.
- ٤١٦.....البيت الروحي والبدني.
- ٤١٧.....ذكرهم ﷺ بالكناية.
- ٤٢٠.....الأسماء الرمزية.
- ٤٢١.....ما ورد عن صاحب الزمان ﷺ في عاشوراء.
- ٤٢٣.....أسرار الحروف المقطعة.
- ٤٢٤.....أثر اسم الحسين ﷺ.
- ٤٢٦.....تسميتهم ﷺ بأسماء العبادات.
- ٤٢٧.....السورة النازلة بأسمائهم ﷺ.

- ٤٢٩..... سر عدم التصريح بأسمائهم.
- ٤٢٩..... الحكمة الإلهية.
- ٤٣٣..... معرفة المنافقين ببغضهم لعلي عليه السلام.
- ٤٣٣..... لماذا أحاديث النبي قصيرة؟
- ٤٣٤..... عدم الحاجة إلى التصريح.
- ٤٣٤..... الإقرار بمناقب علي عليه السلام.
- ٤٣٥..... إنارة العقول والبصائر.
- ٤٣٦..... أسماء أخرى لم تذكر.
- ٤٣٨..... ترسيخ مكانة المعصوم عليه السلام.
- ٤٣٩..... ترسيخ سنة الاختبار.
- ٤٤٠..... ماذا لو ذكر أسماءهم؟
- ٤٤١..... مراتب الإيمان.
- ٤٤٢..... الناس الذين يخشاهم الرسول صلى الله عليه وآله.
- ٤٤٣..... مراتب الكفر.
- ٤٤٤..... تواتر الخلافة في علي عليه السلام.
- ٤٤٦..... اقرار الصحابة بالعصيان.
- ٤٤٦..... تحريف القرآن.
- ٤٤٧..... شهادة اليهود وتوسلهم بأل محمد عليه السلام.
- ٤٤٨..... لماذا منعوا التدوين؟
- ٤٤٩..... كتاب معاوية في البراءة.
- ٤٥٠..... حزب الوضع والاختلاق.

٥٤٣	الفهرس
٤٥٠	الحسد وآثاره
٤٥١	خلاصة السر
٤٥١	كلمة أخيرة للمخالفين
٤٥٣	المصادر
٤٧٩	الفهرست
٤٧٩	فهرس الجزء الأول
٥٠٣	فهرس الجزء الثاني
٥٢٥	فهرس الجزء الثالث